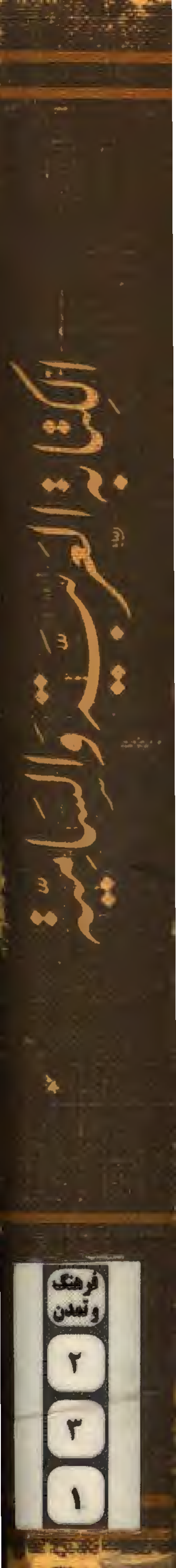
الكتابة العربية والسامية

دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين

تأليف

الدكتور رمزي بعلبكي

دار العلم للملايين


فرهنگ
و تمدن
۲
۳
۱

الكتابة العربية والسامية

دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين



الكتابة العربية والسامية

دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين

تأليف
الدكتور رمزي بعلبكي

دار العلم للملايين

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

أيار (مايو) ١٩٨١

المقدّمة

هذا الكتاب مجموعة من الأبحاث المتّصلة التي تدور حول الكتابة الساميّة. ومنه نتوخّى أمرين، عامًّا وخاصاً؛ فأمّا العامّ فالتبصّر في الكتابة الساميّة الشماليّة، وبخاصّة من حيث أصولها وقواعدها وعلاقتها بعدد من الكتابات الأخرى. وأمّا الأمر الثاني فينصرف إلى الكتابة العربيّة الشماليّة في بداياتها وعلاقتها - في جملة من المسائل - بأصولها التي منها أُخذت.

ولّما كان هذا الموضوع شائكاً ومتشعّباً رأيت ألا أعالجه من الزاوية التاريخيّة فحسب، لأنّ ذلك كان سيؤدّي بنا إلى الانزلاق في متاهة العرض وفي وهم الاستنتاج بأنّ ما تقدّم أصل لما تأخّر. ولذلك عُنيت، إلى الناحية التاريخيّة، بالنظر في خصائص عدد من الكتابات الساميّة، كلاًّ على حدة، ثم بدراستها، مجتمعةً، من خلال سمات مشتركة مبثوثة فيها.

ولذلك جعلت الكتاب في ثلاثة أبواب. فالباب الأوّل بحث عن الأصول التي انبثقت منها الألفباء الساميّة، درست فيه علاقتها بالمصريّة والسينائيّة والجبيليّة، ثم بيّنت طبيعة الكتابة الساميّة الشماليّة (الفينيقيّة اصطلاحاً) فنفيت عنها صفة المقطعيّة التي نسبها إليها نفر من العلماء. وأفردت بعد ذلك فصلاً للكتابة الأوجاريتيّة لأنّها تجمع صفة الألفبائيّة (إلا في ثلاثة أشكال للحرف ') إلى صفة المسماريّة.

وأمّا الباب الثاني فمنبثق من سابقه ومعتمد عليه في نتائجه، إذ إنّه يوسّع ما بدأناه منحصراً بالساميّة الشماليّة، فينطلق إلى العربيّة الشماليّة

والعربيّة الجنوبيّة - متتبّعاً طبيعة العلاقة بينها - ومن الجنوبيّة إلى الحبشيّة المشتقّة منها، وأخيراً إلى اليونانيّة لأنّ مأخذها ساميّ - وتحديداً، فينيقيّ لا آراميّ كما يدّعي بعض الباحثين.

وفي الباب الثالث حدّدنا وحدة الفصل في إطار قضيّة مشتركة بين الكتابات الساميّة جميعاً، فدرسنا أسماء الحروف وترتيبها وكتابة الصوائت (vowels)؛ فكأنّ هذا الباب يجمع ما فرّقه البحث التاريخيّ في كثير من الفصول التي سبقته.

وقد اتّخذتُ في كلّ فصل موقفاً صريحاً من القضيّة المطروحة فيه، مبيّناً مآخذي على مواقف نفر من العلماء حيث اقتضى الأمر؛ فمجموع الفصول العشرة إنّما هو مجموع مواقف أؤمن بها من خلال تصوّري العامّ لبحث الكتابة العربيّة والساميّة.

وللبحث حدود تاريخيّة لم أتجاوزها - فيما استطعت - فقد بدأت بالنقوش السينائيّة وأهملت ما قبلها لقلّة وضوحه وفائدته لبحثنا، كما أنّي أسقطت الكتابة الأكديّة المسماريّة لأنّ أصولها غير ساميّة. أمّا الزمن الأدنى فيختلف من لغة إلى لغة؛ وقد اقتصرت في العربيّة الشماليّة على المراحل الأولى، أي ما قبل الإسلام في معظم الموضوعات، فلم أتطرّق لأنواع الخطوط العربيّة وللمصاحف الأولى، وقد عالجها بإحكام الدكتور صلاح الدين المنجّد في كتابه القيّم الموسوم بـ «دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ».

ولعلّ الذي دفعني إلى هذا البحث علاقته الحميمة بالدراسة اللغويّة. فالكتابة، إن كانت اللغة رمزاً، رمز للرمز، ولا يخفى أنّ دراسة الفرع تغني دراسة الأصل. والحقّ أنّي قد أطلت لنفسي عنانها بعض الشيء، فأرضيت حبّها للبحث اللغوي - لا على حساب الدقّة والموضوعيّة - فضمّنت الفصل الخامس بحثاً لغويّاً مستفيضاً حول النقوش النبطيّة - العربيّة،

وأفردت القسم الأوفر من الفصل الثامن لدراسة اشتقاقيّة لأسماء الحروف السامّية ومعانيها. وكذلك استقام لي في الفصل العاشر أن أنفذ من دراسة الصوائت الساميّة كتابياً إلى نوع من التحليل اللغويّ للبنية الصوتيّة في السريانيّة والعبريّة والعربيّة.

ولقد أغفلتُ، عن عمد، التعرّض لمبحث صار مألوفاً ومكرّراً، أعني ما يوسم بـ « إصلاح الخطّ العربيّ ». وقد اكتفيت، على وجه العرض والمقابلة، بإظهار الكتابة العربيّة في إطارها التاريخيّ والحضاريّ، وإظهار مناسبة الكتابة الألفبائيّة الساميّة - التي تكتفي بالصوامت في معظم نماذجها - لطبيعة الاشتقاق في اللغات الساميّة، والتأكيد ضمناً على أنّ كتابتنا المعاصرة أقرب إلى طبيعة لغتنا مقارنةً بأخواتها الساميات من أيّة كتابة مقتبسة أو موضوعة ممّا اقترحه أصحاب « الإصلاح ». ثم إنّ معظم « المشكلة » غير قائم أصلاً، ففي العربيّة علامات للصوائت توضع فوق رسم الصامت أو تحته، فما يمنعنا من استخدامها باطّراد؟ ويحسن بنا، في سبيل الاستئناس لا الاتّباع، أن نذكر أنّ الأحباش جعلوا لكلّ حرف سبع صور يختلف كلّ منها عن الآخر، على شبه واضح، فتضخّمت أشكال كتابتهم ووصلت إلى ١٧٢ شكلاً، ولكنّهم ظلّوا مدركين أنّ بقاء الصامت أساساً لصورة الحرف هو الأنسب لتمثيل لغتهم في الكتابة. أمّا كتابتنا العربيّة فقد حقّقت هذه المناسبة بين الصوت والرمز، إلى جانب التعبير عن نظام الصوائت، ومع المحافظة على الاقتصاد في عدد الأشكال... وهذا، عندي، الغاية المرجوّة.

أما مراجعي فكان معظمها أجنبياً، إذ ليس في العربيّة شيء كثير عن مثل هذا الموضوع، فإن وُجد تراه لم يشف غلّة أو لم يُحِط بجوانب الموضوع الكثيرة. والله يعلم ما بذلت من جهد لاستيفاء المراجع الأجنبيّة، إذ لم أرض بالنقول بديلاً عن رؤية الأصول ودراستها. ولقد كان يداخلني، مدّة

اشتغالي بهذا الكتاب، أنّي به أُدخل مبحثاً جديداً - في بعض جوانبه على الأقلّ - إلى العربيّة، فلعلّه الحافز لدراسات أخرى في موضوعات متّصلة أهملتها أو فاتتني أو قصّرت عنها. وإنّي لأتشوّف إلى اليوم الذي تحتضن فيه العربيّة الدراسات اللغويّة الساميّة المقارنة، فهي أحقّ بذلك من اللغات الأوروبيّة، وأبناؤها أقدر على فهمها انطلاقاً من لغتهم هم.

ويتعيّن عليّ أن أشكر لعدد من الباحثين تشجيعهم لي وتنبيههم إيّاي على بعض المراجع المفيدة. فمن هؤلاء الدكتور محمود الغول من جامعة اليرموك، والدكتور ويليام وارد W. Ward من الجامعة الأميركيّة في بيروت، والدكتـور جون اميرتون J. A. Emerton استاذ اللغات الساميّة في جامعة كامبردج. ولا يفوتني أن أشكر للأستاذ عبد الأحد حنّاوي الملاحظات المفيدة التي أبداها حول عدد من الكلمات السريانيّة التي دارت في هذا البحث.

وها هو ذا كتابي بين يدي الباحثين والمهتمّين بتاريخ اللغة والكتابة، فأرجو أن يكون فيه بعض انتفاع، وأن يمهّد لدراسات أخرى مختصّة. وبالله التوفيق.

الجامعة الأميركيّة في بيروت
تشرين الأوّل ١٩٨٠

رمزي بعلبكي

رموز الأصوات

الحروف الصامتة Consonants		
الهمزة	ʾ	(وتُهمَل في صدر الكلمة)
الباء الشديدة	b	
الباء الرخوة	ḇ	(وتُلفظ: v)
الجيم « العربيّة »	j	
الجيم غير المعطّشة	g	
الدال الشديدة	d	
الدال الرخوة، والذال	ḏ	
الهاء	h	
الواو	w	
الزاي	z	
الحاء	ḥ	
الخاء	ẖ	
الطاء	ṭ	
الظاء	ẓ	
الياء	y	
الكاف الشديدة	k	

الكاف الرخوة	k̲	(وتُلفظ: خ)
اللام	l	
الميم	m	
النون	n	
الساميخ، والسين العربيّة	s	
العين	ʿ	
الغين، والجيم الرخوة	ġ	
الفاء (في العربيّة والحبشيّة)	f	
الپاء الشديدة (في العبريّة مثلاً)	p	
الپاء الرخوة (في العبريّة مثلاً)	p̲	
الصاد	ṣ	
الضاد	ḍ	
القاف	q	
الراء	r	
السين العبريّة (שׂ)	ś	
الشين	š	
التاء الشديدة	t	
التاء الرخوة، والثاء	t̲	

الحروف الصائتة Vowels

(الستة الأولى مشتركة بين العربيّة وغيرها)

الفتحة القصيرة و paṯaḥ	a
الفتحة الطويلة و qāmeṣ	ā

الكسرة القصيرة و ḥīreq	i
الكسرة الطويلة	ī
الضمّة القصيرة و qibbūṣ	u
الضمّة الطويلة و šūreq	ū
s^{e}gōl	e
ṣērē	ē
ḥōlem	ō
$š^{e}$wā والصائت السادس في الحبشيّة	e̱
ḥāṭēp̱−paṯaḥ	ă
ḥāṭēp̱-s^{e}gōl	ĕ
ḥāṭēp̱-qāmeṣ	ŏ
الصائت المركّب من فتحة فواو	aw
الصائت المركّب من فتحة فياء	ay

(وقد توجد رموز خاصّة بكتابات بعينها، نحو ả و ỉ و ủ و ž في الأوجاريتّية، و p̣ في الحبشيّة، وهذه تُشرح في مواضعها).

★ ★ ★

وننبّه على المصطلحات التالية:

* قبل الكلمة، يدلّ على أنّ تلك الكلمة غير معروفة بلفظها المذكور، وأننا نفترض ذلك اللفظ افتراضاً، كالكلمات التي ننسبها إلى اللغة الساميّة الأمّ.

( ) بينها الحرف، يدلّ على أنّ الحرف يُكتب ولا يُلفظ، نحو rō(ʾ)š (رأس، في العبريّة) فالحرف ʾ يُكتب ولكن الكلمة تُلفظ rōš .

√ جذر الفعل.

مختصرات أسماء الدوريّات*

AJA: American Journal of Archaeology
AO: Archiv Orientálnï
BA: The Biblical Archaeologist
BASOR: Bulletin of the American Schools of Oriental Research
BIFAO: Bulletin de l'Institut français d'Archéologie orientale
BMB: Bulletin de Musée de Beyrouth
BO: Bibliotheca Orientalis
BSOAS: Bulletin of the School of Oriental and African Studies
CRAIBL: Comptes-rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres
JAOS: Journal of the American Oriental Society
JAs: Journal Asiatique
JBL: Journal of Biblical Literature
JEA: Journal of Egyptian Archaeology
JHS: Journal of Hellenic Studies
JNES: Journal of Near Eastern Studies
JRAS: Journal of the Royal Asiatic Society
JSS: Journal of Semitic Studies

* هذه المختصرات تقتصر على الدوريّات الأكثر وروداً في دراستنا.

MUSJ: Mélanges de l'Université Saint-Joseph
PQS: Palestine Exploration Fund: Quarterly Statement
RA: Revue archéologique
RB: Revue biblique
REI: Revue des Etudes islamiques
RES: Revue des Etudes sémitiques
RSO: Revista degli Studi orientali
WZKM: Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes
ZA: Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete
ZDMG: Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft
ZS: Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete
(ومن غير الدوريّات: مختصر Encyclopaedia of Islam على: EI).

الباب الأوّل

في أصول الكتابة الساميّة



الفصل الأوّل

أصل الألفباء الساميّة

إثر الاكتشاف الهامّ الذي حقّقته بعثة W. M. Flinders Petrie في سيناء في شتاء ١٩٠٤ - ١٩٠٥، تجدّدت حماسة العلماء لجعل الخطّ الهيروغليفيّ المصريّ أصل الألفباء الساميّة(١). وسبب هذا أنّ النقوش المكتشفة مكتوبة برموز يشبه بعضها الرموز الهيروغليفيّة ويقرب بعضها من رموز الألفباء الساميّة، وأنّ لغتها، على الأرجح، ساميّة. وهكذا نشأت قضيّة كبيرة في تاريخ الخطّ الساميّ: هل إنّ هذه النقوش السينائيّة Sinaitic، أو السينائيّة الأم Proto-Sinaitic كما تُسمَّى أيضاً(٢)، هي الحلقة المفقودة بين الألفباء الساميّة عامّة - والتي تمثّلها الألفباء الفينيقيّة - وبين الهيروغليفيّة؟

اكتشاف النقوش السينائيّة وفكّ رموزها

قامت البعثة المذكورة بالتنقيب في خرائب معبد هاتور في سرابيط

---

(١) نعني بهذه العبارة عند إطلاقها الألفباء الساميّة الغربيّة، وبالتحديد الفينيقيّة. وفي غير هذا المعنى نُلحِق العبارة بقيد.

(٢) تمييزاً لها عن النقوش العربيّة الأمّ Proto-Arabic، وخاصّة النبطيّة منها، والتي تُعرف بالنقوش السينائيّة المُحْدَثة ونقوش وادي المكتّب.

الخادم الواقعة في الجزء الجنوبيّ من شبه جزيرة سيناء، فعثرت على أحد عشر نقشاً مكتوبة برموز غير معروفة. ويمكن تلخيص النتائج الأولى التي كشفت عنها دراسة Flinders Petrie لهذه النقوش بالأمور التالية[1]:

١ - أنّ هذه النقوش تنطوي على نظام كتابيّ ثابت، وليست محاولة عابثة تقصد إلى محاكاة الخطّ الهيروغليفيّ. والدليل على هذا أن مجموعة مكوَّنة من خمسة رموز ترد في خمسة مواضع من هذه النقوش، الأمر الذي يُستبعد معه كونها مجموعة من الأشكال التي لا ترتبط بنظام كتابيّ محدّد.

٢ - أنّ طريقة الكتابة هذه فريدة، وكأنها تمثِّل نمطاً محلّيّاً يختصّ بها ويميّزها عن الكتابات المصريّة الأخرى.

٣ - أنّ اتجاه الكتابة هو من اليسار إلى اليمين، على خلاف الكتابة الساميّة اللاحقة ومعظم الكتابة المصريّة.

٤ - أنّ هذه النقوش كُتبت حوالى ١٥٠٠ ق. م.

النتائج الثلاث الأولى لا تحتاج إلى كبير دليل. أما النتيجة الرابعة فمُختلَف فيها إذ إنّ بعض العلماء يُرجع هذه النقوش إلى القرن الثامن عشر أو القرن السابع عشر ق.م[2]. ولكن يبدو أن رأي Flinders Petrie أصوب بدليل النقوش الألفبائيّة التي اكتُشفت في سوريا وفلسطين بعد اكتشاف النقوش السينائيّة الأولى، والتي يحسن اعتبارها سابقة على النقوش السينائيّة الأمّ زمنياً[3]. ويرى Albright - ولعلّ دراسته لهذه النقوش

(١) أنظر: *Researches in Sinai* (London, 1906), pp. 129-32

(٢) أنظر: A.H. Gardiner, «The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet,» in *JEA*, 3 (1916), p. 13.

وقارن بـ: G. R. Driver, *Semitic Writing: from Pictograph to Alphabet* ('The Schweich Lectures,' 1944), Newly rev. ed. (London, 1976), p. 96.

(٣) W. F. Albright, *The Proto-Sinaitic Inscriptions and their Decipherment* (Cambridge, 1969), p. 10.

أفضل ما كُتب في الموضوع - أنّ الفترة ما بين ١٥٥٠ و ١٤٥٠ ق.م. هي تاريخ كتابة هذه النقوش لأسباب كثيرة يفصّلها في دراسته[١].

أمّا القوم الذين كتبوا هذه النقوش فالأرجح أنّهم ساميّو الأصل لأن لغتهم ساميّة كما تشير قراءة معظم العلماء. غير أنّ من الراجح أيضاً أنّهم مكثوا في مصر فترة طويلة، وذلك لأنّ تأثّرهم بالمصريين كبير وخاصة من حيث أسماء الآلهة وأسماء العلم وأشكال الحروف الكتابيّة، إن صحّت قراءة Albright[٢]. ويرى هذا أنّ من المحتمل كون هؤلاء القوم من الهيكسوس الذين كان قد أخضعهم المصريون لسلطانهم. لكنّ مثل هذا الاستنتاج، وإن جاز، غير موثّق، ويحسن عدم بناء الفرضيات التاريخيّة على أساسه. والحقّ أنّ الأمر ليس بالبساطة التي قد يوحي بها الحلّ الذي جاء به Albright، فالكلمة الفصل لا يمكن أن تقال إلا إذا ظهرت نقوش أخرى من الموقع عينه. ويكفي أن نشير هنا إلى اختلاف آراء العلماء في القوم الذين تركوا هذا الأثر. فبينما يرى Cowley أنّ هؤلاء قوم بدائيّون من جنوب فلسطين جعلتهم السلطة المصريّة يعملون في مناجم الفيروز في سيناء[٣]، يجزم Sprengling أنّهم من أرض سعير، أي بلاد أدوم[٤]، بين البحر الميت والبحر الأحمر، ولذلك يسمّيهم سعيريين Seʿirites ويسمّي لغتهم سعيريّة Seʿirite[٥]. أما Leibovitch فرأيه مغاير لجميع من ذكرنا، إذ لا يرى أصلاً أنّ لغة هذه النقوش ساميّة، فهي عنده مدينيَّة Midianite يصفها بقوله

---

(١) *Ibid.*, pp. 6-9.

(٢) *Ibid.*, p. 12.

(٣) «The Sinaitic Inscriptions.» in *JEA*, 15 (1929), p. 202.

(٤) راجع ذكرهم في سفر التكوين ٣٢: ٤.

(٥) *The Alphabet: Its Rise and Development from the Sinai Inscriptions* (Chicago, 1931), pp. 50 ff.

إنها، إن لم تكن مصريّة خالصة، فهي على الأقلّ متأثّرة بالمصريّة تأثّراً بعيداً[١]. ولكنّ Leibovitch لا يعطينا قراءة متّسقة لهذه النقوش، بل يكتفي في بعض المواطن بملاحظة تتابع الرموز وانقسامها إلى مجموعات مميَّزة. والخلاصة أنّ التروّي في أمر مَن كتب هذه النقوش أمر يحتّمه البحث العلميّ.

وأمّا عدد الرموز المستعملة في هذه النقوش فلا يتعدّى مجال ثلاثين رمزاً مختلفاً، بعضها يتكرّر أكثر من غيره، وأرجح الأقوال أن عددها سبعة وعشرون[٢]. ولما كانت هذه الرموز تشكّل نظاماً كتابيّاً، وجب كون هذا النظام ألفبائيّاً لا مقطعيّاً لأنّ عدد الرموز المستعملة في الكتابة المقطعيّة يفوق الثلاثين بأضعاف. ولمّا لم تثمر محاولة فك هذه الرموز بإعطائها قيمتها الصوتيّة التي قد يوحي بها الشبه القائم بينها وبين الرموز الهيروغليفيّة المقروءة، ولمّا كان بعض هذه الرموز شبيهاً بالرموز الساميّة المعروفة، سواءٌ الساميّة الشماليّة أم الساميّة الجنوبيّة، رأى Gardiner أنّ لغة هذه النقوش ساميّة، وأقنع بحقٍ علماء عصره حين استطاع أن يقرأ أربعة رموز متتالية (أنظر الرسم ١) واردة خمس مرات أو ستاً، على أنها كلمة $B^{c}LT$ (بعلة) أي اسم الالهة التي يقابلها في الديانة المصريّة هاتور التي يندر أن يُحذف اسمها من نقش هيروغليفيّ من المنطقة نفسها[٣].

---

(١) *Les inscriptions protosinaïtiques* (Le Caire, 1934), p. 103; cp. pp. 35, 70.

(٢) أنظر: *The Proto-Sinaitic Inscriptions*, fig. 1.

وقارن بـ: W. F. Albright, «Some Important Discoveries: Alphabetic Origins and the Idrimi Statue,» in *BASOR*, 118 (1950), pp. 12-13.

وانظر ص ٢٩٥ لاحقاً.

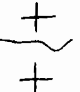
(٣) «The Egyptian Origin...», p. 15.



الرسم ١

الرموز السينائيّة لكلمة B^{c} LT

إن قراءة Gardiner لهذه الكلمة أوّل خطوة صحيحة في عمليّة فك الرموز السينائيّة الأمّ، وإن كان هو نفسه يراها غير أكيدة. وقد تلقّف العلماء هذه الخطوة بالقبول، حتى إنّ Cowley اعتبرها الأساس المتين لأية محاولة لاحقة لقراءة هذه النقوش(١)؛ ولعله كان مصيباً في هذا لأن مجموعة الرموز الثانية التي قُرئت هي (tēnet) TNT(٢) التي فيها تاءان اثنتان(٣) (أنظر الرسم ٢).



الرسم ٢

الرموز السينائيّة لكلمة TNT

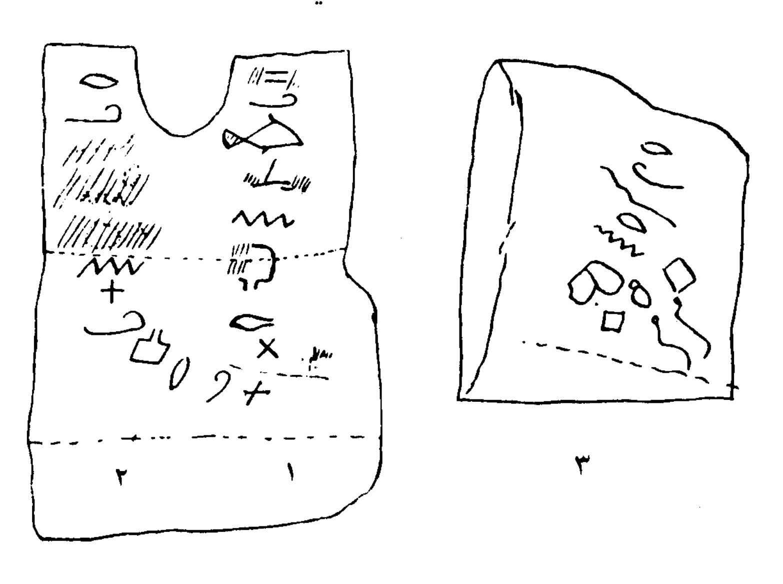
---

(١) «The Origin of the Semitic Alphabet,» in *JEA*, 3, (1916), p. 17.

(٢) قد يكون معناها العطاء أو التقدمة؛ قارن بالعبريّة תְּנָת ṯēt بالمعنى نفسه.

(٣) أنظر: K. Sethe, «Die wissenschaftliche Bedeutung der PETRIE'schen Sinaifunde und die angeblichen Moseszeugnisse,» in *ZDMG*, 80 (1926), pp. 48-9.

ولعلّ أحسن نتيجة في قراءة هذه النقوش تكون بقراءتها على أنّها مكتوبة بلغة ساميّة شماليّة. أما قراءة Van den Branden(١) التي ينطلق فيها من اعتبار لغة هذه النقوش عربيّة فبعيدة عن الصواب بعداً كبيراً، وغالباً لا تفيد معنى إلا بالإكراه والتعسّف. ولا يجوز، في الواقع، تفسير الكلمات السينائيّة بكلمات عربيّة فحسب، وخاصّة إذا كانت هذه الكلمات العربيّة ذات معنى قليل الورود أو ذات دلالة متطوّرة عن معنى أصليّ؛ فاللغة العربيّة، باتساع مفرداتها وغنى جذورها، قد توقع الباحث في الأوهام لأنّه قد يعثر فيها على كلمات ذات معان مناسبة للسياق ولكنها لا تتعلّق، من حيث الاشتقاق، بالكلمات التي يتصدّى لتفسيرها.



الرسم ٣

النقش السينائيّ ٣٤٦

---

(١) «Le déchiffrement des Inscriptions protosinaïtiques,» in *al-Machriq*, 52 (1958), pp. 361-405.

نموذجان مفسَّران من النقوش السينائيّة

على سبيل التمثيل نتناول نموذجين من النقوش السينائيّة، أولهما المعروف بالنقش ٣٤٦، وهو أوضح من أخواته معنى وأقل منها تلفاً. وُجد هذا النقش (أنظر الرسم ٣) داخل معبد هاتور، وهو اليوم محفوظ في متحف القاهرة، ورقمه ٣٨٢٦٨.

الرموز:

العمود الأوّل من أعلى إلى أسفل:

ذ   ل د ي   م ر ع ت

العمود الثاني من أعلى إلى أسفل ثم ينحني من اليمين إلى اليسار:

ع ل   ن [ع م   أ] م ت   ل ب ع ل ت

العمود الثالث من أعلى إلى أسفل والرموز الأربعة المتطرّفة من أسفل إلى أعلى فمن أعلى إلى أسفل:

ع ل   ن ع م   ر ب   ن ق ب ن

التعليق:

العمود الأوّل:

١ - الحرف الأوّل مختلف في قراءته زاياً أو ذالاً؛ وأيّاً كان الوجه فإنّه اسم إشارة كالذال العربيّة أو الزاي العبريّة.

٢- ل د ي: أصلها من اللام و«يد» مثنّاةً والضمير، أي la-yaday-hu* ثمّ اختُصرت على ladēyu بسقوط هاء الضمير، كما يحدث في العبريّة وفي اللهجات العربيّة الحديثة، وبتخفيف ياء «يد» وهو أمر مألوف

في الفينيقيّة[١].

٣- م ر ع ت: المرعى، وتاؤه للتأنيث، وهذا الجذر له ما يقابله بالمعنى نفسه في اللغات الساميّة الأخرى، الأكديّة والعربيّة والحبشيّة والعبريّة والسريانيّة. وهذه قراءة Albright وهي مقنعة ببساطتها. أما Cowley[٢]، فيقرأ «م ب ع ت» ويرى أن الميم الأولى اسم موصول وأنّ «ب ع ت» معناها طَلَبَتْ وأرادت (قارن: بغى، بَغَتْ) وفاعله مستتر تقديره «بعلة» المذكورة في العمود الثاني. لكنّ ضعف هذه القراءة ظاهر لأنّها لو صحّت لتوقّعنا ذِكر «بعلة» في العمود الأوّل بعد الفعل «ب ع ت» وعدم الاكتفاء بذكرها في آخر العمود الثاني.

العمود الثاني:

١- ع ل: على، من أجل؛ وهي هنا كالصيغة العبرية עַל ʿal من حيث سكون الآخر.

٢- ن [ع م]: تقدير العين والميم يوجبه وجودهما واضحين في العمود الثالث. وهذا الجذر مشترك بين اللغات الساميّة.

٣- [أ] م ت: الألف مقدَّرة، والكلمة تعني الأَمَة (في العبرية אָמָה āmā وفي السريانيّة ܐܡܬܐ amtā) وأصل معناها من الخدمة، وهنا خدمة المعبد على الأرجح. هذه قراءة Cowley، ولعلّها أفضل من قراءة Albright[٣] فهذا لا يقدّر ألفاً قبل الميم، بل يقدّر نوناً بعد التاء فيقرأ «م

---

(١) وذلك في bd الفينيقيّة، وتُلفظ *bōd، وأصلها من حرف الجر باء وكلمة يد، وتعني «بواسطة..»؛انظر:

S. Segert, *A Grammar of Phoenician and Punic* (München, 1976), p. 214.

(٢) «The Sinaitic Inscriptions.» p. 204.

(٣) *The Proto-Sinaitic Inscriptions*.... p. 17.

ت [ن] » ومعناها الهديّة أو التقدمة من الجذر NTN √ الموجود في العبريّة والسريانيّة مثلاً. غير أنّ هذا التقدير غير ممكن لأنّه لا يوجد في النص مكان لإقحام هذه النون بين التاء التي قبلها واللام التي بعدها، فلا داعيَ مطلقاً لافتراض سقوط النون سهواً ثم تقديرها؛ فإن من قواعد قراءة النقوش ألاّ يجعل القارىء نفسه « مصحِّحاً » إن استطاع أن يقرأ النص دون « تصحيح »، اللهم إلا في حالات يكون الخطأ فيها واضحاً كتكرار كلمة أو سقوط حرف من كلمة مألوفة متكرّرة في اللغة. أما إقحام الحروف حيث لا متَّسَع لها في نصوص كالتي بين أيدينا فمرفوض لأننا لا نعرف الكثير عن لغة هذه النصوص لنجزم أنّ تقديرنا سليم قياساً على كثرة ورود كلمة ما فيها.

٤- ل ب ع ل ت: اللام « حرف الجر »، و« ب ع ل ت » اسم الالهة كما مرّ.

العمود الثالث:

١- رب: أي السيّد والرئيس، كما في جميع اللغات الساميّة[١].

٢- ن ق ب ن: من جذر نقب √ الموجود في العربيّة والعبريّة والآراميّة والسريانيّة، والنون التي تلي الجذر دالّة على الاسميّة (كنون فَعْلان مثلاً). ومعنى الكلمة « المنقِّب ». ويفترض Albright ميماً في آخر الكلمة ليجعلها جمع مذكر سالماً فيقرأها « ن ق ب ن [م] » أي « المنقِّبين »، وهذا جائز لأنّ الكاتب قد لا يكون وجد متّسعاً لكتابة الميم لأنّه وصل إلى

---

(١) ويبدو أنّ أصل معناها « الصاحب »، وهو معنى معروف في العربيّة مثلاً. ونقارن هنا بين « رَبّ » و« بعل » التي تعني كذلك السيّد والرئيس في اللغات الساميّة، وأصل معناها « الصاحب »، كما يبدو في العبريّة، وكما يوحي معناها المشترك في العربيّة والعبريّة والفينيقيّة: الزوج، وهو « الصاحب » أيضاً.

أسفل النقش. ولكن من الممكن أيضاً أن نكتفي بقراءة الكلمة بالإفراد على اعتبار الاسم دالاً على النوع، أي أن «« رَبّ المنقِّب » قد تعني رب المنقّبين جميعاً. أما Sprengling[١] فيقرأ « ن ص ب ن » naṣṣābīn ومعناها « النصّابون » الذين يقيمون النصب. وهذه القراءة جائزة لأنّه لا يوجد دليل قاطع على قراءة الرمز الثاني في الكلمة، فقد يكون قافاً وقد يكون صاداً؛ ومن يدري فقد يكون صوتاً آخر لم يَرِدْ في النقوش السينائيّة الأولى في غير هذا الموضع، كالطاء أو الظاء فتكون الكلمة المقصودة حينئذ غير ما كنّا نعتقد.

وهكذا تكون الترجمة على النحو التالي:

العمود الأوّل: (يا أيّها) الذي لديه المرعى

العمود الثاني: من أجل نعيمِ أمةِ بعلة

العمود الثالث: من أجل نعيمِ ربِّ المنقِّب/المنقّبين

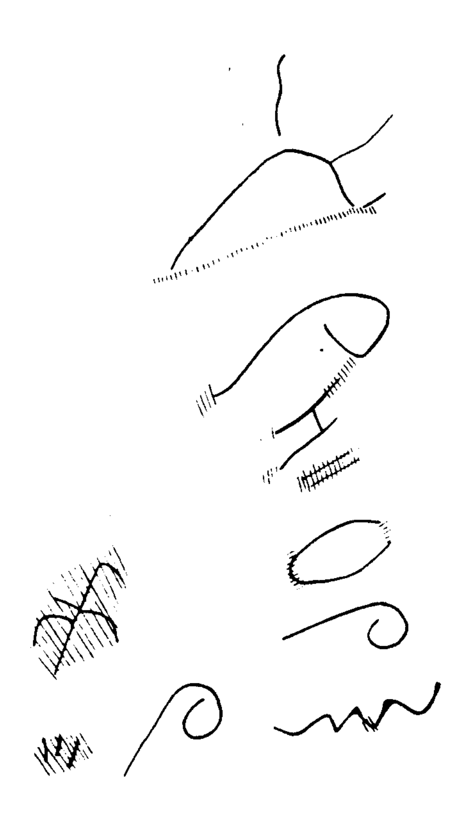
أمّا النقش الثاني الذي نتناوله فرقمه ٣٥٨ وقد نُقش على حائط صخريّ باق في موضعه الأصليّ *in situ* (أنظر الرسم ٤). ولهذا النقش دلالة كبيرة، وإن كان نصّه مقتضباً. وسنذكر هنا قراءة F. M. Cross[٢] التي قبلها Albright[٣]؛ ولا حاجة بنا لأيّ تعديل ندخله فيها - كما فعلنا في قراءة النموذج الأوّل - لأنها قراءة بسيطة ومفهومة، وهذا الغاية في قراءة أيّ نقش قديم.

---

(١) *The Alphabet: Its Rise and Development*.... p. 27.

(٢) أنظر: «Yahweh and the God of the Patriarchs.» in *Harvard Theological Review*, 55 (1962), pp. 238 ff.

(٣) أنظر: *The Proto-Sinaitic Inscriptions*.... p. 24



الرسم ٤

النقش السينائيّ ٣٥٨

الرموز:

العمود الأوّل من أعلى إلى أسفل

أل ذ ع ل م

العمود الثاني

[   ] ل

التعليق:

١ - أل: اسم الإله «ايل»، أو «الأله» بالإطلاق؛ أي أنّ اللفظة إمّا اسم علم أو إسم جنس.

٢ - ذ: أنظر العمود الأوّل من النقش السابق.

٣ - ع ل م: معناها الأبد، مثل עוֹלָם ʿōlām العبريّة.

٤ - ل: حرف يفيد الملكيّة، ولعلّه يدلّ على تقدمة شيء لـ «إيل» إلاّ إذا كان جزءاً من كلمة غير مقروءة.

وهكذا تكون ترجمة النقش:

العمود الأوّل: إيل/الاله ذو الأبد

العمود الثاني: لِـ(؟)

أصل الألفباء الساميّة

يمكن معالجة هذا الباب في شقّين اثنين:

أوّلاً: النظريّات المختلفة في الموضوع، ما عدا النظريّة المصريّة - السينائيّة.

ثانياً: النظريّة المصريّة - السينائيّة، أي العلاقة بين الهيروغليفيّة والألفباء الساميّة بتوسّط السينائيّة الأمّ.

أوّلاً:

إنّ أصل الألفباء الساميّة - ونعني بها كما مرّ الألفباء الشماليّة الغربيّة

التي تمثّلها الفينيقيّة - موضوع شائك، وقد لا يكون قابلاً لحلّ بسيط وتام. ويكفي هنا أن نوجز ونقوّم بعض النظريّات التي لا تقوم على اعتبار الألفباء الساميّة متعلّقة بالهيروغليفيّة؛ ومعظم تلك النظريّات قام قبل اكتشاف النقوش السينائيّة الأمّ، أو على الأقل قبل فكّ رموزها وقراءتها قراءات مقنعة:

١ - النظريّة المسماريّة:

وهي تتشوّف إلى بلاد ما بين النهرين لمعرفة أصل الألفباء الساميّة. ومن أهمّ أعلام هذه النظريّة W. Deecke الذي يرى أنّ الخطّ المسماريّ الأشوريّ المُحْدَث أصل الألفباء الساميَّة[1]. ويضيف H. Zimmern حجّة إلى هذه النظريّة بقوله إنه من أصل اثني عشر اسماً من أسماء حروف الألفباء، مشتركاً بين الفينيقيّة والبابليّة يوجد ثمانية مرتّبة ترتيباً واحداً في الكتابتين[2]. أما F. Delitzsch فيرى أنّ الألفباء الساميّة مزيج من عناصر ثلاثة هي المصريّة والبابليّة وعنصر مخترَع ليس مأخوذاً من غيره[3]. ونذكر أيضاً L. Waddell الذي يرى أنّ الكتابة المسماريّة السومريّة، التي عنها أُخذت الكتابة الأكديّة، أصل الكتابة الفينيقيّة؛ ومن الغريب أن

---

(١) «Der Ursprung des altsemitischen Alphabets aus der neuassyrischen Keilschrift,» in *ZDMG*. 31 (1877), pp. 102 ff.

(٢) «Zur Frage nach dem Ursprung des Alphabets,» in *ZDMG*. 50 (1896), pp. 667-70.
وقارن بـ: «Notes on Recent Theories of the Origin of the Alphabet,» in *JAOS*. 22, pt. 1 (1901), pp. 177-198.
حيث يحاول J. Peters إثبات الأصل البابليّ للألفباء الساميّة من خلال أسماء الحروف. ولدحض هذا الرأي انظر ص ٢٩٩ - ٣٠١ لاحقاً.

(٣) *Die Entstehung des ältesten Schriftsystems oder der Ursprung der Keilschriftzeichen* (Leipzig, 1897).

Waddell يعتبر السومريّين فينيقيّين، وكذلك يعتبر الفينيقيّين آريّين لا ساميّين، وهذا يفسِّر عنوان كتابه الذي يعبِّر فيه عن هذه الآراء[1].

إنّ النظريّة المسماريّة، وإن لقيت مؤيّدين كُثُراً في القرن الماضي ومطلع هذا القرن، لا تصمد عند فحص مرتكزاتها الأساسيّة؛ فالقائلون بها يعتمدون في الدرجة الأولى على الشبه الخارجيّ بين الرموز، دون أن ينظروا إلى الاعتبارات الأخرى ككون الكتابة السومريّة - الأكديّة مقطعيّة وكون الكتابة الفينيقيّة ألفبائيّة[2]، أو إلى استعانة الكتابة المسماريّة بالعلامات التصويريّة ideograms/logograms[3] والعلامات المخصِّصة determinatives[4]، على خلاف الكتابة الفينيقيّة. وفوق ذلك يُستبعد أن تكون الكتابة المقطعيّة السومريّة - الأكديّة قد تطوّرت إلى كتابة ألفبائيّة كالتي استعملها الفينيقيّون لأنّه لا يوجد نظير لكتابة مقطعيّة تطوّرت إلى ألفباء؛ فالكتابة المقطعيّة السومريّة - الأكديّة نفسها، رغم

---

(١) *The Aryan Origin of the Alphabet: Disclosing the Sumero-Phoenician Parentage of our Letters Ancient and Modern* (London, 1926), esp. pp. 1-4, 9.

وقارن بالمقالة التالية للمؤلف نفسه: «Sumerians as Phoenicians and Canaanites,» in *Asiatic Review* (1926), pp. 300 ff.

(٢) حتى لو سلّمنا أنّ الكتابة الفينيقيّة مقطعيّة، كما يدّعي بعض الدارسين (انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب) يبقى الاختلاف قائماً بين الكتابتين المسماريّة والفينيقيّة لأنّ عدد الرموز المستخدمة في الكتابة الفينيقيّة اثنان وعشرون، بينما تستخدم الكتابة المسماريّة مئات الرموز؛ ففي الأشوريّة ٥٧٠ شكلاً بين مقطع وعلامة تصويريّة وعلامة مخصِّصة.

(٣) أي رسم صورة الشيء بدلاً من التعبير عن أصواته كتابيّاً. ونذكر مثلاً من الحاضر، وهو استخدام العلامة $ تعبيراً عن «الدولار».

(٤) أي العلامات التي تُكتب قبل بعض الكلمات محدِّدةً الفكرة العامة التي تندرج تحتها هذه الكلمات. فمن هذه العلامات ما يُستخدم مع ذكر أسماء الأنهار، أو الجبال، أو المعادن، أو الآلهة مثلاً. وليس لهذه العلامات قيمة صوتيّة، بل إنّها مجرّد تنبيه إلى ما يليها.

تاريخها الطويل في بلاد ما بين النهرين، لم تصبح ألفباء في أيّة مرحلة من مراحلها. وكأنّما الكتابة المقطعيّة، كما يقول Driver[1]، طريق مسدودة blind alley لا خلاص منها، على عكس الكتابة الألفبائيّة التي قد تتطوّر إلى كتابة مقطعيّة، كما حصل في الكتابة الحبشيّة.

ونمثّل على ضعف النظريّة المسماريّة بجزء من القائمة التي يثبتها Waddell في كتابه الذي يحاول فيه إظهار الشبه بين الكتابتين (انظر الرسم ٥).

الملاحظة الأولى حول هذه القائمة أنّ واضعها لم يلتزم الدقّة في اختيار الرموز، وبخاصّة الرموز السومريّة والأكديّة، إذ إنّه لم يختر من الرموز التي تتفاوت عبر العصور إلا تلك التي توافق نظريّته، ولو أدّى ذلك إلى أن يكون في قائمته، وفي اللغة الواحدة، تفاوت زمنيّ بعيد بين شكل وآخر. فالألف مثلاً لها تاريخ طويل في التطوّر[2]، ولا يجوز أن نختار رمزاً واحداً وندّعي أنّه يمثّلها، لمجرّد كون هذا الرمز يشبه شكل الألف في الفينيقيّة أو المؤابيّة. والملاحظة الثانية، وهي لا تقل خطراً عن سابقتها، أنّ Waddell اختار من المقاطع ما يناسب نظريّته وأهمل ما يخالفها، وإلا فلِمَ يختار الرمز ليمثّل المقطع la دون الرمز الذي يمثّل la أيضاً؟ أو لِمَ يختار أصلاً المقطع la دون المقطع li ( ) أو المقطع lu ( ) إذا كان يريد إظهار الشبه بين اللام الفينيقيّة وما يقابلها في الأكديّة؟

كلّ الاعتراضات التي مرّت كافية لأن تجعل أيّ شبه بين الرموز

---

(١) أنظر: *Semitic Writing*, p. 138.

وقارن بـ: A. S. Kotsuji, *The Origin and Evolution of the Semitic Alphabets* (Tokyo, 1937), p. 90.

(٢) أنظر: *Semitic Writing*, p. 54.

SUMER	2 AKKAD	3 EGYPTIAN Early Alphabetic	Hiero	4 PHŒNICIAN THERA c. 900 B.C.	5 MOAB &c. c. 900 B.C.
A, 521					
Ba, Bi 5					
Da, Du 227					
E 253					
E(ul) 406					
Fi 325			(Fy)		
Gi 530					
Ga 230					
Ha, Hi Kha 160			(Kh)		
I 269			(I)		
Ki,t, Ka(t) 101					
La 440					
Ma(t) 322			(Mn)		
Nu 79					

الرسم ٥

النظريّة المسماريّة في أصل الألفباء الساميّة

نقلاً عن Waddell (Pl. I, facing p. 14)

المسماريّة والرموز الفينيقيّة شبهاً خارجياً لا قيمة له، ولا يرجع إلا إلى المصادفة الممكنة الحدوث، لأنّ الرموز التي تُستعمل في أية كتابة تُختار عادةً لبساطتها أو لشبهها بالأشياء البدهيّة المحيطة بالإنسان، ولذلك ينبغي الحذر عند مقارنة النُّظُم الكتابيّة، إذ لا يكفي لإثبات وجود العلاقة بين نظامين كتابيّين أن يكون بعض رموزهما متقارباً من حيث الشكل، بل يجب أن يُشفع هذا الشبه ببراهين أخرى قائمة على طبيعة الكتابة ذاتها، أصوريّة هي أم مقطعيّة أم ألفبائيّة، وعلى عدد رموزها، وعلى الفترة الزمنيّة التي تطوّرت خلالها هذه الرموز وتغيّرت.. الخ. وهكذا يُستبعد رأي Delitzsch المذكور سابقاً، إذ يقول إنّ الألفباء الساميّة مزيج من ثلاثة عناصر احدها عنصر بابليّ، لأن إثبات هذا العنصر في الألفباء الساميّة غير قائم[١].

أما قول Waddell إنّ السومريّين فينيقيّون وإنّ الفينيقيّين آريّون فواضح أنّه مغامرة تاريخيّة متهوِّرة ويائسة، والهدف منه نسبة اختراع الألفباء إلى الشعوب الآرايّة تعظيماً لها. وحجّة Waddell أنّ العبريّين كانوا يسمّون الفينيقيّين أبناء حام בְּנֵי - חָם[٢] (b^{e}nē Ḥām) حجّة ساقطة لأنّ تقسيم مواليد بني سام وحام ويافث الوارد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين تقسيم سياسيّ، وليس تقسيماً تاريخيّاً، ولذلك صنّف العبريّون أعداءهم الكنعانيّين في بني حام كيلا يكونوا معهم في بني سام تحت قسمة واحدة.

---

(١) لاحظ أيضاً أن Delitzsch يجعل حجر مؤاب نموذجه الرئيس للخطّ الفينيقيّ، وهذا يضعف حجّته إذ كان عليه أن يقارن هذا النقش بالنقوش الأخرى كالجبيليّة والصيداويّة مثلاً.

(٢) سفر التكوين ١٠: ٦

٢ - النظرية الكريتيّة:

وهي التي تفترض اشتقاق الألفباء الساميّة (الفينيقيّة) من كتابة جزيرة كريت (اقريطش). وقد أعطى كتاب A.J. Evans الذي ظهر عام ١٩٠٩ والموسوم بـ *Scripta Minoa* زخماً كبيراً لهذه النظرية، وهو يفترض أنّ الفلسطينيّين Philistines (פְּלִשְׁתִּים) نقلوا الألفباء من كريت إلى فلسطين في القرن الثالث عشر ق. م. وأنّ الفينيقيّين بدورهم نقلوا هذه الألفباء عن الفلسطينيّين.

من المقرَّر أنّ كريت تمتّعت بحضارة عريقة وأنّ تاريخ الكتابة فيها يرقى إلى الألف الثالث ق. م. وقد عزّز هذا اكتشافُ Evans خرائبَ قصر كنوسوس Knossos[١] الذي وُجد فيه عدد كبير من النقوش، بعضها تصويريّ وبعضها بالخطّ السريع غير التصويريّ (أنظر الرسم ٦) الذي يُقسم إلى Linear A و Linear B[٢]، والذي يظهر تطوّره عن الخطّ التصويريّ في بعض أشكاله. غير أنّ العلاقة المباشرة المفترضة بين الكتابة الكريتيّة والألفباء الفينيقيّة تفتقر إلى الإثبات لأنّ ما يُنسب إلى الفلسطينيّين من نقل الكتابة (ولا نقول الألفباء، لأنها كتابة مقطعيّة) من كريت إلى فلسطين أمر غير واضح. وحتى لو صحّ هذا النقل فإن تاريخه، وهو القرن الثالث عشر عند Evans[٣]، لا يسمح أن تكون الكتابة الكريتيّة أصل الألفباء الفينيقيّة لأنّ تاريخ الألفباء يرجع إلى ما قبل ذلك[٤].

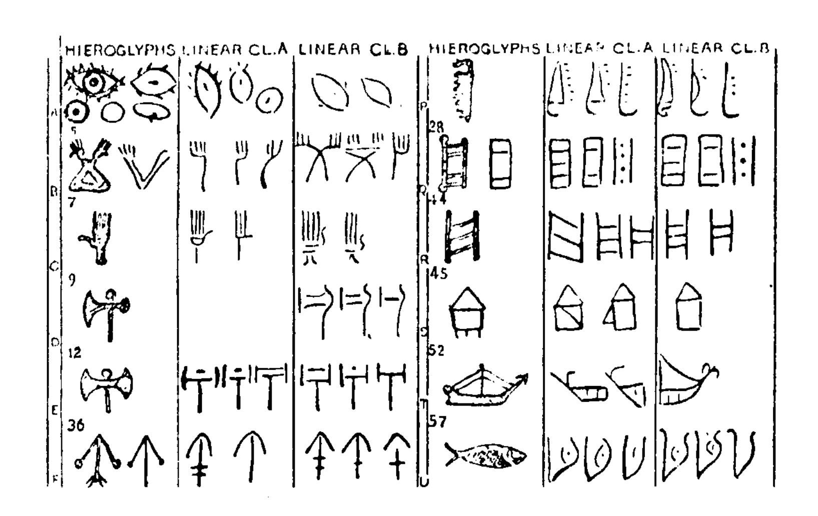
---

(١) أنظر كتابه: *The Palace of Minos* (London, 1921-36).

(٢) لشرح مبسَّط حول هذه القسمة أنظر: H. Jensen, *Sign, Symbol, and Script: An Account of Man's Effort to Write*, tr. G. Unwin (London, 1970), pp. 123 ff.

(٣) *Scripta Minoa*, I, 78.

(٤) أنظر مثلاً: Driver, *Semitic Writing*, p. 187.
وقارن بالقائمة التي يضعها (ص ١٢٧) لتواريخ النقوش الفينيقيّة.



الرسم ٦

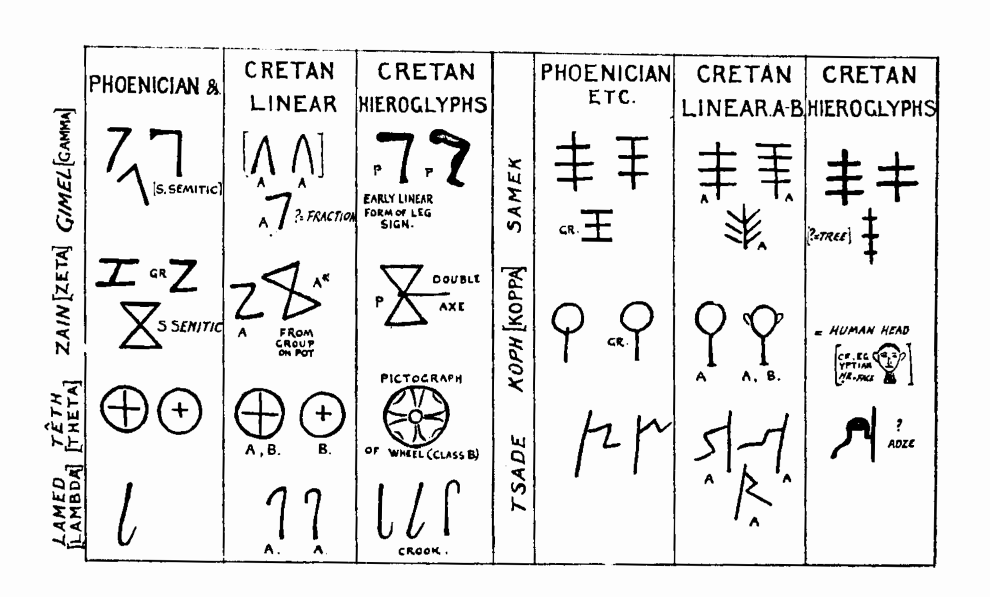
تطور بعض الأشكال من الهيروغليفيّة إلى الخط غير التصويريّ

(نقلاً عن **Evans,** ***The Palace of Minos,*** **I, 643**)

إلاّ أنّ أكثر الاعتراضات خطورة على النظريّة الكريتيّة التي يحتجّ بها Evans ومَن تابعه[1] هو الاعتماد على الشبه الشكليّ القائم بين الأشكال الكريتيّة والأشكال الفينيقيّة دون الالتفات إلى أنّ الأولى مقطعيّة والثانية ألفبائيّة، وإلى أنّ الشبه الشكليّ لا قيمة له إنْ كانت القيمة الصوتيّة مختلفة في الكتابتين. فإذا أخذنا جزءاً من القائمة التي صنعها Evans لإثبات الشبه بين الأشكال (انظر الرسم ٧) لاقتنعنا كلّيّاً بوجود هذا الشبه. لكنّ

---

(١) أنظر في هؤلاء: D. Diringer, *The Alphabet: A Key to the History of Mankind*, 3rd ed. (London, 1968), I, 147.



الرسم ٧

نظريّة **Evans** في أصل الألفباء الساميّة

(نقلاً عن *Scripta Minoa,* **p. 87**)

الاقتناع هذا غير جوهريّ لأنّ Evans إنّما يقارن رموزا فينيقيّة ذات قيمة صوتيّة معروفة برموز لم يكن يعرف كيف تُلفظ. ومثال ذلك أنّه يقارن الشكل ⊗ الذي يمثّل الطاء الفينيقيّة بشكل شبيه به من الكتابة الكريتيّة التصويريّة والسريعة. ونحن لا ننكر الشبه الكبير بينهما، غير أننا ننكر العلاقة من أساسها لأنّ القيمة الصوتيّة لهذا الشكل في الكتابة المعروفة بـ Cretan Linear B هو المقطع ka[1] وليس الصامت « ط »، كما ظهر عندما فُكّت رموز هذه الكتابة. ولذلك لا بدّ أن يرجع الشبه العارض بين هذه الأشكال إلى المصادفة. وهنا أيضاً لا تُستغرب هذه المصادفة لأنّها ممكنة الحدوث[2].

٣- النظريّة القبرصيّة:

وهي التي يرى أصحابها أنّ الكتابة القبرصيّة المقطعيّة أصل الألفباء الساميّة. والكتابة القبرصيّة تتألف من حوالي خمسة وخمسين شكلاً يمثّل كلّ منها صائتاً أو مقطعاً مبتدئاً بصامت ومنتهياً بصائت (انظر الرسم ٨). ومن الثابت الآن أنّ هناك علاقة واضحة بين هذه الكتابة وبين الكتابتين السريعتين غير التصويريّتين Linear A و Linear B، ويبدو أنّ الكتابة القبرصيّة مشتقّة من هاتين الكتابتين بتوسّط الكتابة المعروفة بالقبرصيّة المينويّة Cypro-Minoan[3].

---

(١) M. Ventris and J. Chadwick, «Evidence for Greek Dialects in the Mycenaean Archives,» in *JHS*, 73 (1953), p. 86.

(٢) راجع ص ٣٣ وص ٢٥٣.

(٣) أنظر: *Scripta Minoa*, I, 68-77.

وقارن بـ: M. Lidzbarski, *Ephemeris für semitische Epigraphik* (Giessen, 1902-15), II, 371.

الصائت	a	e	i	o	u
الصوائت					
y وصائت					
v/f وصائت					
r وصائت					
l وصائت					
m وصائت					
n وصائت					
p وصائت					
t وصائت					
k وصائت					
s وصائت					
z وصائت					
h وصائت					

الرسم ٨

الكتابة القبرصيّة المقطعيّة

ومن القائلين بالنظرية القبرصية Fr. Prätorius الذي يعتقد أنّ الكنعانيّين استنبطوا من الكتابة القبرصيّة كتابة ألفبائيّة في مظهرها ومقطعيّة في حقيقتها[١]، وذلك أنّ الكنعانيّين اختاروا رمزاً واحداً

---

(١) أنظر رأيه في: *Über den Ursprung des kanaanäischen Alphabets* (Berlin, 1906) وفي: «Das kanaanäische und das südsemitische Alphabet,» in *ZDMG*, 63 (1909), pp. 189-98.

للصامت الواحد بغضّ النظر عن الصائت الذي يتلوه. ونضرب مثلاً على ذلك الراء، فإنّ له في الكتابة القبرصيّة المقطعيّة خمسة رموز كلّ رمز منها يمثّله مع صائت معيَّن، وبذلك تكون المقاطع الممثّلة كتابةً هي ra و re و ri و ro و ru؛ وكذا في حالة اللام والميم والنون الخ... أمّا الكتابة الفينيقيّة فترمز للصامت r بشكل واحد. ويرى Prätorius أنّ هذا الشكل يمثّل مقطعاً، لا صامتاً فحسب، بحيث يصحّ استعماله للدلالة على ra أو ri أو ro الخ... ومعنى هذا أنّ Prätorius يُنكر كون الكتابة الفينيقيّة ألفبائيّة لأنّه يرى أنّ الشكل الذي يُرمز به للصائت r مثلاً، لا يرمز لهذا الصامت منفرداً بل يرمز اليه وإلى صائت يتبعه، دون أن يُحدث تغيير الصائت تغييراً في الرمز نفسه.

إن المآخذ التي قد تنشأ على هذه النظريّة كثيرة، ويكفي أن نذكر منها ما يعين على ردّها واعتبارها وهما لا صحّة فيه البتة:

أ- أنّ الكتابة الفينيقيّة ألفبائيّة ولا يجوز بحال من الأحوال اعتبارها مقطعيّة، وسيأتي تفصيل هذا في الفصل القادم. وبعد أن نسلّم بأنّ الكتابة الفينيقيّة ألفبائيّة لا يعود جائزاً القول إنّ أصل هذه الكتابة كتابة مقطعيّة، لأن الكتابة المقطعيّة، كما مرّ، طريق مسدودة لا تؤدّي إلى الألفباء[1]. ولو أنّ الكتابة القبرصيّة كانت قابلة للتحوّل إلى ألفباء، فعلينا أن نسأل: لِمَ أهمل اليونانيّون استخدامها وتحوّلوا عنها إلى الألفباء الفينيقيّة[2]؟ إن في كلّ هذا دلالة على أنّ النظريّة القبرصيّة لم تأخذ بعين الاعتبار الاختلاف الكبير في طبيعة النظام الكتابيّ بين الكتابة القبرصيّة والكتابة الفينيقيّة.

---

(١) أنظر ص ٣١.

(٢) قارن بـ: Kotsuji, *The Origin and Evolution*.... p. 24.

ب- أنّ الكتابة القبرصيّة المقطعيّة لا تفرّق بين أصوات متقاربة تفرّق بينها الألفباء الفينيقيَّة، فبينما تجد في الفينيقيّة رمزاً للتاء (ويُستخدم للثاء أيضاً) وآخر للدال، تجد في القبرصيّة أنّ هذه الأصوات لا تفرَّق في الكتابة، بحيث يكون لها جميعاً رمز واحد قبل كلّ من الصوائت الخمسة، على النحو التالي:

رمز واحد لِـ	ta da ṯa
رمز واحد لِـ	te de ṯe
رمز واحد لِـ	ti di ṯi
رمز واحد لِـ	to do ṯo
رمز واحد لِـ	tu du ṯu

وما يصحّ في هذه الأصوات الثلاثة يصحّ في المجموعة b و p و p̱، وفي المجموعة g و k و ḵ. وللباحث أن يتساءل كيف يمكن إرجاع الألفباء الفينيقيّة التي تعبّر عن كل صامت برمز منفرد إلى أصل لا يعطي كلّ صامت رمزاً خاصاً به! إنّ هذا الاختلاف جوهريّ لا يمكن معه القبول بالنظريّة القبرصيّة من أساسها.

ج- أنّ أقدم النقوش القبرصيّة المقطعيّة التي وصلتنا يرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، أو إلى القرن السابع على أبعد تقدير[١]؛ أي أنّ النقوش الفينيقيّة المعروفة أقدم منها ببضع مئات من السنين[٢]. وهذا

---

(١) أنظر: H. Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 260.

و K. Sethe, *Der Ursprung des Alphabets* (Berlin, 1926), p. 108.

(٢) ولعلّ هذا ما جعل بعضهم يشتقّ الكتابة القبرصيّة المقطعيّة من الكتابة الفينيقيّة؛ انظر: C. F. Lehmann-Haupt, «Zur Herkunft des Alphabets,» in *ZDMG*, 73 (1919), pp. 67 ff.

الأمر وحده كافٍ لاستبعاد النظريّة القبرصيّة تماماً، ولجعل أيّ شبه بين الأشكال في الكتابتين شبهاً خارجياً لا قيمة صوتيّة له ولا حقيقة تاريخيّة من ورائه.

٤ - النظريّة الحثّيّة:

واضعها المستشرق الانكليزي A. Sayce الذي يقول إن واضع الألفباء الساميّة إنسان متأثّر بالخط الحثّيّ الهيروغليفيّ Hittite hieroglyphic[١]. وهذا الخطّ من خطوط آسيا الصغرى، وهو مقطعيّ ويحتوي على عدد من العلامات التصويريّة ideograms والعلامات المخصِّصة determinatives[٢]. ويرى صاحب هذه النظريّة أن الحثّيّين ساميّون غربيّون وأنهم الشعب الأموريّ، كما سمّاهم البابليّون (amurrū). ولا تستحقّ هذه النظريّة أن تحظى بالقبول من أساسها لأنّها قائمة على عدد من «المغالطات» أوّلها أنّها تشتقّ كتابة سريعة (cursive) وألفبائيّة من كتابة مسماريّة مقطعيّة؛ وثانيها أنّها تخلط بين الأموريّين والحثّيّين، وثالثها أنّها تغفل كون الكتابة الحثّيّة كتابة للغة هنديّة - أوروبيّة لا للغة ساميّة[٣].

---

(١) أنظر: «The Origin of the Phoenician Alphabet,» in *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, 32 (1910), pp. 215-22.

(٢) في تاريخ هذا الخطّ والمراحل التي مرّت بها عملية فك رموزه انظر:

E. Doblhofer, *Voices in Stone: The Decipherment of Ancient Scripts and Writings* (N.Y., 1961), pp. 149-202.

و J. Friedrich, *Hethitisches Elementarbuch*, 1. Teil *Kurzgefasste Grammatik*, 2. Aufl. (Heidelberg, 1960), pp. 21 ff.

(٣) حول طبيعة هذه اللغة الهنديّة - الأوروبيّة انظر الكتابين التاليين:

H. Pedersen, *Hittitisch und die anderen indoeuropäischen Sprachen* (København, 1938).

E. Benveniste, *Hittite et indo-européen: études comparatives* (Paris, 1962).

ثانياً:

النظريّة المصريّة – السينائيّة:

يرقى الاعتقاد بأنّ الكتابة المصريّة أصل الألفباء الفينيقيّة إلى المصادر اليونانيّة القديمة[1]. وقد كان فكّ الرموز الهيروغليفيّة في القرن التاسع عشر السبب في إحياء هذا الاعتقاد، إذ إنّ شامبوليون Champollion نفسه، وهو الذي قام بفكّ هذه الرموز عام ١٨٢٢م، كان يرى أنّ أصل الأشكال الفينيقيّة لا بدّ أن يكون منتزعاً من الكتابة المعروفة بالهيروغليفيّة[2]. ومن أكبر أعلام النظريّة المصريّة F. Lenormant الذي رجّح أن يكون الفينيقيّون قد استنبطوا كتابتهم من الهيروغليفيّة مباشرةً وبلا توسّط خطّ آخر[3]؛ غير أنّ Lenormant رجع عن رأيه في وقت لاحق. ولعلّ الخطأ الكبير الذي وقع فيه هذا أنّه لم يكتف بمقارنة الأشكال الفينيقيّة التي يمثّل كلّ منها صوتاً واحداً بالأشكال الهيروغليفيّة التي تمثّل صوتاً واحداً كذلك، بل اشتقّ بعض الأشكال الفينيقيّة من أشكال هيروغليفيّة تمثّل كلمات قائمة بذاتها، أي ما يُعرف بالعلامات التصويريّة ideograms أو logograms. وقد حاول J. Halévy أن يتجنّب هذا الخطأ فلم يقارن الأشكال الفينيقيّة إلاّ بالأشكال الهيروغليفيّة التي تمثّل صوتاً واحداً، واستنتجَ من المقارنة أنّ

---

(١) أنظر: Driver, *Semitic Writing*, pp. 128 ff.

غير أنّ الأشهر في هذه المصادر نسبة الألفباء إلى الفينيقيّين والقول إنّ اليونانيّين عنهم أخذوها: أنظر ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٢) كلمة «هيروغليفي» يونانيّه، وهي مشتقّة من كلمتين الأولى ἱερός بمعنى «مقدَّس»، والثانية الفعل γλύφειν ومعناه «نَقَشَ»

(٣) عبرّ عن آراء هذا الكاتب تلميذه E. De Rougé في:

Mémoire sur l'origine égyptienne de l'alphabet phénicien (Paris, 1874).

أحد عشر شكلاً ساميًّا قديماً (أي فينيقيًّا) يرجع إلى أشكال هيروغليفيّة، وأنّ الأشكال الأحد العشر الساميّة الأخرى مأخوذة من الأحد العشر الأولى بعد اجراء تعديل على اشكالها[١]. ويبيّن الرسم ٩ هذا الرأي.

ومن الجليّ أن هناك شيئاً من التفاوت في الأصوات التي يدّعي Halévy أنها متقابلة في الفينيقيّة والمصريّة. وأكثر من ذلك أنّ الأشكال لا تتشابه في كثير من الحالات، كما في الصوت h أو k مثلاً.

ويذهب بعض العلماء إلى اشتقاق الألفباء الساميّة من خطّ مصريّ غير الهيروغليفيّ، وهو الخطّ الهيريّ Hieratic[٢]. وقد حمل لواء هذه النظريّة E. De Rougé[٣] على النحو الذي نظهره في الرسم ١٠.

نلاحظ أنّ هذه النظريّة، كنظريّة Halévy، قد لا تراعي التقابل الصوتيّ بين المصريّة والساميّة مراعاة صحيحة، كما أنّ كثيراً من الأشكال المفترض تشابهها غير متشابهة إلى حدّ مقنع. ورغم ذلك أيّد هذه النظريّة عدد من العلماء[٤]. ومن آخر ما كُتب دفاعاً عنها مقالة W. Helck التي نُشرت

---

(١) أنظر: *Revue Sémitique*. IX (1901), pp. 356-70: X (1902), pp. 331 ff.

وانظر الاعتراضات التي أثارها Lidzbarski على هذه النظريّة في *Ephemeris*, I, 261 ff.

(٢) هذه الكلمة مشتقّة من اليونانيّة *hieratikós*، ومعناها المقدّس أو الكهنوتي. وهذا إشارة إلى استعمال الكهنة هذا الخطّ في كتابة الأدب المصريّ الدينيّ. وهذا الخطّ مشتقّ من الخطّ الهيروغليفيّ، وهو خطّ غير تصويريّ، وقد استُعمل إلى جانب الخطّ الهيروغليفيّ لثلاثة آلاف سنة.

(٣) في كتابة المذكور في ح ٣ ص ٤٢.

(٤) أنظر مثلاً مقالة M. A. Mallon:

«L'origine égyptienne de l'alphabet phénicien,» in *BIFAO*. 30 (1931), pp. 131-51.

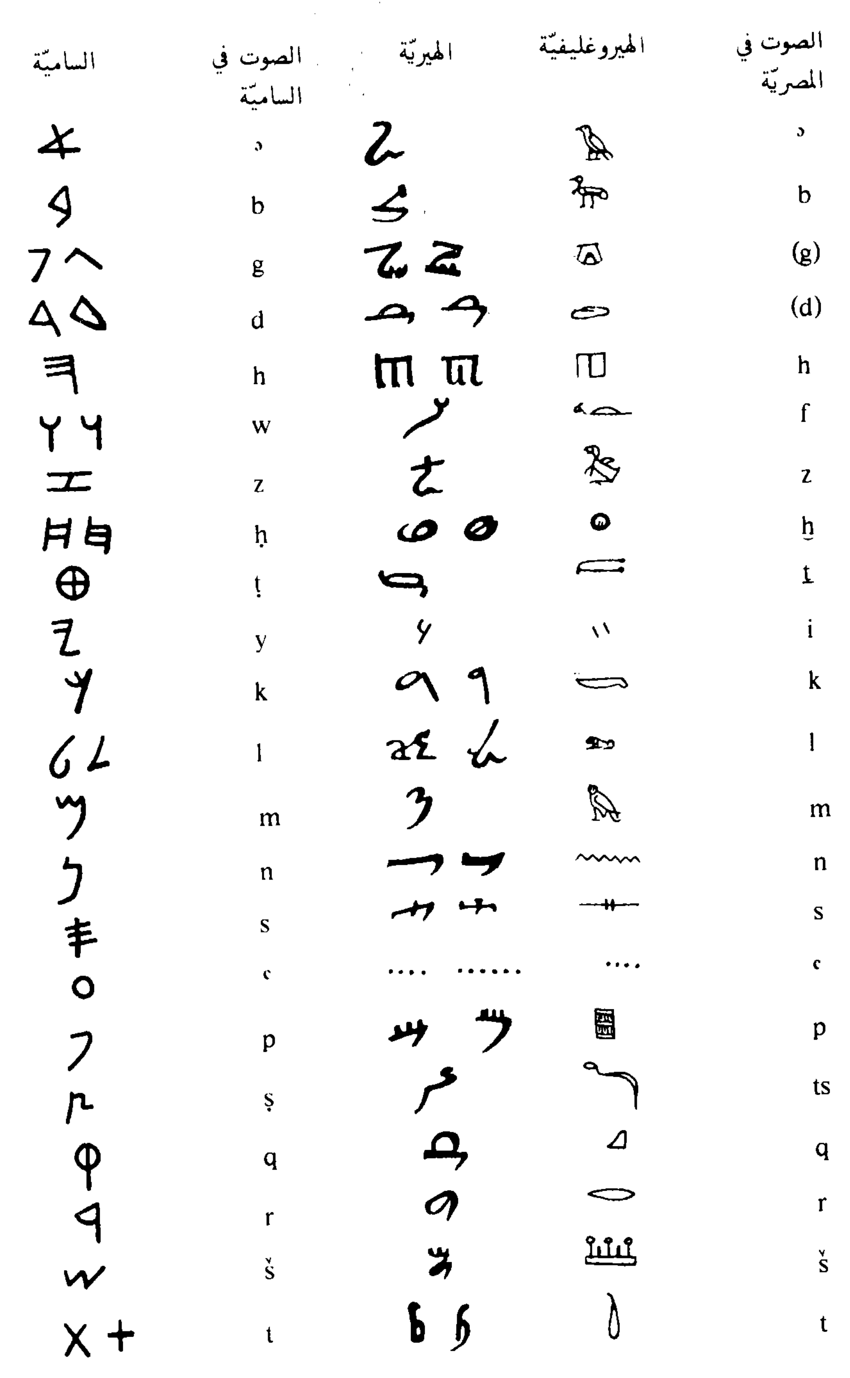
وقد عدّل عدداً من اقتراحات De Rougé في الأشكال المصريّة التي تقابل الأشكال الساميّة (انظر قائمته p. 135) ولكنّه لم يخالفه في التصوّر العامّ للنظريّة.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
	ʾ		j			ḥ
	b		b			j
	h		h			g
	k		g			m
	n		n			z
	s		z			ṣ
	ʿ		q			q
	p		f			w
	r		r			l
	š		š			d
	t		t			ṭ

الرسم ٩

نظريّة Halévy في أصل الأشكال الساميّة القديمة

العمود الأوّل: الشكل الساميّ القديم المأخوذ من الهيروغليفيّة
العمود الثاني: الصوت الذي يرمز إليه
العمود الثالث: الشكل الهيروغليفيّ
العمود الرابع: الصوت الذي يرمز إليه
العمود الخامس: الشكل الساميّ القديم قبل تعديله
العمود السادس: الشكل الساميّ القديم بعد تعديله
العمود السابع: الصوت الذي يرمز إليه الشكل الجديد



الرسم ١٠

النظريّة الهيريّة في أصل الألفباء الساميّة

عام ١٩٧٢[١].

ولعلّ الشيء الذي ينبغي التنبيه عليه في هذا الموضع هو أنّ الشبه القائم بين بعض الأشكال المصريّة والساميّة لا يكفي دليلاً لاشتقاق الألفباء الساميّة من الخطّ المصريّ، لأنه قد يكون وليد المصادفة. ولهذا لا يمكن قبول النظريّة المصريّة في أصل الألفباء الساميّة إلا إذا توفّر لها دلائل أخرى لا يمكن ردّها إلى المصادفة. وهذه الدلائل موجودة حقاً، وقد أشار إليها K. Sethe[٢] في محاولته إثباتَ الأصل الهيروغليفيّ للألفباء الفينيقيّة، سواء عن طريق مباشر أم بتوسّط كتابة أخرى، ونفيَ القول بالأصل المسماريّ لهذه الألفباء. ومن هذه الدلائل:

١ - أنّ الخطّ الهيروغليفيّ خطّ تصويريّ pictorial، وأنّ الخطّ الفينيقيّ في الأصل تصويريّ كذلك، كما تُظهر دراسة أسماء الحروف الساميّة[٣]. وحتى في الحالات التي يصعب فيها اعتبار الشكل الفينيقيّ علامة تصويريّة، يسعفنا الشكل المقابل في الخطّ الساميّ الجنوبيّ، إذ يغلب أن يكون العنصر التصويريّ فيه واضحاً. أمّا الكتابة المسماريّة فواضح أنّ أشكالها، حتى في أقدم نصوصها، لا توحي بأنّها علامات تصويريّة.

٢ - أنّ كلا الكتابتين، الهيروغليفيّة والفينيقيّة، يتّجه غالباً[٤] من

---

(١) «Zur Herkunft der sog. phönizischen Schrift,» in *Ugarit-Forschungen*, 4 (1972), pp. 41-5.

(٢) *Der Ursprung des Alphabets*, pp. 88-161.

(٣) انظر الفصل الثامن.

(٤) بعض النقوش الهيروغليفيّة يتّجه من اليسار إلى اليمين أو من أسفل إلى أعلى؛ ومنها كذلك ما يبتدىء في نقطة وسط بين اليمين واليسار فيكون الاتّجاه مزدوجاً: إلى الطرف الأيمن من جهة، وإلى الطرف الأيسر من جهة أخرى، وذلك في سبيل التناسق symmetry.

اليمين إلى اليسار، بينما تتّجه الكتابة المسماريّة السومريّة - الأكديّة من اليسار إلى اليمين.

٣ - أنّ الكتابة الفينيقيّة في أقدم مراحلها المعروفة كانت تُستخدم على قطع من الحجارة أو المعدن أو كانت تُرسم على الآنية الخزفيّة. وهذا ينطبق أيضاً على الكتابة الهيروغليفيّة. أمّا استعمال ألواح الصلصال، كالتي كانت مستعملة في الكتابة المسماريّة، فأمر غير مألوف في الكتابة الهيروغليفيّة أو الفينيقيّة، لأنّ طبيعة هاتين الكتابتين مختلفة تماماً عن طبيعة الخطوط التي يحدثها الاسفين على لوح الصلصال، وكذلك لا يصلح استعمال هذه المادّة في كتابتها[١].

٤ - أنّ كلا الكتابتين يُظهر الحروف الصامتة consonants ويهمل الحروف الصائتة vowels. ولعلّ هذا الوجه من الشبه أهمّ برهان على صحّة النظريّة المصريّة، وأدهى حجّة على النظريّة المسماريّة التي تفترض اشتقاق الرموز الدالّة على الحروف الصامتة من رموز مقطعيّة. فلو قلنا انّ الكتابة الفينيقيّة اشتُقّت من الكتابة المسماريّة المقطعيّة لوجب علينا أن نقول إنّ الفينيقيّة جرّدت الصوامت عن الصوائت في الكتابة المسماريّة واقتصرت على استعمال الصوامت، وفي فترة لاحقة اخترعت أشكالاً خاصّة بالصوائت تُكتب منفصلةً عن الصوامت؛ أي أنّ الكتابة الفينيقيّة أهملت الصوائت بعد عمليّة تجريديّة لترجع إليها بشكل آخر مخترَع. إنّ هذا التعسّف يُسقط النظريّة المسماريّة إسقاطاً نهائياً، ويرجّح النظريّة المصريّة التي لا يضطر أصحابها للوقوع في مثل هذا التعسّف لكون كلا الكتابتين الهيروغليفيّة والفينيقيّة مقتصراً على الصوامت.

---

(١) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 136.

غير أنّ اتّفاق الكتابة الهيروغليفيّة والألفباء الساميّة في كتابة الصوامت دون الصوائت لا يعني أنّ الكتابة الهيروغليفيّة ألفبائيّة لأنّ الكتابة الألفبائيّة يجب أن تعبّر عن الصوت الواحد بشكل واحد، كما في الفينيقيّة والعربيّة واليونانيّة مثلاً، في حين أنّ الكتابة الهيروغليفيّة قد تعبّر عن الصوت الواحد بأشكال مختلفة. ولا ننسَ أنّ عدد الأشكال في هذه الكتابة ستّمائة شكل وأربعة أشكال - هذا إذا استثنينا الأرقام والاختلافات الطفيفة في كتابة بعض الأشكال - وأنّ بعض هذه رموز لكلمات logograms أو محدِّدات صوتيّة phonetic complements[١]، وهذا العدد الكبير من الأشكال لا يمكن أن يكون ألفباء بحال من الأحوال. إن غاية ما توصّل اليه المصريّون على طريق الألفباء هو ما يُعرف بالألفباء الزائفة pseudo-alphabet، والتي تتألّف من أربعة وعشرين شكلاً يمثّل كلّ منها حرفاً صامتاً. وقد ظلّ استعمال هذه الألفباء الزائفة محصوراً في كتابة الكلمات الدخيلة في اللغة، والمحدِّدات الصوتيّة.

والمبدأ الذي استخدمه المصريّون في الوصول إلى ألفبائهم الزائفة قد يكون مهمّاً في تثبيت الشبه بين الكتابة المصريّة والكتابة الفينيقيّة، وذلك لأنّه من المرجّح أن يكون المصريّون والفينيقيّون قد استخدموا مبدأ واحداً في كتابتهم الصوامت - دون الصوائت - وهذا ما يُعرف بالطريقة الأكروفونيّة (أو الاجتزائية ربّما) acrophony، أي انتزاع الجزء الاوّل أو اجتزاؤه (الصامت وحده، أو المقطع الكامل بصائته) من اسم شكل كتابيّ ما، واستخدام هذا الشكل بعد ذلك ليمثّل هذا الجزء أينما وقع. ومثال ذلك أن يُستعمل شكل الرأس، إن وجد في كتابة ما، رمزاً للصامت r، أو أن

---

(١) أي العلامات الخاصّة المساعدة على تحديد قراءة الكلمة على وجهها الصحيح لئلا تختلط بكلمة شبيهة بها.

يُستعمل شكل البيت للصامت b. ولعلّ الألفباء المصريّة الزائفة نشأت عندما أخذ الكتبة المصريّون يستخدمون بعض الأشكال الهيروغليفيّة للتعبير عن أصوات لا معنى لها في ذاتها، وليس للتعبير عن الكلمات التي تمثّلها هذه الأصوات في الأصل. ولمّا كانت المصريّة القديمة تحتوي عدداً كبيراً من الكلمات التي تتكوّن من مقطع واحد كثيراً ما يسقط صائته، سهل على الكتبة تمييز الصوت الصامت الباقي، فاستخدموا الشكل - وهو يرمز في الأصل إلى مقطع - رمزاً للصامت الذي فيه دون اعتبار الصائت. ومثال ذلك كلمة rꜣ أو rꞽ ومعناها «فم»، فقد استعملها الكتبة المصريّون لكتابة r(a) و r(e) و r(i) و r(u) حيثما وقعت، وكذلك لكتابة الصامت r وحده حيثما وقع أيضاً. وعلى هذا المبدأ نفسه استعملوا الرمز الذي يمثّل كلمة d-t ومعناها يد (والتاء فيها للتأنيث والأصل ꞽd*) لكتابة الصامت d حيثما وقع. وهكذا نشأت الألفباء الزائفة من أربعة وعشرين صامتاً[١]، وإن ظلّت محدودة الاستعمال كما ذكرنا، على خلاف الألفباء الفينيقيّة التي كان استعمالها مطّرداً وانتشارها كبيراً، والتي نرجّح نشوءها كذلك بالطريقة الأكروفونيّة[٢].

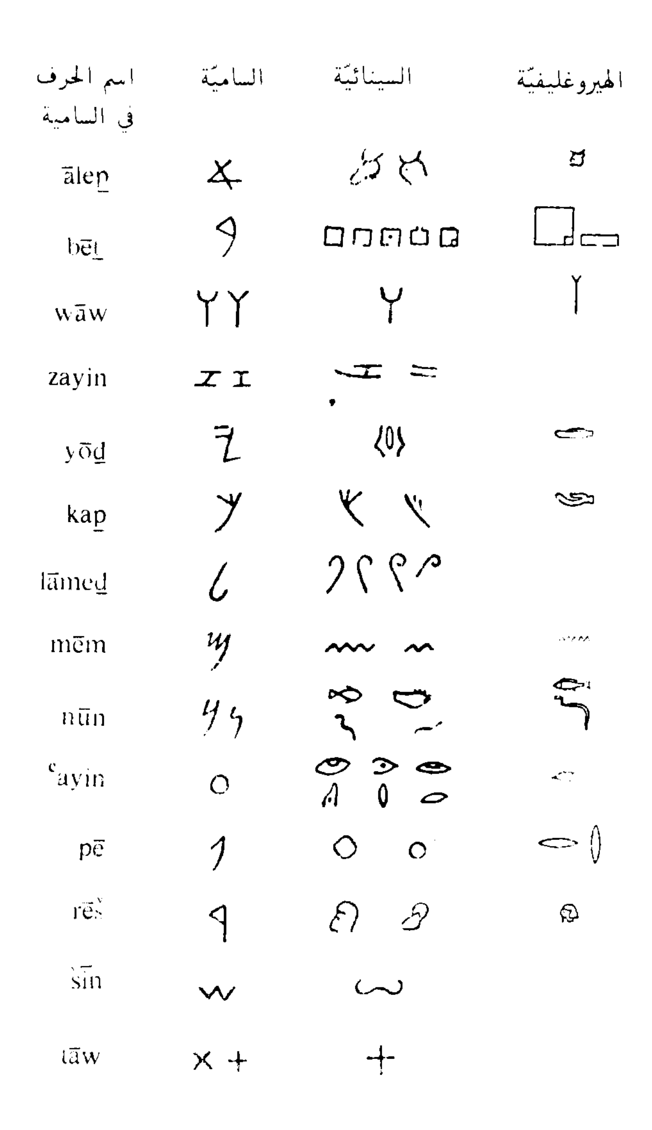
إنّ النظريّة المصريّة لم تبلغ طور كمالها إلا بعد إدخال العنصر السينائيّ في قوامها، أي عندما أصبحت نظريّة مصريّة - سينائيّة. وكان ذلك في عام ١٩١٦ في المقالة التي نشرها Gardiner عن النقوش السينائيّة، والتي اعتبر فيها الخطّ السينائيّ مرحلة متوسّطة بين الكتابة الهيروغليفيّة والألفباء الساميّة[٣]. ورأى أنّه الخطّ الساميّ الأوّل Proto-Semitic الذي طالما تمنّى

---

(١) يرى بعض العلماء أنّ هذه الأشكال لا ترمز لصوامت بل لمقاطع كاملة. وسنبيّن استحالة هذا في الفصل الثاني.

(٢) انظر الفصل الثامن.

(٣) راجع ح ٢ ص ١٨.



الرسم ١١

مقارنة الأشكال الهيروغليفيّة والسينائيّة والساميّة

العلماء معرفته[1]. أمّا الطريقة التي يرى Gardiner أنّ الكتابة الهيروغليفيّة تحوّلت بواسطتها إلى كتابة ألفبائيّة ساميّة[2] فهي التالية: سمّى السينائيّون بعض الأشكال الهيروغليفيّة بأسماء من لغتهم الساميّة ثمّ أخضعوا هذه التسميات للقاعدة الأكروفونيّة فحصلوا على صوامت رمزوا إليها بتلك الأشكال بعد تبسيطها. ومن ذلك أنّهم تناولوا الشكل الهيروغليفيّ ▭ الذي يدلّ على البيت (وهو في المصريّة p-r) وسمّوه bayt أو bēt أو شيئاً كهذا كان مستعملاً في لهجتهم الساميّة، ثمّ أخضعوا هذه الكلمة الساميّة[3] للقاعدة الأكروفونيّة فحصلوا على الصامت b الذي رمزوا إليه على النحو التالي: ▯ أو ⊏ أو ⊐ أو ⊏. كذلك سمّوا الشكل المصري ◠ (وهو في المصريّة ỉr – t) ʿayn أو ʿēn، ثمّ استخلصوا الحرف الأوّل من هذه التسمية، أي الصامت ʿ، ورمزوا إليه بشكل قريب من الشكل الهيروغليفيّ. وقد وضع Gardiner جداول مقارنة بين الأشكال المصريّة (الهيروغليفيّة) والسينائيّة والساميّة يمكن تبسيطها على النحو الذي في الرسم ١١.

لقد أحدثت نظريّة Gardiner ما يشبه «الانقلاب» في دراسة تاريخ الخطّ الساميّ، وكان من أوّل مؤيّديها Sethe الذي اعتبرها نتيجة جهد علميّ أثبت ما توصّل إليه هو نفسه (عام ١٩١٦ أيضاً) بطريقة نظريّة[4]،

---

(١) *Ibid.*, p. 14.

(٢) راجع ما ذكرناه عن القوم الذين كتبوا النقوش السينائيّة، ص ١٩.

(٣) لعلّ السبب في أنّهم لم يخضعوا الاسم المصريّ بالذات للقاعدة الأكروفونيّة هو عدم معرفتهم به، أي أنّ الشكل وحده قد يكون أوحى إليهم بالمقصود منه.

(٤) انظر: *Die neuentdeckte Sinaischrift* (Berlin, 1926), p. 438.

وقارن بـ: C.-F. Jean, «Le Hyksos sont-ils les inventeurs de l'alphabet?» in *Syria*, 9 (1928), pp. 278 ff.

إذ قال إنّ الخطّ الساميّ متأثّر بالخط الهيروغليفيّ بوساطة الهيكسوس. غير أنّ كثيرين عارضوا هذه النظريّة مؤثرين نظريّات أخرى من التي مرّت بنا. والحقّ أنّه لا يمكن التغاضي عن بعض الصعوبات التي ترافق النظريّة المصريّة - السينائيّة رغم اعتقادنا بأنها أفضل النظريّات المتعلّقة بأصل الألفباء الفينيقيّة. ومن هذه الصعوبات ما يلي:

١ - أنّ الشبه المفترض بين أشكال بعض الحروف في المصريّة والسينائيّة والساميّة غير واضح أو مقنع. ومن ذلك مثلاً أنّ شكل الصامت b في الساميّة يختلف اختلافاً كبيراً عن شكله في المصريّة والسينائيّة معاً؛ وكذلك الصامت r الذي يصعب اعتبار شكله في الفينيقيّة مطابقاً لشكله في المصريّة والسينائيّة.

٢ - أنّ أسماء بعض الأشكال في الساميّة - وقد افترضنا أنّها خضعت للقاعدة الأكروفونيّة - ليست واضحة المعنى. ولهذا مبحث آخر[١]. غير أننا نمثّل هنا على هذا باسم الشكل الذي يرمز إلى الصامت ṣ، وهو ṣādē، فمعناه مختلَف فيه وغير مفسَّر تفسيراً مقنعاً، وباسم الشكل الذي يرمز إلى الصامت l، وهو lāmed̠، ومعناه كذلك غير واضح.

٣ - أنّه بالرغم من أنّ معظم النصوص السينائيّة مقروء قراءات تقرب من الإقناع، فإن عدداً من الأشكال الواردة في هذه النصوص غير مفهوم، أو هو مختلَف فيه بين العلماء، كما أسلفنا في النموذجين المشروحين[٢]. ولهذا لا يحسن الجزم بالقيمة الصوتيّة لبعض الأشكال، وبالتالي لا يمكن مقارنتها مقارنة أكيدة بالأشكال الساميّة المعروفة قراءتُها.

---

(١) انظر الفصل الثامن.

(٢) راجع ص ٢٣ - ٢٨.

٤ - أنّ الفترة الزمنيّة المفترضة بين النقوش السينائيّة (أي القرن السادس عشر على الأرجح، والقرن الثامن عشر على أبعد الأقوال)[١] وبين ظهور الألفباء الساميّة الشماليّة (وأوّل نماذجها **المعروفة** قد يرجع للقرن الثالث عشر قبل الميلاد أو أبعد من ذلك) فترة قد لا تكون كافية لتبرير التطوّر الذي حدث للأشكال، إذ إنّ الطابع التصويريّ الذي يبرز بوضوح في الأشكال السينائيّة مفقود في معظم الأشكال الفينيقيّة[٢]. ويغلب أن يكون مثل هذا التطوّر قد تمّ في مدة أطول من تلك التي تسمح بها النظريّة المصريّة - السينائيّة. ولكنّ مثل هذا الاعتراض، على أهميّته، لا يمكن اعتباره ردّاً قاطعاً على هذه النظريّة لأنّ مسألة قياس مثل هذا التطوّر زمنياً أمر اعتباطيّ لا تحكمه معايير ثابتة، فقد تؤدّي كثرة الاستعمال في فترة قصيرة، مثلاً، إلى مثل ما يؤدّيه الاستعمال المحدود في فترة أطول.

وانطلاقاً من هذه الصعوبات، وبخاصّة الرابعة منها، قد يكون الحلّ الأمثل الذي يمكن الوصول إليه بدراسة المادّة المتوفّرة عندنا - أي قبل مزيد من الاكتشافات - اعتبار الخطّ السينائيّ واحداً من عدد من خطوط لم يصلنا معظمه وأنّ هذه الخطوط تمثّل مرحلة بين المصريّة والساميّة. والحقّ أنّه من المحتمل، بل من المرجَّح، أنّه كان في سوريا وفلسطين عدد من الكتابات التي يمكن اعتبارها إما متطوّرة عن الكتابة السينائيّة أو موازية لها في الأصل[٣].

ويبدو أنّ Gardiner، وهو صاحب النظريّة المصريّة - السينائية، كان يدرك أنّ الخطّ السينائيّ قد يكون واحداً من جملة خطوط متشابهة، ولذلك

---

(١) انظر: *Die neuentdeckte Sinaischrift*, p. 467.

(٢) وإن كان من الممكن ترجيح الأصل التصويريّ للحروف الفينيقيّة من خلال أسمائها؛ انظر ص ٤٦ والفصل الثامن.

(٣) انظر الاختلاف في هذا الأمر في: *Sign, Symbol, and Script*, pp. 279-80.

أعلن في خاتمة مقالته[1] أنّه إن لم يكن الخطّ السينائيّ هو النموذج المباشر الذي اشتقّ منه الفينيقيّون ألفباءهم، فإنّه لا يمكن إلاّ أن نتصوّر أن هذا النموذج المباشر يقع في الاتجاه نفسه الذي يشير إليه الخطّ السينائيّ. إن استنتاج Gardiner هذا يجمع بين الحذر العلميّ والحجج القويّة بحيث يمكن قبوله إلى أن تظهر نقوش جديدة قد تنفيه أو تعدّله. ويبقى أنّ الصعوبات التي نبّهنا عليها، والتي ترافق النظريّة المصريّة- السينائية تُشعر الباحث بتشعّب هذا الموضوع واستحالة البتّ بما لا يمكن أن يُعترض عليه فيه.

★ ★ ★

لا بدّ، عند بحث النظريّات المتعلّقة بأصل الألفباء الساميّة، من ذكر النظريّة الجبيليّة التي اقترحها M. Dunand في مؤلَف شهير[2]. وعلّة عدم افرادنا بابا خاصاً لها، أسوة بالنظريّات المسماريّة والكريتيّة والقبرصيّة والحثّيّة، أننا نراها جزءاً من النظريّة المصريّة، لأنها ترقى بالألفباء الساميّة، رجوعاً في التاريخ، إلى الهيروغليفيّة المصريّة، ولكنّها تجعل الكتابة الهيروغليفيّة الجُبيليّة مرحلة متوسّطة بين الألفباء الساميّة والهيروغليفيّة المصريّة، بدلاً من إحلال السينائيّة في هذه المرحلة الوسط.

تعتمد هذه النظريّة على عشرة نقوش[3]- بعضها غير كامل- اكتشفها Dunand نفسه في عام ١٩٢٩ وما بعده في جُبيل. ونُعت الخطّ الذي كُتبت به هذه النقوش بالخطّ الهيروغليفيّ الزائف pseudo-hieroglyphic script لعلاقة المشابهة الشكليّة بينه وبين الهيروغليفيّة المصريّة.

---

(١) P. 16.

(٢) *Byblia Grammata: Documents et recherches sur le développement de l'écriture en Phénicie* (Beyrouth, 1945).

(٣) أو تسعة لأنّ بينها قطعتين قد تكونان جزءين من نقش واحد.

أحصى Dunand الأشكال الموجودة في هذه النقوش فوجد مجموعها ١٠٣٨ صنّفها إلى ١١٤ شكلاً مختلفاً. وأهم النصوص عنده نصّان في الأوّل ٤٦١ شكلاً بينها ٦٤ شكلاً مختلفاً، وفي الثاني ٢١٧ شكلاً بينها ٥٣ شكلاً مختلفاً. وكذلك صنّف المؤلّف المئة شكل والأربعة عشر شكلاً بحسب رسمها، فمنها أشكال حيوانات وعددها ٢١، وأشكال نباتات وعددها ١٣، وشكلان للنجوم والماء. وأشكال أدوات مختلفة وعددها ٢٦، وأشكال متعلّقة بالعبادات وعددها ٦، وبقي عدد من الأشكال الهندسيّة والأشكال التي لم يستطع تحديدها[1].

ومن الطبيعيّ ألاّ تكون كتابة فيها ١١٤ شكلاً كتابة ألفبائيّة. ورغم تسليم Dunand بهذا، بطبيعة الحال، يرى أنّ هذه الكتابة ليست مقطعيّة خالصة، وأنها تحتوي على علامات تصويريّة ideograms وربما علامات مخصِّصة determinatives أيضاً، بالإضافة إلى الأشكال التي تدلّ على أصوات مقاطع لا تختص بكلمة دون أخرى.

أما بشأن علاقة هذه الكتابة الهيروغليفيّة الزائفة بالكتابات التي تسبقها أو تليها زمناً، فقد توكّأ Dunand على الشبه الشكليّ بين الهيروغليفيّة الزائفة والمصريّة، إذ رأى أنّ خمسة وعشرين شكلاً من الأولى قد أُخذ بطريق غير مباشر من الثانية، وأنّ حوالي خمسة وعشرين شكلاً آخر في الأولى مستلهَم

---

(١) أنظر: *Byblia Grammata* pp. 86 ff.

وانظر التعديلات التي اقترح M. Martin إدخالها على تصنيف Dunand في:

«Revision and Reclassification of the Proto-Byblian Signs,» in *Orientalia*, n. s. 31 (1962), pp. 250-71; 339-63.

وكذلك مقالة G. Posener:

«Sur les inscriptions pseudo-hiéroglyphiques de Byblos,» in *MUSJ*, 45 (1969), pp. 225-39.

ʾ	א		
b	ב		
g	ג		
d	ד		
h	ה		
w	ו		
z	ז		
ḥ	ח		
ṭ	ט		
y	י		
k	כ		
l	ל		
m	מ		
n	נ		
s	ס		
ʿ	ע		
p	פ		
ṣ	צ		
q	ק		
r	ר		
š	ש		
t	ת		

الرسم ١٢

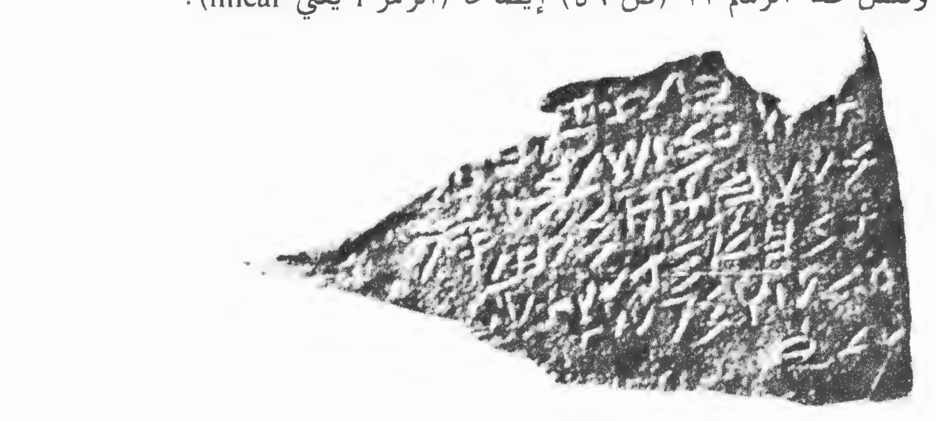
نظرية **Dunand** في أصل الألفباء الساميّة نقلاً عن **p. 185** *Byblia Grammata.*

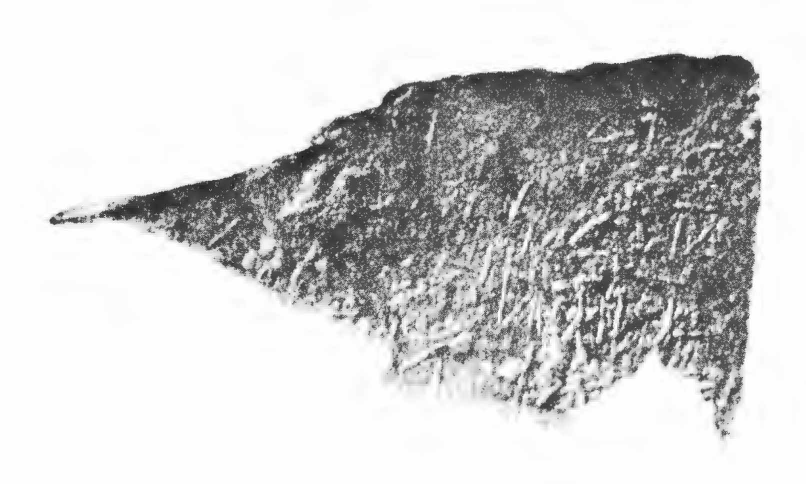
أ- مقارنة الأشكال الجبيليّة بالأشكال الساميّة الجنوبيّة

ب- مقارنة الأشكال الجبيليّة بالأشكال الساميّة الشماليّة

(نضيف الرموز الصوتية بالحروف اللاتينيّة مقابل الحروف العبريّة)

من أشكال في الثانية؛ ولذلك يقرّر أن الكتابة الجُبيليّة نشأت متأثّرة بالكتابة المصريّة. ومن جهة أخرى، يقرر Dunand أنّ الكتابة الجُبيليّة الهيروغليفيّة الزائفة هي أصل الألفباء الساميّة، ويحاول أن يقارن أشكال الكتابتين، وأن يُظهر أنّ بعض الأشكال يمثّل مرحلة انتقاليّة من الهيروغليفيّة التصويريّة إلى الألفباء السريعة غير التصويريّة linear. وننقل عنه الرسم ١٢ (ص ٥٦) إيضاحاً (الرمز l يعني linear).





الرسم ١٣

خربشات بالهيروغليفيّة الزائفة على أحد النقوش الفينيقيّة

إلى جانب الشبه الشكليّ الذي يبيّنه Dunand ، تقوم نظريّته على مبرّرات أخرى، منها ما يلي:

١ - أنّ كلاّ من الهيروغليفيّة الزائفة والألفباء الساميّة يتّجه من اليمين إلى اليسار.

٢ - أنّه يظهر في أحد النقوش الفينيقيّة خربشات بالهيروغليفيّة الزائفة، الأمر الذي يؤكّد أنّ هذه الكتابة ظلّت مستعملة بعد ظهور الألفباء، في جبيل نفسها (انظر الرسم ١٣).

٣ - أنّ في كلا الكتابتين، الهيروغليفيّة الزائفة والألفبائيّة، نصوصاً يُستخدم فيها خطّ عموديّ صغير للفصل بين كلمة وأخرى.

٤ - أنّ هناك نقشاً وُجد في جبيل أيضاً يحمل خمسة أشكال يعتقد صاحب النظريّة أنّها أقدم أشكال ألفبائيّة نعرفها (انظر الرسم ١٤)؛ ثم يقرأ النقش على طريقة خطّ الحرّاث أو الطريقة الحلزونيّة[1] boustrophedon كما يلي:

l (ī) Amn

فالحرف l حرف جر للملكيّة، كما في العربية، والمقصود إضافته إلى ضمير المتكلم؛ و Amn اسم علم لإله. وقد يكون المعنى: (تقدمة) إلى

الرسم ١٤

أقدم نقش جبيليّ: هل هو ألفبائيّ؟

(١) انظر معنى هذا المصطلح ص ١١٢.

آمون[1]. ومن صنف هذا النقش توجد أشكال حروف أخرى متفرّقة محفورة على أدوات جبيليّة مختلفة ترجع إلى حوالى ٢٠٠٠ - ١٨٠٠ ق.م.

وتأييداً للفترة التي حدّد ظهور الألفباء فيها، أي بين ٢٠٠٠ و ١٨٠٠ ق.م. يعمد Dunand في تأريخ عدد من النقوش الألفبائيّة الأولى، وكلّها من جبيل، إلى إرجاعها إلى عهد أبعد ممّا يقبله معظم العلماء[2]. وهذه النقوش هي نقش ʿAbdo (انظر الرسم ١٥)، ويُرجعه إلى القرن الثامن عشر أو أوائل القرن السابع عشر ق.م. ونقش Šafaṭbaʿal (انظر الرسم ١٦)، ويُرجعه إلى الفترة نفسها أو قُبيل ذلك، ونقش Asdrubal

الرسم ١٥

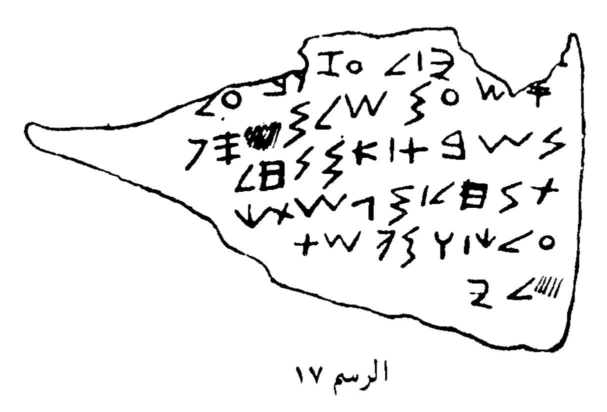
نقش ʿAbdo

الرسم ١٦

نقش Šafaṭbaʿal

(١) *Byblia Grammata*, pp. 143-5.

(٢) *Ibid.*, pp. 146-57.



الرسم ١٧

نقش **Asdrubal**

(انظر الرسم ١٧)، ويُرجعه إلى القرن الرابع عشر ق.م.

إنّ تقويم هذه النظريّة الجُبيليّة يعتمد، أكثر ما يعتمد، على فكّ الرموز الهيروغليفيّة الزائفة لنعرف إن كان بينها وبين الألفباء الساميّة علاقة أبعد من الشبه الخارجي الشكليّ. وأوّل من فكّ هذه الرموز وقرأ نقوشها - سواء أكان مصيباً في هذين أم مخطئاً - هو E. Dhorme. والنظر بعين الجدّ إلى عمل هذا العالم واجب، أوّل ما يمليه كونه واحداً من الذين فكّوا الرموز الأوجاريتيّة[1].

انطلق Dhorme في فكّ هذه الرموز من السطر الخامس عشر، وهو الأخير، في أحد هذه النقوش (انظر الرسم ١٨). فقد تنبّه إلى أنّ الأشكال السبعة المتتالية في الطرف الأيسر من هذا السطر - وهي لا يمكن أن تكون كلمة طبعاً - قد تكون رقماً يرمز إلى تاريخ كتابه النص. ومن هنا، كما يشرح بنفسه[2]، أخذ يبحث عمّا يمكن أن يسبق الرقم، فوجد أنّ من

---

(١) انظر ص ٩٠.

(٢) «Déchiffrement des inscriptions pseudo-hiéroglyphiques de Byblos,» in *Syria*, 25 (1946-48), pp. 1-35.

وانظر ايضاً إعلان Dhorme اكتشافه اوّل مرّة في: =

الرسم ١٨

النقش الجبيليّ الذي انطلق منه **Dhorme** في فكّ الرموز الجبيليّة الهيروغليفيّة الزائفة

المناسب أن تكون الأحرف الأربعة التي تسبق الرقم (ويفصلها عنه فراغ قد يكون بقية الرقم في الأصل) كلمة b-šnt، أي «بِسَنَةِ» وهي ترد في الفينيقيّة وغيرها في تأريخ النقوش. وانطلق من هذه الأحرف إلى سائر الحروف، ففكّ رموزها جميعاً فيما قدّر. وقد اقتصر في هذا على الصوامت

«Déchiffrement des inscriptions pseudo-hiéroglyphiques de Byblos,» in *CRAIBL* = (1946), pp. 360-5; 472-9.

دون الصوائت[١]، إذ رغم علمه أنّ هذه الرموز تمثّل مقاطع، فضّل أن يكتفي بتحديد صوامتها فحسب، لأن معرفتنا بالفينيقيّة لا تسمح لنا، كما يقول، بالتأكّد من نظام الصوائت فيها. وتبيّن له كذلك أنّ الأشكال الهيروغليفيّة الزائفة، رغم شبهها بالأشكال الهيروغليفيّة المصريّة، تختلف عنها في القيمة الصوتيّة لكل شكل، أي أنّ هذه الكتابة لا تأخذ بالمبدأ الأكروفونيّ الذي يقوم على تصوير شكل الحرف بصورة كلمة يكون الحرف نفسُه الصامتَ الأوّل فيها.

ويخلص Dhorme إلى الاستنتاج، فيقرّر أنّ النقوش الجبيليّة الهيروغليفيّة الزائفة كُتبت في عهد الفرعون امينوفيس الرابع، أي في حوالي ١٣٧٥ ق.م. وفي هذا القول ما يخالف صراحة مذهب Dunand في أصل الألفباء، بسبب الفرق الكبير بين النظريّتين في تأريخ هذه النقوش. فلو اعتمدنا التاريخ الأقرب الذي يقترحه Dhorme لصعب علينا القول إنّ النقوش الجبيليّة أصل الألفباء الساميّة، إذ ليس بين هذا التاريخ وبين التواريخ المنسوبة، عادة، إلى النقوش الفينيقية[٢] فترة كافية لتبرير التطوّر من الهيروغليفيّة إلى الألفبائيّة السريعة وغير التصويريّة. هذا إلى جانب اختلافات أخرى بين النظريّتين. منها العرضيّ ومنها الجوهريّ. فمن العرضيّ أنّ Dhorme يُخفض عدد الأشكال في هذه النقوش من ١١٤

---

(١) أي أنّه اكتفى بقراءة الصامت b مثلاً دون تحديد المقطع الذي يجيء فيه نحو:
ab, ib, ub, ba, bi, bu.

(٢) نذكر مثلاً نقش أحيرام الفينيقيّ. ويرجع عند بعض الدارسين إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وعند آخرين إلى القرن الحادي عشر أو العاشر؛ وفي تحديد تواريخ النقوش الفينيقيّة المتقدّمة انظر:

J. T. Milik and F. M. Cross, «Inscribed Javelin-heads from the Period of the Judges: A Recent Discovery in Palestine,» in *BASOR*, 134 (1954), esp. pp. 9-15

إلى ١٠٠، ويرى أنّ Dunand قد فرّق بين أشكال متّفقة[١]. أما الاختلاف الجوهريّ بين النظريّتين فهو أنّ Dhorme يحدّد القيمة الصوتيّة للاشكال (أقلّ ذلك أنّه يحدّد الصوامت) في حين أن Dunand يقيم نظريّته في التشابه بين الهيروغليفيّة الزائفة والألفباء الساميّة على الأشكال فحسب. وحقيقة الأمر أنّنا لو اعتمدنا القيمة الصوتية للأشكال كما يحدّدها Dhorme (انظر الرسم ١٩) لتداعت نظريّة Dunand حول أصل الألفباء الساميّة لأنّ الشبه الشكليّ الذي تقوم عليه هذه النظريّة يخفي وراءه اختلافات في القيمة الصوتيّة للأشكال؛ أي أنّ الأشكال الجبيليّة الهيروغليفيّة - ولم يكن Dunand يعرف قيمتها الصوتيّة - لا يمكن مقارنتها بالأشكال الألفبائية الفينيقيّة - وقيمتها الصوتية معروفة - واستنتاج أنّها أصلها، لأنّها رموز أصوات مختلفة في الكتابتين، حسب قراءة Dhorme. فمن ذلك أنّ الشكل ○ الجبيليّ أصل الشكل ○ (ʿ) في الألفباء الفينيقيّة، في نظريّة Dunand. ولكنّ Dhorme لا يحدّد قيمة هذا الشكل في الجبيليّة بـ ʿ، بل بـ s أو ś (انظر الرسم ١٩)، ويرى أنّ الحرف ʿ يُرمز إليه بالشكل ⋂ أو ⚲ أو ⌐. ومن الجليّ أن قبول قراءة Dhorme يستتبع نسبة نظريّة Dunand في تقابل الأشكال إلى الخطأ.

إنّ قراءة Dhorme لهذه النقوش، رغم اعتراض كثير من العلماء عليها[٢] تُثبت لنا أمرين هامّين: أنّ هذه الكتابة مقطعيّة، وأنها تمثّل لهجة

---

(١) يرجع هذا طبعاً إلى أنّ الأشكال تختلف باختلاف المادة المكتوب عليها، فشكل حرف ما منقوشاً على الحجر يختلف عن شكله على البرونز مثلاً.

(٢) انظر مثلاً: W. F. Albright, «The Old Testament and the Archaeology of the Ancient East,» in *The Old Testament and Modern Study*, ed. H. H. Rowley (Oxford, 1951), p. 29.

وانظر أيضاً مراجعة كتاب Dunand لـ R. De Langhe في: *BO*, 5 (1948), pp. 82-3 =

Alphabet syllabique
des inscriptions pseudo-hieroglyphiques de Byblos

א	ʾ	(103,5)	$ʾ_1$	(105,13)	$ʾ_2$	(109,4 / 112,12)	$ʾ_3$	(95,20)	$ʾ_4$	(111,7)
ב	b	(100,3)	b_1	(98,8)	b_2	(97,5)	b_3	(91,6,7,8)	$ʾ_5$	(113,4)
									$ʾ_6$	(104,7)
ג	g	(93,15)	cf. g_1						$ʾ_7$	(108,25)
ד	d	(104,10)		(112,15)						
ה	h	(103,7)								
ו	w	(101,4)	w_1	(110,4)	w_2	(95,18)	w_3	(105,15)	w_4	(114,5)
ז	z	(97,9)	z_1	(93,13)	z_2	(113,16)	z_3	(93,14)		
ח	ḫ	(90,3,4)	$ḫ_1$	(92,19)	$ḫ_2$	(91,9)				
ט	ṭ		$ṭ_1$							
י	y	(102,1)	y_1	(100,1)	y_2	(107,22)	y_3	(103,4)		
כ	k	(108,1)	k_1	(100,2)	k_2	(113,4)	k_3	(90,1)		
ל	l	(111,8)	l_1	(110,3)	l_2	(107,20)	l_3	(101,5)	l_4	(96,2)
מ	m	(98,9)	m_1	(96,21)	m_2	(102,9)	m_3	(109,5)		
נ	n	(104,8)	n_1	(96,1)	n_2	(105,11)	n_3	(99,2)		
ס	s	cf. ś (94,17)	s_1							
ע	ʿ	(107,23)	$ʿ_1$	(108,22)	$ʿ_2$	(109,3)				
פ	p	(112,13)	p_1	(106,18)	p_2	(101,6)	p_3	(109,6)	p_4	(98,10)
צ	ṣ.ẓ		$ṣ_1$	(101,5)						
ק	q	(spec. 6,7)	q_1	cf. g						
ר	r	(103,6)	r_1	(94,16)	r_2	(93,13)	$ṙ_3$	(102,3)		
ש	ś	cf. s								
שׁ	š	(105,14)	$š_1$	(92,12)	$š_2$	(106,16)				
ת	t	(113,17)	t_1	(98,11)	t_2	(111,6)	t_3	(110,1)	t_4	(105,12)

Les numeros renvoient à "Byblia grammata" de M. Dunand

الرسم ١٩

« الألفباء المقطعيّة » الجبيليّة عند **Dhorme**

(نقلاً عن مقالته في *Syria*, **25, pl. I**)

فينيقيّة. أما بشأن قراءة النقوش فلا يمكننا التحقّق من صحة هذه النظريّة، أو أية نظريّة أخرى لا يعضدها نقوش جديدة، أو نقش يكون فيه، إلى جانب الجبيليّة الهيروغليفيّة، نصّ بكتابة أخرى نعرفها حتى نتمكن من المقارنة[1]. ومما يضعف هذه القراءة عدم تحديد الصوائت، واعتقاد Dhorme أنّ هذه الكتابة تعبّر عن ثلاثة وعشرين حرفاً، في حين نعرف أنّ في الكتابة السينائيّة والكتابة الأوجاريتيّة أكثر من هذا العدد. وعلى أيّة حال، إنّ هذه القراءة أفضل من محاولة B. Hrozný قراءة هذه النقوش باللغة الحثّيه[2]

وبغضّ النظر عن قراءة Dhorme للأشكال الهيروغليفيّة، أصحيحة هي أم غير صحيحة، يتوقّف قبول نظرية Dunand على ثلاثة أمور أساسيّة:

١ - تحديد القيمة الصوتيّة للأشكال الهيروغليفيّة الزائفة، فإن اختلفت في معظمها عن القيمة الصوتيّة للأشكال المشابهة في الألفباء الفينيقيّة (كما في قراءة Dhorme) استُبعدت النظريّة، وإن اتفقت في معظمها ثبتت النظريّة. وقد حاولتُ قراءة هذه النقوش الجبيليّة باعطاء كل شكل القيمة

= وقد أيّد نظريّة Dhorme، ووضع على أساسها قوائم صرفيّة A. Jirku في:

«Wortschatz und Grammatik der gublitischen Inschriften,» in *ZDMG*, 102 (1952), pp. 201-14.

وانظر الخطوط الرئيسيّة التي يرى H. Sobelman أنّ على أيّة نظريّة جديدة التزامها في فك الرموز الجبيليّة، وذلك في:

«The Proto-Byblian Inscriptions: A Fresh Approach,» in *JSS*, 6 (1961), pp. 226-45.

(١) لعلّ G. Mendenhall من جامعة ميشيغان قد توصّل أخيراً إلى قراءة هذه النقوش قراءة صحيحة، فيما علمت، وقد ينشر نتائج دراسته قريباً.

(٢) انظر: «Die hieroglyphische Stele von Byblos. Ein Entzifferungsversuch,» in *AO*, 15 (1946), pp. 138-57.

وكذلك: «La stèle hiéroglyphique de Byblos,» in *CRAIBL* (1945), pp. 382-5.

الصوتية التي يمثّلها شبيهه في الألفباء الفينيقيّة، فلم أنته، في أيّ نقش، إلى قراءة ممكنة باعتبار أيّة لغة ساميّة شماليّة؛ فغاية ما يمكن الوصول إليه، إذا، اتفاق بعض الأشكال في القيمة الصوتيّة في الكتابتين (هذا إذا رفضنا قراءة Dhorme طبعاً)، وقد لا يكون في هذا ما يدعو إلى تقرير أنّ الألفباء متطوّرة عن الهيروغليفيّة الزائفة.

٢- تحديد الزمن الذي كتبت فيه هذه النقوش، وهل هي سابقة على النقوش السينائيّة التي ترجع، في الأغلب، إلى الفترة بين ١٥٥٠ و١٤٥٠ ق.م[١]. ومهما يكن الصواب، من الصعب ألاّ نجعل هاتين الكتابتين محاولتين متوازيتين، إذ ينطلق كلّ منهما من المصريّة. أما موطن الخلاف فمعرفة علاقة الألفباء الساميّة بها. ونرى أنّه، إن صحّت قراءة النقوش السينائيّة قراءة ألفبائيّة لا مقطعيّة، جاز تغليب النظريّة المصريّة- السينائيّة- الألفبائيّة على النظريّة المصريّة- الجبيليّة- الألفبائيّة، لأن الجبيليّة مقطعيّة كما يدل عدد رموزها الذي يبلغ المائة بل يزيد.

٣- تحديد الزمن الذي كُتب فيه عدد من النقوش الألفبائيّة الفينيقيّة الجبيليّة المتقدّمة. وقد كان Dunand، كما مرّ، يرى أنّها ترجع إلى عهد أبعد مما يقبله معظم العلماء، حتّى إنّه كان يُرجع نقشي ʿAbdo و Šafaṭbaʿal إلى القرن الثامن عشر، أو أوائل القرن السابع عشر ق.م. ونقش Asdrubal إلى القرن الثاني عشر ق.م. وقد كان يرى في هذا التاريخ المتقدّم تأييدا لتحديده ظهور الألفباء ما بين ٢٠٠٠ و ١٨٠٠ ق.م. ولكنّ Dunand لم يثبت على هذا الرأي، إذ أضاف في ذيل كتابه[٢] أنّ تاريخ

---

(١) راجع ص ١٩

(٢) انظر: Post-scriptum, pp. 197-200.

وقارن بـ: Diringer, *The Alphabet*, I, 159.

فهو ينقل رأي Dunand الجديد كما أبلغه إيّاه بنفسه.

النقشين الأوّلين أقرب أن يكون القرن الرابع عشر ق.م. وأنّ الثالث يرجع إلى القرن الثاني عشر ق.م. وحتّى هذه التواريخ تبدو بعيدة عند بعض الباحثين[1]. ويجب أن يرتبط تحديد هذه التواريخ، في عمليّة الاستنتاج، بتحديد تاريخ النقوش الجبيليّة الهيروغليفيّة لتكتمل أيّة نظريّة تفسّر أصل الألفباء الساميّة من خلال هذه النقوش.

ومجمل القول في نظريّة Dunand أنّها، على أهمّيّتها ولحظها العلاقة بين المصريّة والجبيليّة الهيروغليفيّة، لا تحتمل القبول ما لم تثبت صحة توجّهها في الأمور الثلاثة السابقة؛ وهذا، كما مرّ، لا يخلو من مشقّة عظيمة. لذلك نجد، من خلال المعطيات التي أمامنا حتّى اليوم - وقد تُغيّر الاكتشافات القادمة هذه الصورة - أنّ النظريّة السينائيّة أدعى إلى القبول، على ما فيها من مخاطر. ولا يمنع هذا، طبعاً، أن تكون جبيل قد شهدت في النصف الأوّل من الألف الثاني قبل الميلاد محاولات كتابيّة مقطعيّة - ذات أشكال قليلة إذا ما قيست بالمصريّة - وربما محاولات أخرى لاستحداث كتابة ألفبائيّة[2]، كما قد يوحي النقش الجبيليّ الصغير في الرسم ١٤ (ص ٥٨).

---

(١) راجع ح ٢ ص ٦٢.

(٢) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 92.

الفصل الثاني

الكتابة الفينيقيّة: مقطعيّة أم ألفبائيّة؟

عند الكلام على الكتابة الساميّة[1] علينا أن نحدّد طبيعتها: أمقطعيّة هي أم ألفبائيّة. إنّ استخدامنا لعبارة « الألفباء الساميّة » في هذا الكتاب لا يعني أنّ هناك إجماعاً حول الطبيعة الألفبائيّة للكتابة الساميّة، وإنّما يعني أنّنا لا نصحّح النظريّة القائلة بأن الكتابة الساميّة مقطعيّة. ولمّا كان I. J. Gelb هو أصلب المدافعين عن هذه النظريّة، فسوف نعرض لها كما أوردها مفصَّلةً في مؤلّفاته[2]، قبل أن نتصدّى للردّ عليها ودحضها.

(١) نعني بها هنا الفينيقيّة وما تفرّع عنها - بشكل مباشر أو غير مباشر - من الكتابات الشماليّة (كالعبريّة والآراميّة) ومن الكتابات الجنوبيّة (كالعربيّة الشماليّة والجنوبيّة). وبهذا لا نعني بالساميّة هنا الكتابة الأكديّة أو الأوجاريتيّة، كما لا نعني بها الحبشيّة التي لها صفات خاصّة تميّزها عن سائر الكتابات الساميّة كما سنرى في الفصل السادس.

(٢) انظر خاصّة: *A Study of Writing*, 2nd ed. (Chicago, 1963), esp. pp. 148 ff, and pp. 190 ff.

وانظر كذلك المقالتين التاليتين للمؤلّف نفسه في:

Language, 38 (1962), esp. pp. 211 ff.

BO, 15 (1958), pp. 2-7.

وانظر ما كتبته Elizabeth Bowman في تأييد النظريّة المقطعيّة في:

«A Note on the Development of Egyptian Writing,» in *JNES*, 19 (1960), pp. 46-8.

وكذلك تأييدَ Hallo للنظريّة المقطعيّة فيما يختصّ بالكتابات الساميّة الشماليّة في:

«Isaiah 28 9-13 and the Ugaritic Abecedaries,» in *JBL*, 77 (1958), pp. 324-38.

تستقي النظريّة التي فصّلها Gelb من مصدرين رئيسيّين، أوّلها المراحل الحتميّة التي يرى أنّ الكتابة قطعتها في تطوّرها عامّة، والثاني طبيعة الكتابة الساميّة نفسها.

أوّلاً: مراحل تطوّر الكتابة:

يرى Gelb أنّ الكتابة، من حيث كونُها نشاطاً بشريّاً عاماً، وصلت إلى الطور الألفبائيّ على مراحل متلاحقة تلاحقاً منطقيّاً بحيث تكون كلّ مرحلة ناتجة عن المرحلة التي تسبقها. وهذه المراحل عنده ثلاث هي التالية:(١)

أوّلاً: المرحلة التصويريّة.

ثانياً: المرحلة السابقة على الكتابة، وتتضمّن نوعين:

أ- الوسيلة الوصفيّة التصويريّة

ب- الوسيلة الاستذكاريّة

ثالثاً: المرحلة الكتابيّة الحقيقيّة، أي الكتابة الصوتيّة، وهي بدورها ثلاثة أطوار متتالية:

أ- طور المقطعيّة الكَلِميّة

ب- طور المقطعيّة الخالصة

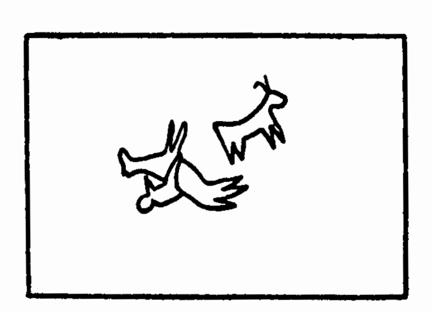
ج- طور الألفبائيّة

وعلى هدي المخطّط يضع Gelb تفاصيل نظريّته الشموليّة. فالمرحلة التصويريّة عنده مرحلة تقصد إلى التعبير الفنّيّ لا إلى التعبير عن الكلام المستعمَل، ويبدو أنّ الحافز الفنّيّ عند الإنسان كان الخطوة الأولى نحو

---

(١) انظر: *A Study of Writing*, pp. 190 ff.

التعبير عن الكلام، وإن كان ليس من الكتابة التصويريّة بشيء. أمّا المرحلة الثانية فهي في منزلة بين سابقتها ولاحقتها لأنّها تعتمد الصور للتعبير عن الكلام لا لمجرّد الغرض الفنّيّ الذي تقتصر عليه المرحلة الأولى؛ فالوسيلة الوصفيّة التصويريّة هي التي تتمثّل فيها الأفكار الرئيسيّة في الكلام بواسطة رسوم معبّرة تخلو من التفاصيل الصغيرة ولا تقصد إلى الجمال الفنّيّ الإبداعيّ[1]. وأمّا الوسيلة الاستذكاريّة فهي التي تُستعمل فيها علامة لتحديد شخصٍ ما[2]، أو ربّما للتعبير عن مثل مأثور[3].



الرسم ٢٠

الوسيلة الوصفيّة التصويريّة في الكتابة

---

(١) نمثّل على هذا النوع بالرسم ٢٠، وفيه وصف تصويريّ وُجد في نيومكسيكو، وهو من عمل الهنود. والمقصود بهذا الرسم - وقد وُجد على صخرة في منطقة شديدة الوعورة - التنبيه على أنّ هذه المنطقة محفوفة بالخطر وقد لا ينجو منها الإنسان، أي راكب الفرس المنقلب. أما كبش الجبل فمعناه أنّ المنطقة لا يقدر على احتمال وعورتها والنجاة فيها إلا هذا الحيوان الذي يقطنها. ويلاحَظ أنّ التفاصيل الفنّيّة تخلو من هذا الرسم لأنّ الهدف منه ليس الابداع. انظر: *Ibid.*, P.29 وراجع الأمثلة التي توضّح هذا النوع من التصوير توضيحاً وافياً.

(٢) كأن يرسم بعضهم علامة له خاصة على شيء يملكه ليعرف الناس أنّه هو صاحبه؛ ومن هذا فكرة الوسم، أي السمة التي يُعرف بها صاحب الشيء (قارن لفظة اسم). ونلاحظ أنّ بعض العلماء لا يفرّقون بين هذه الوسيلة وبين الوسيلة الوصفيّة التصويريّة؛ انظر مثلاً:

Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 35.

(٣) انظر نماذج للرسوم التي صنعها الزنوج الأفارقة، وشرحها في:

A Study of Writing, pp. 49 ff.

إنّ المرحلتين الأوليين ليستا كتابة بالمعنى الصحيح، وذلك أنّ الكتابة الحقّة يجب أن يتوفّر في الأشكال التي تستخدمها شرطٌ لا غنى عنه، وهو أن تُستعمل بالتواضع، أي باتّفاق الناس حول قيمتها الصوتيّة وقراءتها، فبينما قد يختلف كثير من الناس في تفسير شكل معبَّر عنه بالوسيلة الوصفيّة التصويريّة، تقتضي الكتابة أن يتّفق كل الناس في تفسير أشكالها أي قراءتها. إنّ هذا الشرط يجعل الكتابة كتابة صوتيّة بالضرورة، أي أنّ كل محاولة للتعبير عن الأفكار بغير الوسيلة الصوتيّة ليست كتابة على الإطلاق. وإذا عدنا إلى Gelb وجدناه يميّز ثلاثة أطوار متتالية في مرحلة الكتابة الصوتيّة، وهي الآتية:

أ- طور المقطعيّة الكَلِمِيّة، أي التعبير عن الكلمة الواحدة، سواء أكانت من مقطع واحد أم أكثر، بشكل واحد، وهذا مستعمل في السومريّة والمصريّة والحِثّيّة، والصينيّة.

ب- طور المقطعيّة الخالصة، أي التعبير عن مقطع صوتيّ واحد، سواء أكان كلمة قائمة بذاتها أم جزءاً من كلمة، بشكل واحد؛ وهذا مستعمل، في رأي Gelb، في الإيلاميّة Elamite، وفي الساميّة (الغربيّة)، واليابانيّة.

ج- طور الألفبائيّة، أي التعبير عن كل صوت في اللغة، سواء أكان صامتاً أم صائتاً، بشكل واحد. ويرى Gelb أنّ اليونانيين أوّل من وصل إلى هذا الطور، وأنّ كثيراً من الكتابات كالرّومانيّة والهنديّة تبنّت هذا النظام الكتابيّ. ولكنّ Gelb يضيف قائلاً إنّ كثيراً من الكتابات الساميّة كالعبريّة والآراميّة والعربيّة أصبحت كتابات ألفبائيّة عندما أدخلت نظاماً متكاملاً من الأشكال التي تعبّر عن الصوائت، والفضل في هذا، كما يقول، يعود إلى اليونانيين الذين أخذ عنهم الساميّون هذا النظام. ولولا النظام الذي أُدخل لاحقاً لما أصبحت هذه الكتابات ألفبائيّة.

وفي هذا المخطّط يرى Gelb الإطار العام لتطوّر الكتابة، ويؤكّد أنّه

بعد المرحلة التصويريّة والمرحلة السابقة على الكتابة أضحت الكتابة مقطعيّة كَلِمِيّة ثمّ مرّت بالطور المقطعيّ ووصلت بعده إلى الطور الألفبائيّ. وبذلك لا يقبل Gelb بوجود كتابة تبدأ في أوّل مراحلها مقطعيّة أو ألفبائيّة، اللهمّ إلا إذا كانت مستعارة من أصل آخر، وهذا الأصل لا بدّ أن تكون المرحلة الأولى منه هي المرحلة المقطعيّة الكَلِمِيّة[1]. هذا من الناحية النظريّة. ومن الناحية التاريخيّة[2] يرى أنّ التطوّر الذي فيه تطبيق الناحية النظريّة بدأ مع المصريين (المقطعيّة الكلميّة) فالساميين (المقطعيّة الخالصة) فاليونانيين (الألفبائيّة).

ثانياً: طبيعة الكتابة الساميّة

المصدر الثاني الذي تستقي منه نظريّة Gelb هو طبيعة الكتابة الساميّة كما يفهمها، فهو يخطّىء من يرى أنّ الأشكال الساميّة تمثّل الصوامت دون الصوائت، ويردّ ذلك إلى وهم وقع فيه العلماء حين لم يفرّقوا بين الأشكال الساميّة قبل أن تضاف إليها الحركات وبين هذه الأشكال بعد هذه الإضافة. ومعنى هذا في اعتقاده أنّ العلماء قد ألفوا رؤيّة الشكل « ب » في العربيّة أو غيرها ومعه علامة لحركة كالفتحة مثلاً، الأمر الذي أوقعهم في الوهم إذ حسبوا أنّ الشكل « ب » الذي يمثّل الصامت وحده في الكتابة الساميّة المحدثة - أي بعد إضافة أشكال خاصة بالصوائت - يمثّل كذلك الصامت وحده في مرحلة ما قبل إضافة هذه الأشكال؛ ولم يخطر لهم أن يكون الشكل « ب » في الساميّة دالاً في الأصل على صامت مع صائت ما، أي دالاً على مقطع. وأمّا الحلّ الذي يرتأيه Gelb فهو القول إنّ الشكل

(١) *Ibid.*, p. 201.

(٢) *Language*, 38 (1962), p. 212.

« ب » في الكتابة الساميّة القديمة يمثّل الصامت « باء » مع الصائت الذي يليه، دون أن يكون في الشكل نفسه دلالة على طبيعة هذا الصائت، أفتحة هو أم ضمّة، أطويل هو أم قصير.. إلخ(١).

ومن الحجج التي يسوقها Gelb لتعزيز النظريّة المقطعيّة للكتابة الساميّة أنّ الكتابات الساميّة التي أدخلت، في فترة متأخّرة، نظاماً كاملاً للتعبير عن الصوائت استخدمت علامات خاصّة ترمز إلى عدم وجود الصائت. وهذه العلامة هي السكون في العربيّة والشُوا šᵉwā (ְ) في العبريّة. ويستغلّ Gelb هذه الحقيقة لتأييد نظريّته إذ يقول إنّه لو لم يكن الشكل الساميّ دالاً على مقطع (صامت + صائت) لما كان من موجب لاستخدام علامة تدلّ على غياب الصائت عند غيابه(٢). وبعبارة أخرى يرى Gelb أنّ حاجة الساميين لوضع علامة تنبّه على عدم وجود الصائت تشعرنا بأنّ كلّ شكل ساميّ إنّما يرمز في الأصل إلى مقطع كامل مكوّن من صامت متلوّ بصائت.

ويستخدم Gelb الأسماء التي سُمّيت بها العلامة الخاصّة التي ترمز في عدد من الكتابات إلى عدم وجود الصائت دليلاً آخر على نظريّته لأنّه يرى أنّ اشتقاقها يشير إلى الطبيعة المقطعيّة للكتابة الساميّة وما تفرّع منها. وهذه الأسماء التي يفسرّها هي:

- السكون، واشتقاقه من جذر سكن √ الذي يدلّ على الاستقرار والثبات وعدم وجود « الحركة ».
- الجزم، وهو في أصله يدلّ على القطع.
- الشُوا العبريّة שְׁוָא šᵉwā، ويشتقّها Gelb من كلمة שָׁוְא šāwʾ ومعناها الفراغ وعدم الوجود.

---

(١) *A Study of writing*, pp. 148-9.

(٢) *Ibid.*, p. 149.

- الحِطپا hiṭpā العبريّة واشتقاقها من جذر חָטַף ḥāṭap[1] ومعناه الأخذ والاختطاف[2].

- المرهطانا السريانيّة ܡܪܗܛܢܐ ، وهي علامة تنبّه إلى عدم وجود الصائت (أو الصامت)، واشتقاقها من ܪܗܛ rhēṭ السريانيّة، ومعناها « ركضَ »[3].

ويعلّق Gelb على هذه الأسماء الساميّة بالقول إنّها تدلّ على « قطع » الصائت، أي حذفه من المقطع، الأمر الذي يؤدّي إلى « سكون »، أي عدم النطق بالصائت. ومن هذا يستنتج أنّ الأشكال الساميّة تعبّر عن المقاطع لا عن الصوامت دون الصوائت، لأنّها لو كانت تعبّر عن الصوامت وحدها لما لزم وضع علامة تشير إلى « قطع » الصائت.

ومن الحجج الأخرى لهذه النظريّة طبيعة الكتابة الحبشيّة، فهذه الكتابة مأخوذة عن الكتابة الجنوبيّة العربيّة وهي بذلك ذات علاقة بالكتابة الساميّة الشماليّة، وإن كانت هذه العلاقة غير مباشرة. غير أن

---

(١) الشكل p̱ يدلّ على أن الصوت هو f لفظاً، وأنّ أصله p؛ أما تحوّل الصوت p إلى f فعائد إلى أنّه مسبوق بصائت لا بصامت.

(٢) قارن بالفعل « خطف » في العربيّة، والفاء العربيّة تقابل الصوت p في العبريّة.

(٣) الجذر السرياني في كلمة « مرهطانا » هو ܪܗܛ rhēṭ (ركض)، ويقابله في العبريّة רוּץ rūṣ بالمعنى نفسه؛ ويقاربها في العربيّة، اشتقاقاً، الفعل « راض ». وليس بمستغرب أن تكون عين الفعل في السريانيّة h في حين أنّها مدّ طويل في العبريّة والعربيّة. وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع، نحو ܒܗܬ bhēṯ السريانيّة (خجل) التي يقابلها في العبريّة בּוֹשׁ bōš بالمعنى نفسه. ولأمثلة أخرى انظر:

C. Brockelmann, *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen* (Berlin, 1908-13), I, 52-3.

وقارن ح ١ ص ٣٥٩.

الأحباش طوّروا نظامهم الكتابيّ تطويراً كبيراً فجعلوه مقطعيّاً[1]، وذلك أنّهم عبّروا عن الصوائت بإضافة علامات خاصّة إلى الشكل الأساسيّ للصامت (أو حذف شيء من هذا الشكل أو تغيير شيء فيه) بحيث تكون هذه العلامات من صلب الشكل لا خارجة عنه كما في العربيّة والعبريّة والسريانيّة؛ والمهم في الأمر أنّ الشكل الأساسيّ قبل حدوث الزيادة أو الحذف أو التغيير هو نفسه مقطع مكوّن من الصامت متلوّاً بالصوت a (الفتحة)[2] ويرى Gelb في طبيعة الكتابة الحبشيّة هذه دليلاً آخر على نظريّته المقطعيّة، إذ يقول إنّه لو كانت الكتابة الساميّة[3] ألفبائيّة لكنّا توقّعنا أن يكون الشكل الأساسيّ قبل حدوث إضافة أو حذف أو تغيير فيه دالاً على الصامت فحسب، لا على الصامت متلوّاً بالصائت a[4]. ويذهب Gelb إلى أبعد من ذلك إذ يحاول تقوية نظريّته بالقول انّ عدداً من أسماء الحروف في اللغات الساميّة (ومنها العربيّة) ينتهي بالصائت ā، نحو bā و hā و ḥā و ṭā إلخ. وإنّ هذا قد يشير إلى وجود نظام كتابيّ ساميّ كان يسمّي الحروف باسم مركّب من الصامت متلوا بالصائت a لأنّ الصامت والصائت

---

(١) انظر الفصل السادس.

(٢) مثال ذلك حرف الحاء فشكله الأساسيّ هو ሐ (ḥa). أما الصوائت الأخرى التي تليه فيتم التعبير عنها بإضافات تصبح من صلب الشكل نفسه، أو بتغييرات في الشكل نفسه؛ وهي التالية: ሑ (ḥū) و ሒ (ḥī) و ሓ (ḥā) و ሔ (ḥē) و ሕ ($ḥ^e$، أو ḥ دون صائت بعدها) و ሖ (ḥō). فبالإضافة وبالحذف وبالتغيير يتمّ التعبير عن الصوائت في الحبشيّة من ضمن الشكل الأساسيّ للحرف لا من خارجه.

(٣) أي الكتابة الشماليّة التي يرقى إليها أصل الكتابة الحبشيّة.

(٤) ويقارن هنا Gelb بين الكتابة الحبشيّة والكتابات الهنديّة لأنّ هذه الأخيرة، أيضاً، تعبّر عن الصوائت بتغييرات تطرأ على الشكل الأساسيّ الذي يدلّ على الصامت متلوّاً بالصائت a؛ وسبب التشابه عنده أنّ الهنديّة، كالحبشيّة، مأخوذة في الأصل عن الكتابة الساميّة؛ انظر: *A Study of Writing*, p. 150.

ã معاً إنّما يمثّلان الشكل الاساسيّ للحروف؛ وبذلك تكون الكتابة الساميّة مقطعيّة لا ألفبائيّة.

وفي الكتابة الأشوريّة المتأخّرة والكتابة البابليّة المتأخّرة دليل آخر عند Gelb على أنّ الكتابة الساميّة مقطعيّة. فهو يلاحظ أنّه يظهر في هاتين الكتابتين أحياناً صائت مقحم بين صامتين متتاليين لفظاً نحو natkulū التي قد تُكتب na-ta-ku-lu (بدلاً من na-at-ku-lu التي تمثّل اللفظ تماماً، أي بلا صائت بين t و k)، وأنّه قد يُكتب أيضاً صائت في آخر مقطع من الكلمة دون أن يكون ملفوظاً، نحو balāṭ التي قد تُكتب ba-la-ṭa بزيادة الصوت a في آخرها (بدلاً من ba-la-aṭ). ولمّا كان كلّ من الكتابة الأشوريّة والبابليّة قادراً تمام القدرة على تجنّب مثل هذا «الخلل» في الكتابة (بكتابة na-at-ku-lu و ba-la-aṭ) يستنتج Gelb أنّ هذا يجب أن يكون ناتجا عن أثر الكتابة الآراميّة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وأنّ هذه الكتابة مقطعيّة لا تستطيع التعبير عن الصامت بمعزل عن الصائت الذي يليه؛ ويستنتج بعد ذلك أنّ الكتابة الساميّة، بدليل الآراميّة، كتابة مقطعيّة.

وهناك احتجاج آخر لهذه النظريّة أضافه Gelb في مقالة له صدرت عام ١٩٥٨[١] ليدعم به نظريّته التي عرضها في كتابه المذكور سابقاً. وهذا الاحتجاج منتزع من الأبجديّة الأوجاريتيّة التي اكتُشفت عام ١٩٥٥ والتي يرد فيها إلى جانب الأشكال الأوجاريتيّة ما يقابل كلاً منها في الكتابة البابليّة[٢]. ولأنّ اللوح الذي كُتبت عليه الأبجديّة قد أصابه التلف في

---

(١) أنظر: *BO*, 15 (1958), pp. 6-7.

وانظر أيضاً: F. M. Cross and T. O. Lambdin,«A Ugaritic Abecedary and the Origins of the Proto-Canaanite Alphabet,» in *BASOR*, 160 (1960), pp. 21-6.

(٢) انظر: Cl. Shaeffer, *Le Palais royal d'Ugarit* (Paris, 1955-70), II, 201-3.

وسطه، لا يمكننا قراءة كلّ ما كُتب فيه، بل بقي منه ثلثه الأعلى وثلثه الأسفل وهذه عشرون شكلاً من أصل ثلاثين، وترتيبها على النحو التالي (ابتداء من ả وانتهاء بـ ś):

ả = a	[p] = [p] u [1]
b = be	ṣ = ṣa
g = ga	q = qu
ḫ = ḫa	r = ra
d = di	ṯ = s̀a
h = ú	ġ = ḫa
w = wa	ṭ = tu
z = zi	ỉ = i
ḥ = ku	ủ = u
ṭ = ṭi	ś = zu

إنّ أصحاب النظريّة المقطعيّة يرون في هذا النقش دليلاً على أنّ الأشكال الأوجاريتيّة، وبالتالي الأشكال الساميّة الغربيّة، تمثّل مقاطع. ولهم في هذا حجّتان: الأولى أنّ الأشكال البابليّة التي تقابل الأشكال الأوجاريتيّة هي مقاطع لا مجرّد صوامت، ولذلك يتعيّن أن تكون الأشكال الأوجاريتيّة كذلك. والحجّة الثانية هي أنه لو كانت الكتابة الأوجاريتيّة ألفبائيّة لكان المقابل البابليّ المقطعيّ مكوّناً في كلّ مرّة من الصامت متلوّاً بالصائت a وليس بأيّ صائت آخر (أي ba و da و za و qa، وليس be و di و zi و qu) لأنّ الصائت a هو الذي يرد في الشكل الأساسي للحرف في الحبشيّة وكذلك في أسماء كثير من الحروف العربيّة[2]: فاستعمال صوائت

---

(١) تدلّ المعقوفتان على أنّ القراءة غير أكيدة لعدم وضوح الشكل في النقش.

(٢) راجع ص ٧٤ - ٧٥.

مختلفة في الأشكال البابليّة دليل عندهم على أنّ الكتابة الأوجاريتيّة مقطعيّة.

هذه هي المعالم العامّة للنظريّة القائلة إنّ الكتابة الساميّة مقطعيّة لا ألفبائيّة[١]. والحقّ أنّ حجج Gelb التي يستند إليها القائلون بهذه النظريّة تبدو للوهلة الأولى متماسكة وغنيّة في تنوّعها بحيث قد يُظَنّ أنّها، مجتمعة، تحسم الجدل حول طبيعة الكتابة الساميّة بالبرهان على مقطعيّتها. غير أنّ الواقع عندنا عكس ذلك لأننا نرى أنّ القول بألفبائيّة الكتابة الساميّة أقرب إلى الصواب ولأنّ في الحجج التي يستند إليها القائلون بالمقطعيّة هنات وأوهاماً كثيرة يمكن تعقّبها ومناقشتها في بابين كبيرين: الحجج المتعلّقة بمراحل تطوّر الكتابة، والحجج المتعلّقة بطبيعة الكتابة الساميّة.

أوّلاً: مناقشة الحجج المتعلّقة بمراحل تطوّر الكتابة

لا بدّ للمناقشة من أن تقتصر في هذا القسم على «المرحلة الكتابيّة الحقيقيّة»، أي الكتابة الصوتيّة لأنّ المرحلتين الأولى والثانية ليستا من صميم الدراسة التاريخيّة للخطّ الساميّ. وأوّل ما يلاحَظ في معالجة Gelb الأطوار الثلاثة التي تنضوي تحت مرحلة الكتابة الصوتيّة أنّه يضع النظريّة أوّلاً ثم يحاول أن يجد لها المسوّغات حتّى ولو اضطره ذلك إلى تأويل الحقائق تأويلات مصطنعة وبعيدة.

---

(١) أهملنا في تصوير هذه المعالم حجّة واحدة وهي تلك التي تستند إلى طبيعة الكتابة الايبيريّة Iberian والكتابة الاتروسكانيّة Etruscan. وبما أنّ هاتين الكتابتين غير ساميّتين، وبما أن علاقتهما بالكتابة الساميّة تحتاج إلى دليل، لن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع، ونكتفي بالإحالة إلى مقالة Gelb في *BO* – وقد سبق ذكرها – وإلى الردّ على هذه المقالة في:

G. R. Driver, *Semitic Writing*. pp. 256-7.

والواقع أنّ الفصل بين الأطوار الثلاثة المتتالية التي يذكرها مسألة اعتباطيّة إذ إنه لا توجد معالم واضحة تميّز كل طور عن غيره. ولنأخذ الكتابة السومريّة مثلاً على اعتباطيّة هذا التقسيم، فهذه الكتابة مقطعيّة في معظمها، ولكنّ فيها إلى جانب الأشكال الدالّة على المقاطع عدداً من الأشكال التي تدل على الصائت لا على المقطع؛ ومثال ذلك الشكلُ الذي يرمز إلى كلمة ماء، وهي A في السومريّة، فهذا الشكل نفسه مستعمل في السومريّة للدلالة على الصائت a ؛ والشكل الذي يرمز إلى كلمة خندق، وهي E في السومريّة، مستعمل كذلك للدلالة على الصوت e . ولا يخفى أنّ استعمال السومريين بعض الأشكال الكتابيّة التي ترمز في الأصل إلى كلمة للدلالة على الصائت نفسه إنما هو خطوة هامّة في الطريق المؤدّية إلى الألفبائيّة؛ ولا يجوز لذلك أن نضع السومريّة في عداد الكتابات المقطعيّة الخالصة.

أما المصريّة فقد خطت خطى أوسع في اتجاه الألفبائيّة، وذلك بابتكار ما سمّيناه الألفباء الزائفة[١]. ورغم أنّ هذه الألفباء كانت محدودة الانتشار ومقتصرة على كتابة الأسماء الدخيلة والمحدِّدات الصوتيَّة، فإنّ مجرّد وجودها يتنافى وتقسيمَ الكتابة الصوتيّة إلى أطوار ثلاثة منفصلة. لقد توصّل المصريّون في ألفبائهم الزائفة هذه إلى تخطّي الفكرة المقطعيّة وتجريد الصوامت وتمثيلها في الكتابة، وهذه الخطوة هي الأساس التي تقوم عليه أيّة كتابة ألفبائيّة. وإن صحّت العلاقة التي بحثناها بين المصريّة والسينائيّة والفينيقيّة، فإن الطابع الألفبائيّ في السينائيّة والفينيقيّة مرتبط حُكماً بالألفباء المصريّة الزائفة، وإن يكن الفينيقيّون بعد ذلك قد خطوا خطوة واسعة باستعمال الألفباء استعمالاً مطّرداً لا أثر فيه للقيود التي في الكتابة

---

(١) راجع ص ٤٨.

المصريّة. كل هذا يضعّف التقسيم الذي ذكره Gelb وتبنّاه أصحاب النظريّة المقطعيّة.

ومن الغريب أن يعتبر Gelb وأنصاره الكتابة الساميّة مقطعيّة قبل أن توجد فيها مجموعة من الأشكال التي تعبّر عن الصوائت وحدها، وألفبائيّة بعد إضافة هذه المجموعة. وسبب هذا الموقف إصرارهم على أنّ الألفباء، في حدّها، يجب أن تعبّر عن الصوامت والصوائت على حدّ سواء. وجليّ أن هذا الإصرار ناشىء عن الفكرة الغربيّة للألفباء، وهي الفكرة التي لا تقبل إلا بالنمط اليونانيّ[1] الذي يضمّ أشكالاً تعبّر عن الصوامت وحدها وأشكالاً أخرى تعبّر عن الصوائت وحدها. وفي كلّ هذا إجحاف بحقّ الكتابة الساميّة التي تعبّر - حتّى في مرحلة ما قبل إضافة مجموعة الأشكال التي تمثّل الصوائت - عن الصوامت كلّها وعن الصوائت الطويلة[2]، وهي الضمة الطويلة (واو كتابةً) والفتحة الطويلة (ألف أو هاء كتابة) والكسرة الطويلة (ياء كتابة). إنّ عدم وجود علامات خاصّة للصوائت القصيرة في تلك المرحلة لا يقوم دليلاً على أنّ الكتابة الساميّة غير ألفبائيّة، ولا يمكن بحال أن يؤدّي إلى القول إنّ الأشكال التي تمثّل الصوامت إنما تمثّل مقاطع كاملة (أي صوامت بعدها صوائت). أمّا كون العلامات التي تُستعمل للصوائت الطويلة مستعملة للصوامت أيضاً[3] فأمر شكليّ محض ولا يوحي بأن الكتابة الساميّة لم تفرّق بين الصوامت والصوائت.

---

(١) أنظر الفصل السابع.

(٢) انظر ص ٣٢٣ وما بعدها.

(٣) الواو مثلاً تُستعمل في النقوش الآراميّة القديمة للصامت في w (-wa، حرف العطف: و) وللصائت الطويل ū في نحو (harīmū ومعناها رفعوا)؛ والياء تُستعمل للصامت في نحو yd (yaḏ، ومعناها يد) وللصائت الطويل في ky (kī، ومعناها لـِ، كَيْ)؛ قارن هذا بالعربية حيث تستعمل الواو مثلاً للصامت في «ولد» وللصائت الطويل في «أقوم»، والياء للصامت في «يرى» وللصائت الطويل في «أليم» وهكذا.

[library stamp with handwritten inscription]

وطالما أننا في صدد الكلام على العلامات التي استخدمتها الكتابة السامية في مرحلة متقدّمة للتعبير عن الصوائت الطويلة، يمكننا أن نذكر أنّ في هذه العلامات حجّة قويّة على القائلين بالمقطعيّة، وذلك أنّه لو كانت الكتابة الساميّة مقطعيّة لما كان ممكناً أصلاً استخدام هذه العلامات للصوائت الطويلة؛ فالشكل الذي يرمز في كتابة مقطعيّة إلى w ، مثلاً، يمكن أن يُقرأ بحسب الحاجة وبناءً على ما في الكتابة الأكديّة، قراءات مختلفة هي التالية:

wa, wi, wu, aw, iw, uw

هذا إذا استثينا مقاطع مشابهة لهذه، نحو

we, wo, ew, ow

وفي حالة وجود هذه الواو بين صامتين في كلمة، نحو qwm يصل عدد القراءات المحتملة باعتبار كل من q و w مقطعاً خمسا وعشرين قراءة - هذا طبعاً إذا استثينا الحركات النهائيّة- وذلك على النحو التالي:

qawam, qawim, qawum, qawem, qawom

qiwam, qiwim, qiwum, qiwem, qiwom

quwam, quwim. quwum, quwem, quwom

qewam, qewim, qewum, qewem, qewom

qowam.qowim, qowum, qowem, qowom

إنّ هذا التنوّع الكبير في القراءات المحتملة عند إعطاء الواو (ومثلها الياء والهاء والألف) قيمة صوتيّة مقطعيّة عندما تمثّل الصوامت يتنافى تنافياً كليّاً مع استعمال هذه العلامات نفسها للدلالة على الصوائت الطويلة. والصحيح أنّ الواو والياء والهاء والألف، ككلّ الأشكال الساميّة

الأخرى، ترمز إلى الصامت وحده لا إلى المقطع، الأمر الذي سهّل للساميين استخدامها للدلالة على الصائت وحده، أي للتعبير عن الأصوات ū و ī و ā على التوالي، وهذا لا ينشأ عنه أيّ تعقيد في الكتابة ناتج عن كثرة عدد القراءات المحتملة. ولو كان الأمر عكس ذلك، أي لو كانت الأشكال دالّة على المقاطع، لكانت الكتابة ضرباً من الألغاز لا ينتفع بها قارىء البتّة.

ثانياً: مناقشة الحجج المتعلّقة بطبيعة الكتابة الساميّة

إنّ كلّ حجة من الحجج التي يوردها أصحاب النظريّة المقطعيّة تحتمل الردّ أو التضعيف. ومن المستحسن أن تُدرس كل واحدة منها على حدة:

١ - الحجّة القائمة على استخدام بعض الكتابات الساميّة علامات خاصّة ترمز إلى عدم وجود الصائت:

إنّ هذه الحجّة غير مقنعة للأسباب التالية:

أ- أنّ السريان لم يستخدموا علامة خاصّة لهذا الغرض، أي أنّهم لم يضعوا أيّة علامة بعد الحرف الصامت الذي لا صائت بعده، إلا في مواضع معيّنة قد يتوهّم القارىء فيها وجود هذا الصائت وهو غير موجود[١]. وممّا يزيد أهميّةَ هذا الاعتراض أنّ السريان هم، على الأغلب، أوّل من وضع نظاماً كاملاً من العلامات الدالّة على الصوائت.

ب- أنّ الشوا العبريّة، وإن استُعملت للدلالة على عدم وجود الصائت في وسط الكلمة، لم تُستعمل لهذا الغرض في المواضع الأخرى: فهي في أوّل الكلمة تمثّل صائتاً قصيراً لأنّ الابتداء بساكن غير مقبول؛ أمّا في نهاية الكلمة فإنّ الشوا غير مستعملة أصلاً، فلو كانت تدلّ على غياب الصائت

---

(١) قارن ص ٣٤٠.

لوجب استعمالها في هذا الموضع أيضاً، بل لكان استعمالها فيه أولى من استعمالها في غيره لأنّ السكون يرد في أواخر الكلم في العبريّة أكثر مما يرد في المواضع الأخرى. أما ما ذكره Gelb عن اشتقاق كلمة « شوا » فغير ثابت[1] وذلك لأنّ معنى هذا الجذر في العبريّة غامض واستعماله قليل.

ج- أنّ إحداث علامة للسكون في العربيّة ناتج، على الأرجح، عن الطبيعة الصوتيّة لهذه اللغة. فقد تنبّه الواضع إلى أنّ الصامتين قد يلتقيان في وسط الكلمة، فأحدث علامة تنبّه على التسكين. ولو عبّرنا، على طريقة علم اللغة الحديث، عن الصامت بالرمز C وعن الصائت بالرمز V أمكن القول إنّ التوزيع الغالب على العربيّة هو CVCV و CVCCV[2]، فالأوّل نحو « هُوَ »، والثاني نحو « بَيْتُ » أو الجزء « مُقْتَـ » من « مُقْتَرِب ». فعلامة السكون تشير إلى عدم وجود صائت بين العنصرين الصامتين المتتاليين في CC من التركيبة CVCCV التي تقوم عليها العربيّة. ونضيف إلى ما سبق حجّة هامّة، وهي أنّ التسكين له دور أبعد من دوره « السلبيّ » هذا، إذ إنه يساعد على التفرقة بين القراءتين المتشابهتين كما في الفرق بين « عَيْن » و « عِين » فالسكون في الأولى كاف وحده لتحديد قراءة الكلمة على الوجه الأوّل. فإن يكن هذا سبباً من أسباب وضع علامة خاصة للتسكين، وجب أن يُستغنى به عن رأي Gelb الذي لا يرى فائدة وظفيّة في التسكين غير الناحية « السلبيّة »، أي عدم التحريك.

د- أنّ معنى « القطع » في كلمة « جزم » أو « حطيا » لا يدلّ على « قطع » صائت كان وجوده مفترضاً لو لم يُشَر إلى عكس ذلك، وإنّما يدلّ

---

(١) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 254.

(٢) انظر: Kh. Semaan, «A Linguistic View of the Development of the Arabic Writing System,» in *WZKM*, 61 (1967), p. 39.

على انتهاء المقطع وابتداء مقطع جديد؛ وإلاّ كيف لنا أن نفترض، إذا قبلنا برأي أصحاب المقطعيّة، أن العلماء العرب أو اليهود الذين وضعوا علامات خاصّة للصوائت كانوا على معرفة تامّة بأصل الخطّ العربيّ أو الخط العبريّ وبطبيعة المقطعيّة المزعومة حتى يستعملوا كلمة تدلّ على « قطع » الصائت المفترض وجوده في مرحلة وضع الخطّ الساميّ؟! إنّ معنى « القطع » إذاً لا بدّ أن يكون لغير ما يدّعيه أصحاب المقطعيّة، وأقرب التفسيرات أن يكون دالاً على انتهاء المقطع.

٢ - الحجّة القائمة على طبيعة الكتابة الحبشيّة:

لا يمكن التسليم بهذه الحجّة لأنّ أقدم النقوش الحبشيّة المعروفة مكتوبة بأحرف لا أثر فيها لعلامات خاصّة بالصوائت(١)، ولأنّ إضافة هذه العلامات قد يكون من أثر الكتابة الهنديّة(٢). والواقع أنّ في طبيعة الكتابة الحبشيّة واستخدامها هذه العلامات حجّة على أصحاب المقطعيّة لا لهم: فالأحباش إنّما استخدموا هذه العلامات التي جعلت كتابتهم مقطعيّة فعلاً بعد أن كانوا يكتبون نقوشهم بأحرف خالية منها، لأنّهم شعروا أنّ النظام الكتابيّ الذي أخذوه عن العرب الجنوبيين كان عاجزاً عن التعبير عن الصوائت، أي أنّه كان نظاماً ألفبائيّاً لا نظاماً مقطعيّاً. وفي هذه الحال يقوى عندنا اعتقاد كون الكتابة الساميّة الشماليّة كتابة ألفبائيّة لا مقطعيّة، بسبب العلاقة الواضحة التي تربط بين الكتابتين الجنوبيّة والشماليّة(٣). كل

---

(١) A. Dillmann and C. Bezold, *Ethiopic Grammar*, tr. A. Crichton (London, 1907), pp. 23-5.

(٢) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 255.

وقارن بـ: S. Segert, «Charakter des westsemitischen Alphabets,» in *AO*, 26 (1958), p. 245.

(٣) انظر الفصل الرابع.

هذا يُسقط حجّة أصحاب المقطعيّة، ويُسقط معه أيضاً تبريرهم لكون الشكل الأساسيّ في الكتابة الحبشيّة هو الشكل الذي يتكوّن من المقطع متلوّاً بالصائت a لا بغيره من الصوائت.

٣- الحجّة القائمة على الكتابتين الأشوريّة المتأخّرة والبابليّة المتأخّرة:

ليس في هذه الحجّة ما يُقنع، لأنّ ظاهرة إقحام صائت بين صامتين أو إضافته في آخر مقطع من الكلمة في الأشوريّة المتأخّرة والبابليّة المتأخّرة أصغر شأناً من أن تدعو إلى افتراض تأثير آراميّ في هاتين الكتابتين[١]. ولو كان هناك تأثير آراميّ فيها، لِمَ اقتصر على عدد من الكلمات ولم يظهر أثره في الكتابة كلّها؟ إنّ ما يدعوه Gelb « خللاً » في الكتابتين الأشوريّة المتأخّرة والبابليّة المتأخّرة ليس خللا بقدر ما هو تنويع في الكتابة عائد لشعور الكاتب بأنّ بإمكانه كتابة الكلمة الواحدة بطريقتين مختلفتين اختلافاً طفيفاً[٢]. نستنتج من هذا أنّ حجّة أصحاب المقطعيّة هذه ضعيفة جداً، وأنه لا يجوز الاستناد إليها دليلاً على أنّ الكتابة الآراميّة مقطعيّة، وبالتالي أنّ الكتابة الساميّة الشماليّة مقطعيّة أيضاً.

٤- الحجّة القائمة على الأبجديّة الاوجاريتيّة المكتشَفة عام ١٩٥٥:

يدّعي أصحاب النظريّة المقطعيّة أنّ كون الأشكال البابليّة التي تقابل الأشكال الأوجاريتيّة في هذه القائمة أشكالاً دالة على مقاطع يوجب اعتبار الأشكال الأوجاريتيّة دالّة على مقاطع كذلك. وهذه الحجّة ساقطة من أساسها لسبب بسيط جداً، وهو أنّ الكتابة البابليّة عاجزة عجزاً تامّاً عن

---

(١) قارن بـ: Segert, *Ibid.*, p. 245.

(٢) قارن هذا ببعض مظاهر الكتابة العربيّة كاستعمال كل من « مئة » و « مائة » و « إذا » و « إذن »، أو كالتفاوت في تمثيل الصوائت القصيرة وهمزات القطع في المكتوب أو المطبوع.

تمثيل الصوامت دون الصوائت أي أنّها لا تستطيع أن تمثّل إلا المقاطع[١]، ومؤدّى ذلك أنّ كون هذه الأشكال البابليّة المستعملة في هذه القائمة دالّة على مقاطع ليس إلا ناشئاً عن طبيعة هذه الكتابة، فهو شيء لم يكن لواضع هذه القائمة مفرّ منه.

ويقول أصحاب النظريّة المقطعيّة إنّ تنوّع الصوائت اللاحقة بالصوامت في الأشكال البابليّة في هذه القائمة وعدم اقتصار الكاتب على الصامت a لدليل على أنّ الكتابة الأوجاريتيّة مقطعيّة. وهذا قول مرفوض أيضاً لأنّ هناك أسباباً وجيهة دعت الكاتب إلى تنويع الصوائت في الأشكال البابليّة وعدم التزام الصائت a في كل حالة[٢] - هذا إذا جارينا أصحاب المقطعيّة في ادعائهم أنّ الصائت a هو الصائت الأساسيّ وأنّ الصوائت الأخرى فروع عليه. لقد استعمل الكاتب سبعة أشكال مكوّنة من صامت بعده a (وهي ga وḫa وḫa الأولى، وwa وṣa وra وša وḫa الثانية) وخمسة[٣] أشكال مكوّنة من صامت بعده u وهي ku وpu وqu وtu وzu) وثلاثة أشكال مكوّنة من صامت بعده i (وهي di وzi وṭi) وشكلاً واحداً مكوّناً من صامت بعد e (وهو be). إنّ هذا التنويع منطقيّ ويخضع لاعتبارات دقيقة. فاستعمال الشكل be، مثلاً، بدلاً من ba لتمثيل الصامت b يرجع إلى أنّ الشكل البابليّ للمقطع ba مستخدم أيضاً للمقطع pa، ولذلك لم يُرد كاتب هذه القائمة أن يستخدمه لتمثيل الصامت b منعاً للالتباس بين b وp[٤]، وفضّل استخدام be التي لا يمكن أن يكون لها قيمة صوتيّة غير be،

---

(١) وهذه على نوعين في الكتابة البابليّة: مقطع مكوّن من صامت بعده صائت، ومقطع مكوّن من صائت بعده صامت.

(٢) انظر ردّ Driver على Gelb في: *Semitic Writing*, p. 264.

(٣) هذا باستثناء الشكل الذي يقابل h في الأوجاريتيّة، وقد يكون صائتاً لا مقطعاً.

(٤) وكذلك لم يستعمل bi لتمثيل الصامت p لأن bi تُستعمل أحياناً لتمثيل pi.

وهي لذلك أصلح من ba للدلالة على b. وهذا أيضاً يفسّر استخدام pu لتمثيل الصامت p لأنّ pa قد تلتبس بالمقطع ba. وعلى هذا المنوال لم يستعمل الكاتب ta و da و ṭa لتمثيل الصوامت t و d و ṭ على التوالي، بل استعمل tu و di و ṭi، وذلك لأنّ كلاً من هذه الأشكال متميّز عن صاحبيه ولا يمكن أن يلتبس به، في حين أن ta و da و ṭa قد تتبادل. ومن جهة أخرى يلاحظ أنّ الكاتب استعمل zi لتمثيل الصامت z، و zu لتمثيل الصامت ś، و ṣa لتمثيل الصامت ṣ، والسبب انما هو الالتباس الذي كان يحصل لو استعمل الكاتب الفتحة في الحالات الثلاث هذه لأنّ أشكال هذه الأحرف تتبادل عندما تكون منتهية بالفتحة.

لعلّ في النقاط السابقة ما يدلّ على أنّ الحجج التي يحتجّ بها Gelb وأصحاب النظريّة المقطعيّة حجج واهية لا يمكن قبولها أو الاستناد إليها في إصدار الأحكام على تاريخ الكتابة الساميّة. والثابت بعد هذا أنّ الكتابة الساميّة (الشماليّة الغربيّة، أي الفينيقيّة) كتابة ألفبائيّة لا مقطعيّة[1]، وأنّ هذا يؤكّد القرابة بين هذه الكتابة وبين الألفباء الزائفة في المصريّة والألفباء السينائيّة، ومن جهة أخرى يؤكّد عدم وجود علاقة عضويّة بين الكتابة الساميّة الشماليّة وبين الكتابة الأكديّة. والواقع أنّ من السهل تبرير كون الألفباء الساميّة ألفبائيّة بالنظر إلى طبيعة اللغات الساميّة بشكل عام، فهذه اللغات تعبّر عن الفكرة العامّة في الكلمة بواسطة الصوامت، في حين تستخدم الصوائت للتعبير عن ظلال خاصّة في المعنى. وبيان ذلك أنّ «الجذر» ك ت ب √ في العربية مثلاً، وإن كان لا وجود فعلياً له خارج كلمة معيّنة، يعبّر عن فكرة عامّة سواءٌ أجاء في قولنا كاتب أم في قولنا مكتوب أم كتاب أم كتبَ أم كُتِبَ الخ، في حين أنّ الظلال المعنويّة

(١) ربّما باستثناء استخدام الأوجاريتيّة لثلاثة أشكال مختلفة في كتابة الألف، انظر ص٩٤.

المتفرّعة عن هذا المعنى الخاصّ ناشئة غالباً[1] عن تغيير الصوائت، كالتغيير الحاصل في تحويل المعلوم « كتبَ » إلى المجهول « كُتِبَ ». إنّ هذا الفرق بين صفة الثبوت في الصوامت وصفة التقلّب في الصوائت هو الذي أملى طبيعة الكتابة الساميّة[2] التي جاءت تعبّر عن العنصر الأكثر ثبوتاً، وهو الصوامت، مهملةً العنصر الأكثر تقلباً، وهو الصوائت. وعنصر الصوائت هذا أُضيف إلى عدد من الكتابات الساميّة في مراحل لاحقة فأُدخلت العلامات الخاصّة بالمدّ الطويل ثم اعقبتها العلامات الخاصّة بالمدّ القصير، كما سنرى في فصل لاحق[3].

---

(١) قد تسهم الصوامت في هذا المعنى بإضافة السوابق (كميم مفعول) أو المقحَمات (كتاء افتعل) أو اللواحق (كنون التنكير).

(٢) والأمر نفسه يصحّ في الألفباء المصريّة الزائفة، وذلك أنّ المصريّة لغة ساميّة في بعض خصائصها، وحاميّة في خصائص أخرى، ومن خصائصها الساميّة - اذا أجزنا لأنفسنا التعميم - ثبوت الصوامت وتقلّب الصوائت.

(٣) انظر الفصل العاشر.

الفصل الثالث

الكتابة الأوجاريتيّة أو الألفباء المسماريّة

للكتابة الأوجاريتيّة[1] موقع فريد بين الكتابات الساميّة لأنّها ألفباء مكتوبة بأشكال مسماريّة، فهي بذلك تشبه الكتابة الشماليّة الغربيّة في كونها ألفباء[2]، وتشبه الكتابة الأكديّة في كونها مسماريّة. وطبَعيّ أن تتعدد النظريّات المتعلّقة بأصل هذه الألفباء، وهذا ما سنعرض له بعد الكلام على اكتشاف النقوش الأوجاريتيّة وفكّ رموزها.

اكتشاف النقوش الأوجاريتيّة وفكّ رموزها

في آذار سنة ١٩٢٨، وفي رأس شمرا (أوجاريت قديماً) الواقعة شمال اللاذقيّة، اكتشف مزارع كان يحرث حقله قبراً تحت الأرض، وطلبت السلطات الفرنسيّة التي كانت في بيروت إلى Charles Virolleaud، مدير بعثة الآثار الفرنسيّة في سوريا ولبنان، أن يتوجّه إلى مكان الاكتشاف. وقد استُدعي بعد ذلك العالم الفرنسيّ المعروف Maurice Dunand الذي أكّد أنّ الأواني المكتشفة قبرصيّة ومسّينيّة Mycenaean وأنّها ترجع إلى القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. وكان هذا الاكتشاف حافزاً

---

(١) نكتب هذا الاسم بالجيم العربيّة لأن الحرف المستعمل في كتابته في الأصل هو g، ومقابله في العربية ج (جيم مصرية لفظاً)؛ وليس يُكتب الاسم بالحرف ġ (غ) فنكتبَه «الأوغاريتيّة».

(٢) اعتماداً على نتائج الفصل السابق.

لاكتشافات أخرى أكبر منه، إذ إنّ Dunand أقنع حكومته بإرسال بعثة استكشافيّة لتلك المنطقة، وتمّ فعلاً إرسال هذه البعثة عام ١٩٢٩ بإدارة C.F.A.Schaeffer و G.Chent. وكان أهمَّ ما عثرت عليه هذه البعثة عددٌ من الألواح الطينيّة مكتوب عليها بخطّ مسماريّ لم يكن معروفا من قبل، خطّ منسيّ منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وفي السنة التالية اكتُشف عدد أكبر من هذه الألواح فيما يُعتقد أنّه أوجاريت القديمة أو مدرسة الكتبة فيها. ولعلّ اكتشافات أوجاريت أعظم إنجاز في علم الآثار في هذا القرن (أو على الأقل، قبل اكتشاف إبلا) لما له من أثر بارز في الدراسات التاريخيّة والدينيّة واللغويّة والكتابيّة في حضارة الشرق الأدنى القديمة.

أمّا عمليّة فكّ الرموز الأوجاريتيّة فقد تكون الأسرع بين مثيلاتها. وقد قام بهذه العمليّة ثلاثة علماء، كلٌّ يعمل على حدة، وهم الألمانيّ H. Bauer والفرنسيّان E. Dhorme و Ch. Virolleaud. وسنذكر هنا المراحل التي مرّ بها Bauer في فكّ الرموز الأوجاريتيّة، كما شرحها بنفسه[١].

انطلق Bauer في مهمّته من افتراضين رئيسين، أوّلهما أنّ الكتابة الأوجاريتيّة ألفبائيّة، وذلك أنّ عدد أشكالها[٢] يوحي بنظام ألفبائيّ لا مقطعيّ. أمّا الافتراض الثاني فهو أنّ لغة هذه النقوش ساميّة. واستطاع

(١) *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Schamra* (Halle, 1930).

وانظر أيضاً كتابه:

Das Alphabet von Ras Schamra: seine Entzifferung und sein Gestalt (Halle,1932).

وكتاب R. Dussaud:

Les découvertes de Ras Shamra (Ugarit) et l'Ancien Testament (Paris, 1941).

والفصل السادس من كتاب C. H. Gordon:

Forgotten Scripts: The Story of their Decipherment (Gt. Britain, 1968).

(٢) وهو سبعة وعشرون كانت معروفة في النقوش المكتشفة عام ١٩٢٩ والتي اعتمدها Bauer في مهمّته قبل أن تظهر في نقوش السنوات اللاحقة ثلاثة أشكال أخرى.

Bauer انطلاقاً من هذين الافتراضين أن يفكّ الرموز الأوجاريتيّة فكّاً شبه كليّ، وذلك في السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٣٠، أي بعد أيّام قلائل من الشروع في مهمّته. والطريق التي اتّبعها في تطبيق الافتراضين المذكورين تتلخّص في تحديد السوابق prefixes واللواحق suffixes والأدوات الأُحاديّة، وذلك أنّ الأوجاريتيّين كانوا يستعملون فاصلة بين الكلمات (على شكل مسمار عموديّ 𐎟) الأمر الذي سهّل مهمّة Bauer في البحث عن السوابق واللواحق خاصّةً لأنّ الأولى ترد بعد الفاصلة مباشرةً بينما ترد الثانية قبل الفاصلة مباشرة[١]. ووضع Bauer جداول بالسوابق واللواحق والأدوات الأُحادية الساميّة على الوجه التالي:

السوابق	اللواحق	الأدوات الأُحاديّة
'	h	l
j	k	m
m	m	b
n	n	k
t	t	w
b	w	
h	j	
k		
l		
w		

(١) أما «الأدوات» الأُحاديَّة وهي، اذا شئنا استعمال المصطلح العربيّ، لام الجرّ، وميم الجرّ (المختصرة من «مِنْ»)، وباء الجرّ، وكاف التشبيه، وواو العطف فكان الكتبة يضعونها مع الكلمة التي تسبقها دون فاصلة بينها، وتأتي بذلك الفاصلة بين الأداة وبين الكلمة التي تليها. ولهذا أخطأ Bauer من ناحية نظريّة لأنّه خلط بين هذه الأدوات وبين اللواحق، وإن لم يكن لهذا أثر سيّء في نتائجه عامةً؛ انظر:
Doblhofer, *Voices in Stone*, p. 211.

بعد وضع هذا الجدول درس Bauer نسبة ورود هذه الحروف فوجد أنّ شكلين اثنين يتكرّران أكثر من غيرهما، وفي الأنواع الثلاثة التي صنّف. ولمّا كان هناك ثلاثة أحرف هي k و m و w ترد في كلّ نوع، كان لا بدّ من أن يكون الشكلان الكثير ورودهما من الثلاثة المذكورة. وبما أن k قليلة الورود قياساً على m و w استنتج Bauer، وبحقّ، أن الشكلين هما m و w، وإن كان لم يصل إلى التمييز بينهما.

بعد ذلك توصّل عالمنا إلى معرفة الشكل الذي يدلّ على الحرف l؛ فقد كان Virolleaud قد لاحظ أنّ مجموعة من ستّة أشكال متلاحقة ترد أكثر من مرّة (أي أنّ المجموعة كلمة قائمة بذاتها، وبالتحديد اسم علم كما قال) وأنّها ترد على عدد من الفؤوس البرونزيّة في مطلع النص مسبوقة بشكل واحد يرجّح أنه يدل لغةً على الملكيّة، أي أنّ النصّ المكتوب على الفأس يحدّد صاحبه بحرف الملكيّة متبوعاً باسم العلم. ولم يدع Bauer هذه الملاحظة تفوته إذ افترض، وبحقّ أيضاً، أنّ الشكل الذي يسبق مجموعة الأشكال الستة هو l الدالّة على الملكيّة في كثير من اللغات الساميّة.

أمّا المرحلة التالية فكانت، منطقيّاً، البحث عن كلمة mlk (ملك) لأنّ فيها الميم التي حصر عالمنا الاحتمالات التي تنطبق عليها باثنتين، الميم والباء، ولأنّ فيها اللام التي افترض ورودها كما مرّ. وكان البحث موفّقاً، فقد وجد كلمة من ثلاثة أحرف أوّلها إمّا الميم أو الباء (نظرياً طبعاً) وثانيها اللام، والثالث مجهول افترض Bauer كونه كافاً. ولكنّ هذا لم يتأكّد إلا عندما وردت الكلمة نفسها في موضع آخر ملحوقة بشكل هو الشكل نفسه الذي افترض Bauer أنّه كاف، أي أنّ الكلمة هي mlkk (ملكك) المكوّنة من الاسم وضمير المتكلّم.

ثم توالى تحديد الرموز، فبعد أن تأكّد عالمنا من أشكال الأحرف m و l

و k و b[١] بحث عن النون فوجدها لأنّها ترد مع الباء في كلمة bn (ابن) الكثير ورودها . وبعد ذلك عُرفت العين لأنّ كلمة bʿl (بعل) ترد بكثرة في هذه النصوص ، وهكذا إلى أن بلغ عدد الحروف المقروءة سبعة عشر حرفاً . وقرأ Dhorme و Virolleaud عدداً آخر من الحروف بحيث أصبحت الرموز الأوجاريتيّة مقروءة قراءة نهائية[٢] ، وذلك على النحو الذي يظهر في الرسم ٢١ .

ả	ḥ	ś
ỉ	ḫ	ʿ
ủ	ṭ	ġ
b	ẓ	p
g	y	ṣ
d	k	q
ḏ / ž	l	r
h	m	š
w	n	t
z	s	ṯ

الرسم ٢١ : الألفباء الأوجاريتيّة

(١) تمّت معرفة الباء تلقائيّاً بعد معرفة الميم لأنّه كان ميّزها عن سائر الحروف لكثرة ورودها (راجع ما سبق) .

(٢) بعد أن انتهت عمليّة فكّ رموز الأوجاريتيّة ، ظهر في عام ١٩٥٥ نقش أوجاريتيّ مرتّبة فيه الحروف ترتيباً ابجدياً ، وبجانب كلّ حرف ما يقابله في البابليّة (انظر ص ٧٧ وص ٢٩٠) . ولو أنّ هذا النقش ظهر عام ١٩٢٩ لكان أغنى عن الجهود الذي بُذل في فكّ الرموز الأوجاريتيّة .

ويزيد عدد الأشكال في الألفباء الأوجاريتيّة عن عدد الأشكال في الألفباء الفينيقيّة، أي التي اصطلحنا على تسميتها ساميّة، ففي الأوجاريتيّة ثلاثون شكلاً، أي بزيادة ثمانية أشكال هي الأحرف ẖ(١) وš̌(٢) وž(٣) وẓ(٤) وġ(٥) وỉ(٦) وủ(٧) وs(٨). وأهمّ ما في هذه الزيادة الشكلان ỉ وủ، ففي الأوجاريتيّة ثلاثة أشكال مختلفة للألف (أي الهمزة) هي ả و ỉ و ủ، بينما يوجد في الألفباء الساميّة شكل واحد لها بغضّ النظر عن الصائت الذي يليها. إنّ وجود هذه الأشكال الثلاثة لمظهر من مظاهر الكتابة المقطعيّة، لا الكتابة الألفبائيّة التي تلتزمها الأوجاريتية فيما عدا الألف. وقد أوحى هذا الأمر إلى Bauer بأنّ الكتابة الألفبائيّة الأوجاريتيّة صُمِّمت في الأصل لكتابة لغة غير ساميّة (ولعلها الحوريّة، أي لغة الحوريّين Hurrian) لا وجود فيها للهمزة، بل يوجد فيها مقاطع تبدأ بـ a و i وu (بلا همزة) جعلها الأوجاريتيّون عندما كتبوا لغتهم الساميّة همزات تليها الحركات، أي ả و ỉ و ủ(٩). إن هذا التفسير ممكن، ولكنّ إثباته إثباتاً قاطعاً يحتاج إلى دليل نفتقر إليه فيما بين أيدينا من نصوص.

---

(١) في الفينيقيّة والعبريّة اندمج هذا الحرف بالحرف ḥ.

(٢) هذا الحرف موجود في الفينيقيّة والعبريّة طبعاً، ولكنّه فيهما ṯ في الأصل. أما في الأوجاريتيّة فهذا الحرف يختلف عن الحرف ṯ الموجود فيهما أيضاً؛ وللإيضاح انظر ح ٢ ص ٢٩٠ وص ٢٩٤.

(٣) في الفينيقيّة والعبريّة اندمج هذا الحرف بالحرف z.

(٤) في الفينيقيّة والعبريّة اندمج هذا الحرف بالحرف ṣ.

(٥) في الفينيقيّة والعبريّة اندمج هذا الحرف بالحرف ʿ.

(٦) أي همزة تليها كسرة؛ وتُكتب الحركة مع الحرف للدلالة على أنّها متّحدة معه في الشكل.

(٧) أي همزة تليها ضمة.

(٨) هذا حرف صفير لا يكاد يُستعمل في غير الكلمات الدخيلة.

(٩) انظر: *Das Alphabet von Ras Schamra*, pp. 34.

وقارن بـ: C. H. Gordon, *Ugaritic Textbook* (Roma, 1965), p. 18.

أصل الكتابة الأوجاريتيّة

تتعدّد النظريّات المتعلّقة بأصل الكتابة الأوجاريتيّة لكونها مسماريّة وألفبائيّة في آن واحد. وفي عام ١٩٣١ قام M. Sprengling و A. T. Olmstead بمقارنة الأشكال الأوجاريتيّة بالأشكال الفينيقيّة والأشكال الساميّة الجنوبيّة، واستنتجا أنّ هذه جميعاً تطوّرت، كلاً على حدة، من أصل واحد هو الألفباء السينائيّة[١]. وفي عام ١٩٣٤ حاول E. Ebeling إرجاع الكتابة الأوجاريتيّة إلى أصل مسماريّ أكديّ[٢]. وفي السنة نفسها كتب J. G. Février بحثاً قارن فيه هذه بالكتابة الساميّة الجنوبيّة[٣]، دون

أكدي	أوجاريتي	أكدي	أوجاريتي
a	ả	ma	m
e	i̓	na	n
u	ủ	ša	s
bi	b	se	ś
gi	g	ḫa	ʿ
da	d	pa	p
ḫe	h	ṣa	ṣ
wa	w	ṣu	ẓ
za	z	qa	q
ḫa	ḥ / ḫ	ra	r
ṭi	ṭ	ša	š
ya	y	ti	t
ka	k	qa	ġ
lu	l		

الرسم ٢٢
مقارنة الأشكال
الأكديّة والأوجاريتيّة

---

(١) *The Alphabet: Its Rise and Development*... pp. 54 ff.

(٢) انظر: *Forschungen und Fortschritte*, X (1934), pp. 193-5

(٣) انظر: *RES*, 2 (1934), pp. xiii-xvi.

أن يطّلع على ما كتبه Sprengling و Olmstead . أمّا T. H. Gaster فقد رأى في بحث له نُشر عام ١٩٣٥ أنّ أصل الكتابة الأوجاريتيّة هو السينائيّة وبذلك اتفق في الرأي مع Sprengling و Olmstead[١] . ولعلنا نستطيع أن ننفذ من خلال هذا التضارب[٢] إلى استنتاج مخالف لهذه النظريّات جميعاً ، نذكره بعد شرح هذه النظريّات وتقويمها .

قد تكون النظريّة الأكديّة أضعف النظريّات المذكورة ، ولذلك يحسن تجريحها وردّها قبل غيرها . وإذا ما نظرنا إلى الرسم ٢٢ لوجدنا أنّ بعض الأشكال الأكديّة والأوجاريتيّة متطابق كما في g و gi وأنّ بعضها متشابه إلى حدّ بعيد كما في ṭ و ṭi وṣ و ṣa . ولكنّ هذا التطابق والتشابه لا يعود إلى علاقة جوهريّة بين الكتابتين ، والدليل على ذلك أنّ الكتابة الأكديّة مقطعيّة في حين أنّ الكتابة الأوجاريتيّة ألفبائيّة. والدليل الآخر أنّ الأشكال الأكديّة التي يقارنها Ebeling بالأشكال الأوجاريتيّة مأخوذة من مراحل متفاوتة جداً ، فبعضها من البابليّة القديمة (نحو ka و ti)وبعضها من البابليّة المحدَثة (نحو ẖe) وبعضها من الأشوريّة المحدثة (نحو da و ẖa)[٣] . ومن الدلائل على عدم صحّة هذه النظريّة أنّ أصحابها يختارون ما يناسبهم دون غيره ، كأن يذكروا الشكل الأكديّ za لأنّه يناسب شكل الحرف z في الأوجاريتيّة ، دون أن يذكروا الشكل zi مثلاً ، وهو طبعاً بعيد شكلا عن الحرف z الأوجاريتيّ . يضاف إلى ذلك أنّ نقل بعض الأشكال الأكديّة التي ترد في هذه النظريّة غير أمين ، أي أنّ هذه الأشكال قد تأتي معدّلة في القائمة لتناسب غرض المقارنة[٤] . إن جميع هذه الحجج تُسقط النظريّة الأكديّة بما لا يقبل الجدل .

---

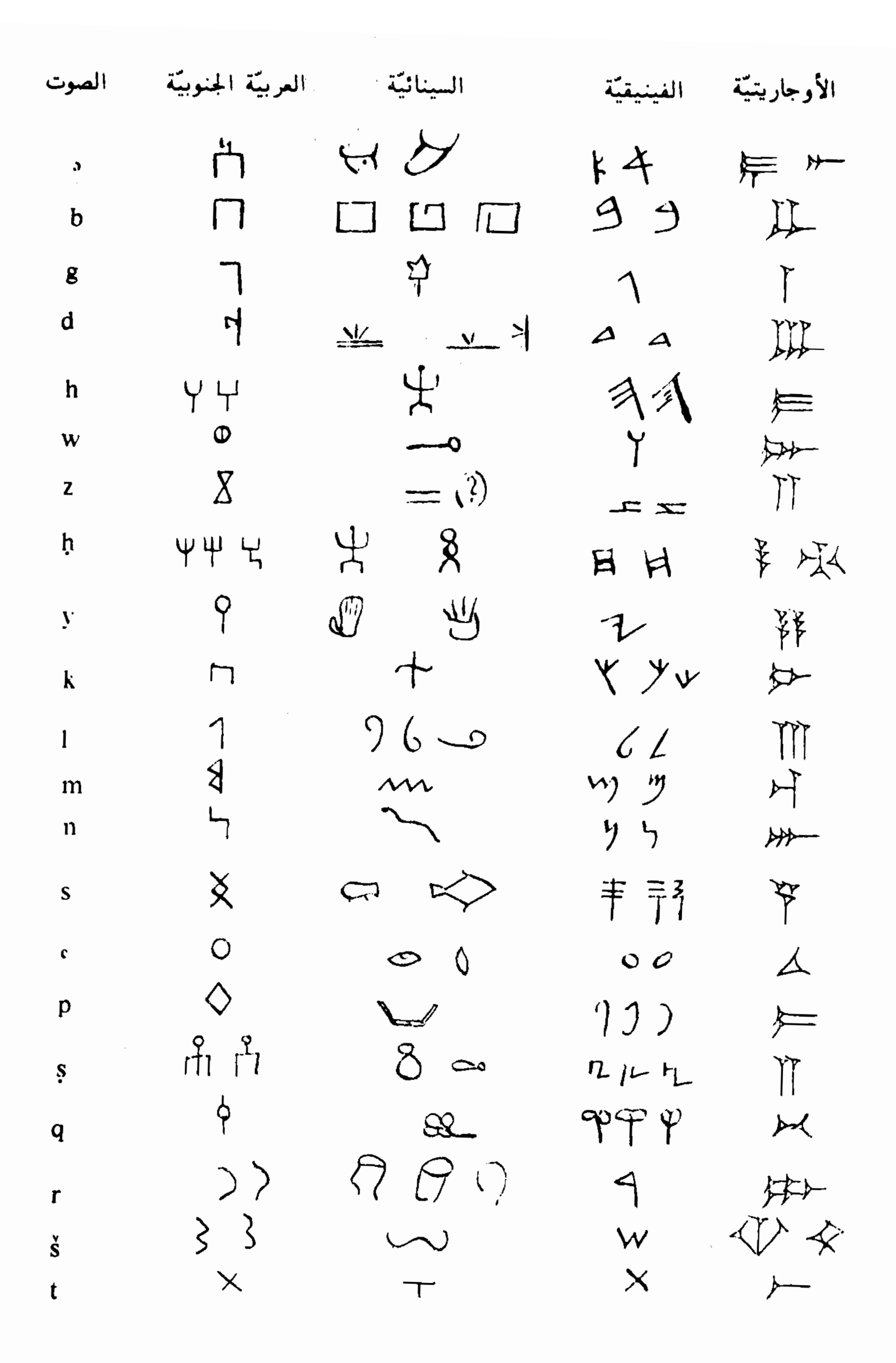
(١) «The Chronology of Palestinian Epigraphy,» in *PQS* (1935-6), pp. 128 ff.

(٢) لمزيد من الشرح حول النظريات المختلفة انظر:

E. Burrows, «The Origin of the Ras Shamra Alphabet,» in *JRAS* (1936), pp. 271-7.

(٣) قارن: Driver, *Semitic Writing*, p. 148.

(٤) *Ibid.*, p. 149.



الرسم ٢٣

نظريّة Sprengling في مقارنة الأشكال الأوجاريتيّة والفينيقيّة والسينائيّة والعربيّة الجنوبيّة

أمّا النظريّة السينائيّة والنظريّة الساميّة الجنوبيّة[1] فيمكن أن يُدرجا في مبحث واحد ورسم مشترك[2] (الرسم ٢٣).

لقد حاول Olmstead[3] أن يقارن كلّ شكل في الأوجاريتيّة (إلا شكل الحرف ṭ الذي كان يجهله) بشكل من الأشكال السينائيّة. والحقّ أنه تبدو مظاهر عامّة من الشبه في بعض الأحرف، كشكل الحرفين g و š في كل من الكتابتين، وإن كان الاختلاف في التفاصيل أمراً محتّماً لأن الكتابة المسماريّة تعجز عن رسم الدوائر والخطوط المتعرّجة. وليس المهم على أيّة حال وجود بعض مظاهر الشبه العامّة بين الأوجاريتيّة من جهة والسينائيّة أو الساميّة الجنوبيّة من جهة أخرى، فالحقّ أنّ معظم الأشكال في الجدول أعلاه لا تنمّ عن أدنى تشابه في هذه الأنظمة الكتابيّة، حتّى ولو حاول Olmstead التلطّف والتأويل لإقناعنا بوجود التشابه في معظم الحالات. ومن الأمثلة الكثيرة التي يحتال Olmstead لوجود مخارج في تفسيرها الحرف l إذ يرى في شكله الأوجاريتيّ محاولة لتقليد شكله الأعقف في السينائيّة دون أن يبيّن لنا السبب في وجود ثلاثة أسافين عموديّة في الشكل الأوجاريتيّ. ولعلّ تفسير Olmstead للحرف m مثال آخر لبعد التأويل، فهو يرى في شكله الأوجاريتيّ شبهاً بشكله السينائيّ ويعتبر أنّ كلا الأسفينين العموديّ والأفقيّ يمثّل تموّجات الماء التي تظهر في الشكل السينائيّ. وتطول المناقشة لو تعقّبنا كل تفسير جاء به المؤلّف، فنكتفي لذلك بالإحالة إلى تفسير Olmstead أشكال الأحرف ʾ و d و z و k و n و p و r

(١) لا بدّ من القول إنّ الكتابة السينائيّة والكتابة الساميّة الجنوبيّة متقاربتان بطبيعة الحال لأن الكتابة الساميّة الجنوبيّة مشتقّة من الفينيقيّة، والفينيقيّة نفسها مرتبطة بشكل واضح بالكتابة السينائيّة كما مر في الفصل الأوّل. قارن بـ:

Gaster, «The Chronology...», p. 136.

(٢) انظر الجدول في Sprengling, p. 55، وقارن بجدول Driver, p. 150.

(٣) مقالته في كتاب Sprengling نفسه.

حيث يتجلّى خياله البعيد وغير المقنع أحسن تجل.

هذا من ناحية الشبه أو الاختلاف الشكليّ بين الحروف الأوجاريتيّة من جهة والحروف السينائيّة والساميّة الجنوبيّة من جهة أخرى. أمّا النواحي الأخرى فليس نصيبها من الصحّة في النظريّة السينائيّة والساميّة الجنوبيّة بأحسن من نصيب الناحية الشكليّة. من ذلك أنّ اتّجاه الكتابة في الأوجاريتيّة هو من اليسار إلى اليمين في الكثير الغالب، أي أنّه كاتّجاه الكتابة المساريّة الأكديّة- وقد مرّ أن لا علاقة وضعيّة بين الكتابتين- وعلى خلاف اتّجاه الكتابة الفينيقيّة والساميّة الجنوبيّة. ومن ناحية أخرى تعجز النظريّة السينائيّة والساميّة الجنوبيّة عن تقديم تعليل مقنع لوجود ثلاث ألفات في الكتابة الأوجاريتيّة. كل هذا يؤكّد أنّ مظاهر الشبه التي تلاحظ في قليل جداً من الأحرف الأوجاريتيّة والسينائيّة والساميّة الجنوبيّة والتي لا تعدو أن تكون مظاهر عامّة غير دقيقة وغير

الصوت	الأوجاريتيّة	الفينيقيّة
g	𐎂	𐤂
h	𐎅	𐤄
ś	𐎝	𐤎
š	𐎌	𐤔
ʿ	𐎓	𐤏

الرسم ٢٤
التشابه بين بعض الأشكال الأوجاريتيّة والفينيقيّة

واضحة، إنما هي من قبيل المصادفة التي يسهّل حدوثها أنّ الأشكال التي يمكن الحصول عليها في الكتابة المسماريّة خاصّةً عددها قليل لأنّها تلتزم الخطّ المستقيم، وهذا يقوّي احتمال حصول الشبه العارض بينها وبين أيّة كتابة أخرى. ومعنى ذلك أنّنا لو وجدنا عدداً قليلاً من الأشكال الأوجاريتيّة على شبه بعيد بأشكال كتابة أخرى فليس لنا أن نقرّر أن هناك علاقة أصليّة بين الكتابتين. فمن الممكن مثلاً أن يلاحظ الدارس الشبه القائم بين بعض الأشكال الأوجاريتيّة وما يقابلها من الأشكال الفينيقيّة كما يُظهر الرسم ٢٤؛ ولكنّ هذا لا يقوم دليلاً على علاقة أصليّة بين الكتابتين الأوجاريتيّة والفينيقيّة. ولمثل الأسباب التي سبق ذكرها لا نطمئن إلى المقارنة التي يقيمها Stieglitz بين الأشكال الأوجاريتيّة المسماريّة والأشكال الساميّة الشماليّة غير المسماريّة (ويذكر الفينيقيّة خاصّة) لأنّه لم يستطع أن يبرهن رجوع الشبه إلى غير المصادفة، على جهده في هذا[1]؛ وهو يرمي إلى القول بأنّ الألفباء الأوجاريتيّة المسماريّة والألفباء الساميّة الشماليّة غير المسماريّة متفرّعتان عن أصل واحد.

إن النظريّات التي ناقشناها لا يمكنها أن تفسّر الظاهرة الألفبائيّة المسماريّة في أوجاريت لأنّها تهمل أحد اثنين: فإما تهمل كون هذه الكتابة ألفبائيّة وتحاول ربطها بكتابة مقطعيّة، وإما تهمل كونها مسماريّة فتحاول ربطها بكتابة غير مسماريّة. فالغاية المرجوّة وجود نظريّة لا تهمل أيّاً من هذين الأمرين، وهذا لا يتحقّق إلا في حالة واحدة: أن تكون الكتابة الأوجاريتيّة عمل إنسان بعينه[2] احتذى حذو الكتابة المصريّة أو

---

(١) «The Ugaritic Cuneiform and Canaanite Linear Alphabets,» in *JNES*, 30 (1971), pp. 135-9.

(٢) هذا طبعاً لا يعني مطلقاً أنّ مثل هذا الإنسان عمل وحده على وضع هذه الكتابة بتفاصيلها جميعاً؛ فالمقصود بهذا أنّ الفكرة الأساسيّة في وضع كتابة ألفبائيّة مسماريّة فكرة إنسان واحد استقى من مصدرين، ولا يمنع هذا وجود من أضاف بعض الأشكال أو عدّلها أو حذفها.. الخ.

السينائيّة أو الساميّة الشماليّة الأمّ في كونها ألفبائيّة، ولكنّه فضّل أن يعبّر عن الفكرة الألفبائيّة بأشكال مسماريّة ربما لأنّه كان يجيد استعمال أدواتها في كتابة لغة أخرى، أو لأنّه رأى أنّ الألواح الطينيّة أصلب وأقوى على الزمن من الأوراق والجلود وما شابهها. وليس مستغربا في أوجاريت وجود مثل هذا الإنسان الذي يعرف ما الألفباء ويعرف الكتابة المسماريّة في وقت واحد، وذلك لأنّ مكتشفات « رأس شمرا » و « مينة البيضا » تنمّ عن تأثير مصريّ وحِثّيّ وسوريّ وأكديّ وكريتيّ وقبرصيّ[1]، فالمنطقة كانت ملتقى الحضارات القديمة، وتأثُّر واحد من الناس بأكثر من وجه واحد من حضارات مختلفة، وبطريقة اختيار المناسب وإهمال غيره، ليس مستهجناً في مثل هذه الحال.

ومن المشكلات التي يحلّها هذا القول بالطريقة الاختياريّة المتعدّدة الأطراف وجود الألفات الثلاث. فقد يكون واضع هذه الكتابة متأثّراً بنظام كتابيّ مقطعيّ، كالكتابة الحوريّة كما يرى Bauer[2]، ولذلك جعل أحرفها الصائتة همزات في النظام الجديد، دون أن يتخلّى عن النمط الألفبائيّ فيما عدا ذلك من الحروف. ومن الممكن، من جهة أخرى، أن يكون الواضع (أو من أدخل تحسينات لاحقة) قد ميّز بين هذه الهمزات بطريقة فطريّة دون أن يحتذي نموذجاً معروفاً؛ أي أنّه حاول التعبير عن

= ونذكر هنا أنّ Diringer (انظر: *The Alphabet*, I, 150) بعد أن عزا وضع الكتابة الأوجاريتيّة إلى إنسان بعينه، لم يستبعد أن يكون الكهّان هم الذين انشأوا هذه الكتابة إذ لعلّهم رأوا مناسبة بين النصوص الدينيّة والحروف المسماريّة أكثر من المناسبة بين هذه النصوص والحروف الأخرى المعروفة؛ قارن هذا بالهيروغليفية التي ظلّ الكهّان المصريّون يستعملونها رغم وجود كتابة للعامّة هي الديموطيّة.

(١) انظر: Doblhofer, *Voices in Stone*, p. 205.

(٢) راجع ص ٩٤.

الصامت المتلوّ بصائت (الهمزة متلوّة بفتحة أو كسرة أو ضمّة) ولكنّه قصر المحاولة على صوت واحد لسبب نجهله.

إنّ التفسيرين المذكورين لوجود الألفات الثلاث ممكنان وإن كانا غير مؤكّدين. أما الشيء المؤكّد فهو أنّ الشكلين ỉ و ủ يردان في أسفل الترتيب الأبجديّ في الألفباء الأوجاريتيّة بينما يرد الشكل ả في مطلع هذا الترتيب كما في معظم اللغات الساميّة كالعربيّة والعبريّة والسريانيّة. يظهر هذا في النصّ الذي اكتشفه Schaeffer عام ١٩٤٩ وفيه ترتيب أبجدي للألفباء الأوجاريتيّة[1] (انظر: الرسم ٥٣ ص ٢٨٧). وسنبحث في هذا الترتيب في موضع آخر، ولكنّ من المفيد هنا التنبيه على أنّ ورود الشكلين ỉ و ủ في أسفل الأبجديّة الأوجاريتيّة دلالةٌ على أنّ استعمال هذين الشكلين متأخّر عن ترتيب الأبجديّة لأنّه لو كان العكس صحيحاً لجاءا مع الشكل ả الذي يرد في مطلع الترتيب.

---

(١) بعد هذا الاكتشاف يمكن الجزم بأن النصّ ٣٢٠ في كتاب Gordon المعروف بـ *Ugaritic Handbook* هو أيضاً ترتيب ابجديّ، وإن كان فيه بعض الكسور؛ انظر:

W. F. Albright, «The Origin of the Alphabet and the Ugaritic ABC again,» in *BASOR*, 119 (1950), p. 24.

الباب الثاني

الألفباء الساميّة في حلّتها العربيّة والحبشيّة واليونانيّة



الفصل الرابع

موقع الكتابة العربيّة الجنوبيّة من الكتابة العربيّة الشماليّة ومن الكتابة الساميّة الشماليّة

تختلف الكتابة العربيّة الجنوبيّة عن الكتابة العربيّة الشماليّة اختلافاً بيّناً وبخاصّة من حيث الأشكال المستخدمة في كل منها. ولكنّ وراء هذا الاختلاف الظاهر شبهاً أصيلاً وعلاقة وثيقة بحيث لا يمكن دراسة أحد هذين الفرعين بمعزل عن الفرع الآخر، كما لا يمكن دراسة هذين الفرعين كليهما بمعزل عن الكتابة الساميّة الشماليّة المتمثّلة بالفينيقيّة والآراميّة والعبريّة. غير أنّ الشيء الذي يحتاج إلى إيضاح هو طبيعة العلاقة بين الكتابتين العربيّتين الشماليّة والجنوبيّة، وهذا يستتبع طرح أسئلة كثيرة: فهل اشتُقّت واحدة منها من الأخرى؟ أم انّها يرجعان إلى أصل واحد مشترك؟ وهل يجوز الجزم بأقدميّة واحدة منها؟ وهل للكتابة السينائيّة علاقة ما بالكتابة العربيّة الجنوبيّة خاصّة؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست يسيرة كلّها، وقد يكون جلاء بعض غوامضها أمراً مستحيلاً، ولكنّ هذا لا يتعارض وأهمّيّة هذه الأسئلة في محاولتنا فهم تاريخ الكتابة عند الساميّين.

يمكن تقسيم الكتابات الساميّة الجنوبيّة إلى ثلاثة أقسام:

أوّلاً: الكتابة العربيّة الشماليّة: وتضمّ، إلى الخطّ العربي الذي ما يزال

مستعملاً اليوم[1]، الخطوط الثموديّة والصفويّة واللحيانيّة.

ثانياً: الكتابة العربيّة الجنوبيّة: وتضمّ الخطوط المعينيّة والسبئيّة والحِميريّة والقتبانيّة والحضرميّة والأوسانيّة.

ثالثاً: الكتابة الحبشيّة قديمها وحديثها، وهي في الأصل مأخوذة من الكتابة العربيّة الجنوبيّة[2].

إن الخطوة الأولى في دراسة الكتابتين العربيّة الشماليّة والعربيّة الجنوبيّة يجب أن تقوم على مقارنة الخطوط الثموديّة والصفويّة واللحيانيّة بالخطوط العربيّة الجنوبيّة. أمّا الكتابة العربيّة الشماليّة التي ما تزال مستعملة اليوم فمأخوذة من النبطيّة - وهذه كتابة ساميّة شماليّة - ولذلك ينبغي أن تأتي دراستها بعد الخطوة الأولى تلك، فيمكن عندئذ تحديد موضع كلّ من هذه الخطوط بالنسبة إلى الكتابة الساميّة الشماليّة عامّة.

تتألف الكتابة العربيّة الشماليّة، إذا ما استثنينا كتابتنا المستعملة اليوم، من مجموعة من الخطوط السريعة cursive المستعملة بين الناس للشؤون اليوميّة، أي أنّ هذه الخطوط ليست خطوط نُصُب تذكاريّة منسّقة. وقد وُجدت هذه المجموعة في الجزء الشماليّ الغربيّ من الجزيرة، وفي سوريا والأردن[3]؛ وقد جرت العادة على تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) انظر دراستنا في الفصل الخامس.

(٢) سنفرد للكتابة الحبشية فصلاً خاصاً، هو السادس، ولذلك لن نتعرّض لدراستها في هذا الفصل.

(٣) من المراجع المفيدة:

E. Littmann, *Thamūd und Ṣafā: Studien zur altnordarabischen Inschriftenkunde* (Leipzig, 1940).

F. V. Winnett, *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions* (Toronto, 1937). ،=

١ - الخطّ الثموديّ، وبه كُتب حوالي ألفي نقش مكتشف، معظمها من الحجاز ونجد، في حين عُثر على بعض منها في الصفاة (إلى الشرق من دمشق) وفي سيناء (انظر الرسم ٢٥). وقد فرّق الدارسون بين الخطّ الثموديّ القديم والخطّ الثموديّ المحدَث. ولكنّ تاريخ هذه النقوش غير معروف على وجه التحديد، ولعلّ أقدمها لا يرقى إلى ما قبل منتصف الألف الأوّل ق.م. في حين يرجَّح أن يكون أحدثها من القرن الميلاديّ الرابع[١]. ويرى Grimme أنّ النقوش الثموديّة الحجازيّة أقدم من النقوش الثموديّة النجديّة، إذ إنّ من الممكن أن تكون الأشكال المستعملة في هذه الأخيرة مشتقّة من الأشكال المستعملة في النقوش الحجازيّة[٢]. وعلى ايّة حال، تتضمّن النقوش الثموديّة ستة أشكال غير موجودة في الكتابة الساميّة الشماليّة[٣]، وهي للأصوات ṯ و ẖ و ḏ و ḍ و ġ و ś[٤]، والصوت الأخير هو حرف الصفير.

= وللنقوش العربيّة الشماليّة والجنوبيّة انظر:

Corpus Inscriptionum Semiticarum. Pars IV: *Inscriptiones himyariticas atque sabaeas continens* (Paris, 1889). Pars V: *Inscriptiones saracenicas continens.* Tomus I, Fasc. I: *Inscriptiones Safaiticae*, n. 1-5380 (Paris, 1950).

(١) في تاريخ هذه النقوش انظر:

H. Grimme, *Die Lösung des Sinaischriftproblems: Die altthamudische Schrift* (Münster, 1926).

(٢) *Ibid.*, p. 25.

(٣) ويقابلها في الكتابة العربيّة ما يُعرف بالروادف، وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين؛ والظاء ترد في الصفويّة وحدها.

(٤) في تفسير أشكال هذه الاصوات واستنباطها من أشكال أصوات قريبة منها انظر:

H. Jensen, *Sign, Symbol , and Script*, pp. 339-40.

الصوت	سبئي	ثمودي	صفوي	لحياني
ʾ				
b				
g				
d				
ḏ				
h				
w				
z				
ḥ				
ḫ				
ṭ				
ẓ				
y				
k				
l				
m				
n				
s				
ʿ				
ġ				
p/ f				
ṣ				
ḍ				
q				
r				
š				
t				
ṯ				

الرسم ٢٥

الخطوط العربيّة الجنوبيّة

٢ - الخطّ الصفويّ، وعدد نقوشه المكتشفة يزيد على عدد النقوش الثموديّة، وأكثرها من منطقة الصفاة، ومن بادية الشام[١]. وهذا الخطّ شديد الشبه بالخطّ الثموديّ[٢] (انظر الرسم ٢٥)، بل إنّ من المحتمل أن يكون مشتقاً منه؛ حتى إنّ بعض الدارسين يقسمون تطوّر الخطّ الصفويّ إلى مرحلتين اثنتين ويعتبرون أنّ المرحلة الأولى هي امتداد للخطّ الثموديّ، في حين يرون أنّ الخطّ الصفويّ الخالص لا يظهر إلاّ في المرحلة الثانية. ويرقى معظم هذه النقوش إلى القرنين الأوّل والثاني الميلاديّين. وكالخطّ الثموديّ تتضمّن النقوش الصفويّة ستة أشكال غير موجودة في الكتابة الساميّة الشماليّة، هي الأشكال عينها التي ذكرنا، وفوق ذلك يظهر فيها الصوت ẓ (ظ) فيكون المجموع سبعة أشكال.

٣ - الخطّ اللحيانيّ، وهو خطّ النقوش التي اكتُشفت ابتداءً من العام ١٨٨٩ في منطقة العلا، شمال الحجاز؛ وقد يطلق على هذه النقوش اسم النقوش الديدانيّة لأنّ بعضها يرجع إلى عهد ديدان ما بين ٧٠٠ و ٤٠٠ ق.م[٣]. ولكنّ معظم هذه النقوش يرجع إلى ما بين ٤٠٠ و ٢٠٠ ق.م. ويُذكر أيضاً أنّ في هذه النقوش أيضاً الأشكال الستّة التي ذكرناها في الثموديّة والصفويّة؛ أمّا الشكل السابع الذي يظهر في الصفويّة فغير وارد في اللحيانيّة.

إنّ الجامع المشترك بين الخطوط الثموديّة والصفويّة واللحيانيّة هو أنّها جميعاً قريبة من الخط المسند. وقبل تحديد العلاقة بين كتابتها وبين كتابة

---

(١) انظر في فكّ رموز هذه النقوش:

E. Littmann, *Zur Entzifferung der Ṣafâ-Inschriften* (Leigzig, 1901).

(٢) انظر: M. Lidzbarski, *Ephemeris*, II, 27 ff.

(٣) وليس صحيحاً ما ذكره علي عبد الواحد وافي (فقه اللغة، ص ٩٦) إذ قال إن أقدم هذه النقوش لا يتجاوز القرن الأوّل ق.م.

النقوش العربيّة الجنوبيّة لا بدّ من تحديد الزمن الذي كُتبت فيه أولى النقوش العربيّة الجنوبيّة لنعرف أيّ المجموعتين أقدم[1] ولنحدّد علاقة كلّ منها بالكتابة الساميّة الشماليّة. فالثابت أنّ النقوش العربيّة الجنوبيّة أقدم المجموعتين لأنّ الكتابة المعينيّة ترقى، على أكثر الأقوال تطرّفاً، إلى القرن الثالث عشر أو القرن الثاني عشر ق.م. وإن كان الأرجح أنّها ترجع إلى القرن العاشر أو القرن التاسع. أمّا النقوش السبئيّة[2] فتمتدّ ما بين القرن الخامس والرابع ق.م. وتجيء بعدها نقوش اللهجات الأخرى. ومعنى هذا أنّ الخطوط العربيّة الشماليّة المكتوبة بقلم يشبه المسند لا يمكن أن تكون الحلقة التي تربط بين الكتابة الساميّة الشماليّة (الفينيقيّة) وبين الكتابة العربيّة الجنوبيّة. وعلى هذا لا يمكننا الأخذ بنظريّة Prätorius التي تفترض أنّ أهل جنوب الجزيرة قد اطّلعوا على الكتابة الألفبائيّة الساميّة الشماليّة بتوسّط القبائل التي كانت تقطن في شمال الجزيرة العربيّة وأواسطها[3]؛ إذ إنّ من غير الممكن أن تقوم هذه النظريّة على تسلسل تاريخيّ منطقيّ لأنّ الخطوط الثموديّة والصفويّة واللحيانيّة أحدث من الخطوط الجنوبيّة. أمّا بعض الأشكال اللحيانيّة التي ذكرنا أنّها ترجع إلى عهد أقدم من الأشكال الصفويّة واللحيانيّة فلا يمكن أن يُحتجّ بها لإثبات هذه النظريّة لأنّ هذه الأشكال قد تكون مشتقّة من الأشكال السبئيّة نفسها في مرحلة مبكّرة من تطوّر السبئيّة[4].

---

(١) انظر الفصل الخاص بهذا الموضوع في: Kotsuji, *The Origin*..., pp. 154 ff.

(٢) قد يُستعمل المصطلح «سبئيّ» للدلالة على الفرع المعينيّ - السبئيّ كلّه، كما قد يُستعمل بتجوّز أبعد، للدلالة على الخط المسند كلّه. أمّا في هذه الدراسة فلا ينصرف المصطلح إلا للنقوش السبئيّة.

(٣) «Bemerkungen zur südsemitischen Alphabet,» in *ZDMG*, 58 (1904), pp. 715 ff.

(٤) قارن ردّ Lidzbarski على نظريّة Prätorius في *Ephemeris*, II, 366 ff.

وهكذا تبرز قضيّة هامّة يجب الأخذ بها عند دراسة تاريخ الخطّ السامي، وهي أنّ العلاقة بين الكتابة العربيّة الجنوبيّة والكتابة الساميّة الشماليّة يجب أن تُدرس بمقارنة مباشرة لهذين الفرعين، أي دون توسّط كتابات أخرى. والواقع أنّ الناظر نظراً سريعاً في الأشكال الفينيقيّة والأشكال المستعملة في المسند قد يتوهّم أن الخطّ المسند أقدم من الخطّ السريع المستعمل في الفينيقيّة، وذلك لكون المسند مكتوباً بعناية فائقة وبأشكال هندسيّة متناسقة ومُزوّاة[1]، ولكونه يناسب عامةً أغراض كتابة النصب التذكاريّة لدقّته وجماله. ولكنّ هذا التوهم لا ينطبق على الحقيقة مطلقاً، لأنّ مظاهر الخطّ المسند التي قد تُوهم المرء أنه أقدم من الخطّ الفينيقيّ ليست ناتجة عن كون المسند أقدم من ذلك الخطّ، بل ناتجة عن طبيعة الخطّ المسند نفسه إذ إنّ هناك صفتين عامّتين يتّصف بها هذا الخطّ:

أوّلاً: صفة المحافظة على الأشكال وكراهية التطوّر السريع، فيما نعلم. فإنّ تطوّر الأشكال المستخدمة في الخطّ المسند قليل إذا ما قيس بتطوّر الأشكال الفينيقيّة التي يظهر في مراحل تاريخها الطويل ميل ثابت نحو السهولة والسرعة. ولعلّ سبب هذا الاختلاف في سرعة التطوّر أنّ كتابة المسند تعتمد على الحفر على الحجارة أو المعادن أو الخشب الخ، في حين أنّ الأشكال الفينيقيّة، بالإضافة إلى كتابتها حفراً، كانت كثيراً ما تُستخدم على آنية الخزف ثمّ تلوَّن، وهذا النوع من الكتابة يؤثّر بطبيعته على الأشكال إذ قد تفقد بذلك شيئاً من تناسقها واستقامة خطوطها.

---

(١) تدلّ كلمة « مسند » نفسها على شبه الأشكال المستخدمة في هذا الخطّ بالأشكال المعماريّة « المسندة » إلى أعمدة؛ أي أنّ الأشكال قائمة على أعمدة منتصبة عمودياً. قارن بـ: *Ephemeris*, I, 119.

ثانياً: صفة التناسق الهندسيّ؛ فمن مظاهر هذا التناسق تفرقة الأسطر بمسافات متساوية (انظر الرسم ٢٦)، وابتداء الكتابة وانتهاؤها غالباً عند نقطة واحدة في الأسطر الكاملة، وتفرقة الكلمات بفواصل عموديّة يناسب شكلها الطبيعةَ «العموديّة» أو «المسندة» السائدة في معظم الأشكال. ويبدو أنّ صفة التناسق الهندسيّ هذه ذات أثر بالغ في أشكال الحروف في الخط المسند[١]، فالشكل الفينيقيّ ⴺ (h) يقابله في المسند الشكل Ⴤ (h)، والشكل الفينيقيّ ∓ (s) يقابلة الشكل ∩ (s). فكأنما هناك نزعة لإخضاع الشكل المسند لقواعد التناسق والتوازي. وطبَعيّ أن يتوهّم بعض الدارسين الذين يهملون البحث في طبيعة أشكال المسند ونزعتها



الرسم ٢٦

نموذج للكتابة العربيّة الجنوبيّة (الخطّ المُسند)

نقش سبئيّ

---

(١) قارن: Driver, *Semitic Writing*, p. 146.

للتناسق أنّ هذه الأشكال أقدم من الأشكال الفينيقيّة التي لا تراعي قواعد التناسق والتماثل. وكذلك من الطبيعيّ أن يتوهّم بعضهم أيضاً أنّ طريقة ترتيب أسطر المسند دليل على أقدميّته بالقياس إلى الكتابة الفينيقيّة؛ فالمعروف أنه بالإضافة إلى اتّجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار غالباً أو من اليسار إلى اليمين في بعض النصوص، قد يستخدم كاتب المسند طريقة خطّ الحراث، أي الطريقة الثعبانيّة أو الحلزونيّة boustrophedon (βουστροφηδόν) التي تتّجه في السطر الأوّل من اليمين إلى اليسار وفي الثاني من اليسار إلى اليمين وفي الثالث من اليمين إلى اليسار وهكذا، أو على العكس أي من اليسار إلى اليمين في الأوّل ومن اليمين إلى اليسار في الثاني ومن اليسار إلى اليمين في الثالث وهكذا؛ والمهمّ أنّ كلّ سطر يبتدىء في الجهة التي ينتهي بها السطر السابق. وهذه الطريقة تتّصف بالقدم بالقياس إلى طريقة الاتجاه الواحد[1]، ولكنّ استعمالها في بعض النقوش المكتوبة بالمسند لا يعني بالضرورة أنّ هذه النقوش تعكس مرحلة أقدم من مرحلة الكتابة الفينيقيّة ذات الاتجاه الواحد، إذ إنّ استعمال الطريقة الحلزونيّة قد يكون وجهاً من وجوه التناسق الهندسيّ والتباعد المتساوي بين الأسطر[2]، وهذا القصد لا يأتي إلا في مرحلة متأخّرة نسبيّاً من تطوّر الكتابة.

ومن هذا يبدو أنّ الخطّ المسند ليس أقدم من الخطّ الساميّ الشماليّ. ويزيد هذا الاستنتاجَ قوةً أنّ أقدم النقوش الشماليّة المكتوبة بالخطّ الساميّ الشماليّ ترقى إلى تاريخ أقدم من تاريخ أقدم نقوش المسند، وإن كنّا نعي أنّ هذا طبعاً ينطبق على النقوش المكتشفة التي نعرفها نحن، ولا سبيل إلى

---

(١) انظر: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 348.
وقارن بالكتابة السينائيّة التي يُستدلّ على قدمها بدلالات منها تعدّد اتجاهاتها تعدّداً كبيراً.

(٢) انظر: *Ephemeris*, I, 116.

الجزم بصحّته جزماً قاطعاً. ولعلّ في أسماء الحروف العربيّة التي نكتبها دليلاً على أقدميّة الخط السامي الشماليّ بالنسبة للخطّ الجنوبيّ، لأنّ هذه الأسماء التي تتسمّى بها أشكال كتابة ساميّة جنوبيّة - هي كتابتنا العربية - إنما هي أسماء ساميّة شماليّة في اشتقاقها ومعانيها[١]، الأمر الذي يرجّح أن تكون الكتابة الساميّة الشماليّة نفسها، كأسماء حروفها، أقدم من الكتابة الساميّة الجنوبيّة.

★ ★ ★

إن كان قولنا إنّ الكتابة بالمسند أحدث زمناً من الكتابة الساميّة الشمالية قولاً صحيحاً، فإنّه لا يعدو أن يكون الخطوة الأولى في تفسير طبيعة العلاقة بين المسند وسائر الخطوط الساميّة غير المسماريّة. ويمكننا، انطلاقاً ممّا سبق، أن نتجاوز النظريّة القديمة القائلة إنّ الكتابة الساميّة الشماليّة مأخوذة من الكتابة الساميّة الجنوبيّة[٢]. هذا من جانب، ومن جانب آخر

---

(١) انظر الفصل الثامن.

(٢) تجد ذكراً لعدد من أعلام هذه النظرية ولمؤلّفاتهم في:

J. P. Peters, «Notes on Recent Theories..,» pp. 184-5.

وحديثاً، يعتنق هذه النظريّة A. Van den Branden؛ انظر مقالته:

«L'origine des alphabets protosinaïtique, arabes préislamiques et phénicien,» in *BO*, 19 (1962), pp. 198-206.

إذ يرى أنّ العرب الجنوبيّين نقلوا ألفباءهم عن السينائيّة ثم أخذها الساميّون الشماليّون عنهم. وهو يلمح الشبه بين الكتابة السينائيّة والكتابة العربيّة الجنوبيّة في الحروف التالية:

ʾ, b, g, d, h, z, ḥ, ẖ, ẓ, l, n, ʿ, f, ṣ, q, š, t

ويقرّ بصعوبة لمح الشبه في سائر الحروف (*Ibid.*, p. 199)

وكذلك نستطيع أن نرفض، مطمئنّين، نظريّة R. Dussaud التي تقول إنّ الكتابة الساميّة الجنوبيّة مأخوذة من الكتابة اليونانيّة؛ ففي هذه النظريّة مغالطة كبيرة هي إغفال كون الكتابة الساميّة الجنوبيّة أقدم من الكتابة اليونانيّة بما لا يقبل الجدل والتأويل. أمّا الشبه الذي يظهر =

لا يمكن القول إنّ هذين الفرعين الساميّين منفصلان وإنّ كلاّ منهما مخترع اختراعاً قائماً بذاته، أو مأخوذٌ من مصدر غير المصدر الذي أُخذ منه الآخر. ولـ Driver رأي مشهور في هذا المجال إذ يؤكّد أنّه من غير المحتمل أن يكون الساميّون الشماليّون والساميّون الجنوبيّون، على العلاقة «العرقيّة» التي تربطها، قد وضعوا نظامين كتابيّين ألفبائيّين متقاربي الأشكال وخلال فترة زمنية قصيرة دون أن تجمع النظامين علاقة أو دون أن يؤثّر أحد النظامين في الآخر[1].

يبقى إذا، بعد التسليم بأنّ بين الكتابتين علاقة ما، وبعد التسليم بأنّ الفرع الشماليّ أقدم من الفرع الجنوبيّ، أن نحدّد طبيعة هذه العلاقة، وهي، منطقيّاً، لا تعدو أن تكون واحدة من احتمالين: فإمّا أن تكون الكتابة الجنوبيّة مشتقّة اشتقاقاً مباشراً من الكتابة الشماليّة، وإمّا أن تكون الكتابتان، كلاهما، مأخوذتين من أصل مشترك:

١ - الاحتمال الأوّل: تقوم دراسة هذا الاحتمال على مقارنة الأشكال الساميّة الشماليّة بالأشكال الساميّة الجنوبيّة (انظر الرسم ٢٧). وتتمثّل الأشكال الشماليّة بالفينيقيّة، كما عرفنا، في حين تتمثّل الأشكال الجنوبيّة أي الخط المُسند بالمعينيّة - السبئيّة لأنّها هي الأصل الذي منه تفرّعت سائر

= بين الأشكال الساميّة الجنوبيّة والأشكال اليونانيّة، وهو ما تستند اليه هذه النظرية استناداً كبيراً، فليس شبهاً أصليّاً على الإطلاق، بل هو نتيجة تطوّر مختلف في كلّ من الكتابتين عن أصل بعيد واحد، ولا يمكن أن يبرهن عن علاقة أصليّة بينهما لما بينهما من تفاوت جغرافيّ وتاريخيّ؛ انظر: R. Dussaud, *Les Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris, 1907), pp. 73-90.

وانظر في الردّ على نظريّة Dussaud هذه:

H. Jensen, *Sign, Symbol , and Script*, p. 349.

(١) انظر: *Semitic Writing*, pp. 144-5.

الصوت	الفينيقيّة	المعينيّة - السبئيّة
ʾ		
b		
g		
d		
h		
w		
z		
ḥ		
ṭ		
y		
k		
l		
m		
n		
s		
ʿ		
p/ f		
ṣ		
q		
r		
š		
t		

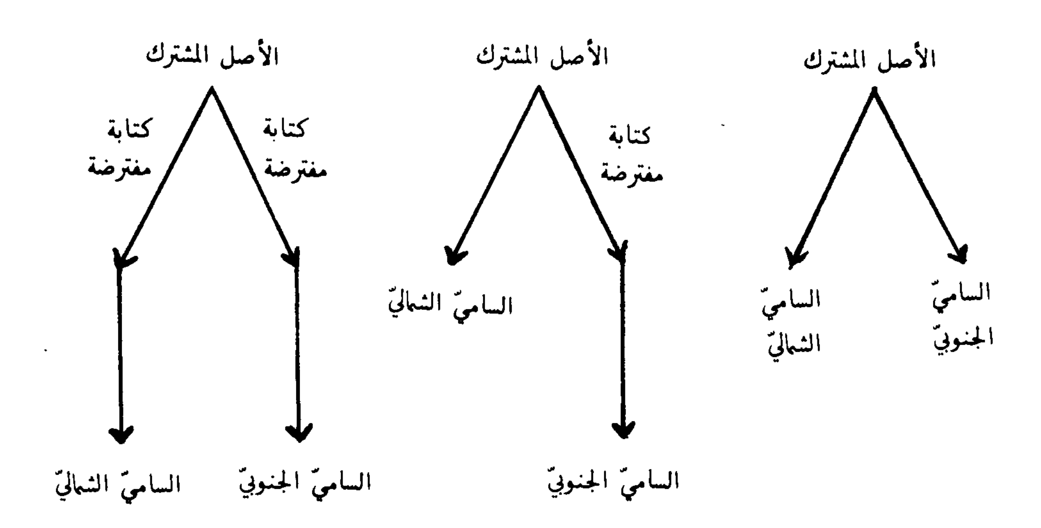
الرسم ٢٧

مقارنة الأشكال الساميّة الشماليّة بالأشكال الساميّة الجنوبيّة

الخطوط العربيّة الجنوبيّة وكذلك الخطوط العربيّة الشماليّة المكتوبة بالمسند، أي الثموديّة واللحيانيّة والصفويّة. ويُثبت الرسم ٢٧ أنّ هناك عدداً من أشكال الخطّين الفينيقيّ والمسند (ممّا يمثّل أصواتاً واحدة في الكتابتين طبعاً) يظهر فيه التشابه واضحاً، وذلك في الأصوات g و z و ṭ و n و ʿ و q و š و t. أمّا الأصوات الأخرى فإنّ رموزها تختلف اختلافاً جوهريّاً في الفرعين، كما يظهر في نحو ʾ و ḥ و k و m. ولمّا كان عدد الأشكال المختلفة في الفرعين أكبر من عدد الأشكال المتشابهة أو المشتركة، ضعف احتمال كون الألفباء الساميّة الجنوبيّة، أي أشكال المسند، مأخوذة من الألفباء الساميّة الشماليّة، لأنه لو كان هذا الاحتمال صحيحاً لكان عدد الأشكال المتشابهة أو المشتركة في النظامين أكبر. ويمكن هنا مقارنة هذا بالشبه الكبير بين أشكال الخطّ المسند وأشكال الخطّ الحبشيّ المشتقّة منها؛ فهذا الشبه كبير جداً ولا يكاد يفارق شكلا واحداً من الأشكال الحبشيّة، سواء منها الأشكال التي لا يبدو عليها تطوّر عن الأصل المسند أم الأشكال المتأخّرة التي أُدخلت فيها علامات خاصّة بالصوائت والتي احتفظت بشبه كبير بالأصل الذي ترجع إليه. إنّ مثل هذا الشبه لو وُجد بين الأشكال الفينيقيّة وأشكال المسند لكان دليلاً على اشتقاق الثانية من الأولى اشتقاقاً مباشراً؛ ولكنّ كون الشبه الموجود فعلاً بين هذين الفرعين قليلاً نسبيّاً يجعل القول بالاشتقاق المباشر بعيداً وغير موثّق.

٢ – الاحتمال الثاني: وهو الأقوى لأنّ الشبه القائم بين الكتابة الساميّة الشماليّة والكتابة الساميّة الجنوبيّة يجب أن يكون ناتجاً عن علاقة عضويّة بين الكتابتين، دون أن تكون إحداهما مشتقّة من الأخرى كما أسلفنا. وليس من الضروريّ أن يكون الأصل المشترك الذي يرجع إليه الفرعان كتابة واحدة معيّنة، بل قد يكون فرع منهما مشتقّاً من كتابة واحدة، ويكون الفرع الآخر مشتقّاً من كتابة أسبق من الأولى أو أحدث؛ المهم أن

هناك أصلاً أوّلياً يتّصل به الفرعان سواء أكان هذا الاتصال مباشراً أم غير مباشر، كما يبيّن الرسم ٢٨:



الرسم ٢٨

الأصل المشترك بين الكتابة الساميّة الجنوبيّة والكتابة الساميّة الشماليّة

وعند البحث عن الأصل المشترك الذي أُخذ عنه الفرعان لا بدّ من أن نلحظ النقوش السينائيّة التي قد تكون هي نفسها الأصل المشتركَ المباشر لكلا النوعين، أو أنّها قريبة من هذا الأصل أو متفرّعة عنه بطريقة ما؛ وسبق أن أشرنا إلى قول Gardiner إنّه إن لم يكن الخطّ السينائيّ هو النموذج المباشر الذي اشتُقّت منه الكتابة الفينيقيّة، فإنّ النموذج المباشر هذا يقع حتماً في الاتجاه نفسه الذي يشير إليه الخطّ السينائيّ"[١]. ولعلّ الشيء نفسه يصحّ في الخطّ الساميّ الجنوبيّ، وقد تنبّه كثير من العلماء إلى العلاقة

(١) راجع ص ٥٣ - ٥٤.

التي تربط الأشكال الساميّة الجنوبيّة بالأشكال السينائيّة، ولاحظوا أنّ عدداً من الأشكال الجنوبيّة يبدو أقرب إلى نظيره السينائيّ منه إلى نظيره الساميّ الشماليّ[١]. وذهب Grimme إلى أنّ الأشكال الثموديّة تُظهر شبهاً شديداً بالأشكال السينائيّة بل إنّ الشبه بينها قد يكون تامّاً في عدد من الحالات[٢]، كما يُظهر الرسم ٢٩ الذي نُثبت فيه الأشكال السينائيّة حسبما يحلّلها Grimme في نظريّته، إلى جانب الأشكال الثموديّة.

ومهما يكن من أمر استنتاج Grimme أنّ الكتابة الساميّة الجنوبيّة هي الكتابة السينائيّة كما نقلها أهل مدين إلى الساميين من شبه جزيرة سيناء، ومن أمر الاعتراضات التي قد تنشأ عليه[٣]، فإنّ الشبه الذي بين بعض الأشكال الساميّة الجنوبيّة وبعض الأشكال السينائيّة لا يمكن ردّه إلى التوارد والمصادفة، بل إنّه شبه جوهريّ يشير إلى وحدة الأصل أو إلى اشتقاق المسند من الخطّ السينائيّ. ونلاحظ أيضاً أنّ الطبيعة الألفبائيّة لكلا الكتابتين تدعم ما نذهب إليه، وذلك على عكس ما رأينا في محاولة بعضهم اشتقاق الألفباء الساميّة الشماليّة من الأكديّة المقطعيّة المسماريّة[٤]، أو اشتقاق الألفباء الأوجاريتيّة المسماريّة من الألفباء السينائيّة التصويريّة مثلاً[٥].

---

(١) انظر: Driver, *Semitic Writing*, pp. 146-7

وقارن: Sethe, *Die neuentdeckte Sinaischrift*, p. 458.

(٢) انظر كتابه: *Die Lösung des Sinaischriftproblems*.

(٣) من هذه الاعتراضات أنّ الكتابة الثموديّة التي يعتمدها قد لا تكون قديمة إلى الدرجة التي يفترضها هو؛ انظر:

Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 350.

(٤) راجع ص ٢٩ وما بعدها.

(٥) راجع ص ٩٨ وما بعدها.

الثموديّة	السينائيّة	الصوت
		ʾ
		b
		g
		d
		h
		w
		z
		ḥ
		ṭ
		y
		k
		l
		m
		n
		s
		ʿ
		p/ f
		ṣ
		q
		r
		š
		t

الرسم ٢٩

مقارنة الأشكال السينائيّة (في قراءة **Grimme**) بالأشكال الثموديّة

وينبغي القول إنّ التفسير الذي ذكرناه في أصل الكتابتين الساميّتين الشماليّة والجنوبيّة وفي علاقتها بالكتابة السينائيّة إنما هو تفسير قائم على ما بين أيدينا من النقوش والمعلومات التاريخيّة المتعلّقة بها. ولا يمكن الجزم طبعاً بصحة هذا التفسير لأنّ الاكتشافات القادمة قد تعطينا صورة مخالفة للصورة التي نكوّنها اليوم من معرفتنا بهذه الكتابات. ولكنّ التفسير المذكور ممكن على الأقل، كما أنّه يعلّل الشبه بين هذه الكتابات تعليلاً يتّفق والتواريخ التي يُعتقد أنّها ترجع إليها.

وأخيراً نشير إلى روايات أهل الأخبار حول أُصل الخطّ العربيّ كما حفظتها المصادر العربيّة[1]، على ما فيها من شطحات اسطوريّة وخياليّة، وخاصة فيما يتعلّق بأوّل من وضع الخطوط، وبكيفيّة اختلاف أقلام الأمم. وهنا يجب ردّ الرواية التي تُرجع أصل الخطّ العربيّ المستعمل حتّى اليوم إلى المسند[2] لأنّها لا تتّفق والواقع، إذ إنّ هذا الخطّ مأخوذ من مصدر آخر[3]. أمّا الخطوط العربيّة الشماليّة التي تستخدم المسند (أي الثموديّة والصفويّة واللحيانيّة) فمأخوذة من المسند؛ وعلى هذا يصحّ أن يقال إن هذه الخطوط، وحدها، هي التي أُخذت من الكتابة العربيّةِ الجنوبيّة، ولا يجوز تعميم هذا الأخذ ليشمل الخطّ العربيّ المستعمل حتى اليوم، أو الخطّ الساميّ الشماليّ عموماً.

---

(١) انظر مثلاً الفهرست (تجدّد) ص ٧ وما بعدها، والمقدّمة (بولاق) ص ٣٤٨، وفتوح البلدان ص ٥٧٩ - ٥٨٣، وصبح الأعشى ٣/٥، والصاحبي ص ٧ وما بعدها (وص ٣٤ وما بعدها في تحقيق الشويمي) وقد نقله السيوطيّ في المزهر ٢/٣٤١.

(٢) يذكر أهل الأخبار أنّ الخطّ العربيّ الشماليّ لم يُؤخذ عن المسند بطريق مباشر، بل أُخذ عنه بواسطة الحيرة والأنبار.

(٣) انظر الفصل الخامس.

الفصل الخامس

أصول الكتابة العربيّة الشماليّة

من الثابت أنّ خطّنا العربيّ الشماليّ[١] مشتقّ من الخطّ النبطيّ. والأنباط، كما تُظهر أسماء أعلامهم، عرب من حيث الأصل، ولكنّهم خضعوا لسلطان الآراميين الحضاريّ، فغدت لغتهم متأثّرة بالآراميّة إلى حدّ بعيد، كما أنّهم أخذوا كتابتهم عن الآراميين.

ولسنا نقصد هنا إلى دراسة تاريخ الأنباط، ولغتهم وكتابتهم[٢]، وإنما

---

(١) المقصود به في هذا الفصل الخطُّ الذي ما يزال مستعملاً حتّى اليوم، بخلاف الخطوط الثموديّة والصفويّة واللحيانيّة المُشتقّة من المسند، كما بيّنّا في الفصل السابق. وهذا الخطّ، بعد الخطّ اللاتينيّ، أكثر الخطوط انتشاراً في العالم اليوم؛ وكان قد حلّ، إلى درجة كبيرة، محلّ الخطّ السريانيّ، والخطّ الفارسيّ، والخطّ القبطيّ، والخطّ اللاتينيّ (في شمال افريقيا)، والخطّ اليونانيّ (في المنطقة السوريّة خاصة)، كما استُعمل لكتابة لغات غير ساميّة، كالفارسيّة والتركيّة والأورديّة والهنديّة والسودانيّة والبربريّة والسواحيلي، وحتى اللغة العبريّة كانت تُكتب به أحياناً. وقد لا يضاهي الخطَّ العربي انتشاراً في التاريخ القديم إلاّ الخطّ الآراميّ؛ وللتوسّع في انتشار هذا الخط انظر الفصل: «Non-Semitic Offshoots of Aramaic Branch» في:

Diringer, *The Alphabet*, I, 237 – 56.

(٢) من المراجع العامّة المفيدة:

J. Cantineau, *Le Nabatéen* (Paris, 1930 – 32).

وفيه بيبليوغرافيا هامّة حتى تاريخه. وانظر أيضاً:

R. Dussaud, *La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris, 1955).

وانظر النصوص في المراجع التالية: =

نقصد إلى تبيين العلاقة ما بين الخطّ العربيّ وأصله النبطيّ بدراسة أقدم النقوش العربيّة(١) المكتوبة بالخطّ النبطيّ لنعرف كيف انبثق الخطّ العربيّ من هذا الأصل؛ وكذلك نقصد إلى دراسة هذه النقوش العربيّة القديمة دراسة لغويّة مفصّلة لإظهار علاقتها باللغة الفصحى. والنقوش العربيّة التي يجب أن تتضمنّها هذه الدراسة هي الآتية:

١ - نقش أُمّ الجِمال الأوّل، وتاريخه التقريبيّ منتصف القرن الثالث للميلاد

٢ - نقش النمارة، وتاريخه ٣٢٨ للميلاد

٣ - نقش زَبَد، وتاريخه ٥١٢ للميلاد

٤ - نقش حرّان، وتاريخه ٥٦٨ للميلاد

٥ - نقش أُمّ الجِمال الثاني، وتاريخه في القرن السادس للميلاد

J. Euting. *Nabatäische Inschriften aus Arabien* (Berlin, 1885). =

G.A. Cooke. *A Textbook of North-Semitic Inscriptions* (Oxford, 1903), pp. 214 –62.

A. Jaussen et R. Savignac, *Mission archéologique en Arabie* (Paris, 1904 – 14).

E. Littmann, *Nabataean Inscriptions* (Fublications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904 – 1905 and 1909), Div. IV, Sect. A. (Leiden, 1914)

Répertoire d'épigraphie sémitique. t. II, no506, 527 – 33, 589 – 92, 622 – 4, 674 – 7, 686. 803 – 8. 833 – 8. 1088 – 1100. 1102 – 38. 1140 – 96.

J. Starcky, «The Nabataeans: A Historical Sketch,» in *BA*, 18 (1955), pp. 84 – 106.

وراجع مقالة خليل نامي المفصّلة عن خصائص الخط النبطيّ، وعنوانها « أصل الخط العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام »، في مجلة كليّة الآداب، الجامعة المصريّة، المجلّد الثالث، الجزء الأوّل، مايو ١٩٣٥، ص ١ - ١١٢.

(١) إنّ تسمية هذه النقوش « عربيّة » قد يكون فيها بعض التجوّز، لأنّ بعضها لا يمكن اعتبار لغته عربيّة محضاً، كما سنرى.

نقش النمارة

هو أطول هذه النقوش وأكثرها أهمّيّة من الناحيتين اللغويّة والكتابيّة، الأمر الذي يسوّغ تقديمه على ما عداه في الدراسة. وقد اكتشف هذا النص Dussaud و Macler عام ١٩٠١ في النمارة، من أعمال حوران، وهذا النقش شاهد قبر امرىء القيس بن عمرو، وهو مؤرَّخ باليوم والشهر والسنة، في ٧ كِسلول (تشرين الثاني - كانون الأوّل) من سنة ٢٢٣ من تاريخ بُصرى، أي سنة ٣٢٨ للميلاد[١].

وإنْ نقلْنا نصَّ النمارة بالكتابة العربيّة نقلاً « حرفياً »[٢] لجاء كما يلي:

١. ت ي ن ف س م ر ا ل ق ي س ب ر ع م ر و م ل ك
ا ل ع ر ب ك ل ه ذو ا س ر ال ت ج

٢. وم ل ك ال ا س د ي ن و ن ز ر و وم ل و ك ه م و ه ر ب
م ح ج و ع ك د ي و ج ا

---

(١) أوّل من نشر هذا النقش وترجمه R. Dussaud في:

«Inscription nabatéo-arabe d'En-Nemâra,» in *RA*, 3 ser., 41 (1902), pp. 409 – 21.

ورقم هذا النقش هو ٤٨٣ في *Répertoire d'épigraphie sémitique*

وانظر بيبليوغرافيا هذا النقش في:

Et. Combe, *et. al.*, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe* (Cairo, 1931 – 64), I, 1 – 2.

أما أهمّ الدراسات التي ظهرت بين ١٩٣١ و ١٩٧٩ فمشار إليها في دراستنا هذه. وانظر أيضاً:

K.A.C. Creswell, *Early Moslem Architecture*, vol. I, pt. 2. 2nd ed (Oxford, 1969), p. 63

(٢) غير أنّنا سنفرّق بين السين والشين، والعين والغين، الخ على ما يقتضيه اللفظ العربيّ، فالنبطيّة لا تفرّق بين عدد من الأصوات المختلفة في العربيّة كما سنبيّن لاحقاً.

٣. ب ز ج ي   ف ي   ح ب ج   ن ج ر ن   م د ي ن ت
ش م ر   و م ل ك   م ع د و   و ب ي ن   ب ن ي ه

٤. ا ل ش ع و ب   و و ك ل ه ن   ف ر س و   ل ر و م   ف ل م
ي ب ل غ   م ل ك   م ب ل غ ه

٥. ع ك د ي   ه ل ك   س ن ت   ٢٢٣   ي و م   ٧   ب ك س ل و ل
ب ل س ع د   ذ و   و ل د ه

يقوم تقسيم الكلمات، كما أثبتناه في هذه المحاولة، إلى حد بعيدّ على طريقة كتابتها في النقش، إذ إنّ هناك مسافة ضئيلة تفصل بين الكلمة والأخرى. ولكنّ هذا لا يعني أنّ هناك إجماعاً على تقسيم الكلمات؛ فالواو التي في «ووك ل ه ن» في السطر الرابع قد تكون جزءاً من الكلمة التي



الرسم ٣٠
موضع نقش النمارة

الرسم ٣١ : نقش النمارة

تسبقها: « ا ل ش ع و ب ». وسننبّه على هذا في موضعه كما سننبّه على احتمال الحرف الواحد أكثر من قراءة واحدة؛ غير أنّنا، من حيث الهيكل العامّ، سنلتزم في شرح كلمات هذا النص بالتقسيم المذكور.

السطر الأوّل

- ت ي (تي):

إسم إشارة للمؤنّث. وقد ذكر النحويّون العرب التاء عنصراً من عناصر أسماء الإشارة المؤنّثة[١]؛ وذكروا « تا » اسم إشارة للمؤنث، كما في قول النابغة[٢]:

ها إنّ تا عِذْرةٌ إن لا تكُن نَفَعَتْ فـإنّ صاحبها قد تاهَ في البلدِ

و « تي » هذه هي التاء المكسورة في « تِلك »التي أصلها tīlka* كما تُظهر المقارنة بالعبريّة والحبشيّة. وكذلك تظهر « تي » في « تيك » و « هاتيك » و « هاتِلك »[٣].

---

(١) المقتضَب ٢٧٧/٤.

(٢) اللسان: « تا ».

(٣) شبيه بالعنصر الإشاريّ « تي » العنصر الإشاريّ « ذي » المستعمَل في العربيّة مع المؤنّث، نحو « هذي » في الوصل ونحو « هذهْ » في الوقف (انظر الكتاب ٢٨٧/٢ – ٢٨٨)؛ أما ما يقابله في المذكّر في العربيّة فـ « ذا » في نحو « هذا » و « ذاك ». ولعلّ الأصل أن يكون « ذي » للمذكّر و« ذا » للمؤنّث بدليل ما في اللغات الساميّة الأخرى: ففي العبريّة مثلاً نجِد זֶה zeh (بالكسر، أي السيجول العبريّة) للمذكر و זאת zō (') t (بضمّة طويلة تقابل الفتحة الطويلة في العربيّة) للمؤنَّث. وممّا يشير إلى أنّ الصيغة التي بالكسر تختصّ بالمذكّر في الأصل استعمالها في العربيّة نفسها للتذكّير في « الذي » و « الذين ». وقد يكون استعمال « ذي » للمؤنَّث بدلاً من المذكّر قياساً على استعمال « تي » للمؤنَّث، كما في النقش الذي بين أيدينا، وفي اللغة العربيّةأيضاً؛ قارن بـ:

=

- ن ف س (نفس):

معناها « قبْر » ولا ترد هذه الكلمة في العربيّة بهذا المعنى؛ ويمكننا، مطمئنّين، أن نجزم بأنّ هذه الكلمة نبطيّة لا عربيّة، وهي مأخوذة من الآراميّة[1]، ومقابلها في السريانيّة هو ܢܦܫܐ napšā ، بالشين التي تقابل السين العربيّة مقابلة مطّردة.

- م ر ا ل ق ي س ب ر ع م ر و (امرِئ القيس بن عمرو):

يظهر العلم « م ر ا ل ق ي س » أيضاً في نقش عربيّ متقدّم هو نقش زَبَد. والباء والراء لفظ bar الآراميّة التي تعني الابن[2]، والأرجح أنها ليست منقلبة عن « بن » الموجودة في سائر اللغات الساميّة، أي أنّ كلاً منها « أصل ». أما اسم العلم « عمرو » فمماثل تماماً لنظيرة العربيّ، حتى في كتابته[3].

- م ل ك ال ع ر ب ك ل ه (مَلِكِ العربِ كلِّها):

نعتقد أنّ الضمير المضاف إلى « كل » هو « ها » لفظاً، أي ضمير المؤنَّث، أي أنّ الصامت وحده مكتوب، دون الصائت الطويل. إنّ هذا

= J. Barth, *Die Pronominalbildung in den semitischen Sprachen* (Leipzig, 1913), pp. 112 - 57).

وبعد هذا صار العنصر « ذا » مستعملاً في المذكّر، محافظةً على التفرقة بين التذكير والتأنيث.

(١) انظر: *Ephemeris*, II, 35.

(٢) في العربيّة لفظ دخيل من الآراميّة فيه هذه الباء والراء، وهو البَرْنَسا أو البرنَساء أو البرنشاء، وهو معرّب ܒܪܢܫܐ أو ܒܪ ܐܢܫܐ barnāšā . ولم يذكر S. Fraenkel هذه الكلمة في كتابه:

Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen, repr. (Hildesheim, 1962).

(٣) أنظر ح ١ ص ١٣٣ .

التفسير المجمَع عليه اليوم يجب ألا يلغي الاحتمال الذي ذكره Dussaud عندما قال إنّ الكلمة قد تحتاج إلى ميم لتصبح « كلّهم » لتستقيم الصيغة[١].
أما كلمة « العرب » في هذا النّص فمهمّة من ناحيتين: الناحية الأولى لغويّة، وذلك أنّ فيها أداة التعريف العربيّة، الأمر الذي يقطع بكون النصّ عربيّاً، أو ذا خصائص عربيّة على الأقل؛ والناحية الثانية تاريخيّة، وتكمن في المعنى الذي يجب أن نفهمه من الكلمة. وقد أشار شهيد، وبحق، في دراسة له ظهرت حديثاً أنّ كلمة « العرب » في هذا النقش يجب أن تُترجَم the Arabs لا the nomads، فلو كان المعنى الثاني هو المقصود لاستعمل كاتب النص كلمة « الأعراب »[٢]. ولعلّ استعمال كلمة « العرب » هنا من باب تسمية الكل باسم الجزء لأنّ امرأ القيس، كما يقول شهيد نفسه، كان ملكاً على حضر الحيرة وعلى بدو الجزيرة معاً.

من هو إذاً امرؤ القيس هذا الذي يسمّي نفسه « ملك العرب كلها »؟ لقد اعتمد الباحثون في معرفته على اسم والده عمرو؛ والأغلب أنّ عمرو هذا هو عمرو بن عديّ الذي انتقل ملكه إلى ابنه امرىء القيس حوالي

---

(١) انظر: *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne* (Paris, 1903), p. 316.

ونذكر أيضاً أنّ Dussaud شكّ في صحّة الكاف في « كله »، وقال إن الفاء أو الطاء قد تكون أصحّ. والحقّ أن الطاء يجب أن تُستبعد لعدم تمكّننا من تركيب كلمة مفهومة منها إن افترضنا وجودها؛ أمّا « فَلَه » التي تتركّب من افتراض التاء فلا تناسب المعنى كما هو واضح. انظر في هذا:

Ch. Clermont-Ganneau, *Recueil d'Archéologie orientale* (Paris, 1904-5), VI, 306-7.

(٢) I. Shahid, «Philological Observations on the Nemâra Inscription,» in *JSS*, 24 (1979), p. 34.

وقد نبّهني إلى هذه الدراسة الدكتور هنري ماكدام (H. MacAdam) من دائرة التاريخ في الجامعة الأميركيّة في بيروت.

العام ٣٠٠ للميلاد. ويُسعفنا على هذا أنّ النقش مؤرَّخ في السابع من كسلول (تشرين الثاني - كانون الأوّل) عام ٢٢٣ من تاريخ بُصرى، الموافق العام ٣٢٨ من التاريخ الميلاديّ. ولكنّ هذا الأمر غير ثابت، والمؤمَّل أن تكشف نقوش جديدة عن حقيقة صاحب النقش.

- ذ و (ذو):

اسم الموصول المفرد المذكّر، يقابله «الذي» في العربيّة الباقية. وقد احتفظت لهجة «طيِّء» بـ «ذو» بدلاً من «الذي» كما يذكر النحويّون العرب منبّهين على استعمالها بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث مفرداً ومثنى ومجموعاً، ولهم على ذلك أمثلة وشواهد[1]. ويذكر سيبويه في باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء قولهم: «لا أفعل بذي تسلم ولا أفعل بذي تسلمان ولا أفعل بذي تسلمون»[2]، وهذه التي تلازم الإضافة هي عينها «ذو» التي سمّاها غير سيبويه طائيّة، وهي التي ترد في نقشنا هذا. ولعلّ بعض اللهجات العربيّة قد احتفظ بـ «ذو» هذه في قالب مختلف، وذلك في «اللذون» التي ذكرتها المصادر؛ وممّا يقوّى هذا الاحتمال نسبة «اللذون» إلى قبائل منها طيِّء بالذات[3].

- ا س ر ا ل ت ج («أسر» التاج):

لا يُستعمل فعل «أسر»[4] في العربيّة للدلالة على لبس التاج، غير أنّ

(١) شرح ابن عقيل ١/١٤٩ وما بعدها.

(٢) الكتاب ١/٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧٧.

(٣) أنظر همع الهوامع (ط. السعادة) ١/٨٣؛ أو (ط. الكويت، مكرم) ١/٢٨٥.

(٤) هذه المادّة الفعليّة مشتركة بين اللغات الساميّة، وأصل معناها الربط والحبس؛ ففي العبريّة אָסַר āsar وفي الآراميّة אֱסַר ĕsar وفي السريانيّة ܐܣܰܪ ēsār وفي الأكدّية asāru وفي الحبشيّة አሰረ: asara و አሠረ: aśara.

المعنى المقصود بالفعل واضح بمقارنة «أسر» في النقش بالفعلين «عقد» و«عصب»[1] المستعملين لهذا المعنى[2]، واللذين يتّفق أصل معناهما في الدلالة على فكرة الأسر والربط والحبس مع معنى «أسر» في العربيّة. أمّا كلمة «تاج» ففارسيّة الأصل[3]، وقد تكون دخلت العربيّة مباشرةً أو بتوسّط الآراميّة التي تظهر فيها كلمة תָּגָא tāgā بالمعنى نفسه (وفي السريانية ܬܳܓܳܐ tāgā أيضاً).

ولهذه العبارة أهميّة بالغة في فهم النقش؛ فامرؤ القيس هذا يؤكّد أنّ له تاجاً، فكأنّه يَفضُل غيرَه بهذه الصفة التي لا تكون لكلّ ملك. ولا يذكر النقش من توّج امرأ القيس: الروم أم الفرس. وهذا موضع خلاف شديد نؤجّل بحثه إلى مكان آخر[4]، غير أنّ هناك ملاحظة هامّة أبداها شهيد إذ نبّه على أنّ الفعل «أسر» مبنيّ للمعلوم لا للمجهول، فكأنّ امرأ القيس يؤكّد أنّه هو الذي توَّج نفسه، ولم يتوّجه غيره ممّن قد يكون ذا سلطان عليه وسطوة.

---

(١) ومنها في القواميس العربيّة العِصابة ومعناها العمامة وكلّ ما يعصّب به الرأس.

(٢) أنظر: Shahid, «Philological Observations,» p. 34.

وقد تكون السين في فعل «أسر»، كما يرى شهيد، صاداً، فيكون الفعل «أصر»؛ غير أنّه لا يذكر إن كان يرى أنّ السين والصاد يكتبان على صورة واحدة، وليس لهذا مثيل فيما أعلم؛ والملاحَظ أن النقش ليس فيه صاد في كلمة أخرى فتمكننا من الجزم بالأمر.

(٣) أنظر: Fraenkel, *Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen*, p. 26.

ولكنّ كونها فارسيّة لا يصحّ الاستدلال به على أنّ صاحب النقش كان خاضعاً لنفوذ الفرس؛ فالكلمة هذه كانت قد دخلت إلى الآراميّة قبل هذا النقش، وصارت تستعملها اللغة كأيّة كلمة أخرى دخيلة دون اعتبار أصلها ودلالتها التاريخيّة والحضاريّة البعيدة؛ انظر الاستدلال بكلمة «تاج» على النفوذ الفارسي في:

Clermont-Ganneau, *Recueil d'Archéologie orientale*, VII, 307.

وقارن: *Ephemeris*, II, 35.

(٤) أنظر ص ١٣٩.

وهنـاك قراءة أخرى للأحرف « ا س ر ا ل ت ج » اقترحها Beeston[١]، وهي: « أسرى إلى تاج »، وحجّته في ذلك أنّ اللام غير متّصلة بالثاء الأمر الذي يضعّف كون اللام للتعريف لأنّ لام التعريف تتصل بما بعدها (قارن: « العرب » في السطر الأوّل). ولا يوجد ما يمنع هذه القراءة من حيث الاحتمال، فعدم كتابة الألف المقصورة في هذه الفترة من الكتابة العربيّة أمر لا يصعب تصديقه، كما أنّ الثاء والتاء تُكتبان على صورة واحدة. غير أنّ المعنى الذي تعطيه هذه القراءة «sent his troops to Thāj»، « أرسل جنده (أو سريّة) إلى تاج » يبدو أبعد في التأويل من معنى حيازة التاج؛ وبخاصّة لأنّ على التتويج أمثلة كثيرة في تلك الفترة عند كلّ من الفرس والروم[٢].

- و م ل ك ا ل ا س د ي ن و ن ز ر و و م ل و ك ه م (وملكَ الأَسْدَيْن ونزاراً وملوكهم):

الفعل « ملك » قد يكون بمعنى استولى على القوم، كما يرى معظم الباحثين؛ ونرى أنّ هذا الفعل، على الأرجح، يتضمّن معنى « كان ملكاً على... » وأنه لذلك مشتق من الاسم « مَلِك » وليس أصلَ اشتقاقه، أي أنّ الفعل هنا مأخوذ من الاسم.

أمّا كلمة « الأسدين » فمثنّاة في الغالب، وقد ترجم Dussaud[٣] هذه

---

(١) «Nemara and Faw,» in *BSOAS*, 42 (1979), p. 3.

(٢) انظر: *Mission*, p. 317.

وقارن: Clermont-Ganneau, «Le tâdj-dâr Imrou'l-Qais et la royauté générale des Arabes,» in *Recueil d'Archéologie orientale*, VII, 167-70.

(٣) انظر: *Mission*, p. 317.

وقـــارن: J. Halévy, «L'inscription nabatéo-arabe d'En-Némara,» in *Revue Sémitique*, 11 (1903), p. 59. =

اللفظة بعبارة «les deux ’Asad» ، وأقرّه على ذلك مَن بحثَ بعده في هذا النصّ. والحقّ أنّ هذه الترجمة غير صحيحة لأكثر من سبب واحد لا تحتاج معرفته إلى كبير علم بأسماء القبائل العربيّة القديمة. فالمعروف أن أداة التعريف تناسب « الأسْد » (الأزْد) أكثر مما تناسب « أسَد »؛ ومن ناحية أخرى فالصيغة المثنّاة مقبوله في « الأسْدين » (الأزْدين)، بينما يصعب تفسيرها في الأسَدين »[1] ، وذلك لأنّ المصادر العربية لم تذكر أنّ لأسَد فرعين، في حين أنّ الأسْد (الأزد) قسمان: أزد شنوءة وأزد السراة في الغرب، وأزد عُمان في الشرق؛ فالتثنية لا تحتاج إلى تفسير بعيد. أمّا استعمال السين بدلاً من الزاي في هذا النقش فأمر متوقّع، فالنقوش السبئيّة تحتفظ بالسين في هذا الاسم وكذلك بأداة التعريف، كما أنّ واضعي المعاجم العربية يؤكّدون أنّ السين في هذه اللفظة أفصح[2]. إنّ من الجليّ أنّ الكلمة المذكورة هي بالسين الساكنة لا السين المتحرّكة، أي بالسين التي انقلبت زاياً في العربيّة، ولم يعد جائزاً لذلك قبول الترجمة القديمة، ترجمة Dussaud ومَن تابعه.

و« ن زرو » نزار بلا خلاف. أمّا الواو التي تظهر كتابةً فمألوفة في

= ويبدو أنّ Dussaud قد غيّر هذه الترجمة في دراسة نشرها لاحقاً، إذ يجعل الكلمة جمعاً: «Les (Banou)’Asad» أي بقراءة الأسدين، كما يبدو، على أنها جمع مذكر سالم؛ انظر ترجمة النقش (ولا يليها شروح) في: *Pénétration*, p. 64

(١) انظر الحجج التي يسوقها Shahid في مقالته (pp. 35-7) وقارن: Beeston, pp. 3-4

(٢) انظر المادّة في الصحاح واللسان والقاموس والتاج. وقولهم إنّ السين أفصح والزاي أكثر إشارة إلى الأصل، أي إلى كون الزاي منقلبة عن السين لمناسبتها الدال في الجهر دون وجود صائت يفصل بينهما كالذي في « أسَد ».

كتابة أسماء الأعلام في النبطيّة[١] والتدمريّة[٢]، وقد بقي منها في العربيّة حرف واحد هو عمرو قيل إنّه يُكتب بالواو في الرفع والجرّ تفرقةً بينه وبين عُمَر.

أمّا «م ل و ك ه م» فجمع تكسير، ولهذا دلالة لغويّة واضحة كما سنرى[٣].

- و ه ر ب م ح ج و ع ك د ي (وهرّب مذحج حتّى اليوم/عَنوةً):

«هرّب» على وزن فعّل للتعدية. وقرئت «هَذّب»، أي أدّبهم وأخضعهم[٤].

«م ح ج و» الواو فيها كالواو في «ن زرو». ويرى المترجمون القدماء أنّها اسم قبيلة، ومنهم من لا يلحظ العلاقة بينها وبين «مذحج» أو يرى

---

(١) وأمثلتها كثيرة جداً ومن بينها MRWᶜ (انظر السطر الأوّل من هذا النقش). وكذلك ترد هذه في صيغ التحبّب في الأسماء المركّبة من جزءين ثانيها في الغالب اسم الإله، نحو ZYDW تحبُّباً لـ ZYDʾLH؛ قارن في بعض اللهجات العربيّة بـ «عبدو» لعبد الله، و«ميشو» لميشال أو ميخائيل ومعناها «مَن كالله» (مي= اداة استفهام كـ «مَن» العربيّة، وبعدها في الأصل العبريّ كاف التشبيه، وآخرها إيل أي الله)؛ وكذلك يقولون «محيو» لمحيي الدين...

وانظر بحثاً حول الواو النهائيّة في النبطيّة وتفسيرها في:

J. Cantineau, *Le Nabatéen*, II, 164-9.

(٢) انظر ورود بعض الأسماء التدمريّة مكتوبة بواو في آخرها أو بلا واو في مواضع أخرى في:

J. K. Stark, *Personal Names in Palmyrene Inscriptions* (Oxford, 1971).

ومن هـذه الأمثلة MRᶜ وMRWᶜ (ص ٤٥، ١٠٦) وQRYN وQRYN(W) (ص ٤٩ - ١١٠) وZBWD وZBWDW (ص ١٨ و٨٦)؛ ومنها اسم علم مكوّن من جملة فعليّة هو BLYDᶜ وBLYDᶜW (ص ١٠ و٧٦).

وانظر أيضاً: J. Cantineau, *Grammaire du palmyrénien épigraphique* (Le Caire, 1935), pp. 58, 149.

(٣) انظر ص ١٦١.

(٤) انظر: M. Hartmann, «Zur Inschrift von Namāra,» in *OLz*, 11 (1906), col. 578.

أنّه ربما كان هناك خطأ كتابيّ هو حذف الذال[1]. ولعلّ الصواب أن هذه «مذحج» لا غيرها، لأنّ المصادر العربيّة لا تذكر قبيلة مكوّنة حروفها من الميم فالحاء فالجيم فحسب. أمّا وجود الخطأ الكتابيّ المزعوم فأمر لا يمكن الجزم به وإن كنّا نستبعد مثل هذا الخطأ، إذ لا يجوز لقارىء نقش قديم أن ينسب الكاتب إلى الخطأ في كلّ موضع لا يستطيع فيه فهم المقصود من النصّ، إلا في الحالات التي يستحيل فيها أيّ تفسير آخر محتمل. ولهذا يجدر بنا أن نبحث عن تفسير مناسب قبل الحكم بوجود الخطأ، ولعلّ هذا التفسير هو إدغام الذال في الحاء وتضعيف الحاء تعويضاً.

ع ك د ي: قيل إن معناه القوّة (كالعُكدة بالعربيّة)، أي أنّه هرّب مذحج عَنوة؛ وقُرئت الكلمة بالراء بدلاً من الدال للشبه بين الحرفين، ويكون المعنى على هذه القراءة: «أصلاً» (كالعِكر في العربيّة ومعناه الأصل)[2]. ولعلّ أفضل تفسير لهذه الكلمة مقارنتها بالآراميّة حيث تعني «حتّى اليوم» أو «حتّى الآن» وأصلها «ع د» و«ك د ي»[3]، ويقابل «عد» في العربيّة «حتّى» الدّالّة على الغاية[4]. ونستطيع أن نقوّي هذا

---

(١) انظر: Beeston, p. 4.

(٢) انظر: *Ephemeris*, II, 35.

و: F. E. Peiser, «Die arabische Inschrift von En-Nemâra,» in *OLz,* 7 (1903), col. 277-81.

(٣) انظر: J. Halévy, *Revue Sémitique* (1903), p. 60.

وقارن: R. Dussaud, *Mission*, p. 318.

حيث قبل المؤلف برأي Halévy وتخلّى عن قراءته السابقة «عكري» في: *RA* (1902), p. 415.

(٤) يذكر أبو الطيّب اللغويّ في كتاب الإبدال ٢٩٥/١ أنّه يُقال: اصبر حتّى آتيك وعتّى آتيك؛. قارن ٥٥٨/٢: «أبو عبيدة: قوم يحوّلون حاء حتّى يجعلونها عيناً كقولك: قم عتّى آتيك، وقوم يجعلونها ألفاً فيقولون: أتّى آتيك». وقد قُرىء في يوسف: ٣٥ ﴿حتّى عين﴾، ولهذا رواية يرويها ابن جنّي في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣٤٣/١.

الرأي بالإشارة إلى كلمة شبيهة بهذه الكلمة في عبريّة المشنا (والعبريّة الحديثة)، وهي עַכְשָׁיו ʿakšāw بمعنى «الآن»، واشتقاقها من עַד ʿad و כְּשֶׁהוּא (ʾ)kᵉšehū، أي «حتى ما هو عليه» (الآن)(١). وفي هذه الكلمة أيضاً تُدغم الدال التي في «عَدْ» بالكاف التي بعدها. ومن الدلائل الأخرى على صحّة هذه الترجمة مناسبتها المعنى المقصود بالكلمة نفسها في أوّل السطر الخامس كما سنرى.

- و ج ا ب ز ج ي ف ي ح ب ج ن ج ر ن م د ي ن ت ش م ر («وجاء بالجباية» في أطراف نجران مدينة شمّر):

وج ا : الواو حرف العطف، والجيم والألف «جاء».

ب ز ج ي: الباء حرف «جرّ»؛ أمّا ما بعده فمُشكل، وقد اختلف العلماء حوله اختلافاً بيّناً، وبخاصّة لأنّ الرسم غير واضح، حتّى إنّ Dussaud قد غيّر قراءته الأولى، ولم يقرّه بعضهم على أيّ القراءتين(٢). وإذا اعتمدنا القراءة المثبتة أعلاه، والتي يقبلها معظم الباحثين، فإنّ أحسن التفاسير هو اشتقاق اللفظة من «زجا»، ففي العربيّة زجا الخراجُ أي تيسّرت جبايته؛ والمعنى أنّ امرأ القيس فرض (جاء بـ) الجباية في المكان الذي سيذكره، أي أنّه أخضع أهل ذلك المكان له. وهذا التفسير يبدو أقوى من تفسير الكلمة على ضوء «زجا» التي تعني تيسّر واستقام، وكأنّ الجملة إشارة إلى السهولة في إحراز امرىء القيس نصره على أعدائه(٣).

---

(١) انظر: M. H. Segal, *A Grammar of Mishnaic Hebrew*, repr. (Oxford, 1970), p. 134.

(٢) انظر: Beeston, p. 4.

(٣) يرجع الفضل في هذا التفسير للدكتور محمود الغول الذي حدّثني به عندما درست عليه هذا النقش أوّل مرّة عام ١٩٧٤. وقد أشار شهيد إلى هذا التفسير الذي اقترحه عليه الدكتور الغول أيضاً؛ انظر: Shahid, p. 38

ف ي: حرف الجر المعروف.

ح ب ج: يذكر بعض القواميس[1] أنّ معناها: دنا واكتنف وأشرف حتّى نظر؛ وعلى ذلك تدلّ هذه الكلمة على القُرب، وفي هذا السياق على أطراف نجران[2]، أي أنّ سلطان امرىء القيس امتدّ حتّى أطراف نجران.

ن ج ر ن: لا نرى مفرّاً من قراءة «نجران» المدينة المعروفة والتي يرد ذكرها في النقوش السبئيّة بكثرة. أمّا قراءة Halévy[3] «ن ج د ن» (نَجْدانِ) فلا مبرّر لها لعدم ذكر المصادر العربيّة هذا الاسم، بخلاف نجران؛ وإن صحّت قراءته كانت الكلمة مثنّاة.

أمّا مدينة شمّر فعلى البدليّة من نجران على الأرجح. وقد يكون شمَّر هذا شمرَّ يُهَرْعِش الذي يُعرف في المصادر العربيّة بشمَّر يُرعِش[4]، وهو ابن ياسر يُهَنْعِم المعروف في المصادر العربيّة بياسر أَنْعَم أو ناشر النِّعَم[5]. ويرجع نقش حِمْيَري لشمَّر يهرعش إلى حوالي ٢٨١ للميلاد، في حين يرجع نقش امرىء القيس إلى سنة ٣٢٨ للميلاد. أمّا Beeston[6] فينفي أن يكون شمّر هذا هو شمَّر يُهرعش المذكور في المصادر العربيّة، وبالتالي لا

---

(١) انظر القاموس والتاج. ولم أجد هذا المعنى في الصحاح أو اللسان مثلاً.

(٢) في مطلع قصيدة للفرزدق معنى مشابه إذ يقول:

سمونا لنجران اليمانِ وأهلِهِ ونجران أرضٌ لم تُدَيَّث مقاوِلُه

ولم تُديّث مقاوله، أي لم تُذلّل ملوكه، وهو دلالة على المنعة والعزّة؛ قارن هذا بقوله «سمونا» لا «وصلنا» مثلاً. انظر ديوان الفرزدق (ط. صادر) ٢/١٦٩.

(٣) *Revue Sémitique*, pp. 59-60.

(٤) انظر الإكليل ٨/٢٠٨ والتيجان ٢٢٢ وما بعدها.

(٥) انظر الإكليل ٨/٢٠٧ والتيجان، الموضع نفسه.

(٦) P. 4.

يرضى أن تكون « مدينة شمَّر » بدلاً من نجران، بل يرى أنّها مفعول به لـ « و ج ا » في آخر السطر الثاني؛ فهو يرى أنّ « و ج ا » فعل معناه ضرب (قارن وجأ العربيّة). والمعنى المقصود عنده أنّ أمرأ القيس « ضرب » مدينة شمَّر؛ أما ما بعد الفعل فمعترض بينه وبين مفعوله. وليسْ يخفى بُعد هذا التأويل، وبخاصّة لأنّه يضطر صاحبَه إلى أن يترجم « ع ك دي »: « إلى أن » ليستقيم له المعنى: أدّب[1] مذحج إلى أن ضرب... مدينة شمّر (...and chastized Madhhig, so that he successfully smote...)؛ وهـذا التركيب ضعيف، ثم إنّنا كنّا نتوقّع فعلاً مضارعاً بدلاً من الماضي « وجأ »، الأمر الذي يضعّف هذه الترجمة بقدر أكبر.

- و م ل ك   م ع د و (وملَكَ مَعَدَّ):

يُجمع الباحثون، وبحقّ، على أنّ قبيلة مَعَدّ هي المقصودة بهذه العبارة. ويخالف هذا الإجماعَ Halévy[2] إذ يجعل « م ع دو » اسم علم لابن امرىء القيس، ويجعل ما بعده اسم علم لابن آخر لامرىء القيس، ويقرأ « م ل ك » بتشديد اللام، أي على وزن فعّل؛ ويكون المعنى بذلك عنده: « ملّك معدّ، وبيّان (!)، أبناءه (ابنيه)، الشعوبَ »، على أن تكون كلمة « الشعوب » مفعولاً به ثانياً للفعل « ملّك » المتعدّي إلى مفعولين، وأن تكون كلمة « أبناءه » بدلاً من معدّ وبيّان. ويصعب قبول ترجمة لا تجعل « م ع د و » اسم القبيلة المعروفة، لأنّ السياق الذي ترد فيه هذه الكلمة يحمل اسماء القبائل التي أخضعها امرؤ القيس لسلطانه. فالأرجح أن تكون « م ع دو »

---

(١) هذه الترجمة ناتجة عن قراءة « هذّب » بالذال لا بالراء.

(٢) انظر: *Revue Sémitique* (1903), p. 60.

وقارن: *Ephemeris*, II, 36 إذ يقرأ Lidzbarski « بنّان » بدلاً من « بيّان »، وعلى المعنى نفسه، أي اسم علم لابن امرىء القيس.

واحدة من هذه أسوة بـ « ن ز ر و » و« ا ل ا س د ي ن » و« م ح ج و »، لا أن تكون اسم رجل بعينه.

- و ب ي ن   ب ن ي ه   ا ل ش ع وب:

تختلف ترجمة هذه العبارة باختلاف تفسير الكلمة الأولى منها، وغالباً ما قُرئت هذه الكلمة « بيّن » بمعنى « قسَّم » أو « وزّع »، فكأنّ امرأ القيس قسم الحكم على الشعوب بين أبنائه. وضعف هذه الترجمة في أن المعنى الذي تلمحه في « بيّن » غير صريح في المعاجم العربيّة[1]. وهناك قراءة أخرى لهذه الكلمة، وهي « بَيْن »[2]، فتكون الواو واو الحال، والمعنى أنّ امرأ القيس هرّب... وجاء... وملّك... في حال كون الشعوب بين بنيه، أي مقسَّمَة بينهم. ويكمن ضعف هذه القراءة في أنّ السياق يرجِّح كون « ب ي ن » فعلاً معطوفاً على أسر وملك وهرّب وجاء وملّك جميعاً. ولا بدّ من التأكّد من صحّة القراءة قبل التوصّل إلى ترجمة مقبولة، إذ من الممكن أن تكون الأحرف المكتوبة « ن ز ل »[3] أو « ن ي ل »[4]. والقراءة الأولى، قراءة شهيد: « نزّل »، تناسب المعنى وإن كان التركيب « نزّل بنيه الشعوب » بمفعولين اثنين للفعل غير ما نتوقّع، لأنّ الأنسب أن يسبق « الشعوب » حرف جر نحو « في » أو « على ». أمّا القراءة الثانية، ن ي ل، (وهي قراءة Beeston) فتقتضي قراءة الفعل على وزن فاعَل لتبرير ظهور

---

(١) انظر: Shahid, pp. 38-9.

(٢) ويمكننا أن نقترح ترجمة أخرى، وإن كنّا غير مطمئنّين إليها تمام الاطمئنان، وهي أنّ « بيّن » تعني « زوَّج » والمعنى على ذلك يكون أنّ امرأ القيس زوّج بنيه الشعوب، أي عقد معهم الأحلاف بهذا. وتفضُل هذه القراءة سابقتها في أنّ هذا المعنى مذكور في القواميس العربيّة، على خلاف معنى « قسم ».

(٣) Shahid, p. 39.

(٤) Beeston, p. 5.

الياء، أي « نايَل » (كذا!)، فكأنّ امرأ القيس سلّم بنيه أمر حكم الشعوب (أي الحضر) وترك لنفسه أمر حكم البدو، ولعلّ هذا هو معنى المشاركة الذي أوحى بهذه القراءة. ولا يخفى ما على هذه القراءة من مآخذ ترجع إلى التمحّل في صيغة الكلمة ومعناها معاً. أمّا لفظ « الشعوب » فجمع تكسير مثل « ملوكهم » في السطر الثاني.

- و و ك ل ه ن ف ر س و ل ر و م:

قد يكون هذا الجزء أعصى ما في النقش على الترجمة وأكثره مدعاةً للاختلاف في التأويل. وقبل محاولتنا ترجمة العبارة كلّها يجب النظر في الكلمات مفردةً:

وو ك ل هـ ن: نرجِّح رجوع الضمير « ه ن » إلى الشعوب. أمّا « وك ل » فقد تكون « وكّل » من الوكالة، وقد تكون اسماً بصيغة الجمع، أي « وُكلاء »[1]. واقترح شهيد[2] أن تُقرأ الواو الأولى جزءاً من الكلمة التي تسبقها (أي: الشعوبو)، أسوة بالواو التي في « نزارو » مثلاً، وأن تكون الواو الثانية واو الحال وما بعدها كلمة « كُلّ » والمعنى: وكُلُّهُنّ »؛ كما اقترحَ ترجمة أخرى للكلمة، قائمة على قراءة الفعل « وكّل » بمعنى « أكّل »، أي أطعم، فكأنّ أمرأ القيس قد جعل « الشعوب » مرتزقة عنده « يطعمهم » أجراً لما يقومون به له.

ف ر س و: إن مردّ الصعوبة التي تتّسم بها الجملة المبتدَأة بـ « و ك ل هـ ن » إنّما هو فهم هذه الكلمة بالذات: فهل تعني الفُرس[3] أم أنّ معناها

---

(١) Halévy, *Revue Sémitique* (1903), p. 60.

(٢) p. 39.

(٣) أنظر: Ch. Clermont-Ganneau, *Recueil d'Archéologie orientale*, VI, pp. 305 ff.

وقارن: Beeston, p. 5.

متعلّق بفكرة الفارس والفروسيّة[١]. ويزيد التأويلَ صعوبةً تفسير الواو التي في «ف ر س و» (فهل هي جزء منها - كما في «ن ز ر و» - أم أنّها حرف عطف، أم هي ضمير الجمع إن كان ما قبلها فعلاً: فرّسوا)، وتفسير اللام التي في «ل ر و م» (فقد قيل إنّها كاللام في العربيّة؛ ولكن باستطاعتنا أن نقترح أيضاً أنّها لام التعريف)، وإلى ذلك ليس ما يمنع، من ناحية الكتابة، أن تكون النون التي في «و ك ل ه ن» لاماً، وعند ذلك تكون متّصلة بـ «ف ر س و» لا بالكلمة التي قبلها.

ل ر و م: أنظر في اللام الفقرة السابقة؛ أما «روم» فلعلّها الكلمة الوحيدة التي لا مجال للاختلاف في ترجمتها في هذه العبارة.

وإذا تأمّلنا في الاحتمالات الكثيرة التي ذكرناها في قراءة الجملة السابقة وتقسيم كلماتها، تبيّن وجه الصعوبة في الترجمة؛ وهذا يضاف إلى الصعوبة الناشئة عن وجوب التوافق بين هذه الترجمة وبين المعلومات التي نعرفها عن تلك الحقبة من حيث العلاقة بين اللخميّين والفرس والروم.

ويضاف إلى هذا اضطراب المصادر العربيّة في تأريخها لهذه الفترة وبخاصّة في ترتيب ملوك الحيرة وذكر سنوات وفياتهم[٢] بَلْهَ المادّة «التاريخيّة» المتعلّقة بهم. وتذكر المصادر أنّ امرأ القيس بن عمرو كان عاملاً للفرس[٣]، فهل امرؤ القيس هذا هو نفسه الذي ندرس شاهد قبره؟

---

(١) أوّل من اقترح هذه القراءة هو Dussaud في:

RA.41 (1902), p. 418.

وانظر أيضاً: *Mission*, p. 320.

(٢) انظر محاولة Dussaud في هذا الشأن في:

Les Arabes en Syrie avant l'Islam, p. 36, n. 3.

وقارن بكتاب له آخر: *Pénétration*, p. 65.

(٣) نشير هنا إلى ما جاء في تاريخ الطبري (ط. المعارف، تـ محمّد أبو الفضل إبراهيم) ٥٣/٢، =

وإن كان عاملاً للفرس، فلمَ وُجد قبره في النمارة التي كانت تحت لواء الروم في ذلك الوقت، ولِمَ يظهر في النقش اسم الروم في سياق قد يدلّ على أنّ امرأ القيس عامل لهم؟؟ قد يكون امرؤ القيس كان على علاقة جيّدة بالفرس الروم معاً[1]، أي أنّه كان لكلا الامبراطوريّتين مصلحة في وجود « ملك » يضبط القبائل والشعوب معاً. فلعلّ الترجمة لذلك تكون: « وكّله الفرس والروم » على التقسيم التالي: « و ك ل ه/ل ف ر س/و ل ر و م »[2]. ولكنّ علينا أن نقرّ بأنّنا ما لم نستطع تحديد العلاقة بين امرىء القيس وبين الامبراطوريّتين العُظميين لا يمكننا الاطمئنان إلى هذه القراءة اطمئناناً كاملاً. ولذلك لا نستطيع مطلقاً أن نردّ الاحتمال الآخر بجعل « ف ر س و » فعلاً (نحو: فرّسوا) بمعنى: عملوا (أي الشعوب) فرساناً للروم بتوكيل من امرىء القيس. ولعلّه لا مجال للتقرير والمفاضلة قبل أن تزداد معلوماتنا عن تلك الفترة وعن شخصيّة امرىء القيس بن عمرو وموضعه في الموازين السياسيّة والعسكريّة في حقبته.

– ف ل م ي ب ل غ م ل ك م ب ل غ ه (فلم يبلغ ملك مبلغه):

هذه الجملة عربيّة تماماً في تركيبها ومفرداتها، ولا تدع مجالاً للشكّ في كون لغة هذا النص عربيّة في غالبها، وإن يكن فيها عناصر آراميّة نبطيّة كما سنرى.

= فقد ذكر أن امرأ القيس البَدْء « هو أوّل من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس »، وقد يكون امرؤ القيس هذا هو المذكور في نقشنا؛ راجع ص ١٢٨ – ١٢٩.

(١) انظر رأي Beeston في مقالته، ص ٦.

(٢) انظر المرجع نفسه، ص ٦، لاحتمال قراءة اللام بدلاً من النون في الحرف الخامس من التركيب.

- ع ك د ي (حتّى اليوم):

إنّ هذا المعنى يناسب هذا المقام أكثر من المعاني الأخرى المحتمَلة والتي سبق ذكرها[١]؛ فالمقصود أنّه لم يوجد، حتّى مماته، ملك بلغ ما بلغه هو.

- ه ل ك س ن ت ٢٢٣ ي و م ٧ ب ك س ل و ل (مات سنة ٢٢٣ اليومَ السابعَ بكِسلول):

ليس في هذا ما يستدعي التعليق إلاّ كِسْلول وهو اسم شهر يقع ما بين تشرين الثاني وكانون الأوّل. وقد ذكر البيروني هذا الشهر بلفظ كسليو[٢]، واسمه في العبريّة כִּסְלֵו Kislēw[٣]، واللفظة في الأصل بابليّة: Kislimu[٤]. وعلى ذلك تكون وفاة امرىء القيس تحديداً في السابع من كسلول عام ٢٢٣ من تاريخ بُصرى الموافق العامَ ٣٢٨ من التاريخ الميلاديّ[٥].

- ب ل س ع ذو و ل د ه (يا سَعْدَ مَن وَلَدَه):

إنّ ترجمة هذه الكلمات بالعبارة الدُعائيّة العربيّة «يا لسعد مَن ولده» تبقى أفضل ترجمة مقترَحة لنهاية النصّ[٦]. أمّا متعلّق حرف الجر الباء

---

(١) راجع ص ١٣٤.

(٢) الآثار الباقية، ص ٥٢.

(٣) حرف الصفير في هذه الكلمة العبريّة هو الساميخ الذي يقابله السين العربية لا الشين.

(٤) أنظر: L. Oppenheim (ed.), *The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago* (1956-77), VIII, 429.

(٥) أنظر المبحث: «La chronologie nabatéenne» في: *Le Nabatéen*, I, 6-9

وانظر أيضاً المبحث «Chiffres» في الكتاب نفسه (I, 35-6) لمعرفة الطريقة المتّبعة في كتابة الرقمين في هذا النصّ.

(٦) أوّل من اقترح هذه الترجمة R. Dussaud في *Mission*, p. 321.

قارن هذه الترجمة بترجمة أخرى ذكرها في دراسة سابقة ثم عاد عنها وذلك في: *RA* (1902), pp. 412, 419. =

ففعل محذوف قد يكون تقديره «لِيَعِش». والأصوب أن يكون الدعاء لوالد امرىء القيس لا لبنيه لأن «ذو» في الغالب للمفرد المذكّر، وإن كان استعمالها في غير ذلك جائزاً في لهجة طيّء[١].

وهناك ترجمة أخرى جيّدة ينبغي التنبيه عليها وهي الترجمة التي اعتمدها Halévy[٢] ومفادها أنّ «ب ل س ع د» مكوّنة من باء القسم ولام التعريف واسم الإله «سعد»، والمعنى قد يكون قسَماً بسعد أو تضرّعاً له إذ «ولد» (engendré) امرأ القيس.

نقش أمّ الجمال الأوّل

شاهد قبر يرجع، تقريباً، إلى منتصف القرن الثالث للميلاد، وهو، نفسه، غير مؤرّخ. والنقش قسمان واحدهما يونانيّ والآخر نبطيّ - عربيّ، والقسمان متطابقان في المعنى تماماً[٣]. وقد اكتُشف النصّ النبطيّ - العربيّ قبل النصّ اليونانيّ، وكانا في مكانين مختلفين من أمّ الجمال من أعمال

= وقد تكون في العبارة «ب ل س ع د ذ و و ل د ه» صيغة نصرانية (انظر Halévy, *Revue Sémitique*, 1903, p. 61)؛ ونشير هنا إلى أنّ المصادر العربيّة تقول إن امرأ القيس بن عمرو - ولعلّه امرؤ القيس صاحب النقش هذا - كان أوّل من اعتنق المسيحيّة...

(١) انظر شرح ابن عقيل ١٤٩/١ وما بعدها، وقارن ص ١٢٩.

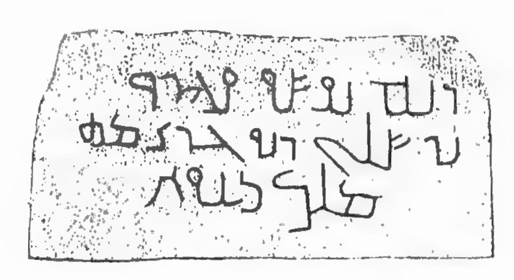
(٢) انظر: *Revue Sémitique*, (1903), p. 61.

(٣) تجد النصّ مترجماً في:

M. de Vogüé, *Syrie centrale: Inscriptions sémitiques* (Paris, 1868-77), p. 122.

ولكن المؤلّف لم يوفّق إلى قراءة جميع الكلمات أو ترجمتها على الوجه الصحيح. وتجد ترجمة أفضل في:

E. Littmann, *Nabataean Inscriptions* , pp. 37-40.



الرسم ٣٢ : القسم العربيّ - النبطيّ من نقش أمّ الجمال الأوّل

حوران، ولكنّ تطابقهما لا يدع مجالاً للشك في أنهما في الأصل كانا معاً[١].

والنقش بالحروف العربيّة مفرّقةً هو كما يلي:

١. د ن ه   ن ف ش و   ف ه ر و

٢. ب ر   ش ل ي   ر ب و   ج ذ ي م ت

٣. م ل ك   ت ن و خ

- د ن ه (هذا):

اسم إشارة للقريب مفرد ومذكّر، ولفظه d^enā قياساً على דְּנָה



Ἡ στήλη αὕτη Φερου
Σολλεου τροφεὺς Γαδιμαθου
βασιλεὺς Θανουηνῶν.

الرسم ٣٣: القسم اليونانيّ من نقش أمّ الجمال الأوّل

---

(١) سبب هذا أن النصارى الذين سكنوا المدينة في فترة لاحقة احتاجوا لحجارة البناء فاستعملوا ما وقعت عليه أيديهم منها؛ فالقسم النبطيّ - العربيّ من هذا النقش، مثلاً، وهو في الأصل شاهد قبر، وُجد في جزء من حائط أحد البيوت؛ انظر في هذا:
Littmann, *ibid.*, pp. 38, 40.

الآراميّة التوراتيّة. والدال فيه هو العنصر الإشاريّ « ذ » في العربيّة مثلاً، في نحو هذا وذاك، والنون كذلك عنصر إشاريّ يقابله النون في كثير من اللغات الساميّة[١].

- ن ف ش و (قبر):

لا نتوقع وجود الواو كتابةً في هذه الكلمة لأنّها مضافة ولأنّها ليست اسم علم[٢]، وقد وردت في مطلع نقش النمارة بلا واو لإضافتها. ويستنتج Littmann من وجود هذه الواو حيث لا يُنتظر وجودها أنّ كاتب النصّ عربيّ لم يكن يعرف النبطيّة معرفة صحيحة[٣]. وقد يكون هذا القول صحيحاً، ولكنّنا لا ينبغي لنا أن نُهمل الاحتمال الآخر، أي صحّة استعمال الواو في مثل هذا الموضع، فقد يكون هذا من أثر استعمال قديم لم يصلنا، أو من أثر لهجة من اللهجات - إن كانت الواو ذات قيمة صوتيّة كما يرى بعضهم ممّن يذهب إلى أنّها دالّة على حالة إعرابيّة.

- ف ه ر و ب ر ش ل ي (فِهر بن شُلَّي):

« فِهر » اسم عربيّ معروف، وأصل قُريش فيما قيل فِهر بن مالك[٤] بن النّضر بن كنانة. ولم يذكر الدارسون، فيما أعلم، اشتقاق هذا الاسم، ولعلّه من معنى جذر « فهرَ » الدالّ على معنى « جمعَ »[٥]. و « شُلَّي » أو « سُلَّي »

(١) انظر استعمال هذين العنصرين الاشاريّين في أسماء الإشارة الساميّة في:
De Lacy O'Leary, *Comparative Grammar of the Semitic Languages*, repr. (Amsterdam, 1969), pp. 158 ff., 166 ff.

(٢) الواو هذه تُستعمل عادة مع أسماء الأعلام إلا في حال إضافتها؛ أما في سائر الأسماء فهي غير مستعملة.

(٣) أنظر: Littmann, *ibid.*, pp. 38-9.

(٤) وفي اللسان: غالب.

(٥) نبيّن هنا ما أوحى لنا بهذا الاقتراح: لا تذكر المعاجم العربيّة معنى « جمع » في مادة « فهر » صراحةً، ولكنّها تذكر فُهر اليهود أي « موضع مدارسهم الذي يجتمعون إليه في عيدهم يصلّون =

بالضمّ بدليل الضمّة في الاسم نفسه في النصّ اليونانيّ، وهذا يدحض رأي من يزعم أنّه بالفتح[1]. وقد يكون الاسم، من حيث الاشتقاق، مختصراً من «سُلَّيْم»، إن لم يكن على حاله الأصليّة[2]. *

- ر ب و ج ذ ي م ت م ل ك ت ن و خ (مُربّي جذيمة ملك تنوخ):

= فيه» (اللسان: فهر). ومن مشتقّات الجذر الدالّة على فكرة الجمع: «أفهر إذا اجتمع لحمة زِيَا زِيَا وتكتّل فكان معجَّزاً». وأمّا قول الشاعر:

أبونا قُصَيّ كان يُدعى مُجَمِّعاً ... به جمعَ اللهُ القبائلَ من فِهر

(كتاب الاشتقاق لابن دريد، ص ١٥٥؛ وقارن اللسان: جمع) فيعيننا أيضاً في استشفاف المعنى الذي تؤدّيه المادّة. وقول المعاجم العربيّة إنّ النصارى يقولون فُخر بالخاء في غاية الأهمّيّة لأنّ الجذر الساميّ قد يكون بالخاء لا بالهاء، في الأصل، ودليلنا على ذلك كلمة mpḥrt التي ترد في النقوش الفينيقيّة بمعنى «assemblée, totalité»؛ انظر ورودها في:

Jean & Hoftijzer, *Dictionnaire des inscriptions sémitiques de l'Ouest* (Leiden, 1960-65), p. 163.

فالحاء في هذه الكلمة الفينيقيّة تقابل الخاء العربيّة لا الهاء. وكذلك نجد في الأوجاريتيّة pẖr بالمعنى نفسه، وpẖyr بمعنى: «members of a household»؛ انظر:

Gordon, *Ugaritic Texbook*, pp. 467-8.

أمّا وجود الهاء في العربيّة فناتج عن كون الكلمة دخيلة (انظر اللسان) لدلالتها على ما يتعلّق باليهود، فتحوّلت الحاء الأصليّة (وهي والخاء في العبريّة والفينيقيّة حرف واحد) إلى هاء على ألسنة الناس إلاّ عند النصارى الذين احتفظت ألسنتهم بالأصل. وأخيراً يؤيّد ما نذهب إليه أنّ الصوت p في الفينيقيّة والعبريّة والأوجاريتيّة يقابل الفاء العربيّة، وأنّ صاحب التاج أشار إلى أنّ أصل الكلمة «بهر»، وفي هذا لمح واضح للأصل؛ قارن بالصحاح: «وفُهر اليهود مِدْراسهم، وأصلها بُهر»، ونرى أنّ الصواب «پ»، وقد يكون هذا هو ما عناه الجوهريّ ولم يلمحه الناسخ أو المحقّق.

(١) *Ephemeris*, II, 16, n. 1; cp. III, 293.

(٢) Littmann, *ibid*, p. 39.

« ر ب و »: الواو فيها زائدة في موضع لا نتوقّع فيه زيادتها لأنّ الكلمة مضافة(١)، والجذر المكوّن من الراء والباء يدلّ في اللغات الساميّة كلّها على فكرة الكثرة في أصل معناه(٢)، وعلى معنى السيادة(٣) ومعنى التنشئة(٤) وهما مشتقان من المعنى الأساسيّ للمادّة.

أما جَذيمة ملك تنوخ (في اليونانيّة Θανουηνῶν بلا خاء) فيُرجَّح أنه جذيمة الأبرش ملك الحيرة الذي تهتمّ المصادر العربيّة بعلاقته بالزبّاء(٥)؛ وهو، حسب هذه المصادر، جدّ امرىء القيس بن عمرو الذي قد يكون صاحب نقش النمارة كما بيّنّا. ويرى Littmann(٦) أن استعمال عبارة « ملك

---

(١) راجع ما سبق في شرح « نفشو ».

(٢) من ذلك רַב rab̲ في العبريّة بمعنى« كثير »،والفعل الحبشيّ: ረበበ rababa بمعنى كبر وتضخّم، وربَّ النعمةَ في العربيّة زادها وربَّ الشيءَ جمعه. وفي العبريّة فعل شبيه بهذا الفعل « المضعّف » وهو الفعل רָבָה rāb̲ā ويفيد المعنى ذاته، ويقابله في العربيّة ربا بمعنى زاد ونما، وفي السريانيّة ܪܒܐ rb̲ā بالمعنى نفسه. ومن الكلمات المشتقّة من هذا المعنى רְבָבָה r^e b̲āb̲ā و רִבּוֹ ribbō العبريّتان وتعنيان الجمع الكثير أو عشرة آلاف، ويقابل هذا في السريانيّة ܪܒܘܬܐ rabbūtā، ويقابله في العربيّة الرُبَّة (من « ربب ») والرُبوة والرَبو (من « ربا ») يُقصد بها الجماعة وهم عشرة آلاف. والكلمات الساميّة الدالّة على معنى الكثرة بهذا الجذر أكثر من أن نحصيها في هذا المقام.

(٣) ومنها في العربيّة الربّ أي المالك والسيّد والمدبّر والله، والربيب الملك؛ و רַב rab̲ في العبريّة والآراميّة السيّد والرئيس. وفي البابليّة والحبشيّة أمثلة على هذا المعنى أيضاً تجدها مفصّلةً في المعاجم.

(٤) ربّ ولدَه يربُّه: ربّاه ووليه حتّى يفارق الطفوليّة، والمطر يربّ النبات أي ينميه؛ والمعنى منتزع من فكرة الكِبر أو التكبير. وفي اللغات الساميّة الأخرى معان مماثلة كما في ܪܒܝ rabbī السريانيّة ومعناها هذّب وثقّف؛ قارن أيضاً הַרְבָּה hirbā في العبريّة.

(٥) أنظر الطبري ٦١٨/١، ومروج الذهب ١٦/٢، والكامل لابن الأثير ٣٤٥/١ - ٣٥٠.

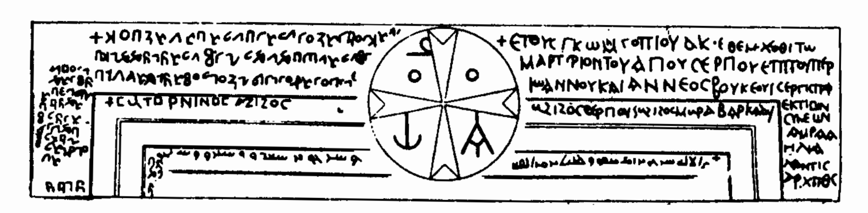
(٦) انظر: *Nabataean Inscriptions,* p. 39 .

وقارن: *Ephemeris,* III, 292-3.

تنوخ » بدلاً من ملك الحيرة في النصّ يُشعرنا بأنّ تنوخ لم تكن في ذلك الوقت قد استقرّت في الحيرة. والمهمّ أنّ وجود جذيمة الأبرش ثابت تاريخياً فيما نقدّر.

نقش زَبَد

وُجد هذا النقش في خرائب زَبَد الواقعة بين قنّسرين ونهر الفرات، وهو مكتوب بالسريانيّة واليونانيّة والعربيّة[1]. والنصّ العربيّ ليس مترجماً عن النصّ السريانيّ أو اليونانيّ، كما أنّه ليس مؤرّخاً؛ ولكن يُستدل من النصّ السريانيّ أن النقش يرجع إلى سنة ٨٢٣ من التقويم السلوقيّ أي سنة ٥١٢ للميلاد[2]، وتحديداً، في الرابع والعشرين من شهر أيلول.



الرسم ٣٤ : نقش زبد، وقسمه العربيّ مكبَّراً

(١) انظر النصوص وترجمتها من اللغات الثلاث في المرجعين التاليين:

E. Sachau, «Zur Trilinguis Zebedaea,» in *ZDMG*, 36 (1882), pp. 345-52.

M. A. Kugener, «Note sur l'inscription trilingue de Zébed,» in *JAs.*, 10 ser. 9 (1907), pp. 509-24.

وانظر بيبليوغرافيا النقش في:

Combe, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, I, 2-3.

(٢) لا ٦١٢ كما ذكر جواد علي في المفصّل ٨/١٧٦.

يتألّف النصّ، في معظمه، من أسماء أعلام، ويخلو من الأفعال، وفائدته اللغوية محدودة لذلك؛ وإلى ذلك يصعب قراءة بعض الأحرف قراءة حاسمة، الأمر الذي يفسّر الاختلاف الكبير بين العلماء في دراسة هذا النقش. ويمكن تقسيم النص ثلاثة أقسام هي التالية:

١ - الكلمتان الأوليان - أو ما يرجَّح أنّه الكلمتان الأوليان، ولا يمكن القطع بهذا الأمر لأنّ أوّل النص مُتلَف. وقد قرأ بعضهم « بسم الاله »[١] وقرأ آخرون « بنصر الاله »[٢]، ولا نرى لإحدى القراءتين فضلاً على صاحبتها. وقد تكون القراءة الصحيحة « تيم الله » كما أشار Kugener[٣]، وعلى ذلك يكون المطلع اسم علم كسائر أسماء الأعلام الواردة في النقش. وإن صحت قراءة « الإله » كانت الـ التعريف دليلاً قاطعاً على كون لغة الكتابة عربيّة[٤].

٢ - أسماء الأعلام: يعدّد النصّ العربيّ أسماء الذين اشتركوا في بناء الكنيسة المذكورة في النصّ اليونانيّ. ويُذكر أنّ النصّ العربيّ، كالنصّين اليونانيّ والسريانيّ، يبدأ بعلامة الصليب، الأمر الذي يؤكّد أن النصّ نصرانيّ. والأسماء الواردة في النصّ العربيّ هي الآتية:

---

(١) هذه قراءة Lidzbarski التي وردت في:

Handbuch der nordsemitischen Epigraphik, repr. (Hildesheim, 1962), I, 484.

وقد تناقلت الكتب العربيّة هذه القراءة على أنّها قراءة Lidzbarski في الأصل (انظر: تاريخ اللغات الساميّة لإسرائيل ولفنسون، ص ١٩١، و« أصل الخطّ العربيّ »، لخليل نامي، ص ٩٠، والمفصّل لجواد علي ١٧٦/٨) دون أن تشير إلى أنّ هذه قراءة Sachau في الأصل، كما وردت في مقالته الآنفة الذكر، ص ٣٥٠.

(٢) E. Littmann, «Osservazioni sulle iscrizioni di Ḥarrân e di Zebed,» in *RSO*, 4 (1911), pp. 196.

(٣) P. 521.

(٤) قارن ص ١٢٨ سابقاً.

– شرحو بر... مع: « بر » معناها الابن كما مرّ في نقش النمارة؛ أما « شرحو » فعلى قراءة (قارن مثلاً بـ « شُريح » و « شَراحيل »)[١]، وعلى قراءة أخرى « سِرجو » فتكون معادلة لـ Sergius اليونانيّة الواردة في النصّ اليونانيّ؛ ويلاحَظ أنّ في آخرها واواً كالتي في عمرو. وأما اسم الوالد فلم يبق منه إلا الميم والعين، وليس في النصّين السريانيّ واليونانيّ ما يساعدنا على تقدير الأصل.

– تيمو أو قثمو: قد يكون هذا لقباً لـ « شرحو » ولا نعرف له معنى؛ ولكنّ الأفضل اعتباره اسم علم كسائر الكلمات في النصّ، وبذلك يكون اسم جد « شرحو »، أي اسم والد الشخص الذي لم يبق لنا من اسمه إلا الميم والعين[٢]. وإذا قرأنا « قيمو » كان نظيرها العربيّ « قيّام »[٣] أو « قائم »؛ وأمّا إذا قرأنا « قثمو » فإنّ نظيرها العربيّ يكون « قُثَم » الذي قيل إنّه معدول عن « قاثِم » ومعناه المُعطي[٤]. أما « تيمو » فيقابلها « تيم الله ».

– و... بر مر القس: اسم الابن غير مقروء، أمّا اسم الوالد فيرى Sachau أنّه الميم والراء (مُرّ مثلاً) وأنّ « القس » لقبه، أي القسّيس، ولم يُكتب « قسّيس » لعدم وجود المسافة الكافية لذلك في آخر السطر الأوّل من النقش؛ أمّا الصواب فقراءة Kugener، إذ لا يخفى أنّ الاسم مركّب، وهو « امرؤ القيس »[٥].

– وشرحو بر سعدو: « سعدو » سعد، ولا يحتاج الباقي إلى تعليق.

---

(١) انظر ما سنذكره عن هذا الجذر ص ١٥٣.

(٢) انظر: Sachau, p. 351.

(٣) انظر: Lidzbarski, *Handbuch*, I, 362.

(٤) انظر اللسان: قثم.

(٥) p. 522.

- وسترو: اسم علم من جذر « ستر »، ولعلّه « ساتر » أو « سِتر » الخ.
- وشريحو: شُريح.

٣ - الكلمة الأخيرة: وهي مكتوبة بالسريانيّة، وأحرفها « ب ت م ي م ي ». وتوحي قراءة Sachau(١) أنّ الحرفين الأوّلين هما « بت » أي بيت أو عائلة، والباقي اسم العائلة. أمّا Kugener(٢) فيرى أنّ هذه الأحرف السريانيّة ترمز إلى تاريخ النصّ العربيّ الذي يعتبره متأخراً عن النصّ اليونانيّ، ويرى أنّ الباء ظرفيّة (أي بمعنى « في ») وأن التاء والميم يجب أن يُقرءا على طريقة حساب الجُمَّل، فالأولى أربعمائة والثانية أربعون؛ ويستنتج من ذلك أنّ النقش العربيّ كُتب سنة ٤٤٠ من تاريخ بُصرى، أي سنة ٥٤٥ للميلاد. ولكنّ من المستهجن أن يؤرّخ للنقش بالحرف السريانيّ، كما يشير صاحب الاقتراح نفسه. وهناك احتمال آخر للقراءة وهو أنّ الكلمة هذه تدلّ على التمام، أي الانتهاء من بناء الكنيسة أو من كتابة النقش، فمادّة التاء والميم موجودة في السريانيّة وتدلّ على التمام (نحو ܬܡܝܡܐ = tamīmā كامل)، فتكون الكلمة كلّها بمعنى « بالتمام » وإن تكن صيغتها السريانيّة غير واضحة. غير أنّنا ننبّه على أنّ في اقتراحنا بعض التجوّز، لأنّ معنى الجذر « ت م » في السريانيّة مختصّ بمعنى مجرّد هو الاستقامة والبساطة، وليس يعني إنهاء الشيء وإتمامه، وإن كنّا نستطيع لمح العلاقة بين المعنيين.

نقش حرّان

اكتشف هذا النص Wetzstein في كنيسة بحرّان اللجا في جبل الدروز

---

(١) p. 352.

(٢) pp. 522-3.

ونسخه نسخاً غير دقيق (انظر الرسم ٣٥). ونسخه بعده Waddington نسخاً أفضل (الرسم ٣٦)، وحاول أن يترجمه[١] بعد أن حدّد تاريخه تحديداً صحيحاً اعتماداً على النصّ اليونانيّ لأنّه لم يستطع تمييز التاريخ المذكور في النصّ العربيّ. وهذا التاريخ هو سنة ٤٦٣ من تاريخ بصرى، وهي تبدأ في الثاني والعشرين من آذار سنة ٥٦٨ للميلاد.

الرسم ٣٥

نقش حرّان (نسخة Wetzstein)

الرسم ٣٦

نقش حرّان (نسخة Waddington)

---

(١) انظر: W. H. Waddington, *Inscriptions grecques et latines*, tome III (Paris, 1870), no 2464, p. 561.

قارن: de Vogüé, *Syrie centrale*, pp. 117-8.

ورقم هذا النقش هو ٤٨٥ في: *Répertoire d'épigraphie sémitique.*

وانظر البيبليوغرافيا المتعلّقة بهذا النقش في:

Combe, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, I, 3-4.

والنصّ هو الآتي (بزيادة التنقيط)، ولا حاجة لكتابة حروفه مفرّقةً لوضوحها في الأصل:

١ . [ا] نا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول

٢ . سنة (٤٦٣) بعد مفسد

٣ . خيبر

٤ . بعم

– [ا] نا: « الألف » الأولى غير ظاهرة في الأصل بوضوح.

– شرحيل: شراحيل[١]، ومن الجذر نفسه شُريح وشرّاح ومِشرح؛ وفي العربيّـــــة الجنوبيّـــــة 𐩺𐩦𐩧𐩢𐩱𐩡 (يشرح إل) و 𐩦𐩧𐩢𐩱𐩡 (شرح إل) و 𐩦𐩧𐩢𐩣 (شرحم)[٢] وغيرها، وفي العبريّة שָׂרַח S^{e}raḥ (سارح)(سفر التكوين ٤٦ :١٧)؛ ومعنى الجذر، كما يُستدلّ من العربيّة الجنوبيّة، دالّ على الوفرة والنجاح والازدهار، فشراحيل معناه « إيل أنجح (فلاناً) » ولعلّ استعمال الفعل بصيغة الماضي دالّ على الطلب أو الدعاء[٣].

– ظلمو: يقابله في العربية ظالم، اسم علم معروف[٤]. والشكل « ط » الذي يظهر في النصّ قد يرمز إلى « ظ » قبل مرحلة الإعجام؛ و« ظلم » في

---

(١) وفي العربيّة شراحين (انظر الصحاح والتاج واللسان)؛ وشبيه بهذا قولهم إسمعيل وإسمعين.

(٢) انظر مثلاً النقش ٧٦ في:

C. Conti Rossini, *Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica* (Roma, 1931).

وكذلك النقش المنشور في الدراسة الآتية:

A. Jamme, «An Archaic South-Arabian Inscription in Vertical Columns,» in *BASOR*, 137 (1955), pp. 32-8.

(٣) قارن بقولك « سامحه الله » و« قاتله الله » بصيغة الماضي في الدعاء له أو عليه.

(٤) انظر فهرس الأعلام في كتاب الاشتقاق لابن دريد.

العربيّة يقابلها ܛܠܡ tlām في السريانيّة بالطاء لأنّ الظاء العربيّة طاء آراميّة سريانيّة، وهذا التقابل يبرّر استعمال شكل واحد في العربيّة لتمثيل الطاء والظاء (والإعجام الفارق بينهما متأخّر) لأنّه في الكتابة الساميّة الشماليّة لا يوجد شكل يمثّل الظاء لعدم استعمالها في النطق[1]. وفي العبريّة טֶלֶם telem (عزرا ١٠ : ٢٤) اسم علم مذكّر، ومثله טַלְמֹן talmōn (عزرا ٢ : ٤٢) ويرجَّح كونهما مستعارين من الآراميّة لأنّ الطاء الآراميّة التي يقابلها الظاء في العربيّة تكون صاداً في العبريّة لا طاء.

– المرطول: الكنيسة؛ يونانيّة وترد في النصّ اليونانيّ.

– سنة ٤٦٣ : لم يتمكّن Waddington من فك رموز هذا الجزء من النصّ، ولم يخطر له أنّه تاريخه المذكور في النصّ اليونانيّ أيضاً. ولذلك اضطربت قراءته فقرأ سنة « شيخ » وما بعدها « يحو » متلوَّة برموز لم يفهمها، وبعدها « عك » و« ممسك » فصار المعنى عنده: يا شيخ يحيى أجّل (عك: بصيغة الأمر؛ قارن « عك » العربيّة) موتي (ساعة ممسكي)[2]. ولا يخفى اضطراب القراءة وإغراقها في البعد؛ ولذلك لا ينبغي أن يُلتفَت إليها إلا إظهاراً للوهم الذي وقع فيه صاحبها نتيجة إصراره على قراءة لا تفيد معنى واضحاً.

– بعد مفسد خيبر بعم: توهّم كثير من العلماء[3] أنّ الكلمة الأخيرة هي « نعم[4]» الدالّة على النعمة والخير، فكأنّها دعاء له، وأنّ الكلمة التي تسبقها

---

(١) شبيه بهذا العين والغين والدال والذال الخ؛ انظر ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) انظر: de Vogüé, *Syrie centrale*, p. 118.

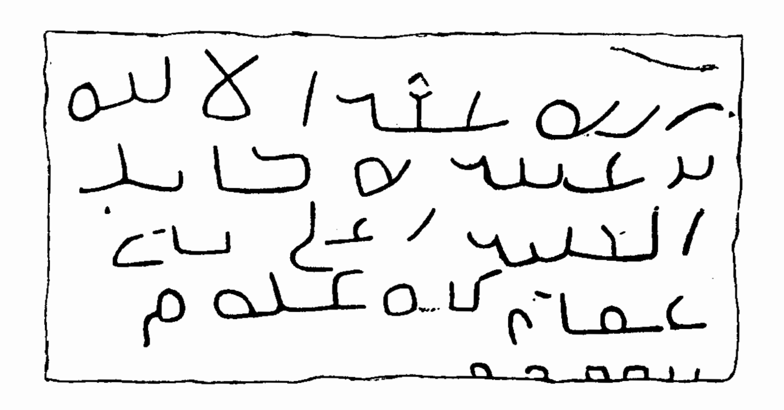
(٣) انظر مثلاً: Dussaud, *Mission*, p. 325.
و: Cantineau, *Le Nabatéen*, II, 50-1.

(٤) ولم يحرّكوها، ولعلّهم قصدوا « نَعَم » أو « نُعْم ».

هي حينئذ[١] أو حبّذا[٢]. وأمّا القراءة الصحيحة فهي التي اقترحها Littmann[٣]: «بعد مفسد خيبر بعم» (بعام)، ويرجّح صاحب الاقتراح أن تكون العبارة أشارة إلى غزوة لخيبر يذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف[٤] أنّ أحد أمراء بني غسّان قام بها. فالنقش بذلك مؤرّخ مرّتين، الأولى بتاريخ بصرى، والثانية بتاريخ مفسد خيبر (سقوطها، انهيارها...).

نقش أمّ الجِمال الثاني:

عُثر عليه في أمّ الجمال، وسُمِّي ثانياً للتفرقة بينه وبين شاهد قبر «فهرو



الرسم ٣٧
نقش أمّ الجمال الثاني

---

(١) انظر المرجعين المذكورين في ح ٣ ص ١٥٤.

(٢) انظر: de Vogüé, *Syrie centrale*, p. 118.

(٣) في: *RSO* (1911), pp. 193-5.

(٤) ط. وستنفلد ص ٣١٣ - ٣١٤؛ ويقابلها في ط. دار المعارف ص ٦٤٢.

بر شلي ». والنقش مكتوب على حجر البازَلت وموضعه القسم الأسفل من ركيزة في داخل كنيسة؛ فهذا النص، كنصّي زبد وحرّان، نصّ نصرانيّ، إلا أنّ كتابته تختلف عن كتابتيها، وقراءته أشدّ صعوبة. وقد نشره وترجمه E. Littmann عام ١٩٢٩[١]، ثم نقّح الترجمة الأولى في دراسة لاحقة[٢]. ويُعتقد أنّ النقش يرجع إلى القرن السادس كالكنيسة التي وُجد فيها؛ وهذا التاريخ لا يتعارض وتاريخَيْ زبد وحرّان وكلاهما من القرن السادس.

وقراءة Littmann هي الآتية (بزيادة التنقيط):

١ . الله غفرا لاليه
٢ . بن عبيده كاتب
٣ . العبيد أعلى بنى
٤ . عمرى تنبه علـ(يـ) ـه من
٥ . [يقرؤه]

– غفرا: بمعنى اغفر، كما في استعمال المصدر المنصوب في العربيّة بدلاً من فعله.
– لاليه: أُليه تصغيره آله، اسم علم[٣].

---

(١) «Die vorislamisch-arabische Inschrift aus Umm iğ- Ğimâl,» in *ZS*, 7 (1922), 197-204.

(٢) *Arabic Inscriptions* (Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909), Div. IV, Sect. D. (Leiden, 1949), pp. 1-3.

(٣) ولم تُسمّ به العرب. وفي العربيّة أُلهان، وقد يكون مشتقاً من جذر « اله » أيضاً؛ أمّا ابن دريد =

– كاتب: يذكر Littmann أنّ بعضهم قرأها « كريب » أي الزعيم أو شيخ القبيلة مستنبطاً المعنى من جذر « كرب » في الجنوبيّة العربيّة (ومنه المُكرِّب)(١). والاعتراض على هذه القراءة أنّ من غير المحتمَل وجود هذه الكلمة الجنوبيّة في مثل هذا النصّ الشماليّ رغم عدم وجودها في العربيّة الفصحى.

– العُبَيْد: اسم علم لرجل، أو لقوم على قراءة « كريب » التي أشرنا إليها في الكلمة السابقة. وهذه الكلمة مختلَف في قراءتها، وقد جعلها بعضهم « الخُلَيْد »(٢).

– أعلى بني عمرى: أي قائدهم وزعيمهم.

– تنبّه: هذه قراءة Littmann الثانية إذ يرى أنّها أفضل من قراءته السابقة: « كَتَبَهُ ». وكلا القراءتين لا يتفق اتفاقاً تاماً والرسم، ولكن « كتبه »، عندنا، أنسب للسياق من الأخرى.

– علـ (يـ) ـه: يصرّ Littmann على هذه القراءة ذاهباً إلى أنّ في النصّ خطأ كتابياً (أي حذف الياء) أو أنّ الكتابة تعكس تخفيف الصائت المركّب – ay – (في ʿalayhi) إلى – ē – (في ʿalēh). وأفضل من هذا أن نقرأ « عنه »(٣) وأن نقرن هذه القراءة بالفعل « كتبه » قبلها، ويكون

= فيجعله جمعاً لـ « لَهْن »، واللُّهنة ما يأكله الضيف، وفي هذا المذهب تعسّف واضح بعض ما فيه أن ليس في العربيّة « لَهْن » على وزن « فَعْل » فيكونَ جمعه « ألْهان » على وزن أفعال؛ انظر الاشتقاق ص ٤٣٣.

(١) للتوسّع في فكرة المكرّبين ولقوائم اسمائهم انظر:

A. F. L. Beeston, «Problems of Sabaean Chronology,» in *BSOAS*. 16 (1954), pp.37-56; esp. pp. 42-50.

(٢) انظر: Combe, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, I, 5.

(٣) *Ibid.*, p. 5.

فاعل الفعل اسم الموصول « من » فيستقيم المعنى: « كتبه عنه من... » أي كتبه نيابةً عنه أو بأمر منه.

– السطر الخامس غير مقروء، ولا يساعدنا السياق في تقدير الأصل. ويقدّر Littmann « يقرؤه » فتكون الجملة عنده « تنبّه عليه من/ يقرؤه » على أن تكون « تنبّه » دعائيّة أو طلبيّة بمعنى « ليتنبّه »[1]؛ غير أنّ في هذا مجافاة لأكثر من أمر واحد، كتقدير السطر الخامس بلا دليل وكقراءة « عليه » بدلاً من عنه، وافتراض معنى دعائيّ في « تنبّه » وهي نفسها غير واضحة في النصّ.

لغة هذه النقوش وكتابتها

إنّ دراسة هذه النقوش من الوجهة الكتابيّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحديد لغتها لأنّ من العبث أن تُدرس على أنّها ممثّلة للمراحل الأولى من الكتابة العربيّة قبل معرفة أنها عربيّة أو قريبة من العربيّة إلى درجة تسمح بمثل هذه الدراسة.

تختلف هذه النقوش في قربها من العربية الموسومة بالفصحى؛ ففي بعضها عناصر آراميّة واضحة إلى جانب عناصر عربيّة صريحة. وينبغي التنبيه على أمر كثيراً ما يغفله الدارسون، وهو أنّه يصعب، في كثير من الحالات، تحديد اللهجة الساميّة التي تمثّلها كلمة من الكلمات، لأنّ اللغات الساميّة لها قاموس، كثير من ألفاظه – إن لم نقل معظم ألفاظه – مشترك بين لهجاتها المختلفة. فقد تكون الكلمة الدالّة على معنى معيّن مستعملة في العادة في لهجة من هذه اللهجات نسمّيها الأولى، في حين تستعمل لهجة أخرى نسمّيها الثانية كلمة أخرى للتعبير عن هذا المعنى؛ فإن وردت الكلمة

---

(١) كما في استعمال الماضي في العربيّة في الدعاء أو الطلب.

المستعملة في اللهجة الأولى في نص من النصوص المكتوبة باللهجة الثانية، على خلاف ما كنا نتوقّع، جاز طبعاً أن تكون دخيلة على اللهجة الثانية، ولكن جواز ذلك لا ينفي احتمالاً آخر هو أن تكون الكلمة من المادّة المشتركة (common stock) في اللغات السامية، وبمعنى آخر، يحتمل أن تكون هذه الكلمة كانت موجودة في اللغة الساميّة الأمّ (Proto-Semitic) المفترض وجودها عند علماء الساميّات، وأن يكون ظهورها في اللهجة الثانية من باب الاحتفاظ بالأصل[1] لا من باب استعمال الدخيل. ولذلك قد يصعب في دراسة نقوشنا هذه أن نجزم بكون كلمة ما عربيّة أو آراميّة، فقد تكون مشتركة بينهما بحيث لا يجوز استعمالها دليلاً على كون النصّ عربيّاً أو آراميّاً.

أقدم هذه النقوش نقش أمّ الجمال الأوّل، ويرجع إلى منتصف القرن الثالث للميلاد تقريباً. ولغة هذا النقش ما تزال آراميّة، أو على الأقل تحتمل القراءة على الآراميّة من حيث التركيب (syntax) بقدر ما تحتمل القراءة على العربيّة[2]. ولكن في النقش ثلاث كلمات آراميّة لا نعرف أنها استُعملت في العربيّة، وهي « دنه »، اسم الاشارة، و « نفشو » بمعنى « قبر »

(١) مثال ذلك احتفاظ العربية في قليل من صيغها بسين التعدية المستعملة باطراد في بعض اللهجات السامية؛ فهذه السين (في سقلب مثلاً) ليست فيما نظنّ مستعارة من الأكديّة أو الأوجاريتيّة أو غيرهما من اللهجات التي تستعمل الشين (أي السين العربيّة) في التعدية، بل هي من رواسب الأصل الساميّ المشترك أي باستعمال السين أو الشين في التعدية بدليل وجود هذه السين في صيغة استفعل العربية حيث لا تعدو أن تكون هذه السين سين سقلب في العربيّة أي شين صيغة شفعل في الأكديّة أو الأوجاريتيّة.

(٢) أي ليس في النصّ ما يخالف قواعد التركيب في الآراميّة أو العربيّة، فالنص قصير بحد ذاته، ثم إن تركيبه بسيط لخلوّه من الأفعال و « الحروف »؛ والتركيب كما يلي: اسم إشارة + مشار إليه مُضاف + اسم علم مضاف إليه + بدل + بدل. ولو تصورنا أنّ هذا النصّ مكتوب بعبريّة العهد القديم أو بالحبشيّة مثلاً لما كان تركيبه يختلف في اللغتين عما هو عليه.

و « بر » بمعنى « ابن ». أما الطابع العربيّ للنصّ فيُستدل عليه بكون اسم العلم فيه عربيّاً، وباحتمال كون الكاتب لم يكن يعرف النبطيّة معرفةصحيحة بدليل كتابة الواو اللاحقة بالأسماء حيث لا نتوقّع وجودها[1].

النقش الثاني نقش النمارة المؤرَّخ في ٣٢٨ للميلاد. ونرى هذا النقش عربيّاً أكثر منه آراميّاً، فعناصره الآراميّة الخالصة « نفس » المستعملة بمعنى « قبر »، و« بر » بمعنى « ابن » واستعمال الضمير المؤنث في « وكلهن ». وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض ما في النص، مما دُرج على اعتباره آراميّاً[2]، قد لا يكون كذلك لانعدام الدليل؛ فكتابة الواو مع « أغلب أسماء الأعلام » راجعة إلى مبحث الاملاء ولا علاقة لها مطلقاً باللغة، ثم إنّ في العربيّة نفسها أثراً من هذه الطريقة في الإملاء وذلك في « عمرو ». أما « الألفاظ الغامضة » التي ذكرها ولفنسون فيعني بها « بزجي » و« عكدي » وربما « حبج »؛ ولعل « عكدي » آراميّة كما بيّنا، ولكن « بزجي » و« حبج » ليستا كذلك على الأرجح، بل إنّ تفسيرهما يعتمد على المادّة العربيّة لا على المادّة الآراميّة، ولعلّهما ينتميان للمادّة المشتركة بين اللغات الساميّة على نحو ما ذكرنا. وأمّا « كسلول » فاسم علم لشهر وهو ليس عربيّاً في الأصل؛ غير أنّه لو صحّ الاستدلال باستعماله هنا على أنّ النصّ غير عربيّ لصحّ أن نقول إنّ كلّ نصّ عربيّ حديث فيه اسم شهر شباط أو نيسان أو حزيران مثلاً هو نصّ غير عربيّ لأنّ أسماء الأشهر هذه ليست عربيّة.

هذه واحدة، والأخرى أنّ في النصّ مادّة لا يمكن أن تكون الا عربيّة، ومن هذه المادّة:

---

(١) راجع ص ١٤٥.

(٢) أنظر مثلاً تاريخ اللغات الساميّة لولفنسون، ص ١٩٣، حيث يشير إلى كتابة الواو النهائيّة مع « أغلب أسماء الأعلام » وإلى « الفاظ غامضة يظهر انها مأخوذة من المادة اللغويّة السريانيّة » دون أن يقدّم الدليل على ما يذهب إليه، وتابعه على ذلك من أخذ عنه من المؤلّفين العرب.

١ - أداة التعريـــف، وهي تظهر في «التـــاج» و«الأسدين» و«الشعوب» الخ؛ ومعروف أنّ اللغات الساميّة لا تشترك في أداة التعريف، أي أنّ الساميّة الأمّ كانت خالية من مثل هذه الأداة في المرحلة التي انسلخت عنها لهجاتها وتمايزت، ومن ثمّ ابتدعت كلّ لهجة طريقة خاصّة بها للتعريف، ففي العبريّة هاء تتوَّج بها الكلمة، وفي الآراميّة فتحة طويلة تذيَّل بها، وفي العربيّة «ألـ... أو اللام فقط». يتّضح من هذا أنّ كون أداة التعريف في هذا النقش هي الأداة العربيّة نفسها يعزّز خصائصه العربيّة لا الآراميّة.

٢ - جمع التكسير، ويظهر في «ملوكهم» و«الشعوب». وثابت أنّ جموع التكسير في اللغات الساميّة لا ترد إلا في اللهجات الجنوبيّة أي العربيّة بفرعيها الشماليّ والجنوبيّ والحبشيّة؛ أما سائر اللهجات فليس فيها هذا الجمع - إلاّ على قلّة مختلَف فيها[١]. ولذلك فجمع التكسير في هذا النقش دليل آخر على خصائصه العربيّة.

٣ - جملة «فلم يبلغ ملك مبلغه»: هذه جملة عربيّة محضاً، فتركيبها يمتنع أن يكون من أيّة لغة سامية أخرى، كما أنّ الفاء[٢] والـ «لم» عربيّتان ليس غير.

٤ - كلمات عربيّة لا نعرف أنّها مستعملة في غيرها من اللهجات الساميّة

(١) انظر: K. Petráček, «Die innere Flexion in den semitischen Sprachen,» in *AO*, 28 (1960), pp. 547-606; 29 (1961), pp. 513-45; 30 (1962), pp. 361-408; 31 (1963), pp. 577-624.

(٢) لا ترد الفاء في اللغات الساميّة إلاّ في العربيّة، وعلى ندرة في بعض النقوش الآراميّة والنبطيّة والتدمريّة؛ انظر:

Cooke, *A Textbook of North-Semitic Inscriptions*, pp. 165, 185, 233, 309.

ومادّة الفاء الموجودة في العربيّة تظهر في אַף aḏ العبريّة التي تعني «أيضاً».

ومنها الآراميّة، نحو « هرّب » و« بيّن » و« ذو » على لهجة عربيّة (طيّء).

لا شكّ بعد هذا أنّ العربيّة غالبة على النص، ولذلك ينبغي له أن يدرس، من الناحية اللغويّة، على أنه نصّ عربيّ تخالطه الآراميّة لا على أنّه نص آراميّ تشوبه عناصر من العربيّة؛ ولهذا الفرق أهميّة كبيرة في تأريخ تطوّر العربيّة في تلك الفترة كما لا يخفى.

نقشنا الثالث نقش زَبَد الذي يرجع إلى سنة ٥١٢ للميلاد، فبينه وبين نقش النمارة ما يقارب قرنين من الزمن؛ إلا أنّ طبيعة النقش لا تسمح بمقارنته بنقش النمارة لإظهار ما بينهما من تقارب أو تباعد، لأن النصّ في معظمه أسماء أعلام لا تعيننا على تحديد الخصائص اللغويّة في النصّ. غير أنّ مطلع النصّ (« بسم الإله » أو « بنصر الإله »)، إن صحّت هذه القراءة، يُثبت أنّ النصّ عربيّ لوجود أداة التعريف فيه. أمّا الكلمة الأخيرة المكتوبة بالقلم السريانيّ فسريانيّة على الأرجح، ولا يجوز أن يُحتجّ بها لإظهار أثر السريانيّة في النصّ العربيّ لأن إثبات هذه الكلمة بالقلم السريانيّ يدل على أنّ كاتبها لم يُردها جزءاً من النصّ العربيّ.

أما النقش الرابع، نقش حرّان، وتاريخه سنة ٥٦٨ للميلاد، فأكثر من النقوش السابقة إفصاحاً عن عربيّته، وليس فيه من الآراميّة إلا « بر » بدلاً من « بن ». أمّا كتابة « طلمو » بالواو فتدخل في الإملاء لا في اللغة[١]. وحتى لو تكلّفنا على بُعد قراءة «[ا] نا » و« بنيت » و« سنة » على الآراميّة – وهذا جائز جدلاً لعدم وجود صوائت في الكتابة تحدّد نطق الكلمة – لما استطعنا إلا نقرّ بأن النصّ عربيّ في جوهره لأنّ « ذا » و« الـ » التعريف و« بعد » و« مفسد » و« بعم » كلها عربيّة صريحة لا تحتمل التأويل.

---

(١) قارن بما ذكرناه عن نقش النمارة، ص ١٦٠.

أمّا نقش أمّ الجمال الثاني فعربيّ خالص لا أثر للآراميّة فيه. وبالإضافة إلى « الـ » التعريف يظهر فيه تنوين النصب في « غفرا » وهذا ما تختصّ به العربيّة الشماليّة.

★ ★ ★

بعد أن تبين لنا أنّ من الممكن اعتبار هذه النقوش عربيّة في جوهرها، مع تفاوت العناصر غير العربيّة فيها، جاز أن تُدرس، من الوجهة الكتابيّة، على أنّها النماذج التي تُظهر استعمال الخطّ النبطيّ لكتابة العربيّة، بل إنها النماذج التي تُظهر تطوّر الخطّ النبطيّ إلى صيغته العربيّة.

والخطّ النبطيّ من حيث الأصل خطّ آراميّ. وإذا بدأنا بتعقّب تطوّره من أقدم النماذج التي نعرفها ظهر الشبه الشديد بين الخطّين. ونمثّل على هذه المرحلة بنقش من نقوش حوران هو من أقدم ما عندنا من النقوش النبطيّة، ونصّه كالآتي[1]:

ن ف ش ه د ي ح م ر ت د ي ب ن ه ل ه
ا د ي ن ت ب ع ل ه

الرسم ٣٨

نقش حورانيّ نبطيّ

(١) انظر: de Vogüé, *Syrie centrale*, pl. 13.

ومعناه:« نفس (ضريح، نصب تذكاري) خمرت (ح=خ) الذي بناه لها أذينة (د = ذ) بعلها ».

إنّ الشبه كبير بين الخطّ المستعمَل في هذا النقش[1] وبين الخطّ العبريّ المربّع (square script; écriture carrée)، ومن يعرف الخطّ العبريّ قد لا يجد صعوبة في قراءة معظم النصّ أو كلّه. ومن أوجه هذا الشبه عدم ترابط الأشكال إذ إنّ كل شكل منفصل عن غيره على عكس ما آلت إليه الكتابة النبطيّة في فترة لاحقة كما سنرى. ورغم كون الاختلاف بين الأشكال النبطيّة المتقدّمة والأشكال العبريّة والآراميّة لا يعدو الأمور التفصيليّة الصغيرة، فإنّ هذا الاختلاف يحمل في طيّاته، كما يقول de Vogüé[2]، « الجرثومة » التي سوف تتسبّب في تطوّر الكتابة النبطيّة وابتعادها عن أصلها الآراميّ.

ولئن كان الواقع يقتضي أن نصنّف بعض النماذج النبطيّة المتقدّمة، من الوجهة الكتابيّة، نماذج للكتابة الآراميّة، أو الكتابة الساميّة الشماليّة على اتّساعها وإطلاقها، فإن جلّ الكتابات النبطيّة ذو طابع كتابيّ مميَّز لا يُغفله من له معرفة عامّة بالخطوط الساميّة. ويقتضي تبيانُ هذا الطابع تبياناً تامّاً تقصّيَ أشكال الحروف ومقارنتها بالأشكال الآراميّة، ودراسةَ ما أصاب كلاً منها من التغييرات خلال الفترات المتلاحقة. ولسنا نقصد إلى هذا في دراسة كهذه[3]، بل نكتفي بإظهار الخصائص العامّة للكتابة النبطيّة

---

(١) مثله نقوش أخرى متقدّمة؛ انظر مثلاً بعض نقوش سلع وحوران التي أثبتها Cantineau في *Le Nabatéen*، وخاصّة النقوش المثبتة في الصفحات ١ – ٣ و ١١ – ١٢ من الجزء الثاني.

(٢) *Ibid.*, pp. 98-9.

(٣) وقد تعقّب خليل نامي تطوّر الأشكال النبطيّة في نماذج مأخوذة من فترات مختلفة، وشرح بتفصيل شديد التغييرَ الطارىء على كلّ شكل، فليرجع إليه من أراد التوسع؛ انظر « أصل الخط العربي... » ص ١ – ١١٢، وبخاصّة ص ١٥ – ٨٨.

وبمقارنتها بالكتابة العربيّة. أمّا فيما يتعلّق بدراسة الأشكال دراسة مقارنة فإنّ القوائم تغني عن التطويل والتفصيل. ولا بدّ من التنبيه على الخطر الكامن في أيّة دراسة مقارنة للخطوط لا تقوم إلا على مقارنة الأشكال، وخاصّة عندما تكون المادّة المتوفّرة قليلة، كما في النقوش العربيّة التي شرحناها، وذلك أنّنا كثيراً ما لا نقع على تطوّر مطّرد في شكل حرف ما، بحيث أنّنا نجد أنّ شكله القديم أو شكلاً شبيهاً به يعود للظهور بعد فترة طويلة يكون قد تغيّر فيها هذا الشكل تغيّراً ظنناه نهائيّاً[1]. ففي النقوش النبطيّة، كما يُظهر الرسم ٣٩، نجد أنّ أشكال بعض الأحرف في النقوش المتأخّرة - كنقوش سيناء[2] - أقرب إلى أشكالها في نقوش حوران القديمة منها إلى أشكالها في نقوش سلع والحجر، وإنْ تكن هذه الأخيرة أقرب زمناً إلى نقوش سيناء.

وبصورة عامّة، ابتعد الخطّ النبطيّ في تطوّره عن أصله الساميّ الشماليّ في فترة قصيرة نسبيّاً؛ فالخطّ العبري، مثلاً، ظلّ أقرب إلى الأصل من

---

(١) من المقرّر في علم النقوش الساميّة أنّه لا يمكن الاطمئنان إلى تأريخ نقش من النقوش بالاعتماد اعتماداً كلّيّاً على طبيعة الخطّ المستعمل فيه، وقرب هذا الخط أو بعده عن الخطوط المعروفة والمؤرّخة، دون نظر إلى الاعتبارات الأخرى كلغة النقش والموقع الذي عُثر عليه فيه، الخ... والسبب أنّ خطّ أحد الكتبة المتأخّرين نسبيّاً قد يُظهر نزعة إلى المحافظة والتقليد لغرض من الأغراض (كإضفاء طابع الوقار والجلال على ما يكتبه)، فلا يجوز تفسير هذه النزعة على أنّها دليل قدم النقش. ثم إنّ الخطّ المستعمل لكتابة لغة واحدة يختلف باختلاف المنطقة أو المدينة (وربّما العائلة، لتوارث مهنة الكتابة). وقد تكون منطقة ما، على قربها من منطقة أخرى، أكثر احتفاظاً منها بالأشكال القديمة وأكثر تعلّقاً منها بها ومقاوَمة للتغيير. كلّ هذا يؤكّد الخطر في ايلاء أشكال الحروف الأهمّيّة الكبرى في تأريخ النقوش وفي دراسة التطوّر التاريخيّ لكتابة من الكتابات.

(٢) أي النقوش النبطيّة التي وُجدت في سيناء. وهذه، طبعاً، غير النقوش السينائيّة التي درسناها في الفصل الأوّل، ولذلك يطلق عليها اسم النقوش السينائية المُحْدَثة Neo-Sinaitic.

الصوت	نقوش حوران	نقوش سلع	نقوش الحجر	نقوش سيناء
ʾ				
b				
g				
d				
h				
w				
z				
ḥ				
ṭ				
y				
k				
l				
m				
n				
s				
ʿ				
p				
ṣ				
q				
r				
š				
t				

الرسم ٣٩

الأشكال النبطيّة في مراحلها المختلفة

(نقلاً عن Lidzbarski في *Handbuch*, II, Taf. XLV

والأرقام المذكورة مع بعض الأشكال هي أرقام النقوش التي ترد فيها هذه الأشكال)

الصوت	نبطي	عربي قديم	كوفي	نسخي	مغربي
ʾ					
b					
g					
d					
h					
w					
z					
ḥ					
ṭ					
y					
k					
l					
m					
n					
s					
ʿ					
p/ f					
ṣ					
q					
r					
š					
t					

الرسم ٤٠

مقارنة الخطّ النبطيّ بالخطّ العربيّ

الصوت	آرامي (القرن الثامن)	آرامي (القرن السادس)	تدمري	نبطي
ʾ				
b				
g				
d				
h				
w				
z				
ḥ				
ṭ				
y				
k				
l				
m				
n				
s				
c				
p				
ṣ				
q				
r				
š				
t				

الرسم ٤١

الخطوط الآراميّة والتدمريّة والنبطيّة

الصورة التي انتهى إليها الخطّ النبطيّ في تطوّره، رغم أنّ الخطّ العبريّ ظل يُستعمل لفترة طويلة جداً[1] تتجاوز الفترة التي استغرقها انتقال الخطّ النبطيّ إلى صيغته العربيّة. ويصعب مُلاحظة أوجه الشبه والاختلاف بين معظم الأشكال التي تُستعمل في العربيّة وبين الأصل الساميّ الشماليّ دون تعقّب سلسلة تطوّر كل شكل لمعرفة ما بقي منه من أصله الساميّ في العربيّة. ونمثّل على عمليّة التعقّب هذه بالأمثلة التالية[2]:

١ - شكل الباء: تطوّر الشكل الساميّ الأصليّ 𐤁 b بفقده جزءه الأعلى بدرجات متفاوتة، ولم يبق في الشكل العربيّ إلا جزء من العنق وجزء آخر من القاعدة أُضيفَ إليه، لاحقاً، الإعجام تفريقاً له عن النون أو الياء وغيرها.

٢ - شكل الهاء: فقد الشكل الساميّ الأصليّ 𐤄 كثيراً من خصائصه، حتّى في النقوش الآراميّة التي ترجع إلى القرن السادس إذ يظهر فيها هذا الشكل هكذا: ה . ويظهر في الكتابة النبطيّة شكل شبيه بهذا، ويظهر شكل آخر ▯ يوحي بالهاء العربيّة، كما يظهر شكل ثالث (يرد في النقوش السينائيّة الحدثة) ʒ أو ʒ وهو يوحي بالشكل ـهـ في العربية.

---

(١) يرجع نقش تلّ جَزَر Gezer العبريّ إلى القرن العاشر ق.م.، ومعظم الأشكال الواردة فيه تظهر في نقوش القرن السادس دون كبير تغيّر؛ انظر القائمة التي أثبتها Gibson في:

Textbook of Syrian Semitic Inscriptions, I: *Hebrew and Moabite*, repr. (Oxford, 1973), pp. 117-8.

وحتّى الأشكال العبريّة المكتوبة على القطع النقديّة في القرنين الأوّل والثاني ق.م. شديدة الشبه بأشكال نقش تلّ جَزَر؛ انظر القائمة المقارنة التي في:

Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 295.

(٢) من المؤمّل أن تغني هذه الأمثلة عن الإطالة غير المبرّرة لو تناولنا كلّ شكل بالشرح؛ أمّا الأشكال الأخرى فتراجَع في الرسوم المثبَتة.

٣- شكل الزاي: لم يبق في النبطيّة من الشكل الفينيقيّ والآراميّ I إلاّ الخطّ القائم، وهذا الخطّ هو أصل الزاي العربيّة بعد أن يطرأ عليه الانحناء والإعجام.

٤- شكل الحاء: الحاء النبطيّة شبيهة بالحاء في الخطّ العربيّ المربّع وبالحاء في النقوش الآراميّة من القرن السادس. وتُظهر النقوش السينائيّة المحدثة تطوّراً في شكل هذا الحرف بحذف جزء منه، فلا يبقى سوى ⅄ وهذه نفسها يتغيّر اتجاهها في العربيّة لتصبح فتحتها مواجهة للجهة اليسرى.

٥- شكل اللام: لعلّ هذا الشكل هو أقل الأشكال تعرّضاً للتغيير من مرحلة الأصل حتى مرحلة الكتابة العربيّة كما تظهر الرسوم المرفَقة.

٦- شكل العين: تفقد العين الساميّة المدوّرة جزءاً من دائرتها في النبطيّة ويُرسم لها ذنب منحنٍ إلى اليسار، ثم تفضي سرعة الكتابة إلى جعلها خطّين متقاطعين هكذا ⅄، وفيها إيحاء واضح بالعين العربية المفتوحة (عـ، ع)؛ وأخيراً يتصل الطرفان من أعلى في العربية في وسط الكلمة ويكون المؤدّى الشكل ـعـ.

٧- شكل الصاد والقاف: يتشابه هذان الشكلان في النبطيّة تشابهاً كبيراً وهما في الأصل أقل تشابهاً كما يبدو في الفينيقيّة والآراميّة القديمة. وفي تطوّر الكتابة النبطيّة إلى العربيّة يحدث تمييز جديد بين هذين الشكلين قوامه أنّ رأس الصاد يصبح أكبر من رأس القاف؛ وكلا الشكلين يُبسَط في آخر الكلمة.

٨- شكل التاء: التاء في الأصل خطّان متقاطعان، وقد وصلَنا هذا الحرف في الكتابة النبطية على الشكل ɲ ؛ وكما حصل في شكل الحاء، يقلّل عدد خطوط هذا الشكل ويتغيّر اتجاهه فتتكوّن التاء العربيّة التي تُعجم في وقت لاحق وتُبسط في آخر الكلمة.

يتّضح من هذه الأمثلة أن نشوء الخطّ العربيّ متطوّراً عن الخطّ النبطيّ يمثّل مرحلة من مراحل تطوّر الخطّ الساميّ بحيث لا تُفهَم العلاقة بين الشكل الساميّ القديم والشكل العربيّ إلا بمعرفة الأشكال المتوسّطة بينها. ولا تنحصر العلاقة بين الخطّين النبطيّ والعربيّ في أشكال الحروف، فهناك خصائص كثيرة مشتركة بين الكتابتين منها ما لا يشترك فيه غيرهما من الكتابات كما سنرى. وقد لخّص Cantineau العلاقة بين الخطّين النبطيّ والعربيّ بقوله: « من خلال أشكال الحروف، والطابع السريع cursif للكتابة، والالتباس بين (بعض) الأحرف المختلفة، وكذلك من خلال ربط الحروف، تُظهر الكتابة النبطيّة الخصائص الأساسيّة للكتابة العربية »[١].

وأهمّ الخصائص المشتركة بين الكتابتين ما يلي[٢]:

١ - أنّ أحرف الكلمة الواحدة تتصل بأربطة، باستثناء الألف والدال والواو والزاي والراء. ففي نقش النمارة، مثلاً، نجد أحرف الكلمة الثانية من السطر الأوّل [illegible] (نفس) مرتبطة بخطّ يجمعها من أسفل؛ وكذلك نجد أحرف الكلمة الأخيرة من السطر الرابع [illegible] (مبلغه) مرتبطة بلا خطّ كالذي في « نفس »، ويبدو أنّ كلمة « بر » (ابن) من أُولى الكلمات التي كُتبت متّصلة، وذلك لكثرة ورودها[٣]. وبالتدريج أخذ الربط يُستعمل في غيرها من الكلمات الثنائيّة، وبعد ذلك في الكلمات التي تحتوي على أكثر من

---

(١) انظر: *Le Nabatéen*, I, 35.

(٢) لعلّ أفصل دراسة عن هذه الخصائص دراسة خليل يحيى نامي الآنفة الذكر؛ انظر خاصة ص ٨٥ - ٨٨ وص ١٠٠ - ١٠١؛ ولخّصها عنه صلاح الدين المنجّد في: دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ ص ١٩ و ٢٢. ولنا، رغم ذلك، اعتراضات على هذه الدراسة سنذكرها لاحقاً؛ انظر ص ١٧٦ - ١٧٩.

(٣) انظر: *Handbuch*, I, 195.

شكلين كتابيّين. ونشأ عن هذه الطريقة اللام ألف التي تظهر لأوّل مرة في نقش امرىء القيس وذلك في الكلمة الثانية من السطر الثاني: الأسدين ، كما تظهر في كلمة «الالـه» في نقش زبد حيث رُسمت . ولعدم استعمال الألف والدال والواو والزاي والراء متّصلة بما بعدها أسباب مقنعة: فالالف لا تتّصل كذلك بما قبلها، ويحتّم ذلك طريقة كتابتها من أعلى إلى أسفل؛ والدال والراء لو اتّصلتا بما بعدهما لالتبستا بالكاف (قارن في نقش النمارة: الراء في «نزرو» والدال في «عكدي» والكاف في «عكدي» و«ملوكهم»)؛ والواو لو اتّصلت بما بعدها لالتبست بالفاء (قارن في نقش النمارة: الواو في «وملك» و«ووكلهن» والفاء في «فرسو» و«فلم»)[1]؛ والزاي لو اتصلت بما بعدها لالتبست باللام أو بالنون (قارن في نقش النمارة: الزاي في «نزرو» واللام في «فلم» والنون في «سنت»[2]).

وفي نقش حرّان تظهر قواعد الربط بين الكلمات على ما هي في العربيّة تماماً وكذلك في نقش أمّ الجمال الثاني، في حين أنّ نقش أمّ الجمال الأوّل لم يكن يتّفق تمام الاتّفاق وقواعد الربط في الكتابة العربيّة (انظر في السطر الأوّل نف + شو = «نفشو»، وفي السطر الثاني جذ + ي + مت = «جذيمت»). والشاهد في هذا تطوّر الخطّ النبطيّ في النماذج القليلة التي اعتبرناها عربيّة اللغة. وتختلف الكتابة النبطيّة والعربيّة[3] في هذه الناحية عن سائر الكتابات الساميّة غير المسماريّة

---

(١) الفرق الوحيد بين الفاء والواو أنّ الأولى متصلة بالحرف بعدها، فلو وُصلت الواو كذلك لالتبس الشكلان؛ ولكن قارن «كسلول» في السطر الأخير.

(٢) لو وُصلت الزاي في «نزرو» بما بعدها لجاز ان تقرأ *«نلرو» أو *«ننرو»!

(٣) ومثلها بعض الكتابات المشتقّة من الآراميّة كالسريانيّة والمنداعيّة.

كالفينيقيّة والآراميّة والعبريّة والعربيّة الجنوبيّة والحبشيّة[1] لأنّ جميع هذه تُكتب منفصلة الحروف لا متصلتها.

٢ - أنّ أشكال بعض الحروف تختلف بحسب موقعها في الكلمة. ومما يظهر من هذه الطريقة في نقش النمارة الاختلاف بين الهاء في أوّل الكلمة أو وسطها (نحو: «هلك» و «ووكلهن») والهاء في آخر الكلمة (نحو: «بنيه» و «مبلغه»)؛ والاختلاف بين الياء في أوّل الكلمة (نحو «يبلغ») والياء في آخر الكلمة (نحو «تي»)؛ والاختلاف بين الأشكال الابتدائيّة والأشكال النهائيّة للأحرف التي يطوَّل ذيلها في آخر الكلمة كالباء (نحو: «الشعوب») واللام (نحو: «نزل»)، وفي نقش حرّان «المرطول». ويمكن مراجعة الأشكال النهائيّة لبعض الحروف في نقوش سلع والحجر وسيناء في الرسم ٣٩[2].

وتختلف الكتابتان النبطيّة والعربيّة عن معظم الكتابات الساميّة الأخرى في هذه الناحية، فالفينيقيّة والآراميّة والعربيّة الجنوبيّة لا تفرّق بين أشكال الحروف بحسب مواضعها؛ أمّا في العبريّة فلا يتعدّى عدد الأحرف التي لها أشكال خاصّة في نهاية الكلمة خمسة أحرف هي الكاف والميم والنون والفاء (p) والصاد. وتكثر الأشكال النهائيّة للحروف في النبطيّة كما رأينا، ويبلغ عدد الحروف التي لها أشكال نهائيّة خاصّة تسعة هي الألف والباء والهاء والياء والكاف واللام والميم والنون والفاء. ولا

(١) تستعمل العربيّة الجنوبيّة أحياناً طريقة «المونوغرام» في الكتابة، أي سبك أحرف الكلمة الواحدة في قالب واحد يجمعها. مثال ذلك كتابة «ال ش ر ح» (اسم علم) على النحو التالي: وأصل كتابتها متفرّقة الحروف: .

(٢) ويُرمز لهذه الأشكال في الرسم بـ .f أو .fin.

تنحسر النزعة إلى الإكثار من الأشكال النهائيّة الخاصّة بعد ذلك، حتى يصبح لمعظم الحروف في العربيّة شكل نهائيّ يختلف عن الشكل الابتدائيّ، وفي بعض الحالات تُستعمل أشكال خاصّة بوسط الكلمة دون سواه. ويملي هذا الاختلاف في أشكال الحروف في النبطيّة والعربيّة، ضمن حدود قواعد الربط، السرعة الكتابيّة التي تحتّم استمرار حركة اليد في الكتابة دون رفعها بعد كتابة كلّ حرف.

٣- أنّ الكتابة النبطيّة والنقوش العربيّة الخمسة السابقة على الهجرة تخلو من الإعجام. ولا بُدّ من التنبيه على أنّ في الكتابة النبطيّة حالة واحدة يجب أن تُستثنى من هذا الحكم، أعني الفرق بين الراء والدال، إذ نجد أحياناً أنّ الراء منقوطة في أعلاها تمييزاً لها عن الدال(١). ولهذا أهميّة كبيرة في دراسة الخطّ العربيّ كثيراً ما يغفلها الباحثون، فقد يكون نمط التفرقة بين الحروف بالإعجام مأخوذاً من النبطيّة. وعلى أيّة حال ليس نصر بن عاصم (ت ٩٠ هـ) أو يحيى بن يعمر (ت ١٢٩، وفي نور القبس ٨٣ هـ) من ابتدع الإعجام خلافاً لما تذكره المصادر العربيّة(٢)؛ وإذا لم يكن في التفرقة النبطيّة بين الراء والدال دليل قويّ على قدم التنقيط لكون هذه التفرقة غير شائعة، فالدليل إنّما هو في الإعجام الظاهر في برديّة مصريّة ترجع إلى سنة ٢٢ هـ(٣)، وفي نقش وُجد قرب الطائف ويرجع إلى

(١) انظر: Jaussen & Savignac, *Mission archéologique en Arabie*. I, 245 (no 181)
وقارن ص ٣٣٤ - ٣٣٥ حول السريانيّة.

(٢) انظر مثلاً: وفيات الأعيان ٢/٣٢، ونور القبس ٢١، ٢٣؛ وانظر كذلك طبقات الزبيدي ص ٢٧، ومعجم الأدباء ١٩/٢٢٤ و٢٠/٤٢. وفي المصادر روايات يستفاد منها أنّ الاعجام عُرف قبل نصر ويحيى؛ انظر مثلاً نسبته إلى زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) في معاني القرآن للفرّاء ١/١٧٢ - ١٧٣، وللتوسّع انظر مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد ص ٣٤ وما بعدها.

(٣) A. Grohmann, *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952), p. 8.
الأحرف المنقوطة هي خ، ذ، ز، ش، ن.

سنة ٥٨ هـ (٦٧٨ م)[١].

إنّ خلوّ النقوش النبطيّة والنقوش العربيّة القديمة من الإعجام يجعلنا نتردّد في القراءة أحياناً، وقد رأينا ضروباً من اختلاف العلماء في قراءة عدد من الكلمات لأنّ شكل حرفٍ ما فيها يحتمل أكثر من قراءة واحدة: فهل نقرأ في نقش النمارة «عكدي» أم «عكري» و«تاج» أم «ثاج»، و«هرّب» أم «هذّب»، الخ؛ هذا بلهَ ما يتسبّب به عدم الإعجام في النبطيّة من صعوبة في تحديد الأصوات الموجودة فيها. فهل استعمال شكل واحد لكتابة ما يقابل السين والشين العربيّتين (قارن في نقش النمارة: «نفس» و«شمّر» و«الشعوب») دليل على أنّ هذين الصوتين كانا صوتاً واحداً في النبطيّة، وهل استعمال شكل واحد لما يقابل العين والغين العربيّتين (قارن في نقش النمارة: «العرب» و«مبلغه») دليل على عدم التفرقة بينهما صوتيّاً؛ وكذا في التاء والثاء، والحاء والخاء، والدال والذال، والصاد والضاد، والطاء والظاء؟ قد لا يمكن الجزم بهذا؛ فالأنباط، وهم عرب نسباً، أخذوا كتابتهم عن الآراميّة وهي لا تفرّق لفظاً أو كتابةً بين هذه الأصوات إذ ليس في الآراميّة الفونيمات ثاء أو ظاء أو ذال.. الخ، فإمّا أن تكون لغتهم متأثّرة بالآراميّة بخلوّها من هذه الأصوات - وعند ذلك تكون الكتابة النبطيّة منسجمة مع اللفظ من هذه الناحية - وإمّا أن تكون لغتهم قد احتفظت بهذه الأصوات التي احتفظت بها العربيّة الباقية - وعند ذلك تكون الكتابة النبطيّة لا تعكس حقيقة

---

(١) G. C. Miles, «Early Islamic Inscriptions near Ṭāʾif in the Ḥijāz,» in *JNES*, 7 (1948), pp. 236-42; esp. p. 240.

الأحرف المنقوطة هي الياء في «معوية»، والباء والنون والياء في «بنيه»، والثاء في «ثمن»،والخاء والياء في «خمسين»، والفاء في «اعفر»، والثاء والباء والتاء في «وثبّته»، والنون في «وانصره»، والتاء في «متّع»، والنون والياء في «المؤمنين»، والباء في «جناب».

الأصوات في بعض الحالات. هذا في النبطيّة، أمّا في النقوش العربيّة المتقدّمة والمكتوبة بالخطّ النبطيّ، فالأقرب إلى الصواب أنّ عدم التفرقة بين الدال والذال، وبين الطاء والظاء الخ لا يعود إلى عدم وجود الذال والظاء الخ في اللغة، بل يعود إلى أنّ الكتابة النبطيّة التي استعملتها العربيّة القديمة تخلو من رمز للذال والظاء الخ. وعلى هذا يجب أن نقرأ في نقش حرّان مثلاً «طلمو» ظالم بالظاء لا بالطاء و«دا المرطول» ذا المرطول بالذال لا بالدال؛ وكذلك يجب أن نقرأ «حيبر» خيبر بالخاء لا بالحاء.

٤- أنّ بعض أسماء الأعلام يُكتب بواو في آخرها؛ وتحتفظ العربيّة الباقية بواو عمرو دون سواها، وقد سبق شرح هذا[١].

ويبقى مسألتان في الشبه بين الكتابتين النبطيّة والعربيَّة: تاء التأنيث والصوائت الطويلة. ويمكن دراسة هاتين المسألتين على حدة تصحيحاً لبعض الأوهام المتعلقة بها؛ وقد ذكرهما خليل يحيى نامي على الوجه التالي:

«إنّ تاء التأنيث الملحقة بالأسماء تُكتب [في النبطيّة] كما كانت تكتب في أوائل الإسلام أي بالتاء وليست بالهاء أو ما نسميها بالتاء المربوطة مثل سنت وحارثت وكليبت.

«إنّ الحركات الممدودة تُحذف في الكتابة النبطيّة كالألف فيكتبون مثلاً حارثة حرثت أي بدون ألف ومالك يكتبونها ملك... الخ وهذه الميزة نراها في المصحف العثماني حيث نرى كلمة الصالحين مكتوبة هكذا الصلحين بدون ألف والنبيين مكتوبة هكذا النبين بدون ياء ويلوون مكتوبة هكذا يلون بدون واو»[٢].

---

(١) أنظر ح ١ و ٢ ص ١٣٣؛ وانظر كذلك ص ١٤٥.

(٢) أصل الخطّ العربيّ ص ٨٨؛ قارن ص ١٠١؛ وعنه صلاح الدين المنجّد في دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ ص ١٩ و٢٢.

وليس هذا وصفاً دقيقاً للكتابة النبطيّة. وباستقراء الأمثلة بدقّة يمكننا استنتاج ما يلي:

١ - في كتابة تاء التأنيث: يتوقّف فهم القواعد التي تتحكّم بكتابة هذه التاء على معرفة حالات الاسم في النبطيّة. ففي هذه اللغة (كما في الآراميّة) ثلاث حالات للاسم - سواء أكان مذكّراً أم مؤنّثاً، مفرداً أم جمعاً - وهي حالة الإضافة، وحالة التعريف، وحالة ثالثة يمكن أن نسمّيها حالة التنكير[1]. أما العلامات التي تلحق بهذه الحالات الثلاث في الأسماء المؤنّثة المفردة فهي التاء والألف (ولفظها tā-) في حالة التعريف (نحو «ا ل هـ ت ا» أي الهة، و«م و هـ ب ت ا» أي العطية، الهبة) والتاء في حالة الإضافة (نحو «ب ر ت...» أي ابنةُ...، و«ش ن ت..» أي سنةُ...) والهاء (ولفظها ā -)[2] في حالة التنكير (نحو: «ح د ه» أي واحدة، و«م و هـ ب ه» أي عطيّةٌ، هبةٌ). يدلّ هذا على أنّ استعمال التاء أو الهاء يتعلق بوظيفة الكلمة في التركيب؛ وليس صحيحاً، بعدُ، أنّ الهاء لا تُستعمل في كتابة تاء التأنيث.

أمّا أسماء الأعلام - ولا تنطبق عليها الحالات الثلاث الخاصّة

---

(١) أنظر: *Le Nabatéen*, I, 90 ff.

(٢) تُستعمل هذه الهاء في حالة تنكير الاسماء المؤنّثة المفردة في النصوص الآراميّة المتقدّمة، ثم تحل محلها الألف. وفي آراميّة العهد القديم أمثلة لاستخدام الألف بدلاً من الهاء في الأسماء المؤنّثة المفردة المنكّرة؛ انظر:

F. Rosenthal, *A Grammar of Biblical Aramaic*, 3rd pr. (Wiesbaden, 1968), p. 23.

وفي المؤابيّة والعبريّة تُستعمل الهاء للصوت ā- في آخر الكلمة؛ انظر:

Cross & Freedman, *Early Hebrew Orthography: A Study of the Epigraphic Evidence* (New Haven, 1952), pp. 43, 57.

وانظر أيضاً الفصل العاشر من هذا الكتاب.

بالأسماء – فمنها ما ينتهي بالياء ومنها ما ينتهي بالتاء[1]؛ وتتبادل هاتان العلامتان إذ ورد بالهاء وبالتاء «ش ل م ه» و«ش ل م ت» و«ش ع د ه» و«ش ع د ت».

وعلى هذا تكون الأمثلة التي جاء بها نامي، أي: سنت وحارثت وكليبت[2]، والأمثلة التي جاء بها المنجّد، أي: أمت وحبّت وسوسنت وسنة[3]، أمثلة على استعمال التاء في المواضع التي ذكرناها، أي في حالة الإضافة وفي بعض أسماء الأعلام؛ ولا يمكن بحال أن تُستخدم هذه الأمثلة دليلاً على عدم كتابة تاء التأنيث بالهاء لأن للهاء مواضع أخرى تُستعمل فيها كما رأينا.

٢- في كتابة الصوائت الطويلة: ظاهر عبارة نامي أنّ الصوائت الطويلة (الحركات الممدودة) تُحذف في الكتابة النبطيّة، والألف واحدة منها. وهذا غير صحيح، فالصوائت النبطيّة الطويلة هي ī و ē و ū و ō و ā، والأربعة الأولى منها يُرمز لها دائماً بأحرف تُكتب (ولا تُحذف إلاّ على قلّة نادرة)[4]؛ وهذه الأحرف هي الياء للصائت الأوّل، والألف للثاني، والواو للثالث والرابع. أما الصائت الطويل الخامس ā الذي يمثّل كتابةً بالألف أو الهاء فله قاعدة خاصّة به، إذ إنّ هذه الألف لا تكتب إلا في نهاية الكلمة، فإن جاء الصائت ā في وسط الكلمة أُهمِل كتابةً.

---

(١) هذا طبعاً عدا غالبيّة الأسماء المنتهية بالواو، وقد مرّ ذكرها. وهناك أسماء نبطيّة تنتهي بالألف، وقد تكون هذه للتعريف، نحو «ك ل ب ا» أي «الكلب» (قارن في العربيّة: الوليد والقاسم والحارث). وانظر بحثاً في أسماء الأعلام النبطيّة في: *Le Nabatéen*, II, 164-71

(٢) أصل الخطّ العربيّ، ص ٨٨.

(٣) دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ، ص ١٩ و٢٢.

(٤) انظر: *Le Nabatéen*, I, 46 ff.

وانتقلت قواعد كتابة الصوائت الطويلة من النبطيّة إلى العربيّة، وصوائتها الطويلة هي ī و ū و ā. ولنأخذ نصّ حرّان مثلاً على هذا: فالكسرة الطويلة ممثّلة بالياء في « شرحيل » والضمّة الطويلة ممثّلة بالواو في « المرطول »؛ أمّا الفتحة الطويلة فمُهملة في وسط الكلمة، كما في « ظلمو » (ظالم)، وفي « بعم » (بعام)، ولكنها ممثّلة بالألف - لا بالهاء - في نهاية الكلمة في « أنا » و « ذا ».

وعلى هذا نقترح أن يصحَّح قول نامي « إنّ الفتحة الممدودة لا ترسم في الكتابة »[1] بزيادة القيد التالي: « إذا وقعت في وسط الكلمة ». أمّا استعمال الألف لتمثيل الفتحة الممدودة في وسط الكلمة فلا بدّ أنّه من اختراع العرب لعدم وجوده في النبطيّة. وأمّا عن زمن هذا الاختراع فلا يمكننا أن نحدّده، بما بين أيدينا من نقوش، إلا بالقول إنّه متأخّر عن نقش النمارة (٣٢٨ م) حيث نجد « ا ل ت ج » (التاج) و « ن ج ر ن » (نجران)، ومتأخّر كذلك عن نقش حرّان (٥٦٨ م) كما مرّ. وقد لا يكون هذا الاختراع متأخّراً عن نقش أمّ الجمال الثاني (القرن السادس للميلاد) إن صحّت قراءة Littmann: « كاتب » بالألف التي تمثّل الفتحة الطويلة في وسط الكلمة.

---

(١) أصل الخطّ العربيّ، ص ١٠١، وعنه: المنجّد في دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ ص ٢٢؛ وجميع الأمثلة التي جاءا بها هي لألفات غير مكتوبة في وسط الكلمة، ولم يجيئا بمثل واحد لألف نهائيّة غير مكتوبة.

الفصل السادس

خصائص الكتابة الحبشيّة

تستحقّ الكتابة الحبشيّة[١] أن يُفرد لها دراسة خاصّة بها لأنّها تشغل موقعاً فذاً بين الكتابات الساميّة. فقد سلكت هذه الكتابة سُبُلاً لم تسلكها أيّة كتابة ساميّة أخرى، بحيث استطاعت أن تعبّر بدقّة متناهية عن أصواتها المسموعة سواء منها الصوامت أم الصوائت.

إن الأحباش في الأصل حاميّون لا ساميّون، غير أنّ الأقوام العرب الساميّين الذين انتقلوا إلى الحبشة من اليمن نقلوا لغتهم إليها فغلبت على اللهجات الحاميّة الأصليّة، والمرجَّح أنّ ذلك كان في النصف الثاني من الألف الأول ق.م. ولعلّ أهمّ ما نقله العرب الساميّون الجنوبيّون إلى الحبشة نظامهم الكتابيّ الألفبائيّ الذي أخذه الأحباش برمّته ثم أحدثوا فيه

---

(١) يطلق الأحباش على بلادهم اسم « إثيوبيا » ኢትዮጵያ (Īṯyūpyā) وعلى لسانهم اسم « لسان أثيوبيا » ልሳነ፡ኢትዮጵያ (l^{e}sānā Īṯyūpyā). وكلمة اثيوبيا هذه هي التسمية اليونانيّة للبلاد، وقد أخذها الأحباش أنفسهم عن اليونانيين. أمّا الاسم الحبشيّ للغة فهو « جعز » ግዕዝ ($G^{ece}z$)، وهو مشتقّ من جذر معناه طاف وهجر ورحل وصار حرّاً؛ انظر الجذر في:

S. Grébaut, *Supplément au Lexicon Linguae Aethiopicae de August Dillmann*, etc. (Paris, 1952), p. 439.

وعلى ذلك يكون معنى ልሳነ፡ግዕዝ (l^{e}sānā $G^{ece}z$) « لسان الحرّ » أو « لسان المهاجِر »..

تغييرات بعضها طفيف وبعضها خطير[١]. وفي منتصف القرن الرابع الميلادي، أي في أوج ازدهار مملكة أكسوم Axumite kingdom، وبالذات في الفترة التي ترجع إليها أقدم النقوش الحبشيّة التي بين أيدينا[٢]، نجد امتزاجاً في الكتابة الحبشيّة بين الأشكال العربيّة الجنوبيّة والأشكال الحبشيّة المتطوّرة عنها؛ وهذا يعني أنّ المحاولات التي كانت ترمي إلى خلق كتابة حبشيّة خاصّة، بتطوير الأشكال الجنوبيّة العربيّة، ترجع إلى ما قبل ذلك التاريخ بفترة غير قصيرة[٣].

وتتنوّع النقوش التي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي من حيث الأشكال المستخدمة فيها؛ فمنها نقوش مكتوبة بالألفباء العربيّة الجنوبيّة، وأخرى مكتوبة بألفباء حبشيّة (أي غير معبّرة عن الصوائت)، وثالثة مكتوبة بالمقطعيّة الحبشيّة، أي بالطريقة التي شاعت وانتشرت على أنقاض الطريقة الألفبائيّة. ويبدو أنّ الكتابة الألفبائيّة العربيّة الجنوبيّة ظلّت

---

(١) إنّ اشتقاق الخطّ الحبشيّ من الخطّ الجنوبيّ المسند لأمر لا يحتاج إثباته إلى أكثر من نظرة إلى الشبه الكبير بين أشكال الخطّين (انظر الرسم ٢٥ والرسم ٤٢). ولذلك لا نرى بنا حاجة إلى الدخول في النظريّات القائلة إنّ أصل الخطّ الحبشيّ هو الخطّ اليونانيّ، أو النظريّات التي تُرجع الخطّ الحبشيّ إلى الخطّ الهنديّ. انظر في أصحاب هذه النظريّات التي أصبحت اليوم مرفوضة تماماً:

Diringer, *The Alphabet*, I, 179.

ونخصّ بالذكر J. Ryckmans الذي يرى أنّ الكتابة الحبشيّة مأخوذة عن أصل ألفبائيّ ثموديّ؛ راجع أعداد كانون الثاني وأيلول- تشرين الثاني عام ١٩٥٥ من *BO* وقارن بـ:

E. Ullendorff, *The Ethiopians: An Introduction to Country and People* (London, 1960), p. 133, n. 1.

(٢) انظر: E. Littmann, *Deutsche Aksum Expedition*, IV, *sabäische, griechische und altabessinische Inschriften* (Berlin, 1913).

(٣) انظر: E. Ullendorff, «Studies in the Ethiopic Syllabary,» in *Africa*, 21 (1951), p. 207.

مستعملة لعدد من القرون بعد شيوع الكتابة الحبشيّة المقطعيّة، وذلك لغرض الزينة والتنميق خاصّةً، لأن مثل هذا المقام يقتضي هيبة أو رهبة[1] وجدها الأحباش متوفّرة في خطّهم القديم أكثر مما في خطّهم المقطعيّ المستحدث.

ولعلّ أفضل طريقة لدراسة الأشكال الحبشيّة المقطعيّة تناولها من زاويتين، الأولى دراسة التغييرات التي أصابت الأشكال العربيّة الجنوبيّة عندما استخدمها الأحباش لتدوين لغتهم، والثانية دراسة المبادىء التي استند إليها الأحباش في التغيير الكبير والأساسيّ الذي أحدثوه في الأشكال الأصليّة، أعني إضافتهم، إلى صلب الشكل، علامات دالة على الصوائت (انظر الرسم ٤٢).

أوّلاً: مقارنة الأشكال العربيّة الجنوبيّة بالأشكال الحبشيّة

١ - عدد الأشكال المستعملة:

يزيد عدد الأشكال المستعملة في الكتابات الساميّة الجنوبيّة عامةً على عدد الأشكال المستعملة في الكتابات الساميّة الشماليّة، وذلك أنّ في اللغات الساميّة الجنوبيّة، أي العربيّة الشماليّة والعربيّة الجنوبيّة والحبشيّة، أصواتاً لا وجود لها في اللغات الساميّة الشماليّة. وإذا قارنّا العربيّة، من الفرع الجنوبيّ، بالعبريّة، من الفرع الشماليّ، وجدنا أنّ الأصوات ṯ و ẖ و ḏ و ḍ و ẓ

---

(١) وربّما نستطيع أن نضيف عامل الجمال على هذا؛ فالأشكال العربيّة الجنوبيّة أقرب من الأشكال الحبشيّة المقطعيّة إلى التناسق والجمال الهندسيّ، وبذلك فهي أكثر مناسبةً لأغراض التنميق!

الصامت	الصائت الأوّل والأساسي a	الصائت الثاني ū	الصائت الثالث ī	الصائت الرابع ā	الصائت الخامس ē	الصائت السادس e (أو ساكن)	الصائت السابع ō
h	ሀ	ሁ	ሂ	ሃ	ሄ	ህ	ሆ
l	ለ	ሉ	ሊ	ላ	ሌ	ል	ሎ
ḥ	ሐ	ሑ	ሒ	ሓ	ሔ	ሕ	ሖ
m	መ	ሙ	ሚ	ማ	ሜ	ም	ሞ
š	ሠ	ሡ	ሢ	ሣ	ሤ	ሥ	ሦ
r	ረ	ሩ	ሪ	ራ	ሬ	ር	ሮ
s	ሰ	ሱ	ሲ	ሳ	ሴ	ስ	ሶ
q	ቀ	ቁ	ቂ	ቃ	ቄ	ቅ	ቆ
b	በ	ቡ	ቢ	ባ	ቤ	ብ	ቦ
t	ተ	ቱ	ቲ	ታ	ቴ	ት	ቶ
ḫ	ኀ	ኁ	ኂ	ኃ	ኄ	ኅ	ኆ
n	ነ	ኑ	ኒ	ና	ኔ	ን	ኖ
ɔ	አ	ኡ	ኢ	ኣ	ኤ	እ	ኦ
k	ከ	ኩ	ኪ	ካ	ኬ	ክ	ኮ
w	ወ	ዉ	ዊ	ዋ	ዌ	ው	ዎ
c	ዐ	ዑ	ዒ	ዓ	ዔ	ዕ	ዖ
z	ዘ	ዙ	ዚ	ዛ	ዜ	ዝ	ዞ
y	የ	ዩ	ዪ	ያ	ዬ	ይ	ዮ
d	ደ	ዱ	ዲ	ዳ	ዴ	ድ	ዶ
g	ገ	ጉ	ጊ	ጋ	ጌ	ግ	ጎ
ṭ	ጠ	ጡ	ጢ	ጣ	ጤ	ጥ	ጦ
p̣	ጰ	ጱ	ጲ	ጳ	ጴ	ጵ	ጶ
ṣ	ጸ	ጹ	ጺ	ጻ	ጼ	ጽ	ጾ
ṗ	ፀ	ፁ	ፂ	ፃ	ፄ	ፅ	ፆ
f	ፈ	ፉ	ፊ	ፋ	ፌ	ፍ	ፎ
p/ps	ፐ	ፑ	ፒ	ፓ	ፔ	ፕ	ፖ

الرسم ٤٢ الأشكال الحبشيّة

وġ[١] لا تجيء في العبريّة فونيمات[٢]، فالثاء العربيّة يقابلها الشين العبريّة، والخاء العربيّة يقابلها الحاء العبريّة، والذال العربيّة يقابلها الزاي العبريّة، والضاد العربيّة يقابلها الصاد العبريّة، والظاء العربيّة يقابلها الصاد العبريّة كذلك، والغين العربيّة يقابلها العين العبريّة. أما الحبشيّة فعدد أصواتها - وإن زاد على عدد الأصوات في العبريّة واللغات الشماليّة عامّة - أقلّ من عدد الأصوات العربيّة الشماليّة أو الجنوبيّة، ولذلك كان عدد الأشكال المستعملة في كتابتها أقلّ من عدد الأشكال المستعملة في كتابة العربيّة الشماليّة أو الجنوبيّة.

وتُظهر مقارنة الكتابة الحبشيّة بأصلها العربيّ الجنوبيّ أنّ هناك أربعة أشكال موجودة في العربيّة الجنوبيّة دون الحبشيّة[٣]، لأن الأصوات التي ترمز إليها هذه الأشكال كانت ساقطة في الحبشيّة عندما بدأت تُكتب. وهذه الأصوات هي ś وḏ وṯ وġ. وقد استعمل الأحباش الشكل الذي يمثّل الصوت ḏ في الأصل ليرمزوا إلى الصائت z[٤]، لأنّ الزاي الحبشيّة قد تقابل الذال العربيّة الجنوبيّة من الناحية الاشتقاقيّة.

وقد استحدث الأحباش في كتابتهم شكلين يمثّلان صوتين لم تعرفها

(١) لن ندخل في تعليل هذا الاختلاف، ولكننا نشير إلى أنّ الوضع الأصليّ في الساميّة الأمّ للأصوات الزائدة في اللهجات الجنوبيّة لا يعدو أن يكون واحداً من اثنين، فإمّا أنّ هذه الأصوات أصليّة وموجودة في الساميّة الأمّ لكنّها أُدغمت في اللهجات الشماليّة بأصوات أخرى (وهذا هو المذهب الذي نؤيّد)، وإما أنَّ هذه الأصوات غير أصليّة ولكنّ اللهجات الجنوبيّة استحدثتها.

(٢) ẖ، مثلاً، موجود في العبريّة صوتاً أصله الكاف مسبوقاً بصائت؛ أما ẖ من حيث هو فونيم قائم بذاته كما في العربيّة فلا وجود له في العبريّة. وṯ موجود في العبريّة وليس فونيماً، وكذلك ḏ وġ. أما ḍ وẓ فلا وجود لها في العبريّة فونيمين أو غير ذلك.

(٣) قارن الرسم ٤٢ بالرسم ٢٥ مثلاً حيث تظهر الأشكال الجنوبيّة كلّها.

(٤) Ullendorff, «Studies in the Ethiopic Syllabary,» p. 208.

العربيّة الجنوبيّة، وهما الشكلان الثاني والعشرون والسادس والعشرون من الرسم ٤٢. وغالباً ما يُستعمل هذان الشكلان في الكلمات الدخيلة على اللغة؛ والفرق بينهما من الناحية الصوتيّة أنّ الأوّل مفخّم، ولذلك نرمز إليه بـ p̣ حيث تشير النقطة إلى هذا التفخيم. وليس من الممكن تحديد الزمن الذي دخل فيه هذان الشكلان إلى الكتابة الحبشيّة[١] نظراً لقلّة المادّة التي بين أيدينا عن المراحل الأولى التي مرّت بها الكتابة الحبشيّة. وقد يكون الشكل الثاني والعشرون p̣ (ጰ) مكوّناً من الباء (በ) والعين (ዐ) مدغمتين، في حين أنّ الشكل السادس والعشرين p (ፐ) مأخوذ على الأرجح من اليونانية ψ ps أو π p كما يقول Dillmann[٢].

٢- اتجاه الكتابة:

باستثناء الكتابة الساميّة المسماريّة، أي الأكديّة والأوجاريتيّة، تنفرد الحبشيّة بكونها تتّجه من اليسار إلى اليمين، خلافاً للكتابات الساميّة الأخرى. والكتابة العربيّة الجنوبيّة التي منها أُخذت الكتابة الحبشيّة تتّجه من اليمين إلى اليسار، وإن كانت هذه الكتابة أحياناً تستخدم الطريقة الحلزونيّة أو الثعبانيّة boustrophedon، وذلك بابتداء السطر الأوّل من اليمين إلى اليسار في الغالب ثم ابتداء الثاني من حيث انتهى الأوّل أي من اليسار إلى اليمين وهكذا[٣]. وتُظهر النقوش الحبشيّة الأولى التي نعرفها أنّ الكتابة في تلك المرحلة كانت تتّجه من اليمين إلى اليسار كما في الأصل العربيّ المشتقّة منه؛ ولكنّ الاتجاه الآخر طغى على الأصل تماماً فأصبح هو المعتمد في النقوش والمخطوطات والمطبوعات. ويرجع هذا التغيير في اتجاه

---

(١) *Ibid., loc. cit.*

(٢) انظر: Dillmann, *Ethiopic Grammar*, p. 21.

(٣) راجع ص ١١٣.

[1] ወደገመ ፡ አብርሃም ፡ አውሰበ ፡ ብእሲተ ፡ እንተ ፡ ስማ ፡ ኬጡራ ፡፡
[2] ወወለደ ፡ ዘስሙ ፡ ዘንበሬ ፡፡ ወዮቃጤን ፡፡ ወሜዳን ፡፡ ወዮብቅሃ ፡
ወሴሃ ፡፡ [3] ወዮቅጤንሂ ፡ ወለዶ ፡ ስሳቤቅ ፡፡ ወቴማን ፡፡ ወለዴዳን ፡፡ ወ
ለዶ ፡ ለራጉኤል ፡ ወለነባዝ ፡፡ ወአስራኦም ፡፡ [4] ወደቂቀ ፡ ምድያም ፡
ጌፌር ፡፡ ወአፌር ፡፡ ወኖኅሃ ፡፡ ወአቢሮን ፡፡ ወኬዮሰ ፡ እሉ ፡ ኵሎሙ ፡
ደቂቀ ፡ ኬጡራ ፡ [5] ወወሀበ ፡ አብርሃም ፡ ኵሎ ፡ ንዋዮ ፡ ለይስሐቅ ፡
ወልዱ ፡ [6] እንዘ ፡ ሕያው ፡ ውእቱ ፡ መንገለ ፡ ሠረቀ ፡ ፀሐይ ፡፡ [7] ወዘ
ንቱ ፡ ሕይወቱ ፡ ለአብርሃም ፡ ወኆመ፡ሎቱ፡ሀኢ ፡ ፻፸ ወ ፭ ዓመት ፡

الرسم ٤٣

نموذج للكتابة الحبشيّة

سفر التكوين ٢٥ : ١ – ٧

الكتابة الحبشيّة إلى الأثر الذي أحدثته الكتابة اليونانيّة فيها، إذ إنّ هذه تتجه من اليسار إلى اليمين؛ وليس يخفى الأثر الكبير الذي خلّفته الثقافة اليونانيّة في فترة متقدّمة من تاريخ الحبشة، حتى إن جزءاً كبيراً جداً من التراث الحبشيّ هو ترجمات عن اليونانيّة معظمها في موضوعات دينيّة.

ويبدو أنّ الشكل الوحيد الذي تغيّر تغيّراً واضحاً إثر تغيّر اتجاه الكتابة هو شكل الراء الذي انقلب على نفسه باتّجاه اليمين، غير أنّ فتحته ظلّت من جهة الأحرف التي تليه لا الأحرف التي تسبقه نظراً لتغيّر اتجاه الكتابة نفسها[1]. أمّا الأشكال الأخرى فلا تُظهر تغيّراً في اتجاهها،

---

(١) قارن هذا بانقلاب بعض الأحرف على نفسه في الكتابة اليونانيّة بالنسبة إلى الأصل الفينيقيّ؛ مثال ذلك تغيّر اتّجاه الراء الفينيقيّة 𐤓 إذ أصبحت P، أو تغيّر اتّجاه p الفينيقيّة 𐤐 إذ أصبحت Π.

بل إن بعضها كان في الأصل مناسباً للاتجاه الجديد من اليسار إلى اليمين، نحو الأشكال g و n و k[1] التي تفرض طبيعتها أن يُبدأ بكتابتها من الجانب الأيسر.

٣- تغيّر بعض الأشكال:

لعلّ أهمّ تغيير مشترك بين عدد من الحروف هو تحويل الأشكال المزوّاة في الخطّ المسند إلى أشكال مدوّرة في الخطّ الحبشيّ بحيث يمكن رسمها بجرّة قلم واحدة بدلاً من اثنتين أو ثلاث. يتّضح ذلك بمقارنة الأشكال h و m و y و ṣ مثلاً. وهناك تغيير آخر قد لا يقلّ خطراً عن التغيير السابق إذ إنه أصاب عدداً كبيراً من الحروف، وهو ظاهر في محاولة الأحباش جعل حروفهم ذات طول واحد. فالحروف العربيّة الجنوبيّة، وإن استوى معظمها في الطول، قد تتفاوت فيه، وتبرز الواو والعين خاصّة صغيرتين في درج الكتابة. ولذلك حاول الأحباش إطالة مثل هذه الأشكال بحيث تستوي وغيرَها من الأشكال فلا تعود مختلفة عن غيرها في النصّ؛ فالناظر إلى نصّ حبشيّ يشعر بالتساوي في أحجام الحروف، وقد يكون ذلك عنصراً جمالياً وقد لا يكون!

ومن التغيّرات التي أصابت شكلاً واحداً دون غيره انقلاب الحاء رأساً على عقب. ولا نعرف سبب هذا بالضبط، ولم يذكره الباحثون، وإن كان من الممكن عندي أن يكون هذا الانقلاب قد حدث تشبيهاً للحاء بأشكال الأحرف l و s و b و ʾ و k و ṭ و p و ṣ التي تشترك جميعاً في أنّ فتحتها متّجهة إلى أسفل لا إلى أعلى؛ وهذه من الناحية العدديّة أكثر من تلك التي تتجه فتحتها إلى أعلى وذلك في الحرفين h و š.

---

(١) أنظر: Dillmann, p. 21.

ثانياً: إضافة العلامات الدالّة على الصوائت:

ذكرنا في الفصل الثاني أنّ الكتابة الفينيقيّة، وما يتفرع عنها أو يرتبط بها من الكتابات الساميّة الشماليّة والجنوبيّة بصورة مباشرة أو غير مباشرة إنما هي كتابات ألفبائيّة بخلاف ما يرى بعض الدارسين. والكتابة العربيّة الجنوبيّة كتابة ألفبائيّة أيضاً، ومن الطبَعيّ أن تتمثّل بها الكتابة الحبشيّة من هذا الوجه لأنّها مشتقّة منها. وهكذا كان، فالنقوش الحبشيّة الأولى التي نعرفها تثبت أنّ الكتابة الحبشيّة بدأت كتابة ألفبائيّة[1]؛ غير أنّ هذا لم يدم طويلاً كما سنرى.

ولا بدّ للمرء من أن يتساءل عن السبب الذي من أجله لم يكن أيّ نظام كتابيّ ساميّ يعبّر في الأصل عن الصوائت[2]، وإنّما كان يمثّل الصوامت وحدها في المرحلة الأولى، ثم بدأ الاهتمام بالصوائت في فترة لاحقة، وعلى أشكال متفاوتة المبدأ والأهمية في هذه اللغات. والجواب الأفضل عن هذا السؤال إنّما يمليه فهم طبيعة الاشتقاق في اللغات الساميّة، فهذه اللغات تستخدم الصوامت للتعبير عن الفكرة العامّة للكلمة، وتستخدم الصوائت للتفرقة بين المعاني المختلفة ولإعطاء الكلمات ظلالاً معنويّة خاصة[3]. ولذلك شعر واضع الألفباء الساميّة أنّ الصوامت هي الجزء الذي لا يُستغنى عنه بحال، وترك للسياق مسألة تحديد الصوائت تحديداً صحيحاً. ولكنّ هذه

---

(١) انظر عدداً من هذه النقوش في الجزء الرابع من كتاب: *Deutsche Aksum Expedition*
وفي: A. J. Drewes, *Inscriptions de l'Ethiopie antique* (Leiden, 1962).

(٢) أمّا النظام الأكديّ المقطعيّ الذي يعبّر عن الصوامت والصوائت معاً فهو مستعار من السومريّة ومُعَدّ لكتابتها لا لكتابة لغة ساميّة، وهذا يفسّر العناء الذي واجهه أصحاب الكتابة الأكديّة في استعمال هذا النظام لكتابة لغتهم الساميّة.

(٣) راجع ص ٨٧ – ٨٨.

الطريقة كانت مصاحبة لالتباس المعاني بعضها ببعض، وهنا بدأت كتابة الصوائت الطويلة، وتبعتها كتابة الصوائت القصيرة في بعض اللغات فقط[1]، فالعربيّة الجنوبيّة مثلاً لم تصل أبداً إلى مرحلة التعبير عن الصوائت القصيرة، ولم تخرج عن مرحلة التعبير بالواو والياء عن الصوائت الطويلة نادراً وعن الصوائت المركّبة aw و ay غالباً. وقد أدرك الأحباش، وبحقّ، أنّ الكتابة العربيّة الجنوبيّة التي بدأوا باستعمالها قابلة للتطوير على أيديهم، وبخاصّة في شأن التعبير عن الصوائت. ولكنّ الأحباش رغم هذا، ورغم معرفتهم بالنمط اليونانيّ في الكتابة، أي التعبير عن الصوائت بأشكال قائمة بذاتها، فضّلوا ألاّ يُفردوا أشكالاً قائمة بذاتها للصوائت، فأضافوها بإحداث تغييرات على الأشكال التي كانوا قد أخذوها من العربيّة الجنوبيّة. والشاهد في عدم احتذاء الأحباش النمط اليونانيّ في كتابة الصوائت (على خلاف ما حصل في اتجاه الكتابة نحو اليمين) أنّهم أدركوا، وبحقّ هنا أيضاً، أنّ إفراد أشكال خاصّة للصوامت وحدها، مع إحداث تغييرات فيها للدلالة على الصوائت، إنّما يناسب طبيعة لغتهم الساميّة أكثر ممّا يناسبه النمط اليونانيّ[2]، ولذلك آثروا أن يتضخّم عدد الأشكال المستعملة في كتابتهم (٢٦ صوتاً لكل منها سبعة[3] أشكال مختلفة، أي ١٨٢ شكلاً) على أن يستوي فيها الصوامت والصوائت. وقد أصاب

---

(١) انظر الفصل العاشر.

(٢) لعلّ في هذا عبرة لبعض من يدعو إلى تمثيل الصوائت في العربيّة بأشكال قائمة بذاتها أسوة بالصوامت! وقارن بما في السريانيّة ص ٣٣٨.

(٣) وليس صحيحاً قول أنيس فريحة: «في الحبشيّة لكل حرف ٣ أشكال مع الفتحة والضمّة والكسرة»، وذلك في معرض ذكره النظريّات المختلفة لتيسير الكتابة العربيّة؛ أنظر الأبحاث، السنة ٥، ج ١، آذار ١٩٥٢، ص ٢٨. والصواب ما ذكره في موضع آخر نشر فيه بحثاً مشابهاً: الخطّ العربيّ: نشأته - مشكلته، ص ٧١ - ٧٢؛ ثمّ أعاد نشر البحث ثالثةً في كتاب آخر هو: في اللغة العربيّة وبعض مشكلاتها، ص ١٤٧ - ١٧٩.

Ullendorff عندما عزا ما قام به الاحباش - أي عدم إعطاء الصوائت رموزاً قائمة بذاتها أسوة بالصوامت - إلى وعي لغويّ عميق تصير معه المساواة في الكتابة بين الصوائت والصوامت أمراً « ثوريّاً » لا يمكن تصوّره أصلاً[١]. هذا ويُستشفّ من مقالة Ullendorff أنّه يرى في النمط اليونانيّ النموذج السليم الذي ظلّ الأحباش مقصّرين عنه[٢]. والواقع أنّه لا يوجد نموذج كتابيّ أفضل من نموذج آخر إلاّ بمقدار مناسبته اللغة التي تستخدمه، ولذلك نرى أنّ النموذج الساميّ في العربيّة أو الحبشيّة لا يقلّ عن النموذج اليونانيّ مطلقاً، لأنّ هذا النموذج الساميّ يجب أن يُحكم عليه من زاوية مناسبته طبيعة اللغات الساميّة - وهو مستوفٍ هذا الشرط تماماً - لا من زاوية قياسه على النموذج اليونانيّ أو أيّ نموذج آخر غير ساميّ.

أمّا فكرة استخدام علامات خاصّة في الشكل نفسه للتعبير عن الصوائت، وعدم اللجوء إلى علامات منفردة قائمة بذاتها، فليست واضحة الأصل والمنشأ، وإن كنّا نستطيع، مطمئنّين، أن ندفع القول بأنّها من أصل يونانيّ[٣]، فالفرق واضح بين الطريقتين الحبشيّة واليونانيّة سواء من حيث الفكرة العامّة أم من حيث أشكال الصوائت نفسها. وقد تكون الفكرة حبشيّة خالصة كما يرى بعضهم[٤]، وإن كنّا نرى أنّه لا مفرّ من الاعتراف

---

(١) *Africa* (1951), p. 209.

(٢) شبيه بهذا إصرار بعض العلماء على اعتبار الكتابة اليونانيّة النموذج الأوّل للكتابة الألفبائيّة، بحيث ينتفي كون الألفباء من اختراع الساميين؛ انظر ص ٨٠.

(٣) انظر المصادر المذكورة في: Dillmann, p. 25, n. 2.

وانظر أيضاً: F. R. Blake, «The Development of Symbols for the Vowels in the Alphabets Derived from the Phoenician,» in *JAOS*, 60 (1940), p. 410.

(٤) من هؤلاء Dillmann نفسه؛ انظر كتابه ص ٢٥، وقارن بـ: Ullendorff, *Africa* (1951), p. 209, n. 1.

بأنّ هناك علاقة ما بين الطريقة الحبشيّة وبين الطريقة الهنديّة في تمثيل الصوائت، لأنّ الطريقتين تشتركان في جعلها الشكل الأساسيّ للحرف، أي الشكل الذي لا يطرأ عليه تعديل، هو الشكل الذي يعبّر عن الصامت متبوعاً بالصائت a. ويؤكّد Littmann أنّ أصل الطريقة الحبشيّة هنديّ، ويُذكّر بالعلاقات التجاريّة التي قامت في العهد الرومانيّ ما بين الهنود وشعوب البحر الأبيض المتوسّط عبر الحبشة[١]. ولكن يبقى أنّه لا يمكننا، حتّى ولو قبلنا بالأثر الهنديّ في الطريقة الحبشيّة - أي كون الشكل الأساسيّ للحرف متبوعاً بالصائت a - أن نفسّر العلامات الأخرى الدالّة على الشكل في الحبشيّة بإرجاعها إلى «أصل» هنديّ. ولعلّ الطريقة الحبشيّة مزيج من عنصرين أحدهما أجنبيّ والآخر حبشيّ خالص، ولا ضرورة إذ ذاك لنظريّات مصطنعة ومتطرّفة تقول إمّا بأصل أجنبيّ متكامل وإمّا بأصل حبشيّ صرف.

ومن المباحث المتعلّقة بدراسة الصوائت الحبشيّة وكتابتها تحديد طبيعتها من حيث الطول والقصر. وإذا استثنينا النظريّة القائلة إنّ الصوائت السبعة التي تعبّر عنها الكتابة الحبشيّة متساوية في الكمّيّة quantity - أي أنّ هذه الكتابة تفرّق بين الصوائت من حيث النوع quality ولا تفرّق بين الصائت الطويل والآخر القصير[٢] - وجب علينا أن

---

(١) انظر: *Deutsche Aksum Expedition*, IV, 76 ff.

وقارن بمقالة Halévy:

«Essai sur l'origine des écritures indiennes,» *JAs.* 8, t. 6 (1885), pp. 243-301; esp. pp. 272-4.

(٢) انظر: E. Ullendorff, *The Semitic Languages of Ethiopia: A Comparative Phonology* (London, 1955), pp. 158 ff.

وقارن: S. Moscati (ed.), *An Introduction to the Comparative Grammar of the* =

نعلّل وجود خمسة صوائت طويلة من مجموع الصوائت السبعة (هي الصائت الثاني ū، والثالث ī، والرابع ā، والخامس ē، والسابعō) ووجود صائتين اثنين فقط من الصوائت القصيرة (هما الصائت الأوّل a، والصائت السادس e̲ الذي قد يدلّ أيضاً على غياب الصائت). إن أوّل ما يستوقف الناظر في هذه الصوائت غياب الصائتين القصيرين u و i (وفرعيهما o و e)، وقد يفسَّر هذا الغياب بأنّه ناتج عن عدم وجود هذين الصائتين القصيرين في الحبشيّة عند بدء تدوينها؛ إذ ليس من المحتمل أن تهمل الكتابة هذين الصائتين الهامّين - في حين تعبّر عن نظيريهما الطويلين - لو كانا موجودين في اللغة[1]. وبذلك يكون التعليل الأسلم القول إنّ الصوائت القصيرة كانت قد اختلطت في الحبشيّة عندما بدأ تدوينها بحيث حلّ محلّها الصائت القصير غير المحدَّد indeterminate والذي يمثّله كتابةً شكل الصائت السادس e̲ .

أمّا ترتيب الصوائت السبعة وكون كلّ واحد منها معروفاً بالرقم الذي يمثّله في هذا الترتيب فقديم جداً فيما يبدو، وليس هناك ترتيب مختلف معروف. ولا يبدو أنّ هناك سبباً معيّناً أوجب ترتيب هذه الصوائت السبعة على الوجه المعروف (أي a ، ū ، ī ، ā ، ē ، e̲ ، ō) ولعله يرجع إلى المصادفة وحدها.

ولنأتِ الآن إلى أشكال الصوائت نفسها، أو بعبارة أصح، إلى

Semitic Languages: Phonology and Morphology, 2nd pr. (Wiesbaden, 1969), pp. = 51-2.

ولعلّ الاعتراض الأوّل الذي يمكن ذكره ضدّ هذه النظريّة التفرقةُ كتابةً بين الصائت a القصير والصائت ā الطويل، أي بين الصائت الأوّل والصائت الرابع. وتبدو حجج Ullendorff في ردّ هذا الاعتراض غير مقنعة للدرجة التي توجب قبولها؛ انظر:

The Semitic Languages of Ethiopia, p. 161.

(١) قارن: Dillmann, p. 27.

الإضافات والتعديلات التي تطرأ على الشكل الأساسيّ (الذي يمثّل الصامت متبوعاً بالصائت a) للتعبير عن صائت معيّن. فبالإضافة إلى الشكل الاساسي هناك ستة أشكال أخرى مختلفة يعبّر كل منها عن صائت بعينه، وذلك بإحداث تغييرات محدَّدة على الشكل الأساسيّ يمكن أن تُعرض على النحو التالي (راجع الرسم ٤٢).

١ - الصائت الثاني ū: تعبّر الكتابة الحبشيّة عن هذا الصائت بإضافة خطّ أفقيّ صغير إلى وسط الجانب الأيمن من الشكل الأساسيّ[١]. ويلاحَظ أن مثل هذا الخطّ لا يمكن إضافته إلى الصامت r أو الصامت f لأنّ فتحتيها تقعان إلى جانبها الأيمن، ولذلك جاء الخطّ الصغير متّصلاً بأسفلها؛ ويلاحَظ أيضاً أنّ الخطّ الصغير هذا يضاف إلى الصامت w في أسفل جانبه الأيمن لا في وسط هذا الجانب.

٢ - الصائت الثالث ī: هذا الصائت أيضاً يصاحبه خطّ أفقيّ صغير إلى الجانب الأيمن من الشكل الأساسيّ، ولكنّه يتّصل بأسفل هذا الجانب في معظم الاشكال. وهنا أيضاً يختص كل من الصامت r والصامت f باتّجاه طرف قاعدته الأيمن إلى أعلى، وذلك قد يكون لمنع إطالة هذه القاعدة الأمر الذي قد يُخلّ بمقاييس الأشكال وتناسبها عموماً. وهناك ستّة أشكال هي hī و mī و šī و wī و ʾī و ḏī جاءت على هذا المنوال، أي باتّصال الخطّ الأفقيّ بها اتّصالاً غير مباشر بواسطة خط عموديّ متفرع منها؛

---

(١) لا يمكن الركون إلى رأي Dillmann (p. 28) القائل إنّ كون الخطّ المضاف إلى الجانب الأيمن من الشكل خطاً أفقياً (وكذلك الحال في الصائت الثالث ī) يمثّل عدولاً عن الخطّ المستقيم الذي يناسب طبيعة الصائت a. إنّ مثل هذا التأويل ينمّ عن خيال خصب يستطيع المزاوجة بين الشكل المكتوب واللفظ المسموع، ولكنه يبعد عن الصواب، أو على أبعد الوجوه، يفتقر إلى دليل يثبت صحّته. قارن أيضاً باقتراحه في تفسير العلامة المضافة إلى الشكل الأساسيّ في الصائت الرابع؛ p. 27.

وسبب هذا أنّ الاشكال الأساسيّة لهذه الاصوات مستديرة من أسفلها بحيث لم ير الاحباش من المناسب اتّصال الخطّ الأفقيّ بجانبها المستدير. وأخيراً يلاحَظ أنّ الشكل yī يكتب بإضافة خطّين صغيرين[1] إلى الجانب الأيمن من شكله الأساسيّ خلافاً لسائر الأشكال المتضمّنة الصائت الثالث.

٣- الصائت الرابع ā: يتكوّن الشكل الذي يعبِّر عن هذا الصائت بإضافة خطّ صغير، عمودي أو منحن بحسب الحاجة، إلى الجانب الأيمن من الشكل الأساسي. ولنأخذ شكل الحرف l مثلاً على ذلك: إنّ الشكل الأساسيّ لهذا الصوت يتكوّن من خطّين يلتقيان من أعلى وينحدر أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، فعندما يطوَّل الخطّ الأيمن يصبح الشكل كله غير متناسب ومقاييسَ أشكال الحروف الأخرى. لأنّ هذا الخطّ الأيمن سينحدر تحت المستوى الذي تصل إليه أطراف الحروف الأخرى؛ ولذلك يُصغَّر شكل الحرف بمجمله فيبدو كأنّ الجانب الأيسر قد قُصِّر، بدلاً من أن يكون الجانب الأيمن قد طوِّل. وقد حدث الشيء نفسه في الاشكال sā و bā و ā و kā و zā و dā و pā و ṣā؛ وكذلك في الشكلين ḥā و ṭā اللذين يتكوّن كلّ منهما من ثلاثة خطوط يطوَّل الأيمن منها، في حين يبدو أنّ الخطّين الأوسط والأيسر قد قُصِّرا، وذلك حفاظاً على التناسق بين الأشكال جميعاً. أمّا في الأشكال التي يكون فيها ساق واحدة، أي خطّ واحد منحدر إلى أسفل، فإنّ التطويل لا يكون استمراراً لهذه الساق منعاً لجعل الشكل أكبر من أشكال الحروف الأخرى، بل يتّجه الخطّ الصغير المضاف إلى الشكل الأساسي باتجاه اليسار؛ ويكون هذا في الأشكال qā وtā و ḫā و yā و gā و pā التي تظل متميّزة عن الاشكال qī و tī و ḫī و yī و gī و pī التي يتّجه الخطّ المضاف إليها يميناً. ومن جهة أخرى تنفرد الأشكال المستدير أسفلُها

[1] لعلّ هذا حدثَ تمييزاً بين الشكلين yī و dī؛ انظر: Dillmann, pp 28-9

باتّصال الخطّ المضاف اليها بالجانب الأيمن منها، وذلك في hā و mā و šā و ʿā و ḍā[١]. أمّا الأشكال الثلاثة الباقية وهي rā و nā و fā فلا تخضع للقاعدة العامّة التي تُطبَّق في الصائت الرابع.

٤ - الصائت الخامس ē: يُرمز لهذا الصائت بحلقة صغيرة تضاف إلى الجانب الأيمن من الشكل الأساسيّ، وذلك في أسفل هذا الجانب في جميع الحروف إلاّ الياء. ويرى Dillmann[٢] أنّ هذه الحلقة الصغيرة قد تكون الحلقة الموجودة في شكل الحرف y في العربيّة الجنوبيّة والحبشيّة، أو أنّها ناشئة عن تطوير الخطّ الأفقيّ الصغير الذي يتّصل بالجانب الأيمن في أسفل الأشكال للدلالة على الصائت الثالث ī، وذلك بإرجاع طرف الخطّ الأفقيّ الصغير هذا إلى الحرف نفسه بواسطة خطّ أفقيّ آخر موازٍ له وأعلى منه.

٥ - الصائت السادس e ، ويرمز، من حيث القيمة الصوتيّة، إلى صائت قصير غير محدَّد، وبالنتيجة إلى أيّ صائت قصير غير الصائت الأوّل a الذي يتضمّنه الشكل الأساسيّ لجميع الحروف. وإلى ذلك قد يرمز شكل هذا الصائت إلى عدم وجود صائت، أي إلى كون الشكل دالاّ على الصامت وحده. ويشكّل استعمال هذا الصائت لغرضين مختلفين صعوبة كبيرة لمتعلّمي اللغة، من غير أهلها بخاصّة، لأنّ القارىء لا يعرف أي الاستعمالين يراد بهذا الصائت إلاّ بعد مراس طويل ومعرفة جيّدة بقواعد التصريف في الحبشيّة. أمّا من حيث التعبير الكتابيّ عن الصائت السادس هذا فإنه يحصل باحداث «انكسار» أو اعوجاج في خطّ مستقيم أصلاً، كما في الأشكال h^e و l^e و k^e و $ṭ^e$ مثلاً، أو بإمالة خطّ مستقيم أصلاً، كما في رأس الشكل s^e. وفي بعض

---

(١) كنّا نتوقّع أن يحدث الشيء نفسه في الشكل wā، ولكن الخطّ المضاف إليه يمتدّ من وسطه لا من يمينه؛ راجع في هذا Dillmann, p. 28

(٢) P. 29

الاشكال يضاف خطّ أفقيّ صغير، شبيه بالخط الذي يضاف في الصائت الثاني والصائت الثالث؛ وتمييزاً للصائت السادس عن هذين الصائتين يتصل الخطّ الصغير، في الصائت السادس، بالشكل إمّا من الجهة اليسرى - سواء من أعلاه أم من وسطه - كما في الأشكال ḥ^{e} وq^{e} وṭ^{e} وz^{e}، وإمّا من أعلى الجهة اليمنى أو وسطها، كما في الاشكال p̣^{e} وṣ^{e}. أمّا الأشكال ʿe وḏ^{e} وš^{e} وy^{e} فلا تنطبق عليها قاعدة مماثلة للقواعد المذكورة أعلاه.

٦- الصائت السابع ō: تتكوّن معظم الأشكال المتضمّنة هذا الصائت بإطالة الجزء الأيسر من الأشكال الأساسيّة أو بأن يضاف خطّ منحن يساراً. وكما في الصائت الرابع، تنبّه الأحباش إلى أنّ إطالة جزء من الشكل يجعل الشكل كلّه غير متناسق والأشكالَ الأخرى من حيث المقياس لأنّ الجانب الذي يصيبه التطويل ينحدر تحت المستوى الذي تبلغه أطراف الأشكال الأخرى؛ ولذلك يُصغَّر الشكل كلّه فتبدو صورة الحرف وكأنّ جانبه الأيمن قد قُصِّر بدلاً من أن يبدو جانبه الأيسر مطوَّلاً. ومن أمثلة هذا ،الأشكال ḥō وsō وbō وō وkō وzō وṭō. وهناك طريقة ثانية لتكوين الصائت السابع مستعملة في عدد قليل من الأشكال، وهي إضافة حلقة صغيرة إلى الجزء الأعلى من الحرف، كما في الأشكال hō وrō وqō وtō وnō مثلاً. أمّا الاشكال mō وšō وpō فطريقة تكوينها قريبة من الطريقة الأولى، أي الانحناء إلى اليسار؛ وأمّا الشكلان yō وgō فطريقة تكوينها تختلف عن كلا الطريقتين المذكورتين في كتابة هذا الصائت.

يتّضح من هذا كلّه أنّ الكتابة الحبشيّة تستخدم قواعد واضحة، وإن تكن متشعّبة، للتعبير عن صوائتها المختلفة، الأمر الذي يجعلها واحدة من أكثر الكتابات الساميّة قدرةً على الدقّة في نقل أصواتها المسموعة[١]. وبدَهيّ

(١) ويلاحظ أنّ هناك بعض الماخذ على هذا النظام، رغم دقته العامة. من هذه المآخذ ترجُّح الصائت السادس بين الدلالة على صائت قصير غير محدَّد وبين الدلالة على غياب الصائت. ومنها =

أن يكون هذا النظام الكتابي الدقيق نتيجة تطوّر متلاحق، إذ إنّنا لا يمكننا أن نتصوّر أنّ هذا النظام بتفاصيله ودقائقه من وضع إنسان بعينه مرّة واحدة[١]. ومن هذا التطوّر المستمرّ وضع رموز خاصة لأربعة من الأحرف الحلقيّة هي q وẖ وk وg لتمثيل خصائصها الصوتيّة في بعض الحالات؛ فهذه الأحرف الأربعة تختصّ، عندما يتبعها صائت من جنس الفتحة: a، أو صائت من جنس الكسرة: i أو e، بدخول الصائت u بينها وبين الصائت الأساسيّ الذي يليها، بحيث يصبح الصوت مركّباً، في حالة q مثلاً، على النحو التالي: qua وquī وquā وquē وque. ولكلّ من الأحرف الثلاثة الأخرى خمس حالات مماثلة يبيّنها الرسم ٤٤:

ቍ	ቌ	ቋ	ቊ	ቈ
ኍ	ኌ	ኋ	ኊ	ኈ
ኵ	ኴ	ኳ	ኲ	ኰ
ጕ	ጔ	ጓ	ጒ	ጐ
que	quē	quā	quī	qua
ẖue	ẖuē	ẖuā	ẖuī	ẖua
kue	kuē	kuā	kuī	kua
gue	guē	guā	guī	gua

الرسم ٤٤

الأصوات الحبشيّة المركّبة مع الصائت u

= أيضاً عدم وجود علامة خاصّة تقابل التشديد المعروف في العربيّة والعبريّة، الأمر الذي كثيراً ما يسبب غموضاً في القراءة، وخاصّة في معرفة الفرق بين الثلاثيّ المجرّد أي ما يقابل فَعَلَ العربيّة، وبين المزيد مِن وزن فعّل.

(١) انظر: Dillmann, p. 32.

و: Ullendorff, *The Ethiopians*, p. 134.

ومن أمثلة التطورّ المستمرّ في الكتابة الحبشيّة ما استحدثته الكتابة الأمهريّة من زيادات لتمثيل صوامت لم تكن موجودة في اللغة الجعزيّة، على صورة لفظها الجديد، كما يظهر الرسم ٤٥[١]:

وأخيراً نذكر أنّ الكتابة الحبشيّة تتضمّن علامات ترقيم punctuation خاصّة بها[٢]. وأشهر هذه العلامات وأكثرها استعمالاً في المخطوطات

مع الصائت السابع	مع الصائت السادس	مع الصائت الخامس	مع الصائت الرابع	مع الصائت الثالث	مع الصائت الثاني	مع الصائت الأوّل	الصامت
ō	e (أو ساكن)	ē	ā	ī	ū	a	
ሾ	ሽ	ሼ	ሻ	ሺ	ሹ	ሸ	š
ቾ	ች	ቼ	ቻ	ቺ	ቹ	ቸ	č
ኞ	ኝ	ኜ	ኛ	ኚ	ኙ	ኘ	ñ
ኾ	ኽ	ኼ	ኻ	ኺ	ኹ	ኸ	ḫ
ዦ	ዥ	ዤ	ዣ	ዢ	ዡ	ዠ	ž
ጆ	ጅ	ጄ	ጃ	ጂ	ጁ	ጀ	ǧ
ጮ	ጭ	ጬ	ጫ	ጪ	ጩ	ጨ	ç̇

الرسم ٤٥

الأشكال الأمهريّة المزيدة على الكتابة الحبشيّة

---

(١) لن ندخل في كيفيّة نطق هذه الأصوات، كما أنّنا أثبتنا رموزها اللاتينيّة على وجهها الشائع الذي قد لا يوافق الوجه الذي نستعمله في سائر مواضع هذه الدراسة لكتابة هذه الأصوات (نحو u بدلاً من w)؛ وفيما يتعلّق بهذه الصوامت ونطقها والنظام الصوتيّ في الأمهريّة عامّة انظر:

W.Leslau, *Amharic Textbook* (Wiesbaden, 1968).

و: C. H. Armbruster, *Initia Amharica: An Introduction to Spoken Amharic*, pt. I, Grammar (Cambridge, 1908).

(٢) راجع هذه في: Dillmann, p. 33.

وقارن: Ullendorff, *Africa* (1951), p. 216.

والكتب المطبوعة العلامة (:) التي تفصل بين كل كلمة وأخرى، وهي فيما يبدو مأخوذة من الخطّ العموديّ الصغير المستعمل للغرض نفسه في العربيّة الجنوبيّة. ومن العلامات المستعملة أيضاً العلامة (::) التي تدلّ على انتهاء الجملة، أي ما يقابل النقطة في النظام الأشهر.

الفصل السابع

الألفباء اليونانيّة: مِمَّ أُخذت ومتى؟

ننظر في هذا الفصل في عدد من القضايا المتعلّقة بالألفباء اليونانيّة من زاوية علاقتها بالكتابة الساميّة الشماليّة، فنحاول أن نرى، تحديداً، من أيّة كتابة ساميّة شماليّة صدرت اليونانيّة، وفي أيّ عهد تمّ ذلك الصدور. ثمّ ندرس عناصر الجِدّة في الحُلّة الجديدة التي ألبسها اليونانيّون للألفباء الساميّة الشماليّة، من طريقة كتابة الصوائت، إلى زيادة عدد من الأشكال، الخ...

أخذ اليونانيّون ألفباءهم من الألفباء الساميّة الشماليّة، وبالتحديد من الفينيقيّين، لا من الآراميّين كما يزعم نفر من العلماء الذين سنناقش رأيهم لاحقاً. والبرهان على أنّ اليونانيّة مأخوذة من الفينيقيّة لا يدافَع، إذ إنّه يقوم على أكثر من حقيقة واحدة:

١ - أنّ أسماء الحروف شديدة التشابه في اللغتين[1]؛ وكون هذه الأسماء ساميّة يشير إلى أنّ اليونانيين هم المتأثّرون بالفينيقيّة لا عكس ذلك.

٢ - أنّ ترتيب الحروف واحد في الكتابتين. ومن المفيد هنا أنّ الأشكال التي زادها اليونانيّون على الأشكال الفينيقيّة الاثنين والعشرين تجيء في آخر الترتيب، أي بعد الحرف الأخير (t) من الأبجديّة الفينيقيّة[2].

---

(١) انظر الفصل الثامن، وبخاصة القائمة المثبتة ص ٢٢٣.

(٢) قارن بالترتيب الأوجاريتيّ وتفسيره، ص ١٠٢ وص ٢٩٢.

وهذا يدلّ على أنّ اليونانيين حافظوا على الترتيب الأصليّ في الفينيقيّة.

٣- أنّ أشكال الحروف في الكتابتين متشابهة إلى حدّ بعيد. ويُظهر الرسم ٤٦ التطوّر الذي حصل من الأشكال الفينيقيّة إلى الأشكال اليونانيّة الكلاسيكيّة (القرن الرابع قبل الميلاد) مروراً بمرحلة متوسّطة بينهما تمتدّ من بداية الكتابة اليونانيّة في القرن الثامن وحتّى القرن السادس ق. م. (ولن نثبت في هذه القائمة الأشكال التي زادتها اليونانيّة على الأشكال الأصليّة، فموضع بحث هذه في أواخر هذا الفصل).

٤- أنّ المصادر اليونانيّة القديمة[١]، وعلى رأسها هيرودوتس، تسمّي الكتابة اليونانيّة *Φοινικήια γράμματα* أي الحروف الفينيقيّة، وفي هذا دليل، من القرن الخامس ق. م. على ارتباط أصل الألفباء اليونانيّة في ذهن أصحابها بالألفباء الفينيقيّة. ثم تُغرِق المصادر اليونانيّة في الخيال، فتنسب إلى شخص بعينه إدخال الألفباء الفينيقيّة إلى اليونان- وهذا الشخص «قدموس» في بعض المصادر، وغيره في أخرى- وقيل إنّه أدخل ستة عشر حرفاً، ثم زادها غيره... إلى ما هنالك من أمور لا تدخل في نطاق التاريخ إلاّ بمقدار ما يكون وراء الأسطورة من حقيقة تاريخيّة ولو جزئيةً، ولا نقصد هنا إلى البحث عنها.

٥- أنّ اتّجاه الكتابة في النقوش اليونانيّة الأولى هو من اليمين إلى اليسار[٢]، كما في الكتابات الساميّة الشماليّة، وهناك نقوش يونانيّة مكتوبة بالطريقة الحلزونيّة أو طريقة خطّ الحرّاث boustrophedon فتبدأ من اليمين إلى اليسار ثمّ من اليسار إلى اليمين وبعدها من اليمين الخ.

---

(١) انظر ذكرها في: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 451, n. 1.

(٢) L. H. Jeffery, *The Local Scripts of Archaic Greece* (Oxford, 1961)., pp. 43 ff.

الصوت في السامية	السامية الشمالية	اليونانية (بين القرنين الثامن والسادس ق. م)	اليونانية (في القرن الرابع ق. م)	الصوت في اليونانية
ʾ	𐤀		Α	a
b	𐤁		Β	b
g	𐤂		Γ	g
d	𐤃		Δ	d
h	𐤄		Ε	e
w	𐤅		Υ	u
z	𐤆		Ζ	z
ḥ	𐤇		Η	ē
ṭ	𐤈		Θ	ṯ
y	𐤉		Ι	i
k	𐤊		Κ	k
l	𐤋		Λ	l
m	𐤌		Μ	m
n	𐤍		Ν	n
s	𐤎		Ξ	x
ʿ	𐤏		Ο	o
p	𐤐		Π	p
ṣ	𐤑			s
q	𐤒			q
r	𐤓		Ρ	r
š	𐤔		Σ	s
t	𐤕		Τ	t

الرسم ٤٦

مقارنة الأشكال الفينيقيّة واليونانيّة

واستقرّت الكتابة اليونانيّة بعد ذلك، كما هو معلوم، على الاتجاه من اليسار إلى اليمين.

٦- أنّ اليونانيّين اسموا المادّة التي كانوا يكتبون بها ἡ βύβλος ، وهو اسم المدينة الفينيقيّة جُبَيْل (Byblos).

أمّا الزمن الذي أخذ فيه اليونانيّون ألفباءهم عن الفينيقيين فموضع خلاف كبير بين العلماء، فبينما يرى بعضهم أنّه ما بين ١٢٠٠ و ١١٠٠ ق. م.[١] يرى آخرون أنّه حوالي ٧٠٠ ق. م.[٢] ونرى أنّ منتصف القرن الثامن- أو ربّما أوائله- هو الزمن الذي أخذ فيه اليونانيّون الألفباء لتضافر الدلائل في هذا الاتجاه:

فمن الحجج « السلبيّة » أنّ تعيين زمن الأخذ في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر لا يستقيم؛ فقد كانت اليونانيّة تُكتب بالخطّ الكريتيّ المعروف بـ Linear B[٣] ما بين ١٤٢٥ و ١١٠٠ ق. م. ولمّا لم تكشف الحفريّات عن نقوش يونانيّة مكتوبة بهذا الخطّ بعد هذا التاريخ ولا نقوش يونانيّة مكتوبة بخطّ فينيقيّ قبل أواخر القرن الثامن، جاز لنا أن نفترض أنّ الفترة التي لم نعثر على نقوش منها كانت فترة سادت فيها الأمّيّة، وهذه الفترة هي المعروفة بالعصور المظلمة. لا بدّ إذاً، عند تحديد زمن أخذ اليونانيّين الألفباء، من استبعاد أيّة نظريّة تُرجع هذا الأخذ إلى ما قبل ١١٠٠ق. م. لأنّنا لا نتصوّر مبرِّراً لأخذ اليونانيّين الكتابة الفينيقيّة في ذلك الزمن، أي الزمن الذي كان لهم فيه كتابة تفي بأغراضهم.

---

(١) B. L. Ullman, «How Old is the Greek Alphabet?» in *AJA*, 38 (1934), pp. 359 ff.

(٢) R. Carpenter, «The Antiquity of the Greek Alphabet.» in *AJA*, 37 (1933), pp. 8-29.

(٣) راجع ص ٣٤.

ومن ناحية أخرى، يبدو أنّ الفينيقيين لم يكونوا، في الألف الثاني ق. م. قد انتشروا كثيراً في منطقة ايجة، أو قل إنّه لم يكن لهم مستوطنات هناك في ذلك الزمن. والحقّ أنّ شأناً كأخذ اليونانيين الألفباء الفينيقيّة إنّما يقتضي اتّصالاً وثيقاً بين الشعبين، وأساس هذا الاتّصال وجود مركز فينيقيّ دائم ومستقرّ في المناطق اليونانيّة، أو مركز يونانيّ في المناطق الفينيقيّة. ولسنا نعرف مثل هذا المركز قبل القرن الثامن ق. م. رغم وجود علاقات تجاريّة بين الشعبين قبل ذلك التاريخ كانت مراكزها غير مستقرّة وغير دائمة[١].

وممّا يُسهّل مهمّتنا في تحديد زمن أخذ اليونانيين للألفباء الفينيقيّة تحديد الزمن الذي يرجع إليه أقدم ما بين أيدينا من كتابة يونانيّة بالخطّ الفينيقيّ، فنعرفَ الحدّ الزمنيّ الذي لا يمكن أن يكون الأخذ متأخّراً عنه. ولعلّ أقدم نموذج نعرضه لهذه الكتابة هو المكتوب على إناء أثينيّ يُعرف بإناء Dipylon، ومن الممكن نسبته إلى أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن السابع ق. م.[٢] وإذا علمنا بعد ذلك أنّ أشكال الحروف اليونانيّة

---

(١) انظر: Jeffery, *The Local Scripts*, p. 14.

(٢) يرى القائلون إنّ اليونانيين أخذوا ألفباءهم عن الفينيقيين قبل منتصف القرن الثامن ق. م. أنّ عدم عثورنا على نقوش يونانيّة مكتوبة بالخطّ الفينيقيّ في زمن قبل ذلك لا يعني أنّ مثل هذه النقوش غير موجودة، إذ قد يُكشف النقاب عنها لاحقاً، أو أنّها كُتبت على موادّ قابلة للتلف كالجلود والأخشاب وأوراق البردي. والحقّ أنّ مثل هذا الاحتجاج مرفوض، إذ لا يمكن أن نتجاهل الظاهرة «السلبيّة» (أي عدم العثور على النقوش المذكورة) عندما تكون مطّردة متلئبّة، لأنها تغدو بقوّة الحجّة «الإيجابيّة» في دلالتها. أمّا أن تكون جميع الكتابات قد كُتبت على موادّ قابلة للتلف فغير ممكن لأنّ الكتابة على الطين والبرونز كانت معروفة، وهاتان المادّتان أقل عرضة للتلف والفساد من غيرها. راجع في هذا وفي غيره من الاعتراض الذي قد يثيره من يرى أن عمليّة الأخذ تمّت قبل منتصف القرن الثامن ق. م:

Jeffery, *The Local Scripts*, pp. 13-21.

في أقدم النقوش تشبه، أكثر ما تشبه، أشكال الحروف الفينيقيّة من منتصف القرن الثامن ق. م.[١] قويَ عندنا اعتقاد أنّ عمليّة الأخذ كانت في منتصف القرن الثامن أو قبل ذلك بوقت غير طويل؛ وعلى الأبعد في أوائل ذلك القرن.

أمّا المكان الذي تمّ فيه أخذ اليونانيّين للألفباء فلا يمكن تعيينه بدقّة كالتي أمكنت في تحديد الزمن. ونستبعد، على أيّة حال، أن يكون المكان قبرص أو كريت لأنّ هذين قد عرفا كتابة مقطعيّة استُخدمت لليونانيّة، فلم يجد أصحابها حاجة إلى اقتباس كتابة أجنبيّة- وإن تكن كتابة ألفبائية، أي أيسر من مقطعيّتهم- والدليل على ذلك استمرار هذه الكتابة بعد الزمن الذي تمّ فيه أخذ اليونانيين ألفباءهم. ولعلّ بإمكاننا لذلك أن نرجّح أن الأخذ حصل في المناطق الفينيقيّة لا اليونانيّة، دون أن نستطيع تأكيد ذلك أو تعيين المكان تحديداً. وأيّة محاولة لتعيين مكان الأخذ تعييناً صارماً[٢] لا بدّ من الوقوف منها موقف الحذر والريبة.

وكذلك فيما يتعلّق بالمكان الذي تمّ فيه أخذ اليونانيّين للألفباء، يبدو أنّ عمليّة الأخذ تمّت في مكان واحد ثم انتشرت إلى سائر الأمكنة، أي أنّها لم تتمّ في أماكن مختلفة في آن واحد: وحجّة القائلين بأنّ الأخذ كان في أكثر من مكان واحد أنّ النقوش اليونانيّة الأولى تتباين أشكالها باختلاف مواطنها تبايناً غير قليل، الأمر الذي يستحيل معه التسليم بأنّها جميعاً ترجع إلى

---

(١) انظر قائمة مقارنة لأشكال الحروف في النقوش اليونانيّة المتقدّمة وأشكال الحروف الفينيقيّة منذ أقدم النماذج وحتّى القرن الثامن ق. م. في:

Driver, *Semitic Writing*, pp. 174-5.

(٢) من ذلك أنّ Jeffery تدّعي في كتابها المذكور آنفاً أنّ مكان الأخذ هو جنوب العاصي، في مرفأ «المينا» بالتحديد، وقد كان فيه جالية يونانيّة في القرن الثامن ق. م.

نموذج يونانيّ واحد[١]. غير أنّ هذه الحجّة واهية لأنّ اختلاف الأشكال أمر خارجيّ قد يفسّره الاختلاف الفرديّ بين الكتبة أو طبيعة المادّة التي استُخدمت للكتابة. والحقّ أنّ هذا الاختلاف الشكلي يخبّىء وراءه اتفاقاً في أمور لا يمكننا إلا أن نستنتج منها وجود نموذج يونانيّ أصلي صدرت عنه جميعاً[٢]. فمن الأمور التي تشترك فيها كلّ الكتابات اليونانيّة المحليّة، على اختلافها في أشكال الحروف، ما يلي:

١- استخدام أشكال الأحرف الفينيقيّة ālep و hē و ʿayin لكتابة الصوائت a و e و o على التوالي.

٢- تغيير أسماء أحرف الصفير وترتيبها عن أصله في الفينيقيّة. وهذا التغيير اليونانيّ مطّرد في الكتابات المحلّيّة جميعاً.

٣- استخدام الطريقة الحلزونيّة وهي غير مألوفة في الكتابة الساميّة الشماليّة.

٤- استخدام الحرف الساميّ w لكتابة صوتين أوّلها صامت والثاني صائت (u).

٥- نقل شكلي الحرفين w و y من نموذج فينيقيّ واحد غير مستخدَم في النقوش الفينيقيّة المعروفة (انظر الرسم ٤٦)؛ ولعلّه كان للفينيقيّين خطّ سريع يُستخدم في الكتابة اليوميّة العاديّة، غير الخطّ المستخدَم في النقوش.

★ ★ ★

بنينا حججنا في القسم السابق من هذا الفصل على اعتقاد أنّ

---

(١) قارن: Gelb, *A Study of Writing*, p. 180.

و: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 458.

(٢) انظر: Jeffery, *ibid.*, pp. 6 ff.

اليونانيين أخذوا ألفباءهم عن الفينيقيين لا عن الآراميين. والواقع أنّ هذه المسألة الهامّة موضع خلاف بين العلماء، وأنّ القول بالأصل الآراميّ لا الفينيقيّ يرجع إلى القرن التاسع عشر، فقد نادى به I. Taylor[١] واحتجّ له. وقد انتصر لهذا القول، في زمن أقرب، S. Segert، وله مقالان[٢] هامّان في هذا الموضوع، وقد أيّده G.R. Driver[٣]، وإن حاول ألاّ يجزم بالأصل الآراميّ جزماً قاطعاً.

وتقوم النظريّة القائلة بالأصل الآراميّ للألفباء اليونانيّة على عدد من الحجج والملاحظ، نعرضها مختصرة:

١ - أنّ عدداً من أسماء الحروف اليونانيّة صيغته آراميّة[٤].

٢ - أنّ عدداً من هذه الأسماء ينتهي بـ a -[٥] (وهي غير موجودة في الصيغة الفينيقيّة)، وأنّ هذه هي أداة التعريف في الآراميّة إذ تأتي في نهاية الأسماء.

٣ - أنّ اسم الحرف ālep الذي يُحتجّ به للأصل الفينيقيّ للكتابة اليونانيّة (باعتباره كلمة فينيقيّة لا آراميّة) قد ظهر في نصّ آراميّ[٦]، فهو ساميّ شماليّ مشترك، لا فينيقيّ خالص.

---

(١) *History of the Alphabet* (N. Y., 1883), 11, 27.

(٢) «Aramäische Studien» (Die Rolle der Aramäer bei der Vermittlung des westsemitischen Alphabets an die Griechen), in *AO*, 26 (1958), pp. 572-8.
«Altaramäische Schrift und Anfänge des griechischen Alphabets,» in *KLIO*, 41 (1963), pp. 38-57.

(٣) *Semitic Writing*, pp. 266-7.

(٤) انظر ص ٢٦٢.

(٥) انظر هذه الأسماء في قائمة أسماء الحروف اليونانيّة، ص ٢٢٣.

(٦) Jean-Hoftijzer, *Dictionnaire*, p. 15.

٤ - أنّ اليونانيين أخذوا الألفباء في القرن التاسع (كذا) ق. م. وأنّهم استخدموا عدداً من الأحرف الساميّة لكتابة الصوائت؛ فإذا رجعنا إلى النقوش الساميّة الشماليّة من تلك الفترة[١] وجدنا أن الفينيقيّة تقتصر على الصوامت، وتخلو من أي رمز للصوائت، في حين أنّ الآراميّة كانت تكتب عدداً من الصوائت في مواضع معيّنة، فتستخدم w للصائت ū- و y للصائت ī- و h للصائتين ā - و ē -، وكلّها في نهاية الكلمة لا في وسطها.

٥ - أنّ تسمية اليونانيين لكتابتهم بـ «الحروف الفينيقيّة» γράμματα Φοινικήια ليس يعني بالضرورة أنّهم أخذوا ألفباءهم عن الفينيقيين، بل يعني أنّهم لم يكونوا يفرّقون بين الآراميّين والفينيقيّين.

ويمكننا أن نردّ على هذه الحجج كما يلي، بالترتيب نفسه:

١ - من الصعب أن نجزم بأنّ بعض أسماء الحروف في اليونانيّة آراميّ الصيغة أو الاشتقاق، وسوف نرى أنّ معظم هذه الأسماء ساميّ مشترك[٢]، وإنْ كنا نحن نعتمد في تفسير بعضه على لغة واحدة دون سائر اللغات لأنّ معرفتنا باللغات الساميّة غير تامّة، فقد تخلو النصوص التي نعرفها للغة ما من كلمة معيّنة، مع أنّنا نقدّر أنّها كانت موجودة في تلك اللغة. وحتّى لو سلّمنا بآراميّة بعض أسماء الحروف اليونانيّة، لا يجوز أن نجعل ذلك دليلاً على الأصل الآراميّ للكتابة اليونانيّة، لأنّ هناك أسماء حروف تدلّ صيغتها اليونانيّة على أصل فينيقيّ لا ريب فيه. فاسم الحرف اليوناني iōta شبيه بالكلمة الفينيقيّة (والعبريّة) yōḏ لا بالكلمة الآراميّة yaḏ أو yᵉḏā؛ واسم الحرف اليونانيّ rhō يقارب rōš الفينيقيّة (والعبريّة) دون rēš أو rēšā

---

(١) انظر ص ٣٢٣ - ٣٣٠.

(٢) انظر الفصل الثامن. وقد يجد القارىء فائدة في قراءة ذلك الفصل إلى جانب هذا لاعتمادنا في هذه الحجج على مباحث تتعلق به.

الآراميّة. فكيف يجوز القول بأصل آراميّ لهذه الأسماء، وبعدها، للألفباء اليونانيّة نفسها.

٢ - وجود الصائت a - في أواخر عدد من أسماء الحروف اليونانيّة لا يعني أنّ صيغ هذه الأسماء آراميّة، فهذا الصائت، في هذه الصيغ بالذات ليس أداة التعريف الآراميّة، بل هو مجرّد لاحقة أضافتها اليونانيّة تخلّصاً من ظاهرة لا تطيقها، وهي انتهاء الكلمة بحرف صامت. وعلى ذلك تكون a - في iōta تخلّصاً من انتهاء الكلمة بصامت (في yōḏ)، وفي hēta كذلك تخلّصاً من انتهاء الكلمة بصامت (في ḥēṯ)، ومثله في alpa و bēta وسائر الأسماء المنتهية بـ a -. أمّا الأسماء غير المنتهية بهذا الصائت فتكون على أيّة حال منتهيّة بصائت آخر، ولا يُستثنى من ذلك إلاّ san.

٣ - هذه النقطة تؤكّد اعتمادنا في تفسير أسماء الحروف الساميّة الشماليّة على مجموعة من اللغات المتقاربة. والحقّ أنّ أسماء الحروف، كما يقتضي المنطق، نشأت كلّها من لغة واحدة، هي لغة الذين طبّقوا المبدأ الأكروفونيّ في وضع الألفباء[1]. غير أنّنا لا نستطيع بما نعرف عن اللغات الساميّة الشماليّة الاعتماد على واحدة منها اعتماداً كلّيّاً في تفسير الأسماء، بل علينا استنباط المعنى منها جميعاً. وظهور كلمة ālep في نقش آراميّ أمر غير مستغرب لشدّة التشابه بين هذه اللغات. والعبرة ليست في وجود أسماء الحروف في لغة من اللغات أو عدم وجودها فيها، بل في معرفة الشعب الذي استخدم هذه الكلمات (المستخدمة في اللغة أصلاً) لتسمية حروف الكتابة.

٤ - هذه الحجّة أقوى حجج القائلين بالأصل الآراميّ للألفباء اليونانيّة. ولكنّها، وحدها، لا تقوى على إثبات ذلك الأصل، فاستخدام

---

(١) هذه أيضاً من مباحث الفصل الثامن.

عدد من الأحرف لكتابة الصوائت أمر كان معروفاً في كتابات غير آراميّة، كالعبريّة والمؤابيّة[1]، ولا يدّعي أحد أنّ إحدى هاتين أصل الكتابة اليونانيّة. ثم إنّنا، رغم علمنا أنّ النقوش الفينيقيّة من الفترة التي تمّ فيها أخذ اليونانيّين للألفباء تخلو من كتابة الصوائت، لا نستبعد أن تكون هناك خطوط فينيقيّة محلّيّة كانت تستخدم w و y و h لكتابة الصوائت، على الطريقة الآراميّة، وان يكون أحد هذه الخطوط هو الذي انتقل إلى اليونانيّة. ولنا أسوة هنا بمسألة مشابهة، وهي أنّ شكلي الحرفين w و y في اليونانيّة ليسا مأخوذين من الأشكال التي نعرفها من النقوش الفينيقيّة التي تمّ اكتشافها[2]، فلعلّ كتابة الصوائت كمسألة شكليْ هذين الحرفين، أي أنّها كانت مستخدمة عند الفينيقيّين في خطوط لمّا تصلْنا.

٥- ليس من مرجِّح للقول إنّ اليونانيّين خلطوا بين الفينيقيّين والآراميّين، وليس يجوِّز المنطق أن نفسّر عبارة « الحروف الفينيقيّة » على خلاف معناها دون دليل واضح. إن اصرار اليونانيّين على هذه التسمية، وذكرهم « قدموس » الفينيقيّ يجب أن يُحمل على ظاهر معناه حتى يقوم دليل على عكس ذلك. ومن جهة أخرى، كيف نفسّر، لو سلمنا بالأصل الآراميّ، تسمية اليونانيّين لمادّة الكتابة بـ ἡ βύβλος من اسم المدينة الفينيقية جبيل[3]. ثم إنّ في الأدب اليونانيّ إشارات إلى شعب اسمه Ἄριμοι [4]، والظاهر أنّه « الآراميّون »؛ غير أنّ أصحاب النظريّة الآراميّة يقولون إنّ هذه التسمية ليست للآراميّين ضرورةً، إذ قد تكون لشعب متخيَّل غير موجود[5]؛ وهم يقصدون من هذا التفسير أن

---

(١) انظر ص ٣٢٧ - ٣٣٠.

(٢) قارن بالفقرة ٥ ص ٢٠٦.

(٣) راجع ص ٢٠٣.

(٤) Driver, *Semitic Writing*, p. 267.

(٥) *Ibid.,loc, cit.*

يؤكّدوا - حيث لا يحسن التأكيد - أنّ اليونانيّين لم يعرفوا الآراميّين باسمهم، فيسهل بعد ذلك القول إنّ عبارة « الحروف الفينيقيّة » إشارة إلى الآراميّين بغير اسمهم.

لا يمكننا إذا التسليم بأنّ أصل الألفباء اليونانيّة آراميّ لا فينيقيّ، ويبقى لذلك القول بالأصل الفينيقيّ أسلم الأقوال وأكثرها مراعاة للحقائق اللغويّة والكتابيّة والتاريخيّة. ولعلَّ من المفيد أن نلاحظ أنّ Segert، وهو أشد المتحمّسين للنظريّة الآراميّة، يتراجع عن موقف أساسي لهذه النظرية، فيسلّم أنّ أسماء الحروف اليونانيّة مأخوذة عن الفينيقيين، ولكن بعد أن كان اليونانيّون قد أخذوا عن الآراميّين أشكال الحروف وطريقة استخدام عدد من الأحرف لكتابة الصوائت[1]. ولكنّنا لا نعرف لماذا يكون ذلك كذلك، فلماذا يمتنع اليونانيّون عن أخذ أسماء الحروف الآراميّة بعد أخذهم من الآراميّة الأشكال وطريقة كتابة الصوائت ليعودوا بعد ذلك فيأخذوا الأسماء الفينيقيّة؟!

الأقرب إلى طبيعة الأشياء أن يكون اليونانيّون قد أخذوا أشكال الحروف وأسماءها من مصدر واحد، وكفّة الميزان، عند تحديد هذا المصدر، راجحة في الجانب الفينيقيّ على الآخر الآراميّ. وفي فصل لاحق[2] سنبيّن أنّ اليونانيّين عندما أخذوا الكتابة الساميّة أخذوا أسماء الحروف أيضاً، بدليل استخدامها أساساً ينطلقون منه لكتابة الصوائت التي لم يكن الساميّون يكتبونها. وهكذا لا يجوز الفصل بين مأخذ أشكال الحروف ومأخذ أسمائها.

★ ★ ★

---

(١) انظر مقالته في: *KLIO* (1963), pp. 52-4.

(٢) انظر ص ٢٢٤ - ٢٢٧.

المبحث الثاني يتناول العناصر الجديدة التي أدخلها اليونانيّون على الألفباء الفينيقيّة لتناسب احتياجهم الخاصّ ونظرتهم إلى الغرض الذي تؤدّيه الكتابة. وأهمّ هذه العناصر ثلاثة:

١ - طريقة كتابة الصوائت
٢ - زيادة عدد من الأشكال الكتابيّة
٣ - تعديل أحرف الصفير

١ - طريقة كتابة الصوائت:

هناك خطأ شائع في هذه المسألة[١]، وهو الظنّ أن اليونانيّين، عندما أخذوا الألفباء الساميّة، وجدوها تكتب الصوامت وتهمل الصوائت، فأدركوا أنّ هذه الطريقة، وإن كانت تناسب اللغات الساميّة لا تناسب اليونانيّة لأنّ الصوامت والصوائت فيها على قدم المساواة، الأمر الذي يقتضي كتابة الصوائت بأشكال مميَّزة؛ وبذلك وضع اليونانيّون طريقة لكتابة الصوائت. والحقّ أن اليونانيّين لم يخترعوا طريقة كتابتهم للصوائت، بل أخذوها عن الساميّين، ثم حسّنوها ووسّعوها كما سنرى. فالنقوش الساميّة الشماليّة التي ترجع إلى زمن أخذ اليونانيّين للألفباء تُظهر أنّ الساميّين بدأوا يكتبون الصوائت الطويلة في أواخر الكلمات، وأنّهم استخدموا لذلك عدداً من الرموز المستخدمة أصلاً لكتابة الصوامت، وهذه هي w و y و h[٢]. ولذلك لا بدّ من القول إنّ اليونانيّين أخذوا هذه الطريقة عن الساميّين إذ لا يمكن أن يكونوا قد اخترعوها فجاءت مطابقة تماماً للطريقة الساميّة، كما لا يمكن أن يكون الساميّون قد نقلوا هذه

---

(١) وعجيب وقوع العلماء في هذا الخطأ؛ انظر مثلاً رأي Jensen في هذه القضيّة، في كتابه ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٢) انظر ص ٣٢٣ وما بعدها.

الطريقة عن اليونانيّين لأنّ شواهدها في النقوش الساميّة ترجع إلى ما قبل أوائل القرن الثامن، وهو الزمن الذي أخذ فيه اليونانيون ألفباءهم.

وما أحدثه اليونانيّون على كتابة الصوائت هو أنّهم لم يقتصروا في كتابتها على أواخر الكلمات، كما لم يقتصروا على كتابة الصوائت الطويلة، بل تعدّوها إلى الصوائت القصيرة. وتكون صورة كتابة الصوائت في اليونانيّة على النحو التالي:

أ- الأحرف التي استخدمها الساميّون لكتابة الصوائت قبل الألفباء اليونانيّة:

الحرف w : استخدم اليونانيّون هذا الحرف لغرضين: الأوَّل كتابة الصامت w (واسمه digamma) ، وقد سقط هذا الاستخدام في فترة لاحقة، غير أنّ الحرف w ظلّ يحتفظ بترتيبه سادساً بين الحروف - كما في الترتيب الأبجديّ الساميّ - وقيمته في الحساب ستة. أمّا الغرض الثاني الذي أدّاه هذا الحرف في اليونانيّة فهو كتابة الصائت u (أي upsilon) ، وجعل الحرف في آخر الترتيب الأبجدي، بعد الحرف t .

الحرف y : رمزوا بهذا الحرف إلى الصائت i .

الحرف h : استخدموا هذا الحرف لكتابة epsilon اليونانيّة، أي الصائت القصير e .

ب- الأحرف التي استخدمها اليونانيّون لكتابة الصوائت ولم يكن الساميّون قد استخدموها لذلك الغرض:

الحرف ʾ : رمزوا بهذا الحرف إلى الصائت الأول (قصيراً) في اسمه، أي a في ālep̱ .

الحرف ʿ : رمزوا به إلى الصائت o ، ويُسمى omikron (ὂ μικρόν) أي « الصائت القصير o» .

الحرف ḥ: جعلوا هذا الحرف رمزاً للصائت الطويل ē، ويبدو أنّ تشابه الاسمين hē و ḥēṯ هو الذي أوحى لليونانيّين باستخدام الحرف ḥ لكتابة ē، أسوةً بالحرف h المستخدم لكتابة الصائت القصير المقابل.

ج- الشكل الجديد الذي أضافه اليونانيّون لكتابة الصائت الطويل ō: ذلك أنّهم لم يستخدموا شكلاً من الأشكال الساميّة فيعطوه هذه الوظيفة كما فعلوا في الأحرف ʾ و ʿ و ḥ. وسمّوا الشكل الجديد هذا omega (ὦ μέγα) أي« الصائت الطويل o »، وصورته ⊙ ثم صارت Ω (راجع الرسم ٤٦).

والمُلاحَظ في الطريقة اليونانيّة لكتابة الصوائت أنّ أشكال الصوائت تُكتب منفصلة عن أشكال الصوامت، وقد يكون للكتابة القبرصيّة أثر في هذا، كما قيل[١]، ولكن الأولى أن ننسب التأثير إلى الكتابة الساميّة نفسها لأنّ أشكال الصوائت الطويلة فيها كانت أحرفاً منفصلة هي w و y و h، وليس يعنينا أنّ معظم الكتابات الساميّة لم يكتب الصوائت القصيرة بأشكال منفصلة، إذ إنّ هذا يجيء في مرحلة متأخّرة جداً كما سنبيّن في فصل لاحق[٢]. ففي الزمن الذي أخذ فيه اليونانيّون ألفباءهم كان الساميّون يعرفون كتابة الصوائت الطويلة في أواخر الكلم بواسطة أحرف منفصلة، وهذا منشأ التأثير على الكتابة اليونانيّة من جهة الصوائت.

٢- زيادة عدد من الأشكال الكتابيّة:

إضافةً إلى شكل الصائت ō، وضع اليونانيّون عدداً من الأشكال لكتابة الصوامت التي لم يجدوا لها في الكتابة الفينيقيّة مقابلاً. وإضافةُ هذه الأشكال تُشعرنا بأنّ اليونانيّين كانوا قد استنفدوا الحروف الفينيقيّة

---

(١) انظر: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 456.

(٢) انظر ص ٣٣١ وما بعدها.

الاثنين والعشرين في كتابتهم، وعيّنوا لكل منها قيمة صوتيّة قد تتّفق مع الأصل الفينيقيّ أو تختلف عنه كما سنبيّن؛ كما أنّهم كانوا قد استخدموا أشكال الأصوات الفينيقيّة غير الموجودة في اليونانيّة لكتابة الصوائت، كاستخدامهم شكل الصوت ˁ لكتابة o، وشكل الصوت ḥ لكتابة ē، وكلا الصوتين لا وجود له في اللسان اليونانيّ. فلما أراد اليونانيّون كتابة أحرف صامتة من لسانهم هم لا مثيل لها في الفينيقية اضطرّوا إلى اختراع أشكال خاصّة لهذا الغرض، وهذا يدلّ على أنّ مرحلة تعيين أشكال الصوائت جاءت قبل مرحلة تعيين أشكال الصوامت غير الموجودة في الفينيقيّة. وعند ترتيب هذه الأشكال وضعها اليونانيّون في آخر الأبجديّة، أي بعد آخر حرف من الأبجديّة الفينيقيّة. وهذه الأحرف هي التالية:

أ- الشكل Φ ويمثّل الصامت المهموس p̱ (ف)، وهذا الصوت في اللغات الساميّة الشماليّة ليس فونياً قائماً بذاته، ووروده لا يكون إلاّ عندما يجيء p بعد حرف صائت.

ب- الشكل x (وربما +)، ويُمثّل الصامت المهموس ḵ (خ)؛ وكالصوت السابق، يقع هذا الصوت في اللغات الساميّة الشماليّة بديلاً عن قسيمه k بعد الصائت.

ج- الشكل Ψ، وهو صوت مركّب من p وبعدها s (أي ps)، واسمه يوحي بذلك: psi؛ وليس في اللغات الساميّة مثل هذا الصوت. وترتيبه في الأبجديّة اليونانيّة في الموضع قبل الأخير، أي قبل موضع الصائت الطويل ō. ويُذكر أنّ الكتابات اليونانيّة الغربيّة استعملت هذا الشكل لكتابة الصامت ḵ.

أمّا أصل هذه الأشكال، من حيث رسمها، فمختلَف فيه اختلافاً كبيراً، ففريق يجعله الكتابة القبرصيّة، وآخر يرى أنّه الكتابة الكريتيّة،

في حين يرى ثالث أنّه الكتابة الصفويّة[1]؛ وهذا الاقتراح الأخير خطأ كبير لأنّ النقوش الصفويّة متأخّرة عن زمن وضع الكتابة اليونانيّة. ولعلّ الجواب الأصحّ عن أصل هذه الأشكال هو القول بأنّها مشتقّة من أشكال فينيقيّة بإحداث تعديل ما على كلّ منها. فالشكل ɸ (p̲) قد يكون مستوحى من الشكل ⊕ (وهو ṭ في الفينيقيّة ويُستخدم في اليونانيّة للصامت t̲)، وبين الحرفين p̲ و t̲ قرابة في المخرج، وصفة الصوت، فكلاهما مهموس. أو قد يكون هذا الشكل معدّلاً عن الشكل Φ (q) دون مرجّح لاختياره. أمّا الشكل X (k̲) فأقرب ما يكون إليه الشكلان الفينيقيّا الأصل⊕ (ṭ) و K (k، بصورته اليونانيّة)، وإن كنّا لا نستبعد أن يكون هذا الشكل بالذات قد وُضع دون وجود شكل آخر اشتُقّ منه. وأمّا الشكل Y فقد يكون مشتقّاً إمّا من الشكل ⱡ (k) في الفينيقيّة، وإمّا من الشكل Φ (q)، أو ربما يكون موضوعاً على قياس ɸ نظراً لأنّ كليهما من الأحرف المزيدة على الاثنين والعشرين الأصليّة.

٣- تعديل أحرف الصفير:

أصاب هذه الأحرفَ في اليونانيّة شيءٌ من التعديل عن أصلها الساميّ، وإن اختلفت طبيعة هذا التعديل في الكتابات اليونانيّة المختلفة. ولسنا نعرف سبباً لهذه التغييرات في القيمة الصوتيّة للأشكال وفي أسمائها[2]. وقد استُخدمت أشكال هذه الأحرف للأغراض التالية:

أ- الشكل I (z) في الفينيقيّة: استخدم اليونانيّون هذا الشكل لكتابة z، وسمّوه z̧ēta.

---

(١) انظر: Fr. Prätorius, «Zur Geschichte des griechischen Alphabets,» in *ZDMG*, 56 (1902), pp. 676 ff.

(٢) تجد لها تفسيراً غير مقنع في: Driver, *Semitic Writing*, p. 268.

ب- الشكل ≢ (s): استُخدم هذا الشكل في بعض الكتابات اليونانيّة الشرقيّة لكتابة ks، كما أنّ اسمه الأصليّ، sāmek، تغيّر إلى sigma بالقلب المكاني. ولكنّ هذا الاسم الجديد أُعطي لشكل الحرف š في فترة لاحقة (ولعلّ هذا كان بتأثير كلمة σιγμός sigmos اليونانيّة، ومعناها هسهسة، وفيها محاكاة لصفير السين)[1]، في حين سُمّي الشكل ≢ ksē.

ج- الشكل ϻ (ṣ): تحتفظ النقوش اليونانيّة المتقدّمة بهذا الشكل معدّلاً: M، وأحياناً Ν أو ϻ. ويسمَّى هذا الشكل في اليونانيّة san، وقد سقط استعماله من الكتابة في فترة لاحقة، وإن بقيت له قيمة عددها في « حساب الجُمَّل »: تسعمائة. ومن الملاحَظ أنّ الشكلين المذكورين في « ب » و « ج » لا يجتمعان في كتابة يونانيّة واحدة.

د- الشكل w (š): صار شكله ≷، وسُمّي باسم الشكل المذكور في « ب » كما مرّ.

---

(١) انظر: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 461.
وقارن ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

الباب الثالث

المباحث المشتركة بين الكتابات الساميّة المختلفة



الفصل الثامن

أسماء الحروف الساميّة ومعانيها

تكتسب دراسة أسماء الحروف الساميّة أهمّيّتها من ارتباطها بعدد من القضايا الكتابيّة والتاريخيّة. فمعاني أسماء الحروف تتّصل بالترتيب الابجديّ الساميّ الأصليّ[1]، وقد تكون من جُملة العوامل المؤثّرة في هذا الترتيب. وتتّصل معاني الأسماء أيضاً بأشكال الحروف، فينبغي لذلك دراسة العلاقة بين الاسم والشكل لنتتبّع تطوّر الكتابة الساميّة من المرحلة الصُوريّة إلى المرحلة الألفبائيّة. ولدراسة أسماء الحروف الساميّة، بعد ذلك، أهمّيّة كبيرة في تحديد المصدر الذي أُخذت عنه هذه الكتابة، والوسيلة التي تمّ بواسطتها هذا الأخذ.

والمقصود بأسماء الحروف الساميّة، عند الإطلاق، الأسماء الساميّة الشماليّة، والتي نفترض أنّها فينيقيّة لأنّ الفينيقيّة هي المصدر الذي تفرّعت منه سائر الكتابات الألفبائيّة الساميّة الشماليّة والجنوبيّة- فيما نقدّر- بطريق مباشر أو غير مباشر. نقول إن هذا افتراض لأنّه ليس لدينا الأسماء الفينيقيّة من مصدر فينيقيّ، ولكنّنا نعرف أسماءها من مصدرين اثنين استقيا من الفينيقيّة وهما العبريّة واليونانيّة. وأوّل ما نجد أسماء

(١) انظر الفصل التاسع.

الحروف العبريّة في نصوص الربّانيّين اليهود[١] ، فالعهد القديم لا يذكر هذه الأسماء رغم احتوائه مقاطع آياتها مرتّبة بحيث تُبتدأ كلّ آية بحرف أبجديّ يحدّد ترتيبها في النصّ وترتيب ذلك الحرف في الأبجديّة؛ فالآية الأولى تبدأ بالحرف الأوّل من الأبجديّة، والثانية بالثاني، والثالثة بالثالث، وهكذا[٢]. وأمّا الترجمة السبعينيّة من العهد القديم، أي الترجمة اليونانيّة، فتنصّ على أسماء الحروف في مثل هذه الحالات، كما في سفر المزامير: ١١٩، وسفر مراثي ارميا: ١ - ٤.

ومن المسلّم به أنّ هناك اختلافات طفيفة في أسماء الحروف في كلّ من العبريّة واليونانيّة والآراميّة، غير أنّ هذا لا يمنعنا، ولو مؤقّتاً، من القول بوجود أسماء ساميّة مشتركة، على المعنى الذي حدّدنا، ومن دراسة هذه الأسماء دون أن نولي الاختلاف بينها درجة كبيرة من الاهتمام تحول بيننا وبين النظر إليها على أنّها مجموعة لها أصل واحد. وسنذكر الأسماء العبريّة - وإن كان ضبطها متأخّراً - لشيوع استعمالها عند العلماء، ولقرب العبريّة من الفينيقيّة؛ أما أسماء الحروف الفينيقيّة فغير معروفة الضبط من المصادر الفينيقيّة نفسها.

وفي القائمة التالية أسماء الحروف كما جاءت في العبريّة، مع ترجمة صوتيّة لها بالحروف اللاتينيّة، ثم أسماؤها في الترجمة السبعينيّة (اليونانيّة) التي تحاكي الأصل الساميّ، وبعد ذلك أسماؤها كما استقرت عليه في اليونانيّة مع ترجمة صوتيّة لها بالحروف اللاتينيّة[٣]:

---

(١) انظر اسم كلّ حرف، والمصادر الربّانيّة التي احتفظت به، في موضعه من قاموس:
M. Jastrow, *A Dictionary of the Targumim, the Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature* (London, 1903).

(٢) قارن ص ٢٧١ وما بعدها.

(٣) لإيضاح الترجمة الصوتيّة للأسماء اليونانيّة sigma و ksē و san راجع الأرقام ١٥ و ١٨ و ٢١ في مناقشة معاني أسماء الحروف في هذا الفصل.

العبريّة	ترجمتها الصوتيّة	الترجمة السبعينيّة	اليونانيّة	ترجمتها الصوتيّة
אלף	ālep̱	αλφ	ἄλφα	alp̱a
בית	bēṯ	βηθ	βῆτα	bēta
גימל	gīmel	γιμαλ	γάμμα	gamma
דלת	dāleṯ	δελθ	δέλτα	delta
הא	hē	η	εἶ	ē
וו	wāw	ουαυ	ϝαῦ	vau
זיין	zayin	ζαι	ζῆτα	zēta
חית	ḥēṯ	ηθ	ἦτα	hēta
טית	ṭēṯ	τηθ	θῆτα	ṯēta
יוד	yōḏ	ιωθ	ἰῶτα	iōta
כף	kap̱	χαφ	κάππα	kappa
למד	lāmeḏ	λαβδ̂	λάμβδα	lambda
מם	mēm	μημ	μῦ	mū
נון	nūn	νουν	νῦ	nū
סמך	sāmeḵ	σαμχ	σίγμα	sigma (ksē)
עין	ʿayin	αιν	οὖ	o
פה	pē	φη	πεῖ	pē
צדי	ṣāḏē	σαδη	σάν	(san)
קוף	qōp̱	κωφ	κόππα	k/qoppa
ריש	rēš	ρης	ῥῶ	rhō
שין	šīn/sīn	σεν	σάν	san
תיו	tāw	θαυ	ταῦ	tau

إنّ أهمّيّة أسماء الحروف الساميّة في فهم نشوء الكتابة وتطوّرها إنما تتوقّف على أقدميّة هذه الأسماء أو عدم أقدميّتها، ونعني بالأقدميّة في هذا

السياق الأوّليّة، أي كون أسماء الحروف قد وُضعت عند نشأة الحروف لعلاقة جامعة تربط معنى اسم الحرف بشكله. ولا تعدو أسماء الحروف الساميّة أن تكون إمّا أوّليّة وإمّا غير أوّليّة، فإن قلنا بأوّليّتها استطعنا أن نفسّر العلاقة الواضحة بين الاسم والشكل في عدد من الأحرف الساميّة، كما سنرى. أمّا إذا قلنا بعدم أوّليّة أسماء الحروف وبأنّ الفينيقيّين قد استوحوا أسماء حروفهم من الأشكال التي استقرّت عليها في زمن متأخّر عن نشأتها - كالقرن الثامن ق. م. مثلاً - فإننا سنصطدم بعقبة رئيسيّة هي أنّ كثيراً من أشكال الحروف لم يعد، في ذلك الزمن المتأخّر عن نشأة الحروف، يوحي بالشكل الأصليّ للحرف عند نشأته، فكيف يمكن بعد ذلك أن نتصوّر أنّ هذه الحروف اكتسبت أسماءها لا من أشكالها التي استقرّت عليها، بل من الأشكال الأصليّة التي تطوّرت عنها. ويتّضح من هذا، كخطوة أولى، أنّه يمكننا معالجة أسماء الحروف، أو على الأقلّ بعضها، على اعتبارها أوّليّة في نشأة الحروف. ولا ينفي هذا أن تكون أسماء عدد من الحروف ثانويّة، أي أنّها موضوعة في زمن لاحق على نشأة هذه الحروف، كما سنرى.

وقبل الخوض فيما يترتّب على كون أسماء الحروف أوّليّة، قد يكون من المفيد أن نحدّد أقدم تاريخ يمكننا أن نُرجع إليه استعمال هذه الأسماء. ويمكننا أن نرقى بهذا التاريخ إلى أبعد من المصدرين اللذين ذكرناهما سابقاً، أعني الترجمة السبعينيّة وكتابات الربّانيين اليهود. ومن المحتمل جداً - هذا إذا أردنا تجنّب التأكيد الجازم - أنّ أسماء الحروف كانت مستعملة[1] عندما أخذ اليونانيّون الألفباء الفينيقيّة، وذلك على الأرجح

---

(١) كلمة « مستعملة » تختلف معنى عن كلمة « موضوعة ». فأسماء الحروف، فيما نحسب، وُضعت، في معظمها، عند اختيار أشكال الحروف، وسنبيّن ذلك لاحقاً؛ ولكننا نريد هنا أن نحدّد الزمن الذي يمكننا فيه التأكّد من أنّها كانت ما تزال « مستعملة » فيه. وممّا يُذكر هنا أننا نستطيع إرجاع ترتيب الحروف الساميّة الشماليّة إلى القرن الرابع عشر ق.م. (انظر ص ٢٧٧)، ولمّا كان =

في القرن الثامن ق. م[١]. ودليلنا على ذلك يأتي بطريق غير مباشر وغير صريح، وذلك بملاحظة الحروف التي استعملها اليونانيّون للتعبير عن الصوائت. فمن المعروف أنّ الكتابة الساميّة الشماليّة، في الأصل، تعبّر عن الصوامت دون الصوائت لاعتبارات لغويّة تتلخّص بأنّ اللغات الساميّة تعبّر عن المعنى الأساسي للكلمة بجذر مؤلّف من عدد من الصوامت، وأنّها تعدّل هذا المعنى وتغيّره بتغيير الصوائت، الأمر الذي أوحى للساميّين بكتابة ما اعتبروه العنصر الرئيسيّ من الكلمة، أي الصوامت، وإهمال ما عداه، أي الصوائت[٢]. أمّا اليونانيّة فيختلف بناؤها عن بناء اللغات الساميّة، وقد أدرك من أخذَ كتابتها من كتابة ساميّة أنّه لا يجوز فيها ما يجوز في الكتابة الساميّة لأنّ الصوامت والصوائت في اليونانيّة تسهم في المعنى بنسبة واحدة، فيتحتّم لذلك تمثيلها على قدر المساواة. وتنبّه Gardiner، وقبله Prätorius، إلى الأسباب التي جعلت اليونانيّين يختارون، للتعبير عن الصوائت، حروفاً معيّنة استخدمها الفينيقيّون في الأصل للصوامت[٣]، وهي ستّة: w و y و ʾ و h و ḥ و ʿ [٤]. ففيما يتعلّق بالحرفين w و y، كان من الطبَعيّ أن يستخدمها اليونانيّون، إلى جانب التعبير عن الصامتين w و y، للتعبير عن الصائتين u و i للمناسبة الصوتيّة المعروفة بين w و u من جهة، وبين y و i من جهة أخرى، وكذلك لأنّ الساميّين كانوا يستخدمون هذين الحرفين لكتابة الصوائت الطويلة في

= هذا الترتيب يعتمد على جملة أمور منها معاني أسماء الحروف، فمن المحتمل القول إن هناك دليلاً غير مباشر على أنّ الأسماء ترجع، على أقلّ تقدير، إلى هذا التاريخ أيضاً.

(١) راجع ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٢) قارن بـ ص ٨٧ وص ١٨٨.

(٣) حول استخدام الكتابات الساميّة للصوائت انظر الفصل العاشر.

(٤) انظر: Gardiner, *JEA* (1916), p. 10.

وقارن: Fr. Prätorius, *Über den Ursprung des kanaanäischen Alphabets*, p. 19.

أواخر الكلمات(١). أمّا الأحرف الأربعة الأخرى فلا نرى فيها مناسبة صوتيّة بين تعبيرها عن الصامت وتعبيرها عن الصائت، فالحرف ʾ ، مثلاً، استُخدم في اليونانيّة للتعبير عن الصائت a، وليس بين الصامت ʾ والصائت a مناسبة صوتيّة كالتي ذكرنا. وكذلك الحرف h الذي استخدمته اليونانيّة للتعبير عن الصائت ε (٢) (من صنف الكسرة: e)، والحرف ḥ الذي استخدمته للصائت η (من صنف الكسرة: ē)، والحرف ʿ الذي استخدمته للصائت o. ولعلّ السبب في اختيار هذه الأحرف الأربعة بعينها للتعبير عن هذه الصوائت، كما يقول Gardiner، يرجع إلى أسماء هذه الحروف: فالحرف ʾ يُسمَّى ālep في العبريّة، وربما alp* في الساميّة الأصل، فأوّل ما فيه، على أيّة حال، الصائت a؛ أي أنّ اليونانيّين طبّقوا الطريقة الأكروفونيّة(٣) على هذا الاسم فانتزعوا أوّل ما فيه، أي الصائت a، ثم استخدموا الحرف نفسه لتمثيل هذا الصائت. وفعلوا مثل هذا بالأحرف الثلاثة الأخرى: فاستوحوا من اسم الحرف hē استخدام شكله للتعبير عن الصائت ε (أو نقلوا هذا الاستعمال من الساميّين)، ومن اسم الحرف ḥēṯ استخدام شكله للتعبير عن الصائت η، أي بإسقاط الصامت في كلا الحالين. اما الحرف ʿ الذي استخدمه اليونانيّون للصائت o، فليس في اسمه، ʿayin، ما يوحي بهذا الصائت على الطريقة الأكروفونيّة المقترحة في ʾ و h و ḥ؛ ولكن من الملاحَظ في اللغات الساميّة عامّةً أنّ الصوتين a و i قد يُشربان الضمَّ - أي أنّهما قد يصبحان من صنف الضم: u أو o إذا

---

(١) انظر ص ٣٢٣ - ٣٣٠.

(٢) هذا الحرف أيضاً استخدمه الساميّون لكتابة الصائت الطويل ē- أو الصائت الطويل ā- في أواخر الكلمات، ولذلك يجب ألا نُسقط من الحسبان أنّ اليونانيين ربّما أخذوا هذه الطريقة عن الساميين.

(٣) راجع ص ٤٨.

جاوروا حرفاً مُطبَقاً، أو حرفاً حلقيّاً كالحرف ʿ[1]. وعلى ذلك قد يكون اليونانيّون سمعوا المقطع الأوّل من ʿavin بصائت من صنف الضمّ، أي -ʿo لا -ʿa. فاستخدموا الحرف نفسه، على الطريقة الأكروفونيّة كذلك، لتمثيل الصائت o. وقد أغفل Gardiner أمراً آخر كان بإمكانه أن يحتجّ به في هذا المجال، ونقترحه تقويةً لحجّته لا استغناءً به عنها: في العبريّة يُستعمل الرمز ָ تحت الكلمة إمّا للصائت ā أو للصائت ō، كما أن الصائت ā في الساميّة الأم يتحول إلى ō في العبريّة (قارن jabbār في العربيّة بـ gibbōr العبريّة). صحيح أنّ هذا في الصوائت الطويلة، ولكنّه قد يلقي ضوءاً جديداً على تحوّل الصائت من صنف الفتحة إلى صائت من صنف الضمّة دون اعتبار طول الصائت أو قصره.

ويترتّب على قبول هذا التفسير لنشوء التعبير عن الصوائت اليونانيّة الأربعة بهذه الطريقة أنّ أسماء الأحرف الأربعة، واستطراداً أسماء الحروف الأخرى، كانت مستعملة عند الساميّين عندما أخذ اليونانيّون كتابتهم عنهم. وعلى أيّة حال، يرتبط هذا التفسير، حُكْماً، باستخدام الساميّين أنفسهم عدداً من الأحرف لتمثيل صوائتهم كتابيّاً، ولهذا مبحث آخر سنحاول فيه تحديد الزمن الذي بدأ فيه هذا الاستخدام في النقوش الساميّة الشماليّة[2]

ننتقل الآن إلى نشأة أسماء الحروف الساميّة. وتسهيلاً للبحث سننطلق من افتراض أنَّ هذه الأسماء أوّليّة، فندرس ارتباطها بأشكال الحروف، ونحاول تتبّع الأشكال تتبُّعاً تاريخيّاً. ونؤجّل معظم ما قد ينشأ من

---

(١) انظر أمثلة هذا في: Brockelmann, *Grundriss*, I, 195 (Sect. 74).

وقارن بمبحث الأصوات الساميّة في:

Moscati (ed.), *An Introduction to the Comparative Grammar...*, pp. 216 ff.

(٢) انظر ص ٣٢١ وما بعدها.

اعتراضات على هذه النظريّة أو على بعض أجزائها إلى نهاية البحث منعاً لتشعيب الموضوع وتراكم الجزئيات.

مرّ بنا في فصل سابق أن كلاًّ من المصريّين (في ألفبائهم « الزائفة » pseudo-alphabet) والفينيقيّين استخدموا مبدأ واحداً في الكتابة، وهذا هو المبدأ الأكروفوني[1]. ولكن في حين توصّل المصريّون إلى الألفباء الزائفة - وهي محدودة الاستعمال على أيّة حال - عن طريق المصادفة، توصّل السّاميّون إلى الكتابة الألفبائية عن طريق القصد والتعمُّد. فنحن نعلم أنّ ما سهّل على واضع الألفباء المصريّة الزائفة مهمّته إنّما هو طبيعة اللغة نفسها في مرحلة من مراحل تطوّرها، وذلك في عدد من الكلمات ذات المقطع الواحد، والتي سقط منها صائتها فبقي بذلك الصامت الذي يوحي طبعاً بتمثيله « ألفبائيّاً »، أي دون صائته. أمّا الساميّون فشأنهم في هذا مختلف - ونقول « الساميون » هنا لأنّنا نعني بهم كلاًّ من القوم الذين كتبوا النقوش السينائيّة التي بحثناها في الفصل الأوّل، والفينيقيين. وقد قلنا عن أصحاب النقوش السينائيّة إنّهم سمّوا بعض الأشكال الهيروغليفيّة بأسماء من لغتهم الساميّة ثم أخضعوا هذه التسميات للقاعدة الأكروفونيّة، فحصلوا على صوامت رمزوا إليها بتلك الأشكال بعد تبسيطها[2]. غير أنّ هذا يمثّل في الحقيقة جزءاً واحداً من الأسلوب الذي اعتمده الساميّون في وضع ألفبائهم. وليس علينا أن نفترض أنّ الساميين لم يختاروا إلا الأشكال التي ترد في المصريّة أو أنّ نقطة انطلاقهم في الأصل كانت باختيار هذه الأشكال دونما هدف محدَّد من اختيارها.

وإذا تفحّصنا أسماء الحروف الساميّة نجد أن اثنين منها يتكوّنان من

---

(١) راجع ص ٤٨.

(٢) الموضع نفسه أيضاً.

مقطع واحد، وهما hē وpē. ونرى أن علينا أن نمسك بالخيط الأوّل في التطوّر من هذين الاسمين، وبالتحديد من pē، لأنّ hē لها اعتبار خاصّ في النشأة كما سنرى[1]. ومن الطبيعيّ أن يختار الساميّون - عند بحثهم عن شيء ملفوظ[2] يمثّلونه كتابةً - الشيءَ الملفوظ الأقرب إلى الصامت الذي يريدون تمثيله، ولهذا كان pē مناسباً للخطوة الأولى، لأنّه يجمع بين امرين: الأوّل أنّه مقطع واحد، ولا زيادة فيه على الحرف الصامت إلاّ الصائت بعده؛ والثاني أنّه كلمة ذات معنى وليس مجرّد مقطع لا معنى له. ومعنى هذه الكلمة «فم»، فهي في العبريّة פֶּה pe(h)، وفي العربيّة فوه[3]. فلذلك استخدموا شكلاً يشبه الفم ليكتبوا الحرف p (الفاء العربيّة)، وسمّوا الحرف نفسه باسم الفم، أي pē.

وتهيّأ بذلك، فيما نحسب، النمط الذي اهتدى الساميّون بهديه في سائر الحروف: انتقاء اسم شيء مألوف يُسمّى به الحرف ويرمز، صوتياً، إلى الصامت الأوّل فيه. غير أنّ طبيعة اللغات الساميّة فرضت نفسها في عمليّة الوضع هذه، فالكلمات الأُحاديّة في هذه اللغات قلّة نادرة[4]، زد على ذلك أنّه ينبغي للكلمة التي تُستعمل رمزاً كتابيّاً أن تكون سهلة التصوير

---

(١) انظر ص ٢٣٦.

(٢) ولا نقول «كلمة» تحسّباً، فلعلّ الساميّين لم يكونوا في أوّل المرحلة يبحثون بالضرورة عن كلمات.

(٣) أمّا الميم التي تلحق الفاء في العربية فهي أثر من آثار التميم الذي يقابل التنوين في عربيّتنا اليوم؛ فالكلمة في الأصل أحاديّة، وفي الحبشيّة ما يُثبت ذلك من وجه مختلف، فلفظها فيها አፍ፡ af بزيادة a قبل الحرف f تمكيناً من النطق به، فالأصل إذاً حرف واحد.

(٤) انظر دراسة حول ثلاث كلمات ساميّة أُحاديّة في:

Th. Nöldeke, *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft* (Strasbourg, 1910), pp. 166 – 78.

ويحوي المرجع نفسه دراسة حول الكلمات الساميّة الثنائيّة: ص ١٠٩ - ١٦٦.

سائغته. ولنفترض مثلاً أنّ الواضع أراد أن يستعمل الكلمة الأحاديّة g (وهي ترد هكذا في الأوجاريتيّة ولذلك لم نذكر الصائت الذي يليها؛ وقد يكون لها مقابل في الفينيقيّة أو العبريّة[١]) فسيجد هذه الكلمة مناسبة لأنّها من مقطع واحد، فلا زيادة فيها على حرفها الصامت إلاّ الصائت بعده؛ ولكنّه سيجد صعوبة كبيرة في وضع رمز سائغ لهذه الكلمة لأنّ معناها «صوت»، وهذا المعنى فكرة لا يسهل تمثيلها. ذكرنا هذا المثل من الأوجاريتيّة على سبيل الافتراض، ولا يمتنع أن يوجد في لغة الواضع نفسه كلمات أحاديّة سائغة التصوير لم يستعملها لسبب نجهله. من ذلك كلمة שֶׂה se(h) التي تجيء في العبريّة اسماً للشاة، وهي في الأوجاريتيّة š، ويقابلها في العربيّة šāʾ وفي الاكديّة šuʾu؛ ومعنى هذه الكلمة غير ممتنع التصوير، وليس أصعب، نظرياً، من تصوير الثور الذي تعبّر عنه كلمة ālep.

كان على الساميّين إذاً أن يجدوا أساليب أخرى، من خلال النمط الذي وضعوه لأنفسهم، للبحث عن كلمات يتّخذونها أساساً للكتابة[٢]. وكان عليهم، إذا قدَّرنا اتّساقاً في طريقة تفكيرهم، أن يختاروا كلمات قصيرة، أي بأقل عدد ممكن من الصوائت والصوامت الزائدة على الصامت الذي يريدون كتابته. فكما أنّ pē ذات مقطع واحد يزيد فيه الصائت وحده على الصامت المراد، اختار الساميّون كلمات ذات مقطع واحد أيضاً، ولكنّها غير احاديّة أي أنّ فيها صامتا آخر زائداً إلى جانب الصائت الزائد. وكان لهم في هذا طريقتان:

---

(١) انظر ما يقترحه Gordon مرادفاً لـ g الأوجاريتيّة في العبريّة والحبشيّة في:
Ugaritic Textbook, p. 378.

(٢) انظر: Driver, *Semitic Writing*, pp. 157 – 8.

١ - اختيار كلمات ذات مقطع واحد مغلَق[١] يكون حرفها الأخير كحرفها الأوّل، نحو الاسم wāw، ومعناه مسمار أو وتد؛ وقد استخدمه الساميّون لكتابة الصامت w. وواضح أنّ تماثل الحرفين الأوّل والأخير من الكلمة يوحي بالحرف المقصود كتابته، ولا يبقى في الكلمة، عدا الحرف w المكرّر، سوى الصائت a. وكذا فعلوا في الاسمين mēm و nūn[٢] كما سنرى عند شرح هذه الاسماء.

٢ - اختيار كلمات ذات مقطع واحد مغلَق يكون حرفها الأخير من اللواحق الساميّة المعروفة، في لغة الواضع طبعاً. ومن أكثر اللواحق استعمالاً في اللغات الساميّة الحرفان t و n[٣]، ولذلك ينتظم هذا الأسلوب أسماء الحروف الساميّة المنتهية بإحدى هاتين اللاحقتين، نحو bēṯ، ومعناها بيت، و šīn ومعناها سنّ.

بقي عدد من الكلمات التي لم يستطع الساميّون أن يقتطعوها من أسماء تستوفي شروطَ واحدٍ من الأساليب المذكورة سابقاً. فكان عليهم، في هذه المرحلة أيضاً، اللجوء إلى أسلوب جديد يُبقي على النمط الذي ألزموا أنفسهم به. واضطرّوا هنا إلى نوع من الاعتباطيّة أو العشوائيّة في اختيار الكلمات لأنّهم لم يعودوا يقصدون إلى تكرار الصامت في أوّل الكلمة وآخرها، أو إلى زيادة لاحقةٍ كالنون أو التاء. ولكنّهم، وإن تحرّروا من

---

(١) المقطع المغلق هو الذي ينتهي بصامت لا بصائت.

(٢) ولكن انظر ص ٢٤٤.

(٣) واستعمال هاتين اللاحقتين أكثر من أن يحصى، ونكتفي بالعربية للتمثيل؛ فالنون تُستعمل فيها في جمع المذكّر السالم وفي التنوين وفي تأكيد الفعل المضارع، وفي الأفعال الخمسة، الخ. والتاء تُستخدم في العربيّة لجمع المؤنّث السالم وفي التأنيث، وفي الضمائر، كالتاء في أنتَ (قارن: أنا) وأنتِ وأنتما، الخ.

هذا القيد، ظلّوا ملتزمين بأن تكون الكلمات المختارة أسماء مألوفة في الحياة اليوميّة، وسائغة التصوير إلى حدّ معقول. وبهذا الأسلوب علينا أن نفسّر معظم ما تبقّى من أسماء الحروف، اللهمّ إلاّ ما يصعب تفسيره أصلاً. ومن أمثلة هذا الأسلوب اسم الحرف dāleṯ، ومعناه الباب، وقد استخدمه الساميّون لكتابة الصامت b بتصوير شكل شبيه بالباب، وبتسمية الحرف المكتوب بهذا الاسم أيضاً. وكذلك الاسم rēš، ومعناه الرأس، فإنّهم اقتطعوا من أوّله الصامت r وصوّروه على شكل رأس، وسمّوا الحرف الكتابيّ نفسه rēš.

وهناك عدد يسير من الحروف التي يمكن أن تُسمَّى «ثانويّة» لأنّ أشكالها نشأت بمزج شكلين، أو نحو هذا من التعديل والبناء. من هذه الأشكال شكل الحرف ṭ (⊗)، ويبدو أنّه مزيج من شكل الحرف t (+) وشكل الحرف ʿ (○)، على هذا النحو:

+ و ○ = ⊗

فكأنّ الساميّين ارتأوا أن يُمثّلوا الصامت ṭ تمثيلاً مأخوذاً من شكل الصامت t، للعلاقة الصوتيّة بينهما، ثم استعانوا بشكل الحرف ʿ فركّبوا من شكلي الحرفين شكلاً واحداً. وإنّما وقع اختيارهم على الصائت ʿ لأنّه حرف حلقيّ؛ والواقع أنّه لو حاولنا أن نلفظ التاء فالعين، وكأننا نريد أن يخرجا معاً، لسمعنا صوتا يقارب صوت الطاء. ثم إنّ التاء نطعيّة والعين حلقية؛ اما الطاء فنطعيّة ولكنّها مطبقة (ونحن نعلم أنّ حروف الإطباق تُلفظ بارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى حتى يلتصق). فلعل الساميين قصدوا في كتابة الطاء على هذا الشكل إظهار توسّطها بين التاء والعين. ونترك بحث الحروف الأخرى التي نشأت كمثل هذا إلى مواضعها الخاصّة عندما نعالج كلّ حرفٍ على حدة.

يمكننا الآن تلخيص الاساليب التي لجأ اليها الساميّون في وضع أسماء

حروفهم كالتالي:

١ - اختيار اسم من مقطع واحد مكوّن من الحرف الصامت المطلوب مع صائت يمكّن من نطقه.

٢ - اختيار اسم من مقطع واحد مغلق يتكرّر فيه اسم الصامت المطلوب في أوّل الاسم وآخره، وبينهما صائت.

٣ - اختيار اسم من مقطع واحد مغلق يجيء الصامت في أوّله، وفي آخره لاحقة مألوفة (فإما اللاحقة t وإما اللاحقة n) ويفصل صائت بين الصامت واللاحقة.

٤ - اختيار اسم مألوف وسائغ التصوير ليُقتطع من أوّله الحرف المطلوب.

٥ - ابتداع الحروف «الثانويّة» عن طريق المزج أو الزيادة.

على هدي ما تقدّم ينبغي أن تُدرس أسماء الحروف الساميّة الاثنين والعشرين، وعلاقة هذه الأسماء بأشكال الحروف التي تمثّلها[1]:

١ - ālep̱ (في اليونانية: alp̱a): ترد هذه الكلمة في العبريّة بصيغة الجمع فحسب: אֲלָפִים ălāp̄īm، ومعناها «ثيران»؛ ونرجّح أنّ مفردها هو اسم الحرف الأوّل من الابجديّة، وانّ هذه اللفظة كنعانيّة مشتركة، وإن يكن شاهدنا عليها من العبريّة وحدها. أمّا المعنى الآخر لهذه الكلمة، وهو العدد

---

(١) سوف نقتصر في مقابلة الأشكال على السينائيّة والساميّة الشماليّة، إلا عَرَضاً ولفائدة. أمّا النُقلة من الأشكال الساميّة الشماليّة (وتحديداً: الآراميّة فالنبطيّة) إلى الأشكال العربيّة فلا حاجة بنا لدراستها هنا، فقد سبق أن درسها نامي درساً وافياً، فليُرجع إليه في مقالته «أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام»، في مجلة كلية الآداب، المجلد الثالث، الجزء الأوّل، ص ١ - ١١٢. وانظر أيضاً:

Kotsuji, *The Origin...*, pp. 196 – 202.

ألف، فلا نقدّر أنّه المعنى المقصود هنا لأنّه غير حسّيّ، بخلاف الثور. ومما يؤيّد هذا التفسير أنّ الشكل ، وهو رأس ثور، مستخدم في النقوش السينائيّة للصامت ' - فيما نقدّر - كما أنّ شكل هذا الصامت في السبئيّة وفي اللحيانيّة . وعلى هذا ندرك أصل شكل الصامت ' في الساميّة الشماليّة: ، فهو في زاويته قرنا ثور. أما الأسلوب الذي اعتمده الساميّون في تمثيل هذا الحرف فهو الأسلوب الرابع، إذ اقتطعوا الحرف الأوّل من ālep فسمّوه باسم الكلّ ورمزوا إليه بصورة رأس ثور.

٢ - bēt (في اليونانيّة: bēta): هذه كلمة ساميّة مشتركة، ولسنا نعرف لهجة ساميّة واحدة تخلو منها. وشكل هذا الحرف في السينائيّة أو ، وفي العربيّة الجنوبيّة أو ، ولعلّ في شكله الساميّ الشماليّ ما يوحي بتطوّره عن طريق مدّ ساقه اليمنى. والأسلوب المعتمد في هذا الحرف هو الأسلوب الثالث، على اعتبار الحرف الاخير t زائداً على المقطع bē؛ وإلاّ فالأسلوب هو الرابع باختيار الاسم كاملاً في الأصل.

٣ - gīmel (في اليونانيّة: gamma)[1]: لا يخلو تفسير معنى هذا الحرف من الصعوبة. وأوّل ما يتبادر إلى الذهن ربطه بالكلمة الساميّة الدالّة على الجمل، وقد شاع هذا التفسير شيوعاً عظيماً. غير أنّ لنا أن نتساءل عن سبب مجيء هذه الكلمة على غير ما نتوقّعه، إذ إنّ اسم الجمل في اللغات الساميّة يكون بفتحة قصيرة أو طويلة، بعد الصائت الأوّل؛ فهو في العبريّة gāmāl وفي الآراميّة والسريانيّة gamlā، وفي الأكديّة gammalu، وفي الحبشيّة gamal، وفي العربيّة jamal. إنّ هذا الاتّفاق بين اللغات المختلفة على الفتحة يُضعف إلى حدّ بعيد تفسير اسم الحرف باسم الجمل. وأمّا اقتراح Driver أن يكون مأخذ التسمية من gamlu الأكديّة[2] فمردود لأنّه لا

---

(١) الصيغة اليونانيّة ناشئة عن إدغام الصامتين m و l في الصيغة الأصليّة.

(٢) انظر: *Semitic Writing*, pp. 163 – 4.

يوجد مثل هذه الكلمة بالمعنى نفسه (عصا) في لغة ساميّة أخرى. ولعلّ ما أوحى له بهذا شكل الحرف نفسه. ومهما يكن معنى الكلمة فالثابت أنّها كلمة ثلاثيّة لا يُعقل أن تكون اختيرت لغير معنى، قياساً على سائر الحروف ذات الأسماء الثلاثيّة (نحو ʾālep̱ و dāleṯ و zayin الخ)؛ واستطراداً، نرى أنّ الاسلوب الذي اعتمده الواضع في كتابة هذا الحرف هو الأسلوب الرابع أيضاً.

٤ - dāleṯ (في اليونانيّة: delta): معنى هذه الكلمة: باب؛ فهي في العبريّة deleṯ وفي الأكديّة daltu، والأصل وجود الصائت a بعد الصامت d كما في الأكديّة لا العبريّة[1]. وقد استخدم الساميّون هذه الكلمة لتمثيل الصامت d، على ما يقتضي الأسلوب الرابع. أمّا في السينائيّة فمن المرجَّح أن يكون الشكل الذي يرمز إلى الصامت d هو شكل السمكة ⟶ أو ⇑، كما ذكرنا في الفصل الأوّل عند دراسة أنموذجين من النقوش السينائيّة[2]. وإن صحّ التفسير المذكور لكلمة dāleṯ. ثمّ إن صحّت قراءة النقوش السينائيّة التي أثبتناها، نجد أنّ بين الساميّة الشماليّة والسينائيّة اختلافاً في الكلمة التي سُمِّي بها الصائت. غير أنّ وراء هذا الاختلاف اتّفاقاً في الأسلوب، فكما أنّ d هو الجزء الأوّل من dāleṯ، فإنّه الجزء الأوّل من اسم

---

(١) لنا على ذلك دليلان واضحان: الأوّل أنّ في العبريّة نفسها اسمين، بالمعنى نفسه، في كلّ منهما الصائت a، وهما dāl و dālā. أمّا الدليل الثاني فهو طبيعة التغيّرات الصوتيّة التي طرأت على العبريّة، والتي تقع بانتظام وثبات: ونقدّر أنّ أصل هذه الكلمة في الساميّة الأمّ *daltu (قياساً على keleḇ العبريّة وأصلُها المقدّر *kalbu، و ʿeḇeḏ العبريّة وأصلها المقدّر *ʿabdu)؛ ولمّا سقطت من العبريّة حركات أواخر الكلم بقي من الأصل *dalt، ثم أضيف ما بين الصائتين l و t صائت قصير، هو e، منعاً لالتقاء الساكنين، فصارت الصيغة *dalet؛ وأخيراً تحوّل الأوّل من a إلى e، مناسبةً للصائت بعده.

(٢) انظر ص ٢٣ - ٢٨.

السمكة، ولا يغفل من يعرف اللغات الساميّة الشماليّة عن الكلمة المطلوبة، فهي dāgالتي تعني في العبريّة سمكة.

٥ - hē (في اليونانيّة: ē): لهذا الحرف نشأة ينفرد بها عمّا عداه من الحروف. ونرى أنّه مكوّن من مقطع واحد مفتوح، أي أنّه مكوَّن من صامت يتلوه صائت؛ ولا يضارعه في هذا إلاّ الحرف pē، فجامعهما هو الأسلوب الأوّل. أمّا ما يميّزه عن أسماء الحروف الأخرى (ومنها pē) فكونه ليس اسم شيء من الأشياء، بل اسم صوت يُحْدثه الإنسان في حزن أو فرح أو ابتهال. ويفضي إلى ذلك شكل هذا الحرف في النقوش السينائيّة، فهو صورة رجل رافع يديه: ، ثم حُذف منها بعض التفاصيل فأضحت . فالواضع يريد الإيحاء بفكرة الصوت يحدثه الإنسان في ابتهال أو حزن الخ. ولعلّ أنسب الأصوات الإنسانيّة لهذا هو h، للمدّ الصوتيّ الذي يرافق انفتاح المجرى عند خروجه، ولذلك نجدها مستعملة للنداء أو الاستغاثة أو التعجّب في اللغات الساميّة وغيرها من اللغات. فمن أمثلتها في الساميّة أنّها في العربيّة للتنبيه[١]، واسم فعل بمعنى خذ[٢]، وجزء من هيا[٣] لنداء البعيد؛ ونجد في العبريّة hē أداة تعجّب وتنبيه، ومثلها hā و hē في الآراميّة و hā في السريانيّة.

هكذا يتّضح أصل الشكل h فيالسبئيّة: أو ، وقد بقيت فيه اليدان والجذع. أمّا الشكل الساميّ الشماليّ القديم فهو ويشبه الشكل السينائيّ مع تحوّل اتجاه اليدين وإسقاط الباقي.

---

(١) هذا مصطلح وُفّق النحويّون في وضعه لوصف « ها » في نحو « ها أنتم أولاء »؛ فهي في الأصل صوت يستخدمه المتكلّم طلباً لانتباه المخاطَب.

(٢) أصل هذا الاستعمال عندنا صوت لتنبيه المخاطَب إلى أنّك تريده أن يتناول شيئاً ما، ولعلّه مرتبط بإشارة يدويّة إلى هذا الشيء فيقترن السمع بالمشاهدة. وبعد ذلك أضيفت إليه كاف الخطاب - وهي في حقيقتها ضمير- جوازاً لتخصيص المخاطَب.

(٣) هذه مركّبة من الهاء وحرف النداء « يا ».

٦ - wāw (في اليونانيّة: vau): في العبريّة كلمة wāw* وهي ترد بصيغة الجمع فحسب: ווים wāwīm ، ومعناها « مسمار » أو « وتد » (سفر الخروج ٢٦ : ٣٢). ومن الواضح أنّ الصامت w يتكرّر في هذا الاسم، على ما نرى في الأسلوب الثاني. أمّا من حيث الكتابة، فيتّخذ هذا الحرف في النقوش الساميّة الشماليّة القديمة الشكل Y ، في حين أنّ له في النقوش السينائيّة الشكل ؟ أو ـ ؛ وفي العربيّة الجنوبيّة يُستعمل الشكل ؟ للحرف y ، ويرى Albright أنّه للحرف w في الأصل[1]. ويبقى من هذا الشكل، في الخطّ العبريّ المربّع square script ، الساق وجزء من التدوير في رأسه موصولاً بالساق، فيكون شكله هكذا: ו . ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الكلمة المقترحة أصلاً لهذا الحرف غير موجودة في أيّة لغة ساميّة غير العبريّة، ولنا إلى هذا رجوع[2].

٧ - zayin (في اليونانيّة zēta): كما في الحرف bēṯ ، قد يكون الأسلوب المعتمد في هذا الحرف الأسلوب الثالث بإضافة اللاحقة n على المقطع zē (وعلى ذلك يكون الاسم: zēn ، بقلب الصائت المركّب ‎-ay-‎ إلى ‎-ē-‎ كما يحدث في معظم اللغات الساميّة)؛ وقد يكون الأسلوبَ الرابع باختيار الاسم منذ البدء، لا على مرحلتين، وعند ذلك يكون معنى الاسم « سلاح »، فكلمة ܙܝܢܐ zayn(ā) في السريانيّة تعني « سلاح » (قارن بـ zin المصريّة بالمعنى نفسه)؛ ونقدّر، اعتماداً على وجود هذه الكلمة في السريانيّة، وربّما في الآراميّة[3]، وجودها في سائر اللهجات الساميّة الشماليّة، وإن تكن غير

---

(١) انظر: Albright, *The Proto-Sinaitic Inscriptions*, fig. I.

(٢) ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) انظر: Jean-Hoftijzer, *Dictionnaire*, p. 75.

موجودة في نصوصها المعروفة[١]. ويزداد نصيب الكلمة المقترحة من الصحّة إذا ما قرنّاها بالشكل الهيروغليفيّ (⟵) ومعناه « سهم »[٢]؛ غير أنّ أيّة محاولة كالتي يقوم بها Driver للمح التشابه بين هذا الشكل الهيروغليفيّ والشكل الساميّ I أو ⌶ للحرف z لا ريب أنها ستكون موسومة بالتعسّف والإكراه. ونستبعد، وبشيء من الاستهجان، قول Van den Branden[٣] إن معنى اسم هذا الحرف « زيادة »، وحجّته أنّ مقابله، من حيث الشكل، يُستعمل في المصريّة علامة مخصِّصة determinative للتثنية، فكأنّ الساميّين رأوا في هذا نوعاً من « الزيادة » فجعلوا الشكل يمثّل الحرف الأوّل من كلمة « زيادة ». ومثل هذا لا يحتاج إلى تسفيه، فهو ظاهر الفساد في النُقلة من المصريّة إلى العربيّة.

أمّا الاسم اليونانيّ zēta فنرجّح أنّه ناشىء بالقياس (analogy) على اسم الحرف ḥ، وهو hēta، واسم الحرف b، وهو bēta، واسم الحرف ṭ، وهو ṯēta. ولذلك نستبعد جداً أن يكون الاسم اليونانيّ موحياً بالأصل، أي أن يكون اشتقاقة من كلمة zayiṯ (زيت)، وهي كلمة ساميّة مشتركة، كما نستبعد أن يكون للحرف z اسمان، واحد بمعنى « سلاح » وآخر بمعنى « زيت »، فهذا مخالف لما نلحظه في سائر الحروف، على الأقلّ في هذه المرحلة المتقدّمة من

---

(١) لعلّ من الممكن، ولكن بكثير من التحفّظ، مقارنة المعنى السريانيّ بكلمة « زينة » في العربيّة، أي ما يُتزيّن به؛ وعدا العلاقة المعنويّة الجامعة، قد نؤيّد هذا بكون الجذر في السريانيّة zwn، وبورود هذا الجذر بالواو في بعض ما سُمع عن العرب، وفي اللسان (زين): « تزوننا وتزيننا واحد ».

(٢) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 164.

(٣) في مقالته في: *BO* (1962), p. 204.

ولهذا المؤلّف تفسيرات عجيبة أيضاً في عدد من الحروف (مثل: h و ṣ و š) ولن نتعرّض لها لوضوح فسادها.

تاريخ الابجديّة[1]. الصيغة اليونانيّة إذاً صيغة ثانويّة (secondary formation) نشأت في اليونانيّة نفسها.

٨ - ḥēṯ (في اليونانيّة: hēta): أغلب الظنّ أنّ هذه الكلمة ناشئة بالأسلوب الثالث، أي بزيادة اللاحقة t على المقطع ḥē الذي يمثّل الحرف المطلوب. ونستبعد أن يكون الأسلوب الرابع هو المعتمد في هذا الحرف إذ لا توجد كلمة ساميّة شماليّة معروفة لها هذه الصيغة، وإن اقتُرح لذلك، بغير دليل كاف، معنى « حائط » (في السريانيّة ܣܝܓܐ) « سياج » الخ[2]. ومن حيث الشكل، نلاحظ وجود شبه بين هذا الحرف (𐤇) والحرف h (𐤄) في الكتابة الساميّة الشماليّة، وأوحى هذا لـ Halévy وغيره[3] بإمكان وجود علاقة أصليّة بين الحرفين، بحيث يكون الحرف ḥ مشتقّاً من صاحبه بزيادة تدخل عليه؛ ولا يمكننا التعليق على هذا طالما أنّنا نجهل الطريقة التي استخدمها الساميّون لتمثيل هذا الحرف.

٩ - ṭēṯ (في اليونانيّة: ṯēta): مرّ أنّ شكل هذا الحرف مبتدع عن طريق المزج، مزج شكلي الحرف t (وهو القرين غير المُطبَق للحرف ṭ) والحرف ˁ[4]، وهذا ما جعلناه الأسلوب الخامس في وضع أسماء الحروف الساميّة.

١٠ - yōḏ (في اليونانيّة: iōta): في هذا الحرف مثل واضح على الأسلوب الرابع من وضع الأسماء. فالكلمة التي انتُزع من أوّلها الحرف y

---

(١) قد يكون لبعض الحروف اسمان في المراحل المتأخّرة، كما سنرى؛ انظر تفسير الحرف ṣ ص ٢٤٧.

(٢) انظر: Lidzbarski, *Ephemeris*, II, 138.

وقارن: Dunand, *Byblia Grammata*, p. 166.

(٣) انظر: *Revue Sémitique* (1901), p. 359.

وقارن: Driver, *Semitic Writing*, p. 166.

(٤) راجع ص ٢٣٢.

وسُمّي باسمها وأُعطي شكلها هي الكلمة الساميّة التي تعني « يد »؛ وهي yd (كتابةً) في الفينيقيّة، وyāḏ في العبريّة، وyᵉḏā في الآراميّة، وʾᵉd في الحبشيّة، وīdu في الأكديّة. ومن اللافت حقّاً أنّ الشكل الهيروغليفي ⇐ الذي يمثّل الحرف d هو شكل اليد أيضاً، وهي في المصريّة ỉd. فالشكل مقترن إذاً بالحرف الأخير من الكلمة لا بالحرف الأوّل منها. ويبدو أنّ الساميّين - وقد مرّ أنّهم كانوا على معرفة بالكتابة المصريّة بوجه ما - استوحوا هنا هذا الشكل الهيروغليفيّ، ولكنّهم لم يستخدموه لتمثيل الحرف d كما في المصريّة بل سمّوا هذا الشكل بالكلمة التي تعني « يد » في لغتهم، وهي yad* أو شيء كهذا، وجعلوا الشكل رمزاً للحرف الأوّل من هذه الكلمة. إن صحّ هذا التفسير، يصحّ القول بوجود أمرين متلازمين ومتكاملين في تسمية الحرف y وشكله، وهما اختيار الاسم - على الأسلوب الرابع - واستيحاء الشكل من الهيروغليفيّة. وقد يؤيّد هذا شكلُ الحرف في الكتابة الساميّة الشمالية: ⲍ وفيه ما يوحي بالعلاقة مع الشكل الهيروغليفيّ[1] من حيث الإطار العام للشكل طبعاً، لا في تفصيلاته. ومن الطريف، تأكيداً لمعنى هذا الحرف، أنّ اسمه في الحبشيّة yaman، والسبب أنّ كلمة yad غير موجودة في الحبشيّة (فقد أصبحت فيها على صيغة ʾᵉd ولا تُستهل بالحرف المناسب y)، ولذلك غيّر الأحباش اسم الحرف إلى yaman ومعناها « اليد اليمنى »[2]؛ وهذا ذو أهمّيّة بالغة لأنّه يُثبت أنّ الأحباش أدركوا كون أسماء الحروف - أو بعضها على الأقلّ - ذات معانٍ مفيدة، ولعلّ هذا الإدراك يعكس مرحلة قديمة في الذهن الساميّ.

١١ - kap̱ (في اليونانيّة: kappa): تشبه نشأة هذا الحرف نشأة الحرف

---

(١) انظر: Gardiner, *JEA* (1916), plate II, p. 4.
وقارن: Driver, *Semitic Writing*, p. 168.

(٢) قارن ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

السابق في أنه اسم (لا مقطع) على الأسلوب الرابع، وفي أنّه مستوحى من شكل من أشكال الهيروغليفيّة. أمّا الاسم فساميّ مشترك وهو kap̱ في العبريّة والآراميّة، وkap̱ā في السريانيّة، وkappu في الأكديّة، وكفّ في العربيّة. وأقرب تفسير أن الحرف k منتزع من هذه الكلمة، وأنّه مسمّى باسمها؛ ويعضد ذلك أنّ شكل هذا الحرف في السينائيّة ﯿ أو ﯿ، وفي الساميّة الشماليّة ﯿ أو ﯿ، وأنّ بين الأشكال الهيروغليفيّة شكل «كف» هو: ﯿ، وقد يكون أوحى هذا الشكل المصريّ للساميّين باستخدامه لتمثيل الحرف k، لأنّه الحرف الأوّل من كلمة kap̱* - أو ما يشبه ذلك - في لغتهم، وإن لم يكن يرمز في المصريّة إلى k. وهناك تفسير آخر لمرجع هذا الحرف[1]، وهو أنّ كلمة kap̱ لا تعني «الكفّ»، بل «السَعَف» أو جريد النخيل، بدليلين أوّلهما أنّ kap̱ في العبريّة تعني، بالإضافة إلى معناها الشائع، معنى «السعف»، وثانيهما أنّ شكل هذا الحرف في الكتابة الساميّة الشماليّة يذكّر بالشكل المصريّ ﯿ الذي يمثّل ضرباً من النبات الضخم. وأرى أن كلا التفسيرين مقنع من حيث المقارنة بين الأشكال. أمّا من ناحية المعنى، فالحقّ أنّ بين معنى «الكفّ» ومعنى «السعف» جامعاً هو التجويف أو الاستدارة، وهذا ينسجم تماماً ومعنى المادة kpp√ في اللغات الساميّة، ففي الأكديّة فعل kapāpu الذي يعني «لوى»، وكذلك الفعل kapp في السريانيّة؛ وفي العربيّة ما يشير إلى هذا المعنى، كما في «كُفّة القميص» وهو ما استدار حول الذيل، وكل ما استدار فهو كفّة[2]، ويقاربه، من الأسماء، في السريانيّة kappā أو kaptā، ومعناها المستدير أو المجوّف من كل شيء.

---

(١) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 163.

(٢) اللسان: كفف.

١٢ - lāmeḏ (في اليونانيّة: lambda): يوحي هذا الاسم بأنّه ساميّ ثلاثيّ من جذر lmd√. غير أنّ هذا الجذر في العبريّة يدلّ على التعلّم (قارن: تلميذ في العربيّة)؛ وليس في الكلمات التي يمكن اشتقاقها من هذا الجذر في اللغات الساميّة ما يصلح افتراضه أصلاً لتمثيل هذا الحرف. ومن المتداوَل، عند القائلين بأنّ اسم هذا الحرف قابل للتفسير، أنّ له علاقة بكلمة malmēḏ العبريّة، وتعني «مهماز»، أي ما تُنخس به الدابّة. ولا يمنع شكل الحرف القبول بهذا التفسير؛ فهو يجيء في السينائيّة على أكثر من صورة: ? ? ? ? وهو في الفينيقية ? (وكذلك ? و ? في النقوش المتقدّمة) وفي العربيّة الجنوبيّة ? أو ?، وكلّها متقاربة وقد ترمز إلى المهماز. غير أنّ الحذر يقتضي أن نشير إلى أنّ بين كلمة malmēḏ، وهي واردة في العبريّة (سفر القضاة ٣ : ٣١) وبين كلمة lāmeḏ (وهي غير واردة في العبريّة) فرقاً ظاهراً. أمّا اقتراح Driver[١] اعتبار lāmeḏ اسم معنى (abstract noun) بمعنى «نَخْس»، فيصعب قبوله إذ ليس في أسماء الحروف الباقية أسماء معان، وهذا شيء متوقّع لأنّ الشكل الحسّيّ يلزمه شيء حسّيّ يمثّله، أمّا أسماء المعاني فيصعب تمثيلها بأشكال حروف تقتضي البساطة والاختصار.

١٣ - mēm (في اليونانيّة: mū): هذا الحرف من أكثر الأمثلة وضوحاً على العلاقة بين الاسم والشكل، وكذلك على العلاقة بين المصريّة والسينائيّة والساميّة الشماليّة. معنى اسم هذا الحرف الساميّ «ماء»، ويرجع في الأصل إلى الشكل الهيروغليفيّ ? الذي يرمز إلى الماء ايضاً ويمثّل الحرف n لأنّ الماء في المصريّة القديمة n. t (والتاء فيها للتأنيث). إلاّ أنّ الساميّين، عندماأرادوا استعمال هذا الشكل الهيروغليفيّ في ألفبائهم لم يرمزوا به إلى الحرف n كما في المصريّة، بل سمّوا الشكل بكلمة من لغتهم هي

(١) *Semitic Writing*. pp. 164 – 5.

muw* - التي نفترض، حسب علم اللغات الساميّة المقارن، أنّها ترجع إلى الساميّة الأمّ - أو ما يشابهها، وجعلوه رمزاً للحرف m حسب المبدأ الأكروفونيّ والأسلوب الرابع. وهذا شبيه بنشأة الحرف y الذي استخدم فيه الساميّون شكلا مصريّاً وجعلوه رمزاً للحرف الأوّل من اسمه في لغتهم (yd)* لا في المصرية (ỉd). أما الميم النهائيّة في الاسم mēm فهي علامة الجمع، فالكلمة لا ترد في العبريّة إلا مجموعةً (mayim)؛ ويقابلها في الآراميّة والسريانيّة mayyā، وفي الأكديّة mū وجمعها mē، وفي العربيّة mā' (وجمعها أمواه ومياه)، وفي الحبشيّة māy وجمعها māyāt. ومن حيث الرسم، تظهر العلاقة واضحة بين الشكل المصريّ وبين الشكل السينائيّ أو والشكل الساميّ الشماليّ (وصورته القديمة أو). ومن جهة أخرى، قد يكون في شكل الحرف m في العربيّة الجنوبيّة أو ما يذكّر بالشكل المصريّ والسينائيّ والساميّ الشماليّ، وذلك في التعرّج الظاهر في جهته اليسرى.

١٤ - nūn (في اليونانيّة :nū): يبدو أنّ حذف الحرف n من الاسم في اليونانيّة هو للقياس على اسم الحرف السابق mū. وتشترك العبريّة والسريانيّة والعربيّة في تسمية هذا الحرف بـ nūn، ومعنى هذه الكلمة «سمكة» أو «سمك»، ففي عبريّة ما بعد التوراة nūn، وفي الآراميّة nūnā، وفي الأكديّة nūnu، وفي العربيّة: النون الحوت، والنونة السمكة. إلاّ أن شكل هذا الحرف لا يوحي بشكل السمكة، اللهمّ إلاّ إذا كانت من نوع الحنكليس[1]، فهي في السينائيّة أو أو وفي السامية الشمالية ثمّ . وكان من الممكن أن نقتنع بالعلاقة بين الشكل والمعنى المذكورين لولا أنّ في الحبشيّة ما يدعو إلى التريّث: إنّ اسم هذا

(١) *Ibid.*, p. 165.

الحرف فيها هو nahās[١]، ومعناه أفعى، وهذا يتّفق تماماً وشكل الحرف. ولا يمكن القول إن هذه التسمية الحبشيّة تسمية ثانويّة جاءت من الحبشيّة نفسها وفي فترة متأخرة، لأن كلمة nahās غير موجودة في الحبشية. ويبرز الاستنتاج، غير مدافَع؛ فالتسمية الأصليّة لهذا الحرف كانت naḥas أو naḥaš بمعنى الأفعى (قارن في العبريّة nāḥāš، وفي العربية حَنَش على القلب)، وقد تغيّرت بعد ذلك في الآراميّة - وبالتالي العبريّة - إلى nūn لأنّ في هذا الاسم تكراراً للحرف[٢]، كما أنّ الآراميّة تخلو من كلمة nāḥāš بالمعنى المذكور. وهكذا تكون الحبشيّة، وهي أحدث هذه اللغات، قد احتفظت لنا بالأصل. وعلى ذلك لا نرى وجهاً لإقحام شكل السمكة في المصرية (𓆛) وفي السينائية (⟵ أو ⟰) في دراسة هذا الحرف[٣]، فموطنها في الدراسة هو الحرف d كما مرّ[٤].

١٥ - sāmek̲ (في اليونانيّة: sigma ثمّ ksē): يدلّ الجذر الساميّ smk √ على فكرة الاتّكاء والاستناد والدعم، ففي العبريّة فعل sāmak̲ وفي الآراميّة فعل s^{e}māk̲ وكلاهما بمعنى سند ودعم واتّكأ؛ وفي العربيّة سمك بمعنى رفع، والسماء مسموكة أي مرفوعة. ونرى أنّ فكرة «الرفع» في العربيّة مقارنة لفكرة الاستناد والدعم في اللغات الساميّة الأخرى، فمعنى قولنا «السماء مسموكة» أنها مستندة ومدعومة، ولذلك أيضاً سُمِّي السقف سَمْكَ البيت. ومن المألوف الاعتقاد أنّ معنى اسم هذا الحرف «دعامة» أو «سناد». ولكنّنا نلاحظ أنْ ليس في أيّة لغة ساميّة صيغة pāʿel من smk (أي صيغة sāmek̲)، وفي هذا ما يضعّف هذا التفسير لاسم الحرف. ومما يزيد

---

(١) الحرف الثاني h لا ḥ.

(٢) انظر: Lidzbarski, *Ephemeris*, I, 132.

(٣) انظر: Gardiner, *JEA* (1916), p. 8; cp. plate II, p. 4.

(٤) راجع ص ٢٣٥.

الإبهام أنّنا لا نعرف الشكل الذي يتّخذه هذا الحرف في الكتابة السينائيّة، بل إننا لا نعرف إن كانت هذه الكتابة تستخدم هذا الحرف أصلاً[١]. وقد أوحى ضعف هذا التفسير لاسم الحرف - وإن يكن شائعاً - لبعض الدراسين[٢] بالبحث عن تفسير آخر، فقالوا إنّ معنى الاسم يتعلّق بكلمة « سَمَك » في العربيّة، ووجدوا في الرمز الهيروغليفي ✥ أصلاً مفترضاً لهذا الحرف، كما رأوا في الشكل الساميّ الشماليّ ≢ شكل سمكة ذات زعانف. ونرى أنّ في هذا التفسير شيئاً من الضعف، فكلمة « سمك » مقتصر ورودها على العربيّة، وكلّ ما ذُكر عن ورودها من عبريّة التلمود وفي الأوجاريتيّة[٣] لا يبلغ حدّ الإقناع لأنه قائم على الافتراض في اللغتين. والمحصَّل أنّ تفسير الاسم sāme<u>k</u> بواسطة « سمك » العربيّة ليس له ما يؤيدّه، من الناحيّة اللغويّة. أمّا كون الشكل ≢ شبيهاً بالسمكة فممكن عقلاً، لكنّه لا يقوم وحده دليلا على اشتقاق هذا الاسم. وأخيراً نشير إلى الشبه الشكليّ بينz (⌶ أو I)و s (≢)، وقد تكون الثانية مشتقَّة من الأولى على الأسلوب الخامس أي بزيادة على الشكل المشتقّ منه[٤]. ولكن يبقى، عند القول بهذه الزيادة، تعليل التسمية نفسها. وفي أيّة حال نرى أنّ هذه التسمية لا بدّ أن تكون ذات معنى، وإن أُغلق علينا تحديده بسبب صعوبة الاشتقاق، وعدم وجود علاقة مقبولة بين الاسم والشكل. أمّا الاسم اليونانيّ sigma فمُحوَّل من الاسم الساميّ، ولكنّه متأثّر كذلك، من ناحية القلب

---

(١) انظر دراسة Albright لهذه النقوش وقراءته المقترحة لها.

(٢) أنظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 166, n. 1.

(٣) *Ibid., loc. cit.*

(٤) H. Bauer & P. Leander, *Historische Grammatik der hebräischen Sprache* (Halle, 1922), I, 64.

المكانيّ ، بكلمة σιγμός (sigmos) اليونانيّة التي تعني « هسهسة »، ونرى أنّه محاكاة لصوت السين الصفيريّ. وقد انتقل هذا الاسم إلى الحرف š، في حين أصبح اسم الشكل s في اليونانيّة ksē[1].

١٦ - ʿayin (في اليونانيّة: o): هذا من أسهل الحروف تفسيراً من حيث المعنى والشكل معاً. ومعنى الاسم: « عين »، والكلمة ساميّة مشتركة لا أعرف أنّ لغة ساميّة واحدة، شماليّة كانت أم جنوبيّة، تخلو منها، ولا حاجة بنا إلى ذكر صيغها فيها. أمّا من حيث الشكل، فلا مجال للتأويل والتقريب، لوجود الشكل السينائي ◎ و ⊂⊃ رمزاً للحرف ʿ ؛ وفي الكتابة الساميّة الشماليّة يتمثّل الحرف بشكل دائرة (○)، وقد يكون بداخلها نقطة في النقوش المتقدّمة خاصّة (⊙). ويفسّر ما سبق الشكلَ العربيّ الجنوبيّ لهذا الحرف، وهو كذلك دائرة. ومما يُذكر أنّ في الكتابة الهيروغليفيّة الشكل ◎ (والعين في المصريّة ỉr.t)، ولعلّه من ضمن ما أوحى للواضع الساميّ اختيار شكل العين لتمثيل أحد الحروف، وهو الحرف ʿ ، لأنّه الحرف الأوّل من الاسم الساميّ (لا المصريّ) لهذا الشكل. وهذا من الأسلوب الرابع في تسمية الحروف. أمّا التسمية اليونانيّة o فسببها استعمال اليونانيّين هذا الحرف الساميّ لكتابة الصائت o ؛ ثم أُطلق عليه اسم omikron ، أي « الصائت القصير o »[2].

١٧ - pē (في اليونانيّة: pē): مرّ أنّ معنى هذه الكلمة « فم »[3]. وقد يكون هذا الاسم مستوحى من الشكل الهيروغليفي ⊂⊃ (rꜣ = فم) بعد نقله إلى لفظه الساميّ، أي pē . أمّا فيما يتعلّق بالرسم، فإنّ الشكل الهيروغليفيّ

---

(١) راجع ص ٢١٧ .
(٢) راجع ص ٢١٣ .
(٣) راجع ص ٢٢٩ .

قريب من شكل الفم، وكذلك الشكل العربيّ الجنوبيّ (◇ أو ○)، في حين أنّ الشكل الساميّ الشماليّ 7 ليس على الدرجة نفسها من القرب.

١٨ – ṣādē (غير موجود في اليونانيّة، واسمه الأصليّ san): لا يُعرف لهذه الكلمة معنى واضح، ومن الشائع ربط معناها بالفعل الدالّ على الصَيْد في اللغات الساميّة. ويقترح Driver ربط المعنى بكلمة $ṣād^{e}ya$ في الآراميّة وتعني صرّار الليل (أو الصرصور)[١]، في حين يرى Albright أنّ المعنى هو «نبتة»[٢]، ويرى آخرون أنّه «أنف» وغيرهم أنّه «درجة» (في سلّم) الخ.. أمّا شكل الحرف فلا يعيننا في شيء على تحديد المعنى، إلاّ أنّنا نلحظ شبهاً بين الشكل السينائيّ (⍑أو ⍡) والشكل الساميّ الشماليّ ᒣ ولا ندري في الحقيقة أيرجع هذا الشبه إلى علاقة جوهريّة أم أنّه ناشىء عن المصادفة أم عن تغيير في شكل الحرف z أو s[٣] (على الأسلوب الخامس). وتغرينا صعوبة تفسير الاسم ṣādē بترك المحاولة عند هذا الحدّ، مع الإشارة إلى أنّ هناك تسمية أخرى لهذا الحرف، وقد تكون أقدم من هذه، وهي ṣaw، وتشعرنا أنّها أقرب إلى تمثيل الصوت ṣ بطريقة سهلة تحاكي الصوت أكثر من ṣādē التي فيها d زائدة على الصامت الآخر.

١٩ – qōp (في اليونانيّة: k/qoppa): ليس معنى هذا الاسم سهل التحديد، ويوجد احتمالان لتفسيره: الأوّل أنّه مأخوذ من qōp العبريّة، ومعناها «قِرد»، وهي كلمة سنسكريتيّة في الأصل[٤]؛ والثاني أنّه مأخوذ

---

(١) قارن في العربيّة: الصدَى، وهو الجُدجُد الذي يصرّ بالليل (لسان، صدا)، وانظر:
Driver, *Semitic Writing*, pp. 166 – 8; cp. 262 – 4.

(٢) انظر: *The Proto-Sinaitic Inscriptions*, Fig. 1.

(٣) انظر: Bauer & Leander, *ibid.*, I,64.

و Halévy, *Revue Sémitique* (1901), p. 359.

(٤) انظر مادّة qwp ✓ في: =

من quppu الأكديّة، وتعني الفخّ يُنصب للطيور، ولعلّ في « قفّة » العربيّة - أي الزبيل أو الجراب - ما يلابس هذه الكلمة في الأكديّة. أمّا شكل الحرف فهو في السينائيّة 8 أو 8، وفي الساميّة الشماليّة Ϙ (وفي فترة متقدّمة ∞)، وفي العربيّة الجنوبيّة ϕ أو ϕ ؛ وليس بين هذه الأشكال - على تقاربها - وبين أحد المعنيين المذكورين علاقة واضحة. أمّا ما يذكره Driver[1] عن شبه مزعوم بين شكل الحرف (وهو Ϙ في الفينيقية و ק أو ק في الآراميّة، و ק في العبريّة) وبين صورة قرد على رأس عمود أو شجرة، ففيه كثير من الوهم. إلاّ أنّنا، وإن لم نستطع تحديد معنى هذا الحرف، نرى أنّ كلاً من الكلمتين المقترحتين - « قرد » و « زبيل » - يصلح تصوّره أصلاً أُخِذ منه معنى هذا الحرف، على الأسلوب الرابع، لأنّ معنييها حسّيّان - وربما كانا مألوفين في حياة الناس اليوميّة - ولأنّ تصويرها ممكن للواضع بغير عناء كبير. وفي أيّة حال لا يمنع ما ذكرنا أن يكون شكل هذا الحرف من الأشكال التي أسميناها « ثانويّة »، أي ناشئة على الأسلوب الخامس، وذلك بأن يكون الشكل Ϙ نشأ بدمج شكل الحرف k (ﻻ) بشكل الحرف ͑ (ο)[2].

٢٠ - rēš (في اليونانية: rhō): من الثابت أنّ معنى هذا الاسم « رأس »؛ والكلمة ساميّة مشتركة: ršˇ (بلا صوائت كتابةً) في الفينيقيّة،

= Brown, Driver, Briggs, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament* (Oxford, 1906).

(١) *Ibid.*, pp. 167 – 8.

(٢) انظر: H. Grimme, «Zur Genesis des semitischen Alphabets,» in *ZA*, 20 (1907), pp. 57 – 8.

وقارن: Bauer & Leander, *ibid.*, 1, 65 – 6.

ويؤيد Grimme مذهبه بتعليل شكل الحرف ṣ في العربيّة الجنوبيّة (8) على أنّه مزيج من شكل الحرف s (⺓) والحرف ͑ (ο).

و rō(')š في العبريّة، و rēšā في الآراميّة، و rīšā في السريانيّة، و rēšu أو rāšu في الأكديّة، و r e ʾe s في الحبشيّة. ويوجد في المصريّة الشكل (tp في المصريّة، أي «رأس»)، وهو في السينائيّة أو ، و في عدد من النقوش الساميّة الشماليّة المتقدّمة (بين القرنين السادس عشر والرابع عشر قبل الميلاد)؛ وهذا يُشعرنا أنّ الساميّين استوحوا الشكل الهيروغليفيّ لتمثيل أحد حروفهم، وهو الحرف r لأنّه الحرف الأوّل من الاسم الذي يمثّله الشكل المصريّ في لغتهم لا في المصريّة. ومرّة أخرى نجد الساميّين يعطون قيمة صوتيّة من كلمة في لغتهم لشكل هيروغليفيّ، دون اعتبار قيمة الشكل الصوتيّة في المصريّة. وقد تطوّر شكل هذا الحرف في الكتابة الساميّة الشماليّة فصار 9 أو 9 فكأنّه تدوير الرأس وامتداد الرقبة، ولم يبق منه في العربيّة الجنوبيّة إلاّ جزء من دائرة:)أو (. لا يبقى مجال، بعد هذا، للشكّ في معنى الاسم rēš؛ أمّا صيغة الاسم، بالصائت ē لا الصائت ō كما في الاسم العبريّ - وعلى الأرجح: أيضاً الفينيقيّ - فلعلّها الصيغة الآراميّة وقد طغت على الصيغة الأصليّة. ومما يدلّ على أنّ rō(ʾ)š - بالصامت ō - هي الأصل أنّ الاسم اليونانيّ يحتفظ بالضمّ، بعد إسقاط الصامت الأخير š.

٢١ - šīn (في اليونانيّة: أعطي اسم sigma واصل هذا الاسم للحرف الخامس عشر): هذا الحرف، كما الحرف السابق، واضح المعنى تماماً. وهو كلمة ساميّة مشتركة أيضاً تعني «السنّ» (في الفم)، ففي العبريّة šēn، وفي الآراميّة šinnā، وفي الأكديّة šinnu، وفي الحبشيّة s e n. وصيغة الاسم šīn لا تختلف عن مجمل هذه الصيغ إلا بالصائت - ī - في وسطها. ويناسب شكل الحرف المعنى المذكور، فرمز الحرف š في السينائيّة ، وفي الساميّة w؛ وفي الشكل العربيّ الجنوبيّ أو شبه غير قليل بالشكلين السابقين. وحتى في الخطّ العربيّ (س/ش) وفي الخطّ العبريّ المربّع (ש) إشعار بالأصل.

٢٢ - tāw (في اليونانيّة: tau): معنى هذا الحرف «علامة» أو

« إشارة » كما يظهر من كلمة tāw في العبريّة. ولئن عدمنا في اللغات الساميّة الأخرى كلمات مقابلة لهذه الكلمة العبريّة، فقد يعوّض عن هذا شكل الحرف في الكتابات المختلفة، وهو أقرب إلى أن يكون علامة من أي شيء آخر. فرمز الحرف t في السينائيّة + وفي الساميّة الشماليّة † أو × ، وفي العربيّة الجنوبيّة + أو x أيضاً. وفي التقابل بين الاسم والمعنى دليل على أنّ هذا الاسم هو كلمة، لا مجرّد صوت t ملحوقاً بالصائت المركّب āw - .

بعد دراسة هذه الحروف الاثنين والعشرين يتبيّن أمران اثنان: الأوّل أنّ افتراضنا السابق كون أسماء الحروف أوّليّة - للعلاقة الجامعة بين معنى الاسم وشكله الكتابيّ[١] - يمكن إثبات صحّته في العدد الأكبر من الحروف؛ والثاني أن لا مجال لإنكار عدد من الصعوبات التي تكتنف تفسير بعض الأحرف.

ويتّضح أنّ إنكار أوّليّة أسماء الحروف - أو معظمها - أمر يجافي التفسيرات المقنعة التي لمسناها في العدد الأكبر من الأسماء. ورغم ذلك يوجد نفر من العلماء القائلين بعدم أوّليّة هذه الأسماء، وبوجوب الفصل بين الأسماء والأشكال؛ وسنعرض لجملة من آرائهم واستدلالاتهم ثمّ نحاول أن نقوّمها بتبيان ما لها وما عليها[٢]. وخلاصة أقوالهم ما يلي:

---

(١) نشير هنا إلى أنّنا أهملنا، عن عمد، مقارنة الأشكال الفينيقيّة والساميّة الشماليّة بالأشكال الجبيليّة الهيروغليفيّة الزائفة، وإنْ كان Dunand يستخدم هذه الأشكال الجبيليّة لتأكيد معاني الأسماء (انظر: *Byblia Grammata*, pp. 163 ff.)، والسبب الذي حملنا على إهمال هذه المقارنة أنها غير جائزة ما لم تُحدَّد القيمة الصوتيّة للأشكال الجبيليّة تحديداً مقنعاً؛ راجع ص ٥٤ وما بعدها.

(٢) سنعرض لهذه الآراء على أنّها تشكّل نظريّة قائمة بذاتها، ونضع في إطار هذه النظريّة آراء متفرّقة مبثوثة في أكثر من مرجع واحد. وأهم مراجع هذه « النظريّة »:

Lidzbarski, *Ephemeris*, I, 132 - 3; II, 127 - 39.

Hirschfeld, «Recent Theories on the Origin of the Alphabet,» in *JRAS* (1911), pp. 963 - 77.

=

١ - أنّ النظريّة القائلة بأوّليّة هذه الأسماء تفترض، في عدد من الحالات، أنّ الساميين أخذوا الشكل المصريّ، ثم سمّوه باسمه، وبعد ذلك لجأوا إلى الطريقة الأكروفونيّة فجعلوه يمثّل الحرف الأوّل من اسمه. وهذا يعني أنّ الساميين سمّوا الأشياء قبل أن يكون لها « معانٍ » (أي: قيمة صوتيّة).

٢ - أنّ الأبجديّة الأوجاريتيّة التي تحتوي المقابلات البابليّة في كلّ حرف تشعرنا أنّ الحروف الأوجاريتيّة تسمّى باسم مكوّن من الحرف الصامت نفسه متبوعاً بصائت؛ فالحرف الأوجاريتيّ d، مثلاً، اسمه di، كما يُظهر المقابل البابليّ، والحرف q اسمه qu، والحرف r اسمه ra، وهكذا. وفي أسماء بعض الحروف الساميّة الشماليّة نجد أسلوباً مماثلاً في التسميّة، بحيث يكون اسم الحرف مكوّناً من الصامت فالصائت، وحيدين؛ كما في hē و wāw و pē و tāw؛ وهذا الأسلوب هو الأسهل لتسمية الحروف، ولذلك قد يكون الأقدم.

٣ - انطلاقاً من النقطة السابقة، يمكن القول إنّه لم تكن من حاجة، في أصل الوضع، إلى أسماء حروف، إذ كان يكفي لفظ الحرف (مع الصائت الضروريّ لإحداث النطق) لتحديده وتمييزه عن الحروف الأخرى دون عناء؛ بل إنّ من الواضح، في عدد من الحالات، أنّ الصواب هو عكس ما يقترحه القائلون بأوّليّة الأسماء. فلذلك لا يصحّ تفسير اسم الحرف wāw، مثلاً، بكلمة wāw* في العبريّة، وهي تعني « مسمار » أو « وتد »، لأنّ الصواب أنّ اسم هذا الحرف لم يكن يعني شيئاً عند وضعه، ولكنّ شبه شكله

= Hallo, «Isaiah 28 9-13 and the Ugaritic Abecedaries,» in *JBL*, 77 (1958), esp. pp. 330 ff.

Gelb, *A Study of Writing*, pp. 136-46.

بالمسمار أو الوتد أوحى للعبريّين بتسمية المسمار wāw تشبيهاً له بشكل الحرف. ومثل ذلك اسم الحرف tāw، إذ ليس مشتقاً من كلمة tāw العبريّة، وتعني «علامة» أو «إشارة»، بل على العكس، يجب تفسير الكلمة العبريّة هذه بأنّها مأخوذة من اسم الحرف t لأنّ شكل هذا الحرف (†أو+) يوحي بهذا المعنى.

٤- أنّ القائلين بأوّليّة أسماء الحروف لا يعتمدون على شكل الحرف في تفسير اسمه، بل يعوّلون على صيغة الاسم واشتقاقه. فهم، مثلاً، يقولون إنّ معنى الاسم ālep هو «ثور» لا لأنّ شكل الحرف ᵓ يشبه الثور، فهذا الشبه غير موجود أصلاً، ولكنّهم يقترحون هذا التفسير نظراً إلى معنى كلمة ālep في اللغات الساميّة.

٥- أنّ أشكال بعض الحروف متطوّرة عن أشكال أخرى وليس يصحّ القول بأنّ نشأتها «أوّليّة». ويستتبع ذلك أنّ أسماءها ليست أوّليّة. فشكل الحرف ḥēṯ (𐤇) مأخوذ من شكل الحرف hē (𐤄) ولم يوضع وضعاً أصليّاً ولذلك لا يجوز القول إن اسمه هو ما أملى شكله على الواضع.

٦- أنّ القول بأوّليّة هذه الأسماء يستلزم القول بالصوريّة، أي أنّ الأسماء تمثّل صور أشياء، وهذا لا يتأتّى في كثير من الأحوال، إذ توجد أسماء حروف لا نعرف معناها في أيّة لغة ساميّة، نحو hē وḥēṯ وṭēṯ وṣāḏē، كما توجد، من جهة أخرى، أسماء قد تكون موجودة في اللغات الساميّة، ولكنّنا لا نستطيع أن نزعم أنّ ثمّة علاقة بينها وبين الأشكال الكتابيّة التي تقابلها.

٧- أنّ من الأحرف ما يسمّى باسم معيّن في لغة ما، وباسم آخر في لغة أخرى، فاسم الحرف n هو nūn (سمكة) في الساميّة الشماليّة، غير أنّه يسمّى في الحبشيّة nahās (أفعى).

٨- أنّ التشابه المزعوم بين الأشكال الساميّة وأشكال كتابات أخرى،

كالسينائيّة والهيروغليفيّة، مرجعه إلى المصادفة. وليس ذلك بمستغرب إذا ما ميّزنا بين ما هو ممكن الاستخدام من الأشكال، وبين ما يجنح واضع الكتابة، أيّة كتابة، إلى استخدامه. فمن الناحية الأولى، لا يمكن حصر الأشكال التي قد يستعملها الواضع، غير أنّ ما يحصل فعلاً أنّ الواضع يفضّل عادةً الأشكال البسيطة، كالخطّ المستقيم والدائرة ونصف الدائرة، على ما عداها، ولذلك يقع التشابه بين الكتابات. ومن الطريف حقّاً أنّ الطلاّب الصغار، حين يُطلب إليهم اختراع ألفباء خاصّة بهم لتمرينهم على الربط بين الشكل والرمز، كثيراً ما يستخدمون أشكالاً كتلك المستخدمة في الكتابة الساميّة الشماليّة، مثلاً، والجامع استخدام الأشكال البسيطة في كلٍّ[1].

تتفاوت هذه المقولات في الأهمّيّة، كما تتفاوت في نصيبها من الصحّة. وسنحاول لذاك تقويم كلّ منها على حدة:

١- ليس صحيحاً أنّ القول بأوّليّة الأسماء يؤدّي إلى القول بأنّ الساميّين سمّوا الأشياء قبل أن يكون لها قيمة صوتيّة. وما فات المعترضين على أوّليّة الأسماء، هنا، أنّ عمليّة التسمية ملازمة لعمليّة تحديد القيمة الصوتيّة ومزامنة لها. فتسمية أحد الأشكال بالاسم ʿayin، واستخدام الشكل نفسه لكتابة الحرف، أمران متلازمان في الفكرة، ولا يجوز تقديم أحدهما على صاحبه: فإن قدّمنا التسمية على تحديد القيمة الصوتيّة نكون قد أغفلنا أنّ الغرض من التسمية والموجب لها إنّما هو تمثيل الحرف كتابيّاً

---

(١) نشير إلى التجربة التي قام بها J. de Groot على فتاة في التاسعة من عمرها، إذ طلب إليها أن تضع نظاماً كتابياً ألفبائياً من ستة وعشرين حرفاً. وكانت النتيجة أنّ الألفباء التي وضعتها الفتاة في ثلاث دقائق كانت تحتوي سبعة أشكال مماثلة لأشكال في نقوش أحيرام، وعدداً آخر من الأشكال المماثلة لأشكال سينائيّة أو قبرصيّة أو كريتيّة؛ انظر: *Syria*, 12 (1931), p. 285

بتحديد قيمته الصوتيّة؛ وإن قدّمنا تحديد القيمة الصوتيّة على التسمية نكون قد أغفلنا أنّ القيمة الصوتيّة لكل حرف مقتطعة من أوّل كلمة على الطريق الأكروفونيّة، وهذه الكلمة هي الاسم الذي سُمِّي به الحرف.

٢ - في الاعتراض القائم على المقابلات البابليّة للحروف الأوجاريتيّة مجافاة لأمر مهمّ، وهو طبيعة الكتابة البابليّة. فهذه الكتابة عاجزة عن كتابة الصوامت وحدها، لأنّها كتابة مقطعيّة في أساسها، أي أنّها تمثّل الصامت متبوعاً بالصائت[١]، ولذلك لا يجوز أن يستنتج المعترضون على أوّليّة أسماء الحروف أنّ المقابلات البابليّة هذه هي أسماء الحروف الأوجاريتيّة، إذ قد تكون هذه المقابِلات تمثّل مجرّد محاولة لتحديد القيمة الصوتيّة لكلّ شكل أوجاريتي دون أن يُقصد بها تسمية هذه الأشكال. وبمعنى آخر، لو أنّ كاتب النقش، افتراضاً، أراد أن يذكر المقابل الصوتيّ في الكتابة البابليّة لكل شكل أوجاريتيّ، لما استطاع ذلك إلاّ بكتابة الصامت وبعده صائت معيّن، في كلّ مقابل، كما تملي عليه قواعد كتابة البابليّة، فهل يجوز بعد ذلك الجزم بأنّ هذه المقابلات هي أسماء الحروف، لا مجرّد قيمتها الصوتيّة؟

أمّا القول بأنّ بين أسماء بعض الحروف الساميّة الشماليّة ما هو مكوّن من صامت وصائت فحسب (أي: مقطع واحد)، وبأنّ هذا الأسلوب في تسمية الحروف هو الأسهل بل الأقدم، ففيه تجريد للأسماء المستشهد بها عن سياقها. وقد مرّ أنّ لهذه الأسماء معاني، وأنّها ليست مجرّد مقاطع لا معنى لها؛ فالاسم pē، وإن يكن مقطعاً مكوّناً من صامت وصائت، كلمة لها معنى؛ وكذلك tāw، مثلاً، وهي مكوَّنة من صامت، فصائت مركّب diphthong، ولها معنى مفيد. بل يمكننا الذهاب إلى أبعد من ذلك بأن نقول إنّ ما جعل

---

(١) راجع ص ٧٦ وص ٨٥.

الساميّين يختارون الأسماء المكوّنة من مقطع واحد، نحو pē و tāw الخ، أنّ هذه المقاطع لها معان في لغتهم أسوةً بالأسماء المكوّنة من أكثر من مقطع واحد نحو ālep و zayin؛ وهذا عنصر مشترك يوحّد أسماء الحروف ويزيد في اعتبار القول بأوّليّتها.

٣ - قد يكون القول بعدم الحاجة، في أصل الوضع، إلى أسماء حروف قولاً ممكناً من الناحية النظريّة، وقد يصحّ في الحكم على كتابات بعض الشعوب، غير أنّ في هذا القول ما يخالف حقيقة نشوء الكتابة الساميّة (والمصريّة الزائفة) بالطريقة الأكروفونيّة. أمّا اقتراح المعترضين أنّ كلمتي «وتد» و«علامة» مأخوذتان من اسمي الحرفين wāw و tāw، لا عكس ذلك، فأمر لا يمكن التثبّت منه، بل إنّ فيه عيباً ظاهراً نبّه عليه Driver[١]، وهو أنّه يقوم على ادّعاء أنّ هاتين الكلمتين ليستا بقديمتين في اللغات الساميّة بدليل عدم ورودهما في نصوص هذه اللغات، باستثناء العهد القديم حيث يردان على ندرة؛ وهذا الادّعاءلايمكن الأخذ به لأنّ طبيعته سلبيّة، إذ كيف لنا أن ننفي قدم هاتين الكلمتين لورودهما في عبريّة العهد القديم دون غيره؟ أفلا يُعقل أنّ الكلمتين كانتا موجودتين في اللغات الساميّة الأخرى ولم تحفظهما نصوصها؟ وهل يمكن أن نتصوّر أنّ النصوص التي وصلتنا من هذه اللغات احتفظت لنا بجميع مفرداتها؟

٤ - هذه الحجّة أكثر ما يعوّل عليه المعترضون على القول بأوّليّة أسماء الحروف، ولكنّها، في الوقت عينه، أضعف حججهم وأقلّها قيمة. وردّنا عليها ذو شقّين:

الأوّل أنّ التعويل على صيغة الاسم واشتقاقه لا على شكل الحرف هو الأسلوب السليم، وليس ينبغي لنا أن نتخلى عنه. والسبب أنّ أشكال

---

(١) *Semitic Writing*, p. 261.

الحروف أكثر عرضة للتغيّر من أسمائها كما لا يخفى، فإذا ما قارنّا مثلاً أسماء الحروف في العبريّة- وهي تمثّل، فيما نعلم، مرحلة أقدم من زمن وجودها في العربيّة- بأسماء الحروف العربيّة، وجدنا أن بينها تشابهاً غير قليل (قارن مثلاً: ألف، جيم، دال، واو، زين، كاف، لام، ميم، نون...) في حين أنّ التشابه بين أشكالها أقلّ وضوحاً إلى حدّ كبير وأنّه لا يظهر إلاّ بالدراسة والمقارنة الجاهدة. وإذا كان هذا شأن التطوّر في الأسماء والأشكال، فأحرى بالبحث أن يعوّل على ما يكون تطوّره أبطأ وأقلّ لأنّه أقرب إلى الأصل وأكثر كشفاً له.

الردّ الثاني أنّ القول بعدم وجود علاقة بين أشكال الحروف الساميّة الشماليّة (وهم يقصدون الفينيقيّة) ومعاني أسمائها مردود من جهتين: فالجهة الأولى أنّ هذه العلاقة موجودة في عدد من الحروف، نحو w (وتد) و k (كفّ) و m (ماء) و š (سنّ). أمّا الجهة الثانيّة، وهي الأهمّ، فأنّ إثبات وجود علاقة بين أشكال الحروف ومعاني أسمائها لا يتأتّى بدراسة أشكال الحروف الساميّة الشماليّة- وإن أثبتنا وجود هذه العلاقة في عدد من حروفها، في الجهة الأولى من ردنا- بل يكون بدراسة الأشكال الساميّة السابقة على الفينيقيّة، كالأشكال السينائيّة، وفي بعض الحالات، نماذجها المصريّة. وهذا ما فعلناه في استعراض الحروف الاثنين والعشرين، أشكالها وأسمائها، فقد لحنا هذه العلاقة في الغالبيّة العظمى لهذه الحروف، ولمسنا كيف يتطوّر الشكل مع الزمن بحيث لا يعود يستحضر أصلَه إلى الذهن. وبهذا أدركنا أنّ 𐤀 في الساميّة الشماليّة بقيّة من شكل الثور، وهي معنى الاسم ālep، وهكذا في كثير من الحالات. إنّ أيّة محاولة لربط الشكل 𐤀 بشكل ثور دون النظر إلى تاريخ كتابة الحرف ālep ستؤدي حتماً إلى الفشل لأنّها تُنكر علاقة هذا الشكل بالأشكال التي تطوّر عنها ثم تغيّر إلى حد يصعب معه لمح المعنى الأصليّ فيه. وهذا أمر أغفله المعترضون على أوّليّة أسماء

الحروف، الأمر الذي نتج عنه، بشكل طبَعيّ، أنّهم لم يقتنعوا بوجود علاقة بين أشكال معظم الحروف الساميّة الشماليّة ومعاني أسمائها.

٥- في هذا الاعتراض الذي يسوقه القائلون بأنّ أسماء الحروف الساميّة غير أوّليّة شيء من الصحّة. والحقّ أنّنا، عند ذكر الأساليب التي لجأ إليها الساميّون في وضع أسماء حروفهم، ميّزنا الحروف «الثانويّة» التي نشأت من طريق المزج أو الزيادة[١]، ثم ذكرناها منفصلةً في كل حالة محتملة، وهي الأحرف ḥ وṭ وs وṣ وq. غير أنّ كون هذه الأحرف قد نشأت بطريقة المزج أو الزيادة يجب ألاّ يُلهينا عن حقيقة ثابتة، وهي أنّ هذه الأحرف قليلة العدد بحيث لا تقوم وحدها دليلاً على عدم أوّليّة سائر الحروف. ثم إنّنا نلاحظ أنّ أسماء هذه الحروف هي نفسها الأسماء الأكثر استعصاءً على التفسير، فهل من علاقة بين الأمرين؟ لا نقصد هنا إلى المجازفة بالرأي، ولذلك نقول، بكثير من التحفّظ، إنّه إن كان من علاقة بين نشأة هذه الأشكال بالأسلوب الخامس وبين صعوبة تفسير أسمائها فقد تكون عائدة إلى تغيير الساميين لأسلوبهم في التسمية في هذه الحالات المتأخّرة زمناً عن الحروف التي تطوّرت منها. فهذه الأحرف، إن كانت متأخّرة النشأة، لا تخضع للمبدأ الأكروفونيّ طبعاً، ولكنّ الساميين سمّوها بأسماء، ولعلّهم راعوا في هذه التسمية أن يكون الاسم قريباً من شكل الحرف حتّى تظلّ العلاقة قائمة بين الاسم والشكل، وإن عن غير المبدأ الأكروفونيّ.

٦- القول بالصوريّة من مستلزمات المبدأ الأكروفونيّ، وإن أسقطنا هذا المبدأ تداعى أساس البناء الذي تقوم عليه النظريّة التي نرضاها. أمّا الأمثلة التي يستشهد بها أصحاب هذا الاعتراض، فهي الأمثلة التي ذكرناها في النقطة السابقة، لكن قولهم إنّ معانيها غير معروفة في أيّة لغة

---

(١) راجع ص ٢٣٣.

ساميّة فيه شيء من التجنّي لأنّ هناك معاني مقترحة لهذه الأسماء (مثلاً: ṣādē)، وقد تكون صحيحة بقدر ما قد تكون المعاني المقترحة للأسماء الأخرى صحيحة، فالجزم بهذه المعاني غير مطلوب أصلاً. ثم إنّ hē ليست اسم شيء في الأصل، فيما قدّرنا[1]، بل اسم صوت؛ أما ḥēṯ وṭēṯ، فإن لم يكونا اسمي شيئين، فلعلّهما مقيسان على bēṯ. ونعيد القول إنّه لا يجوز استخدام قلّة ضئيلة من الأحرف للحكم على الحروف جميعاً.

٧ - أنّ اختلاف اسم حرف ما من لغة إلى لغة ليس حجّة للقائلين بعدم أوّليّة أسماء الحروف الساميّة، بل حجّة عليهم. والمثل الأشهر هو الحرف n، فهو في الحبشيّة nahās وفي غيرها nūn، وقد مرّ أنّ الاسم الأوّل هو الأصل[2]. أمّا تغيّر الاسم إلى nūn في الآراميّة فدليل على أنّ فكرة العلاقة بين الاسم والشكل كانت حيّة في أذهان الساميّين في ذلك الوقت؛ ولعل في هذا أيضاً إشعاراً بالأصل، أي بالمبدأ الأكروفونيّ لأن الاسم الجديد احتفظ بالحرف n. ويمكننا استحضار مثل آخر مشابه، وهو الحرف p، ومعنى اسمه «فم»؛ فقد غيّر الأحباش اسم هذا الحرف إلى af، ومعناها «فم» في الحبشيّة؛ وهذا أيضاً يشعرنا بأمرين: الأوّل أنهم نظروا إلى الاسم pē على أنه اسم ذو معنى مفيد، وليس مجرّد مقطع لا معنى له، والثاني أنّهم احتفظوا في الاسم الجديد بالحرف f، وإن يكن في غير مطلع الكلمة.

٨ - في هذه المسألة التي يثيرها القائلون بأنّ أسماء الحروف الساميّة غير أوّليّة مبدأ سليم، وقد لجأنا إليه عند النظر في أصل الكتابة الساميّة الشماليّة و في دحض النظريّة المسماريّة والنظريّة الكريتيّة[3]. غير أنّ كون

---

(١) راجع ص ٢٣٦.

(٢) راجع ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) راجع ص ٣٣ وص ٣٥.

الشبه الشكليّ قائماً، في معظم الأمثلة، بين الكتابة الساميّة الشماليّة والسينائيّة خاصةً يُضعف كثيراً الاحتمال بردّه إلى المصادفة. ثم ينبغي ألاّ ننسى أنّ الشبه الشكليّ لا يعوَّل عليه لو كان الشبهَ الوحيد بين نظامين كتابيّين، ولكنّ هذا لا ينطبق بحال على هاتين الكتابتين، لأنّ المبادىء الأساسيّة التي تُكوّن « طبيعة » الكتابة واحدة في النظامين، وأهمّ ما يُسهم في هذه الوحدة الأصل الصوريّ للأشكال، والمبدأ الألفبائيّ حيث يمثّل كلَّ حرف (أو الصوامت، على الأقلّ) رمزٌ واحد.

نستنتج من جميع ما سبق أنّ بناء الكتابة الساميّة قائم على المبدأ الأكروفونيّ وأوّليّة أسماء الحروف، وعلى علاقة الأسماء بالأشكال، وعلى إمكانيّة تفسير هذه الأسماء، وعلى العلاقة بين الكتابة الساميّة الشماليّة وكتابة ساميّة أخرى أقدم منها هي السينائيّة، ثمّ العلاقة بين هاتين وبين الكتابة المصريّة في بعض الأحرف. وقد حاولنا في النقاط الثماني السابقة أن نردّ على من لا يقبل القول بهذا البناء، وأن نبيّن أنّ التعليلات والمقارنات التي ذكرناها في دراسة هذا البناء صائبة ومقبولة. غير أنّ علينا أن نشير إلى جملة أمور الهدف منها التنبيه على جزئيّات لا تغيّر الهيكل العامّ للبناء الذي عرضنا، بل تعدّل من تفصيلاته وتنبّه إلى وجوب التزام الحذر في عدد من أوجهه:

١ - أنّ إثبات العلاقة بين الاسم والشكل، وبين الأشكال في اللغات المختلفة قد لا يكون في عدد من الحالات ممكناً للوهلة الأولى، وقد يُلجِىء الباحثَ إلى شيء من التجوّز أو التلطّف، لتأويل التطوّر الحاصل في الأشكال، أو تفسير الاسم اشتقاقياً، أو الربط بين الاسم والشكل. وقد لجأنا إلى مثل هذا، مثلاً، في تفسير الشكل الساميّ الشماليّ للحرف b، وللحرف y؛ وفي تفسير الاسم gīmel والاسم lāmed. وشرط مثل هذا

التجوّز ألاّ يصل إلى حدّ التكلف البعيد والإغراق في التخيّل[١].

٢ - أنّ من الصعب، في حالات قليلة، تحديد الأسلوب الذي لجأ إليه الساميّون في تسمية الحرف: فهل اختاروا الاسم bēṯ بالأسلوب الثالث، أي بإضافة لاحقة إلى المقطع -bē الذي يمثّل صوت الحرف، أم اختاروا الكلمة أصلاً على الأسلوب الرابع؟ ولعلّه لا يوجد، في هذه الحالة، تناقض بين الأسلوبين، فربّما اختاروا الاسم bēṯ لأنّه كلمة مفيدة من جهة، ولا تزيد في عدد أحرفها على المقطع -bē إلا اللاحقة الشائعة t من جهة أخرى. أمّا الحرف ḥēṯ فاستبعدنا أن يكون ناشئاً بالأسلوب الرابع، ولكنّ الجزم بهذا غير ممكن، بخاصّة لوجود معان مقترحة لهذا الاسم، ولو على ضعف.

٣ - أنّه لا يصحّ أن نفترض دائماً أنّ الشكل الأقدم يجيء ضرورةً في الكتابة الأقدم، فقد مرّ في الحرف p أنّ الشكل العربيّ الجنوبيّ 𐩰 أو ◇ أقرب إلى الأصل (أي المعنى: «فم») من الشكل الساميّ الشماليّ 𐤐، رغم كون الكتابة العربيّة الجنوبيّة أحدث من الكتابة الساميّة الشماليّة.

٤ - أنّه لا يصحّ كذلك أن نفترض دائماً أنّ الاسم الأقدم يجيئ ضرورةً في الكتابة الأقدم، فاسم الحرف n أقدم في الحبشيّة nahās منه في الساميّة الشماليّة nūn، رغم أنّ الكتابة الحبشيّة أحدث الكتابات الساميّة. وقد تكون صيغة اسم الحرف gaml في الحبشيّة أقدم من الصيغة العبريّة gīmel بدليل عدم وجود صائت يمنع التقاء الساكنين m و l، وهذا من خصائص الساميّة الأمّ.

٥ - أنّه علينا عند تحديد الأساليب التي نشأت بها أسماء الحروف، أن نلتزم الوصف والتعليل دون أن ننظر إلى السبب الذي امتنع لأجله الساميّون عن استخدام عدد من الأسماء التي قد نتوقّع منهم استخدامها.

---

(١) راجع، مثلاً، محاولة Driver التي ذكرناها عند درس الحرف z، ص ٢٣٨.

وهذا مزلق لم يَنْجُ منه Lidzbarski نفسه(١)، فقد لاحظ أنّ بعض أسماء الحروف يتكوّن من مقطع مغلَق يتكرّر فيه اسم الصامت المطلوب في أوّل الاسم وآخره، نحو wāw وnūn؛ وهذا ما جعلناه الأسلوب الثاني في وضع أسماء الحروف. غير أنّ Lidzbarski لم يكتفِ بتفسير أسماء هذه الأحرف وأسلوب نشأتها، بل استغرب عدم استخدام الساميين الاسم gāg (سطح) للحرف g، والاسم dad (ثدي) للحرف d، وكلاهما من العبريّة. مثل هذه الملاحظة التي يذكرها جائز على سبيل التنبيه فحسب، إذ لا يدعو عدم استخدام الساميين لهذين الاسمين إلى الاستغراب، فلعلّهما كانا غير معروفين في لهجة الواضع، أو أنّهما لم يخطرا بباله، الخ. والشاهد في هذا أنّه لا يجوز أن ننسب إلى الواضع الكمال والإحاطة، ثم نستغرب عدم وجود شيء نفترضه نحن ونضيفه إليه على غير وجه.

٦- أنّ دراسة أسماء الحروف الساميّة الشماليّة دراسةً لغويّة تُظهر أنّ بعض هذه الأسماء يشبه، من حيث الصيغة، الكلمات الفينيقيّة، في حين أنّ عدداً منها يشبه صِيغ الكلمات العبريّة أو الآراميّة. فالاسمان bēt وmēm فينيقيّان، صيغةً؛ وكذلك تحتفظ بعض الأسماء في اليونانيّة بالصيغة الفينيقيّة- وهي صيغة أقرب من العبريّة أو الآراميّة إلى الساميّة الأمّ(٢)- في حين تغيّرت هذه الصيغة في الأسماء العبريّة. فمن ذلك αλφ في اليونانيّة، (alp) ويقابلها في العبريّة والآراميّة ālep بتطويل الصائت a، وبإضافة الصائت e منعاً لالتقاء الساكنين، وهو ما لا تقبله العبريّة في مثل هذا الموضع، على خلاف الفينيقيّة التي تمثّل مرحلة أقدم. ومن ذلك

---

(١) *Ephemeris*, I, 133-4.

(٢) انظر محاولة Nöldeke استنباط أسماء الحروف كما كانت في الساميّة الأمّ في:
Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft (Strasbourg, 1904), p. 134.

أيضاً الاسم σαμχ (samḵ) الذي يحتفظ بالصيغة الفينيقيّة وهي أقدم من الصيغة العبريّة sāmeḵ التي دخلها تعديلان هما تطويل الصائت a، وإضافة الصائت e منعاً لالتقاء الساكنين.

أمّا الأسماء wāw و zayin و kap̱ و ʿayin و qōp̱ و tāw فهي كلمات نعتمد في تفسيرها على العبريّة، كما أن صيغة بعضها لا تحتمل إلا أن تكون عبريّة. فالاسمان zayin و ʿayin عبريّان خالصان بدليل وجود الصائت قبل الحرف النهائيّ من كلّ منهما، وغرضه منع التقاء الساكنين لأنّ الصيغة الأصليّة في الساميّة الأمّ هي zayn* و ʿayn*، ومن خصائص العبريّة إضافة هذا الصائت في مثل هذا المواضع، أي بعد الصائت المركّب - ay - أو - aw - الذي يتحوّل في كثير من اللغات الساميّة إلى - ē - و - ō - على التوالي[1].

ومن الأسماء التي تحتمل صيغتها أن تكون آراميّة: dālet̠ و lāmed̠ و sāmeḵ و ṣād̠ē و rēš. وكلمة ṣād̠ē تفسَّر عادة بمقارنتها بكلمة ṣādᵉyā في الآراميّة كما مرّ؛ كما أنّ صيغة كلمة rēš آراميّة (rēšā في حالة « التعريف ») وليست فينيقيّة أو عبريّة. وبالإضافة إلى هذه الكلمات يرى بعض الباحثين أنّ عدداً من أسماء الأحرف اليونانيّة آراميّ الأصل، وليس فينيقيّاً؛ وهذا رأي لا نرى صوابه، ولمناقشته موضع آخر[2].

إنّ لتنوّع اللغات التي تتوافق صيغها وصيغ أسماء الحروف الساميّة لا يعني، طبعاً، أن أهل هذه اللغات اشتركوا في وضع هذه الأسماء، أو أنّ

---

(١) في الساميّة الأمّ، مثلاً، bayt* و mawt*، وتحتفظ العربيّة الفصحى بها، في حين تغيّرها بعض اللهجات العربيّة العاميّة واللغات الساميّة إلى bēt و mōt. أمّا العبريّة فتجعلها bayit̠ و mawet̠ إلاّ في حالة الإضافة حيث يصبحان bēt̠ī (بيتي) و mōt̠ī (موتي).

(٢) راجع ص ٢٠٧ وما بعدها.

الواضع اختار أسماء الحروف من أكثر من لغة واحدة متعمّداً قاصداً، بل يعني أنّ أسماء الحروف الساميّة قديمة جداً، لأنها ترجع إلى الفترة التي تعرف بـ « الساميّة الأمّ »، Proto-Semitic، حين لم يكن تمايزٌ بين اللهجات الساميّة المختلفة إلى درجة اعتبارها لغات منفصلة. أي أنّ تنوع اللغات التي تقارب صيغَها أسماءُ الحروف يعكس مرحلة متأخّرة عن وضع هذه الأسماء، وهي مرحلة انفصلت فيها هذه اللغات عن الساميّة الأمّ واحتفظ كلّ منها بخصائص معيّنة في صيغ مفرداته، فناسبت أسماء بعض الحروف خصائصَ من هذه اللغة، وأسماء أخرى خصائصَ من تلك، وهكذا.

٧ - أنّ العلاقة بين الساميّة الشماليّة والسينائيّة ثابتة، حتى ولو اختلف العلماء حول قراءة عدد محدود من الأشكال السينائيّة. أمّا العلاقة بين هاتين وبين الهيروغليفيّة فأقلّ وضوحاً، إذ إنّ عدد الأشكال الهيروغليفيّة كبير جداً (ستّمائة شكل وأربعة أشكال)[1] بحيث يُسهِّل علينا بعضَ الشيء العثورُ على أصل مفترَض للشكل الساميّ الشماليّ والسينائيّ. ولئن وجدنا شكلاً هيروغليفيّاً تبدو مقارنته بالأشكال المتأخّرة مقنعة (كما في الأحرف ʾ و y و k، مع تغيّر في القيمة الصوتيّة للأشكال كما مر) فإنّ من الصعب، رغم كثرة الأشكال الهيروغليفيّة، العثور على شكل يقارن بالأشكال المتأخّرة للأحرف b و g و ṣ و q. فمن الصحيح، إذاً، أنّ الهيروغليفيّة أوحت للساميّين بعدد من الأشكال التي أخضعوها للغتهم، وأنّ الأبجديّة المصريّة الزائفة قامت على المبدأ الأكروفونيّ الذي نجده في السينائيّة والساميّة الشماليّة، غير أنّ علينا ألاّ نبالغ في الأثر المصريّ في نشوء الساميّة الشماليّة خاصّة. إنّ الكتابة، ككلّ نظام وضعيّ، لا ينشأ طفرة واحدة، ولذلك نسلّم بمبدأ تأثّر كتابة ما بما سبقها؛ ولكنّ النظام الكتابيّ

---

(١) راجع ص ٤٨.

الساميّ الشماليّ ذو خصائص تميّزه عن الكتابة الهيروغليفيّة وحتّى عن الأبجديّة المصريّة الزائفة، ولا يجوز القول إنه منقول عن هاتين[١]؛ فالفينيقيّون قد «استغلّوا» الفكرة المصريّة في الألفباء الزائفة وأدخلوا عليها من التعديلات التي ترمي إلى التسهيل ما يمكّننا من القول إنّ عملهم يشبه أن يكون اختراعاً ثانياً[٢].

★ ★ ★

في منطلق مختلف للبحث يمكن دراسة أسماء الحروف في كلّ من الحبشيّة والعربيّة، فهي تمكّننا من إجراء موازنة بينها وبين أسماء الحروف الساميّة الشماليّة التي نعرفها من العبريّة، ومن اليونانيّة المأخوذة عن الفينيقيّة.

أسماء الحروف الحبشيّة هي التالية[٣]، مرتّبةً ترتيباً أبجديّاً خلاف المعتاد في الحبشيّة[٤]:

---

(١) انظر الحجج المبيّنة ص ٤٨ - ٥٤.

(٢) أخذتُ هذه العبارة من: *Byblia Grammata*, p. 194 («une seconde invention»). قارن هذا بقول Mallon إنّ ما قام به الفينيقيّون، صادرين عن مبدأي التبسيط والتوضيح، يعادل الاختراع، وأنّه «تقدمة عظيمة للإنسانيّة»؛ انظر:

«L'origine égyptienne de l'alphabet phénicien,» in *BIFAO*, 30 (1931), pp. 149-51.

(٣) نفترض هنا أنّ هذه الأسماء ترجع إلى العهد الذي أُخذت فيه الكتابة الحبشيّة من السبئيّة. وننبّه إلى نظريّة مختلفة مفادها أنّ أسماء الحروف الحبشيّة متأخّرة ومن وضع المبشّرين الغربيين، وأن الأحباش أنفسهم لم يكونوا يعرفونها قبل ذلك؛ انظر:

Ullendorff, *Africa* (1951), pp. 211-4.

(٤) في الترتيب الحبشيّ انظر ص ٣١١ وما بعدها.

ʾ = alf	b = bēt	g = gaml	d = dent/dant
h = hoy	w = wāwī	z = zay	ḥ = ḥawt
ṭ = ṭayt	y = yaman/yamān	k = kaf/kāf	l = lāwī
m = may/māy	n = nahās	s = sāt	ʿ = ʿayn
f = af	ṣ = ṣaday	q = qāf	r = $r^{eʾe}s$
š = šawt	t = tāwī		

وأسماء الأحرف الزائدة في الحبشيّة على الساميّة الشماليّة هي:

ḫ = ḫarm   p̣ = p̣ayt   ḍ = ṣap̣p̣a   ps = pa/psa

ويمكن ملاحظة جملة من الأمور في هذه الأسماء:

١ - أنّ معظمها شبيه بالأسماء الشماليّة التي تحتفظ بها العبريّة؛ ومنها أيضاً ما يطابق هذه الأسماء تماماً نحو: bēt و kaf و ʿayn.

٢ - أنّ من الأسماء المتقاربة صيغُها في الحبشيّة والساميّة الشماليّة ما أُدخل عليه في الحبشيّة تغييرات طفيفة لجعل صيغته حبشيّة خالصة. ومن ذلك الاسمُ māy، ففيه محاولة لاستعمال الصيغة الحبشيّة لكلمة mēm، وكلاهما يعني «ماء»؛ ومثله الاسم $r^{eʾe}s$ وهو الصيغة الحبشيّة لكلمة rēš التي يُسمَّى بها الصامت r. أمّا الاسمان ṭayt و ṣaday فقد نشآ بتغيير الصامت ē في ṭēṯ و ṣāḏē إلى الصائت المركّب ay.

٣ - أنّ من الأسماء ما غيّرته الحبشيّة عن أصله لأنّ اسمه الأصليّ كلمة غير مستعملة في الحبشيّة. من ذلك كلمة yaman التي أحلّوها محلّ كلمة yōḏ، وكلمة af التي أحلّوها محلّ كلمة pē[1]. أمّا كلمة nahās فقد مرّ أنّها الأصل، وأن nūn فرع عليها، لا عكس ذلك كما يرى بعضهم[2]. وتجدر

---

(١) راجع ص ٢٤٠ وص ٢٥٨.

(٢) انظر مثلا: Dillmann, *Ethiopic Grammar*, p. 17.

الإشارة إلى أنّ الأحباش راعوا في كلمة yaman المبدأ السائد في الحروف الأخرى، وهو كون الصامت الأوّل من اسم الحرف هو الصامت المقصود تمثيله (أي ما أصله المبدأ الأكروفونيّ). والدليل على أنّهم اختاروا كلمة yaman عن قصد أنّهم تحاشوا تسمية الحرف بالكلمة الحبشيّة التي تقابل yōḏ – ومعناها « يد » – لأنّ هذه الكلمة في لغتهم هي እድ ᵊd، وصامتها الأوّل ʾ لا يناسب الحرف المطلوب؛ وفضّلوا أن يختلف معنى الاسم بعض الشيء (yaman في الحبشيّة: اليد اليمنى، تخصيصاً) على أن يختاروا اسماً ليس فيه هذا التناسب. أمّا الاسم af فليس فيه مراعاة تناسُب الصامت الأوّل منه مع الحرف المطلوب، والسبب – فيما نقدّر – أنّ الأحباش لم يجدوا كلمة أخرى تعطي معنى « فم » – أو قريباً منه – وتبدأ بالصامت f (وهو p في الساميّة الشماليّة). وسهّل لهم اختيار af أنّ فيه الصامت f، فالتناسب موجود ولو بشكل آخر.

٤ – الاسمان wāw و tāw ليس لهما معنى في الحبشيّة، وقد صارا فيها tāwī و wāwī أو tāwe و wāwe، وهذان كذلك لا يعنيان في الحبشيّة شيئاً، ولكنّ صائتها الأخير يراعي القواعد الصوتيّة في الحبشيّة[1]، فيبدو الاسمان حبشيّي الصيغة. ويمكن تفسير الاسم lāwī (للحرف l) على أنّه نشأ قياساً على الاسمين السابقين، وسهّل ذلك أنّ الاسم الأصليّ lāmeḏ ليس له في الحبشيّة معنى.

٥ – بعض الأسماء يحتفظ بصيغ أقدم من تلك المعروفة في الساميّة الشماليّة، وقد ذكرنا اسم الحرف n[2]. ومن الممكن هنا الاستفادة من الصيغ اليونانيّة: فبشأن الصيغة الحبشيّة zay، نلاحظ ورود zay في اليونانيّة، لا

---

(١) راجع هذه القواعد في: Dillmann, *ibid.*, pp. 75-6.

(٢) راجع الفقرة ٤ ص ٢٦٠.

اسمَ حرف، بل نقلاً صوتياً للاسم الساميّ الشماليّ[١]. وقد يكون النقل اليونانيّ يعكس مرحلة قديمة لم يكن الصامت n في zayn يُلفظ فيها في الفينيقيّة. ولنا في اسم الصامت g مثل آخر: ففي كلّ من الحبشيّة واليونانيّة يجيء، بعد الصامت الأوّل من صيغته، صامت من صنف الفتحة، فالاسم هو gaml في الحبشيّة و gamma في اليونانيّة؛ وقد يدلّ هذا الاتفاق على أنّ الفتحة بعد الصامت هي الأصل، وأنّ الصيغة العبريّة gīmel تعكس مرحلة متطوّرة تغيّرت فيها الفتحة.

ومن جهة أخرى قد يكون عدم وجود صائت مانع لالتقاء الساكنين في نحو alf و gaml و dent دليلاً على احتفاظ هذه الأسماء بالأصل الساميّ القديم، في حين أقحمت العبريّة هذا الصائت بين الصامتين في مرحلة متأخّرة عن الأصل[٢].

٦ - بعض أسماء الحروف ليس ينقاد بسهولة إلى التفسير، وهذه الأسماء هي hoy و ḥawt و sāt و šawt. ولمّا كانت هذه الأسماء لا تعني في الحبشيّة شيئاً، يغلب الظنّ أنّ القصد من صيغها هذه تمثيل صوت الحرف لا إعطاء معنى، ولذلك كانت الأصوات الزائدة على الحرف نفسه إمّا صوائت، وإمّا الحرف t الكثير وروده لاحقةً دالّة على التأنيث، وكأنّ فيه لذلك خفّة، فاستخدموه بدلاً من استخدام أحرف لا ترد لواحق.

٧ - أسماء الأحرف الزائدة ليست مأخوذة من مصدر ساميّ خارجيّ طبعاً. الاسم pa/psa قد يكون متأثّراً بالحرف اليوناني ψ (ps)، واسمه مقطع دالّ على صوته، وليس كلمة مفيدة. أمّا الاسم payt فالأرجح أنّه

---

(١) انظر: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 281.

(٢) قارن ص ٢٦١ - ٢٦٢.

مقيس على ṭayt (وهما متجاوران في الترتيب)، ولا يعني في الحبشيّة شيئاً. أمّا الاسمان الآخران فلا أعرف لهما تفسيراً مقنعاً[١].

أمّا الحروف العربيّة، مرتّبةً ترتيباً أبجديّاً، فهي التالية:

ʾ = alif	b = bāʾ	j = jīm	d = dāl
h = hāʾ	w = wāw	z = zāy	ḥ = ḥāʾ
ṭ = ṭāʾ	y = yāʾ	k = kāf	l = lām
m = mīm	n = nūn	s = (انظر š)	ʿ = ʿayn
f = fāʾ	ṣ = ṣād	q = qāf	r = rāʾ
š = šīn/sīn	t = tāʾ		

وأسماء الأحرف الزائدة في العربية على الساميّة الشماليّة هي:

ṯ = ṯāʾ   ḫ = ḫāʾ   ḏ = ḏāl   ḍ = ḍād

ẓ = ẓāʾ(ظ)   ġ = ġayn

ونلاحظ الأمور التالية حول هذه الأسماء:

١ – أنّ كثيراً منها تغيّر عن الأصل بإسقاط ما يزيد عن المقطع المكوَّن من الصامت المطلوب متبوعاً بصائت يمكّن من نطقه، ثم أضيف المقطع ʾ إلى هذا، وهو ما نقترح تسميته بهمزة السكت لأنّنا نقدر أنّ القصد منها السكوت على صامت لا صائت بحسب ما تملي القواعد الصوتيّة للعربيّة. ونلاحظ أنّ هذا التغيير أصاب على السواء الأسماء التي لا معاني لها في العربيّة مثل hē وpē[٢] مثلاً، والأسماء التي لها معان في العربيّة مثل

(١) يرى Dillmann أنّ معنى ḫarm « سياج، حاجز » ومعنى ṣappa « مزلاج » (pp. 17-18)؛ وليس من دليل كاف يحمل على قبول هذين التفسيرين.

(٢) هذه الكلمة لها مقابل عربيّ طبعاً، هو « فو » أو « فوه »، ولكنّنا نقصد هنا أنّ كلمة pē بحدّ ذاتها لا تعني في العربيّة شيئاً.

bēt*[1] أو ما يقاربها، وربّما yad* أو ما يقاربها[2].

٢ - أنّ بعضها قريب جدّاً من الأصل، ولا يختلف عنه إلاّ بالقواعد الصوتيّة التي يخضع لها. الاسم alif مثلاً شديد الشبه بالاسم ālep̱ مع بعض الاختلاف في الصوائت، وهو أمر يدعونا إلى تذكّر أنّ بين الصيغة الأولى والثانية زمناً بعيداً يؤدي إلى التغيّر، يساعده من جهة أخرى اختلاف اللغتين وطبيعة صوائتهما، فالصائت - i - في alif مثلاً، أنسب للعربيّة من الصائت - e - . وعلى هذا نفسّر صيغة mīm في العربيّة بدلاً من mēm العبريّة بالرجوع إلى طبيعة الصائت. والاسم ayn' قريب من ayin' بل قد يعكس مرحلة أقدم منه لخلوّه من الصائت الذي يفصل بين الصامتين y و n. أما الاسم nūn فواحد في العربيّة والساميّة الشماليّة، وهو آراميّ النشأة كما مرّ، ولا يخفى أيضاً التماثل في الاسم wāw.

٣ - أنّ خمسة أسماء وُضِعت باختصار الاسم الأصليّ والاكتفاء منه بمقطع واحد مغلَق، مع الحرص على أن يكون الصائت الذي يلي الصامت الأوّل طويلاً، وإن لم يكن طويلاً في الأصل. وهذه الأسماء هي jīm و dāl و zāy و lām و ṣād.

٤ - أنّ الأحرف الستّة الزائدة في العربيّة على الساميّة الشماليّة مُسّماة بأسماء تحاكي أسماء الأحرف التي انشقّت عنها بإدخال الإعجام أو بتطويره. فالاسم ṯā' يحاكي الاسم tā' أي اسم الحرف الذي نشأ عنه بزيادة إعجامه، والاسم ẖā' يحاكي الاسم ḥā' أي اسم الحرف الذي نشأ عنه بإدخال الإعجام

---

(١) ولم نقل bēṯ لأنّ الحرف t المسبوق بصائت يلفظ ṯ في العبريّة وليس في غيرها ضرورةً.

(٢) هذا ان جعلنا صيغة yad* الأصل الذي يسبق yōḏ العبريّة.

فيه. ومثل هذا الأسماء ḏāl و dāl، و ḍād و ṣād، و ẓāʾ و ṭāʾ، و ġayn و ʿayn[1].

★ ★ ★

ولئن كانت أسماء الحروف الساميّة ترجع إلى مرحلة متقدّمة جداً في تاريخ الكتابة الساميّة، لعلّها متزامنة ووضعَ الأشكال الساميّة الشماليّة، فإنّ ترتيب الحروف يرجع أيضاً إلى مرحلة متقدمة في هذا التاريخ، لارتباطه العضويّ بأسماء الحروف ومعانيها. وهذا موضوع الفصل القادم.

---

(١) لا يحسن بنا أن نترك البحث في أسماء الحروف في العربيّة دون أن نشير إلى ملاحظة هامّة أوردها ابن جنّي في سرّ الصناعة (٤٧/١)، وهي تُظهر إدراكه للمبدأ الأكروفونيّ، أي العلاقة بين اسم الحرف والصوت الذي يمثّله، لا في نشأة أسماء الحروف طبعاً، بل بعد استقرارها على حالها في العربيّة: « ... كلّ حرف سمّيته ففي أوّل حروف تسميته لفظه بعينه؛ ألا ترى أنّك إذا قلت: جيم فأول حروف الحرف جيم، وإذا قلت دال، فأوّل حروف الحرف دال، وإذا قلت حاء، فأوّل ما لفظت به حاء. وكذلك إذا قلت ألف، فأوّل الحروف التي نطقت بها همزة. فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً ».

الفصل التاسع

ترتيب الحروف الساميّة

إنّ دراسة ترتيب الحروف في الكتابات الساميّة لا تخلو من التعقيد لأمرين رئيسين أوّلها عدم اطّراد هذا الترتيب في الكتابات المختلفة وثانيهما صعوبة تحديد الأسباب التي رُتِّبت من أجلها هذه الحروف على النحو الذي ترد فيه. وينبغي لذلك تجزئة هذه الدراسة بحيث تسهل معالجة أقسامها. ولعلّ التسلسل المنطقيّ يوجب تقديم الترتيب الساميّ الشماليّ الغربيّ على سواه لأنّه قد يكون الأصل الذي عنه انبثق الترتيب الذي اعتمده بعض الكتابات الأخرى، وبعد ذلك يسهل التصدّي لترتيب الحروف في الأوجاريتيّة والبابليّة والعربيّة الشماليّة والعربيّة الجنوبيّة والحبشيّة على ما في ترتيب كلّ منها من خصائص.

إنّ ترتيب الحروف الذي اعتمدته الكتابات الساميّة الشماليّة الغربيّة هو التالي:

ʾ b g d h w z ḥ ṭ y k l m n s (sāmeḵ) ʿ p ṣ q r š (šīn/ś = sīn) t

أمّا المصادر الذي تُثبت هذا الترتيب فهي التالية:

١ – بعض المقاطع من العهد القديم رُتِّبت أجزاؤها بحيث تكون الكلمة الأولى من الآية الأولى مبتدَأة بالحرف ʾ ، وتكون الكلمة الأولى من الآية الثانية مبتدأة بالحرف b وهكذا. من هذه المقاطع ما يلي: سفر نحوم ١: ٢ – ١٤، وسفر مراثي أرميا ١ – ٤، وسفر الأمثال ٣١: ١٠ – ٣١، وسفر

(א) 10 אֵֽשֶׁת־חַיִל מִי יִמְצָא וְרָחֹק מִפְּנִינִים מִכְרָהּ׃

(ב) 11 בָּטַח בָּהּ לֵב בַּעְלָהּ וְשָׁלָל לֹא יֶחְסָר׃

(ג) 12 גְּמָלַתְהוּ טוֹב וְלֹא־רָע כֹּל יְמֵי חַיֶּיהָ׃

(ד) 13 דָּרְשָׁה צֶמֶר וּפִשְׁתִּים וַתַּעַשׂ בְּחֵפֶץ כַּפֶּיהָ׃

(ה) 14 הָיְתָה כָּאֳנִיּוֹת סוֹחֵר מִמֶּרְחָק תָּבִיא לַחְמָהּ׃

(ו) 15 וַתָּקָם׀ בְּעוֹד לַיְלָה וַתִּתֵּן טֶרֶף לְבֵיתָהּ וְחֹק לְנַעֲרֹתֶיהָ׃

(ז) 16 זָמְמָה שָׂדֶה וַתִּקָּחֵהוּ מִפְּרִי כַפֶּיהָ נָטַע כָּרֶם׃

(ח) 17 חָגְרָה בְעוֹז מָתְנֶיהָ וַתְּאַמֵּץ זְרוֹעֹתֶיהָ׃

(ט) 18 טָעֲמָה כִּי־טוֹב סַחְרָהּ לֹא־יִכְבֶּה בַלַּיְלָ נֵרָהּ׃

(י) 19 יָדֶיהָ שִׁלְּחָה בַכִּישׁוֹר וְכַפֶּיהָ תָּמְכוּ פָלֶךְ׃

(כ) 20 כַּפָּהּ פָּרְשָׂה לֶעָנִי וְיָדֶיהָ שִׁלְּחָה לָאֶבְיוֹן׃

(ל) 21 לֹא־תִירָא לְבֵיתָהּ מִשָּׁלֶג כִּי כָל־בֵּיתָהּ לָבֻשׁ שָׁנִים׃

(מ) 22 מַרְבַדִּים עָשְׂתָה־לָּהּ שֵׁשׁ וְאַרְגָּמָן לְבוּשָׁהּ׃

(נ) 23 נוֹדָע בַּשְּׁעָרִים בַּעְלָהּ בְּשִׁבְתּוֹ עִם־זִקְנֵי־אָרֶץ׃

(ס) 24 סָדִין עָשְׂתָה וַתִּמְכֹּר וַחֲגוֹר נָתְנָה לַכְּנַעֲנִי׃

(ע) 25 עֹז־וְהָדָר לְבוּשָׁהּ וַתִּשְׂחַק לְיוֹם אַחֲרוֹן׃

(פ) 26 פִּיהָ פָּתְחָה בְחָכְמָה וְתוֹרַת־חֶסֶד עַל־לְשׁוֹנָהּ׃

(צ) 27 צוֹפִיָּה הֲלִיכוֹת בֵּיתָהּ וְלֶחֶם עַצְלוּת לֹא תֹאכֵל׃

(ק) 28 קָמוּ בָנֶיהָ וַיְאַשְּׁרוּהָ בַּעְלָהּ וַיְהַלְלָהּ׃

(ר) 29 רַבּוֹת בָּנוֹת עָשׂוּ חָיִל וְאַתְּ עָלִית עַל־כֻּלָּנָה׃

(ש) 30 שֶׁקֶר הַחֵן וְהֶבֶל הַיֹּפִי אִשָּׁה יִרְאַת־יְהוָה הִיא תִתְהַלָּל׃

(ת) 31 תְּנוּ־לָהּ מִפְּרִי יָדֶיהָ וִיהַלְלוּהָ בַשְּׁעָרִים מַעֲשֶׂיהָ׃

الرسم ٤٧

سفر الامثال ٣١ : ١٠ - ٣١ بالعبريّة

المزامير ٩، ١٠، ٢٥، ٣٤، ٣٧، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٤٥. ويوافق ترتيب الأحرف في هذه المقاطع الترتيبَ الذي ذكرناه مع فوارق بسيطة جدّاً وغير مطّردة، ومن ذلك أنّ بعض هذه المقاطع لا يضم جميع حروف الأبجديّة[١]، أو أن بعضها يقدّم p على ' [٢].

٢ - نقش لخيش (Lachish): وهو عبارة عن الأحرف الخمسة الأولى من الأبجديّة (أ ب ج د ه) وُجدت منقوشة على إحدى الدرجات في قصر لخيش، ويرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر ق.م. على أقلّ تقدير (انظر الرسم ٤٨). ومن المحتمل أن يكون القصد من هذه الكتابة أن يهتدي بهديها البنّاءون في ترتيب الأحجار التي يستعملونها على نحو ما، أو أنّها من عمل طالب يتدرّب على الأبجديّة، أو كتابة معلّم يستعملها في التدريس[٣].

الرسم ٤٨

نقش لخيش

(١) من ذلك أنّ المزمورين التاسع والعاشر يضمّان جميع الحروف إلاّ الدال، وأنّ الأصحاح الأوّل من سفر نحوم يضم الأحد عشر حرفاً الأولى فحسب أي من ' إلى k.

(٢) انظر مثلاً المزمور العاشر: ٧ - ٨، وسفر مراثي أرميا ٢: ١٦ - ١٧.

(٣) انظر: Driver, *Semitic Writing*, pp. 116-7.

وقارن: Albright, «Some Important Recent Discoveries: Alphabetic Origins and the Idrimi Statue,» in *BASOR*, 118 (1950), pp. 11-20.

٣- سفر أشعيا ٢٨: ١٠: في هذا قول سُكارى أفرايم، وهم يسخرون من النبيّ، ما لَفْظُه في العبريّة: kī ṣaw lā-ṣāw ṣaw lā-ṣāw qaw lā-qāw qaw lā-qāw وترجمتـه، إن كان المقصود به جملة مفيدة: «لأنّه أمر على أمر. أمر على أمر. فرض على فرض. فرض على فرض»، أو أنّه محاكاة تمتمة السكارى أو تعتعتهم. ولعلّ في هذين الاحتمالين التفسير الصحيح لهذه الكلمات، ولكن يجب ألاّ نلغي الاحتمال الثالث- وإن كان مضعَّفاً عند بعضهم[١]- وهو أنّ سكارى أفرايم إنّما كانوا يسخرون بالنبيّ بتشبيههم إيّاه، في وعظه وتعليمه، بالمعلّم الذي يلقّن طلاّبه تتابع أحرف الأبجديّة (ممثّلاً بالصاد تتبعها القاف) لِما في ذلك من رتابة وإملال.

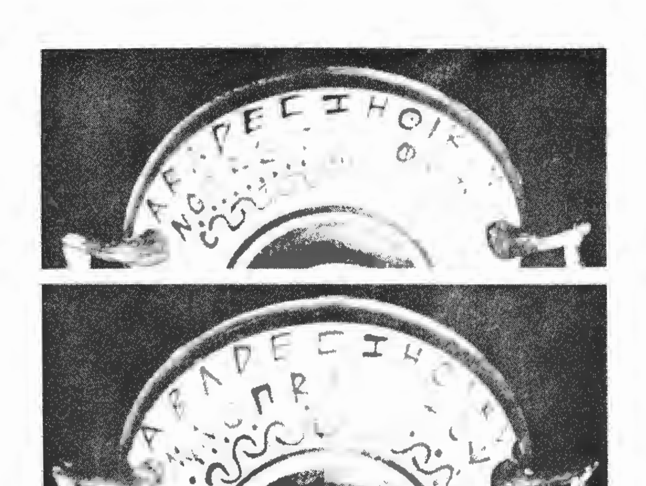
٤- ترتيب الأبجديّة اليونانيّة: وهذا دليل من خارج الكتابات الساميّة على الترتيب الأصليّ للأبجديّة الساميّة لأنّ اليونانيين أخذوا الترتيب الأبجديّ الفينيقيّ (انظر الرسم ٤٩) عند أخذهم الأبجديّة نفسها، ولكنّهم أحدثوا فيه بعض التغيير الذي أملته طبيعة لغتهم ونظرتُهم الخاصّة للكتابة[٢]. ومن جهة ثانويّة نستطيع أن نقارن بين الترتيب الساميّ والترتيب المعروف في اللغات الأوروبيّة الحديثة، والرابطُ بينهما اليونانيّة فاللاتينيّة. ففي الانكليزية: a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z.

٥- القيمة العدديّة للأرقام: ينطبق الترتيب الذي ذكرناه للحروف الساميّة الشماليّة الغربيّة على ترتيب حساب «أبي جاد»، أي أنّ القيمة

---

(١) انظر: Driver, *ibid.*, pp. 89-90; 242-3.

(٢) راجع ص ٢١٢ وما بعدها. وانظر الأبجديّات اليونانيّة التي عُثر عليها، في:
M. D. Coogan, «Alphabets and Elements,» in *BASOR*, 216 (1974), p. 62.
وراجع رسومها في لوائح كتاب Jeffery:
The Local Scripts of Archaic Greece, plate 10, no 20, and pl. 50, no 19.
وعن هذا الكتاب نقلنا الرسم ٤٩، وهو اللوحة العاشرة وفيها ألفباءان.



الرسم ٤٩: الترتيب الابجديّ في نقش يونانيّ

العددية للحروف هي بحسب تسلسلها في الترتيب المذكور(١)، وكذلك في الأبجديّة اليونانيّة.

٦ – بعض نقوش «وادي مُربَّعات» على بُعد عشرة كيلومترات جنوب «قمران» عند البحر الميّت(٢)؛ فمن هذه النقوش:

أ – نقش في سطره الأوّل أبجديّة معظم حروفها واضح، وفي سطره الثالث أبجديّة أخرى حروفها الأولى غير جليّة، وبين السطرين رمز القاف مكرّراً ثلاث مرّات (انظر الرسم ٥٠).

[ ]וֹזחטיכךלמםנןסעפףצץ צֹ°[ ]

קקק [ ]

אֹבֹגֹדֹהֹוזחטיכךלמםנןספףצץקר [ ]

الرسم ٥٠: الترتيب الابجديّ في نقش من «وادي مربَّعات»

---

(١) انظر هذا المبحث في ص ٣٠٢ وص ٣١٨.

(٢) انظر: P. Benoit *et. al.*, *Discoveries in the Judaean Desert*, II: *Les Grottes de Murabbaᶜât* (Oxford, 1961), nos 10 B (p. 91), 11 (p. 92), 73 (p. 175), and 78-80 (pp. 178-9).

ب- نقش معظم ما فيه مطموس ولم يبق فيه ما يشير إلى أنّه أبجديّة سوى تعاقب الرموز التالية: الميم غير النهائيّة، والميم النهائيّة، والنون غير النهائيّة، والنون النهائيّة، والساميخ.

ج- نقش في سطره الأوّل الأحرف الخمسة الأولى من الأبجديّة من ʾ إلى h، والباقي أسماء أعلام.

د- نقش فيه الأحرف الثمانية الأولى من الأبجديّة أي من ʾ إلى ḥ، وكلّ منها مكتوب مرّتين على النحو التالي:

ʾ ʾ b b g g d d h h w w z z ḥ ḥ

٧- أبجديّة «قمران» التي يُعتقد أنّها ترجع إلى ما قبل عام ٣١ ق.م.[١] وبملاحظة تردّد كاتبها بين الحذف والتكرار (الأحرف ʾ و b و ṭ و š مكرّرة، والحرفان y و k محذوفان)، وعدم تناسق الحروف فيها، يقوى اعتقاد أنّها من عمل مبتدىء كان يتمرّن على كتابة الحروف بترتيبها الأبجديّ[٢]. والحروف المكتوبة في هذه الأبجديّة هي الآتية[٣]:

---

(١) نُشرت هذه الأبجديّة وصورة عنها في:
R. de Vaux, «Fouilles au Khirbet Qumrân. Rapport préliminaire sur la deuxième campagne,» in *RB*, 61 (1954), p. 229, and pl. Xa.

(٢) نفسه؛ وقارن: F. M. Cross, «The Oldest Manuscripts from Qumran,» in *JBL*, 74 (1955), p. 147, n. 2.

(٣) وضعنا الحرفين m و n بين قوسين لننبّه على أنّهما مكتوبان في هذا الموضع بشكليهما النهائيّين. ومن المعروف أنّ في العبريّة خمسة أحرف لكلّ منها شكلان: نهائيّ في آخر الكلمة، وآخر لغير ذلك؛ وهذه الحروف الخمسة هي k و m و n و p و ṣ.

1. ⸢t⸣ š š

2. l (m) (n) s ʿ p ṣ q r

3. ʾ ʾ b g d h w z ḥ ṭ

4. ʾ b š ṭ

إنّ هذه المصادر ترقى بالترتيب الأبجديّ الشماليّ الغربيّ إلى القرن الثامن ق.م. وهو التاريخ التقريبيّ لأوّل أبجديّة إغريقيّة معروفة[1]، وهو كذلك التاريخ التقريبيّ لنقش لخيش كما مرّ. ولكن من المؤكّد أنّ هذا الترتيب يرجع إلى عهد أقدم من ذلك بكثير، فالترتيب الأبجديّ في الكتابة الأوجاريتيّة، وهو شبيه بالترتيب الأبجديّ الشماليّ الغربيّ غير المسماريّ، يرجع إلى القرن الرابع عشر ق.م. وهذا يشعرنا بأنّ الترتيب الأبجديّ لأوّل كتابة ألفبائيّة ساميّة ربّما وُجد بوجود هذه الكتابة، أو لم يتأخّر عنها كثيراً. وحجّة من يقول بتعاصر وضع الألفباء الساميّة وترتيب حروفها أنّ سرعة انتشار هذه الألفباء لا بدّ من أن يكون ناتجاً عن « أداة تذكيريّة » (mnemonic device) وهي أحسن ما تكون في ترتيب الحروف[2]. ولكننا نفضّل القول بتأخّر ترتيب الألفباء عن وضعها، ولو زمناً قصيراً، فهذا أرجح من القول بتعاصرهما لأنّ مثل هذا الاختراع الألفبائي لا يمكن تصوّر وجوده طفرة واحدة.

إنّ الحديث عن « أداة تذكيريّة » يدخل في باب فلسفة الترتيب الأبجديّ وتعليله، وهنا مكمن الصعوبة. ولعلّ من المجدي قبل الشروع بهذا الباب القول إنّه لا يوجد حتّى اليوم تعليل مقنع لهذا الترتيب؛ فالترتيب نفسه ثابت ولا يقبل الشكّ، ولكنّ الأسباب الكامنة وراءه خفيّة وقد لا يخلو ما

---

(١) انظر: Hallo, *JBL* (1958), p. 326.
وانظر الفصل السابع لتحديد الزمن الذي تمّ فيه أخذ اليونانيين الألفباء الساميّة.

(٢) نظر: Hallo, *ibid.*, p. 335.

يُذكر منها عادة من البعد أو الإحالة حيناً. ومن النظريات المقترحة في هذا الموضوع ما يلي[1]:

١ - أنّ الحروف مرتّبة على أن تكوّن مجموعة من الكلمات يسهل حفظها على المتعلّم؛ ويظهر هذا في الأحرف الأربعة الأولى وهي تكوّن كلمتين: «أب» و «جد». غير أنّ هذه الطريقة لا يمكن اعتمادها لتفسير الحروف الباقية، فأيّ معنى سهل الحفظ يمكن استنباطه من «هـ و ز ح ط ي» أو من «س (ساميخ) ع ف ص ق ر»؟ وحتّى كلمة «جد» التي فُسِّر بها الحرفان الثالث والرابع من الترتيب الأبجديّ لا يمكن أن تقوم حجّة لمن يقول بهذه النظريّة، بل هي حجّة عليه، لأنّ هذه الكلمة - بمعنى والد الوالد - ليست ساميّة شماليّة بل هي، كما ينبّه Driver[2]، ساميّة جنوبيّة، ولا يُعقل أن تُستخدَم في الساميّة الشماليّة في ترتيب الحروف لأنّ القصد من هذا الترتيب تسهيل الحفظ وهذا لا يتأتّى عن طريق كلمات لا وجود لها في لغة أصحاب الأبجديّة.

٢ - أنّ حروف الأبجديّة الساميّة الشماليّة، وهي اثنان وعشرون حرفاً، مقسَّمة في ترتيبها المعروف إلى أحد عشر كلمة ثنائيّة، كلّ كلمة منها تدلّ في اللغة المصريّة على عضو من أعضاء جسم الإنسان وذلك على النحو التالي: أ + ب = قلب، ج + د = صورة الإنسان أو شكله، هـ + و = عضلة، ز + ح = دم، ط + ي = لسان، ك + ل = صدر، حضن، م + ن = فخذ، س (ساميخ) + ع = مرارة، ف + ص = ركبة، ق + ر = خُصية،

---

(١) لا حاجة بنا للوقوف عند النظريّة القائلة إنّ ترتيب الأبجديّة الساميّة الشماليّة الغربيّة مستوحى من علم الفلك عند البابليّين؛ أو النظريّة القائلة إنّ الحروف بترتيبها الأبجديّ تكوّن عبارة مستعملة في السحر، إذ حتّى لو صحّ استعمال الأبجديّة في السحر فلا دليل في ذلك على أنّ التعاويذ والعبارات السومريّة علّة هذا الترتيب.

(٢) *Ibid.*, P. 182.

ش + ت = عضو داخلي. هذه نظرية W. Weidmüller[١]، وهي لا تخلو من طرافة، ولكنّها قائمة بجملها على الوهم: فِلَمَ يختار الساميّون الشماليّون كلمات مصريّة لترتيب أبجديّتهم وتسهيل حفظها؟ إنّ هذا الافتراض البعيد الذي تقوم عليه النظريّة يضعّفها إلى حدّ التداعي الكامل، بَلْهَ الاعتراضات اللغويّة والصوتيّة الأخرى التي يُفصِّلها Driver في تفنيد هذه النظرية وتسفيهها.

٣ - أنَّ حروف الأبجديّة مرتَّبة حسب السُلَّم الموسيقيّ السومريّ وذلك بتحويل المقاطع المسماريّة إلى مجرّد أصوات (أي رموز ألفبائيّة) بالطريقة الأكروفونيّة[٢]. وقد شرح F. Galpin[٣] هذه النظريّة شرحاً مفصّلاً يحتاج فهمه إلى معرفة بعلم الموسيقى لا يمكن بدونها الحكم على النظريّة أصواب هي أم خطأ. ولكنّ الأمر الذي يجعلنا نرتاب في صحّتها بُعد الهوَّة بين الساميّين



الرسم ٥١

السلّم الموسيقيّ السومريّ في نظريّة **Galpin**

---

(١) *Börsenblatt für den deutschen Buchhandel*, 94, 24 Nov. 1959, 1-5.
ولم أستطع رؤية هذا المرجع، فاعتمدت على Driver في: *Semitic Writing*, p. 269

(٢) راجع ص ٤٨.

(٣) انظر: F. W. Galpin, *The Music of the Sumerians and their Immediate Successors: the Babylonians and Assyrians*, repr. (Westport, 1970), pp. 42-8.

الشماليّين الغربيّين وبين المصدر الذي يُفترض أخذهم عنه؛ فالشرط الأساسيّ لصحّة هذه النظريّة هو إثبات معرفة الساميّين الشماليّين الغربيّين السلّم الموسيقيّ السومريّ، وهذا الشرط غير متوفّر في هذه النظرية!

ولعلّ الطريقة المثلى لتعليل الترتيب الأبجديّ البحثُ عن جوامع بين الحروف المتتالية وإن تعدّدت طبيعة هذه الجوامع. إنّ هذه الطريقة هي السبيل الوحيد أمامنا بعد أن تبيّن أنه لا توجد نظريّة مقبولة تعلّل الترتيب الأبجديّ كلّه. ومن الجوامع التي قد تكون حدّدت توالي بعض الحروف ما يلي:

١ - التشابه في طبيعة الأصوات: فالحروف الأربعة الأولى مثلاً «أ ب ج د» تشترك في كونها أصواتاً انفجاريّة أو شديدة (plosive)، والحروف الأربعة التي تليها «هـ و ز ح» تشترك في كونها أصواتاً احتكاكيّة أو رخوة (fricative). وممّا يمكن تفسيره على الاشتراك في طبيعة الصوت توالي اللام والميم والنون وجميعها أصوات مجهورة، إضافةً إلى أنّها جميعاً أصوات متوسطة بين الشدة والرخاوة[١].

٢ - التشابه في معاني أسماء الحروف: قد يكون الجامع بين الياء والكاف مثلاً الشبه بين المعنيين اللذين يؤدّيها اسماها[٢]، فالياء معناها اليد والكاف معناها الكفّ، فالشبه واضح في معناها. ومن ذلك أيضاً «ع» و «پ» (p)[٣]، فالأولى معناها العين والثانية معناها الفم؛ ومثلها الراء والشين، فالأولى معناها الرأس والثانية معناها السنّ. ومن علاقة الشبه في

---

(١) الأصوات المتوسّطة بين الشدّة والرخاوة خمسة يجمعها قولك: لن عمر.

(٢) راجع الفصل الثامن.

(٣) يقابله في العربية «ف».

المعنى من غير أعضاء الجسم العلاقة بين الميم والنون والساميخ، فالميم معناها الماء وكلّ من النون والساميخ تعني السمك، فالشبه ظاهر.

٣- التشابه في أشكال الحروف: يُذكر هنا الشبه بين شكل الميم ﻟ وشكل النون ﻟ . وكذلك الشبه بين العين O والفاء (p) ﻟ ؛ هذا إلى جانب التشابه بين معاني أسماء هاتين المجموعتين كما ذكرنا في الفقرة السابقة[1].

٤- التشابه في أصوات أسماء الحروف: المقصود بهذا أنّ لفظ أسماء بعض الحروف المتتالية متقارب، فالحرفان «ح» و «ط» المتجاوران يُسمّيان ḥēṯ و ṭēṯ على التوالي، وقد يكون هذا التشابه في الاسمين السببَ في تجاورهما. ولعلّ تجاور الحرفين «ص» و «ق» ناتج عن مثل هذا التشابه في اسميهما إذ يُعرفان بـ ṣāw و qāw بالاضافة إلى تسميتهما الأخرى: ṣāḏē و qōp̄.

٥- التشابه في الاستعمال: ولا يقع تحت هذا التفسير سوى الحرفين «ه» و «و» وكلاهما مستعمل في كتابة الضمير المتّصل للغائب المفرد في الكتابات الساميّة الشماليّة[2].

إنّ أقصى ما يمكن الاطمئنان إليه في تعليل الترتيب الأبجديّ القول إنّ الجوامع الخمسة المذكورة قد تفسّر توالي عدد من الحروف دون أن يشكّل أيّ جامع منها، بمفرده، تفسيراً مقبولاً لجميع الحروف. بل إننا نذهب إلى أبعد من هذا في الحذر، وذلك في عدم الادّعاء بأنّ هذه الجوامع الخمسة، مجتمعةً، تعلّل الترتيب الأبجديّ بتمامه. ومن هنا يمكن الاعتراض على محاولة

---

(١) قارن أيضاً: *Gesenius' Hebrew Grammar*, p. 30.

(٢) انظر ص ٣٢٩. وقارن بماذكرناه عن تبادل الهاء والواو في اللغات الساميّة، ح ٣ ص ٧٤.

Driver[1] تفسير الترتيب الأبجديّ كله بواسطة هذه الجوامع، إذ رغم صواب نظرته القائلة إنّ هناك أكثر من مبدأ واحد يفسّر توالي الحروف في الأبجديّة، توجد مآخذ كثيرة على طريقته في المزج بين جامع وآخر في تعليله ترتيب بعض الحروف. ففي تعاقب الأحرف: «ل م ن ساميخ» يفسّر تعاقب الثلاثة الأولى باشتراكها في صفة الرخاوة أو عدم الشدّة، ثم يفسّر تعاقب الثلاثة الأخيرة منها بتشابه معاني أسمائها؛ وبعد ذلك يفسر وجود الحرف «ع» بعد الحرف «ساميخ» باشتراكها في طبيعة الصوت، ثم يجعل الحرف «ع» مرتبطاً بالحرف «p» بعده للتشابه في معنى اسميها، وهكذا. إنّ هذا التمازج بين الأسباب التي تتحكّم في ترتيب الحروف يؤدّي إلى التعقيد، ولا نحسب أنّ واضع الترتيب - أو من طوّر هذا الوضع - كان يحكّم أكثر من سبب واحد في ترتيب عدد من الأحرف؛ فكأنّنا، لو قبلنا بهذا التمازج الذي يذكره Driver، نحمّل الترتيب الأبجديّ تفسيراتٍ لا يحتملها، ويكون مثلنا مثل الناقد الذي ينسب إلى قطعة أدبيّة معاني وتفسيرات لم تكن لتخطر ببال مؤلفّها. وممّا يشير إلى وقوع Driver في هذا المحظور تفسيره لتوالي الأحرف الأربعة «ع، پ (p)، ص، ق»، فالأوّل صوت احتكاكيّ (fricative) والثاني صوت انفجاريّ (plosive)، وهذا عنده كافٍ لتبرير وجود الحرف الثالث والرابع بعدهما لأنّ الثالث صوت احتكاكيّ كالأوّل، ولأنّ الرابع صوت انفجاريّ كالثاني!

ومما يشير أخيراً إلى تقصير الجوامع الخمسة عن تعليل الترتيب الأبجدي كلّه وأن شيئاً زائداً عليها يؤثّر في هذا الترتيب أنّ بعض الأحرف يقع في مواضع غير التي نقدّرها له باعتبار أحد هذه الجوامع. فجامع التشابه في معاني أسماء الحروف يعلل تجاور الحرفين «ع» و «پ» (p) فالأولى تعني

(١) انظر: Driver, *Semitic Writing*, pp. 182-5; esp. p. 183.

العين والثانية الفم: أَوَليس هذا هو المكان الأكثر ملاءمةً للحرف « ش » ومعناه السن، وللحرف « ر » ومعناه الرأس؟ فكيف نفسّر إذا الفصل بين الحرفين « ع » و « پ » (p) من جهة والحرفين « ر » و « ش » من جهة أخرى بحرفين هما « ص » و « ق » لا يجمعها مع ما قبلها وما بعدهما جامع نعرفه؟ لا بدّ إذاً من القول بأحد ثلاثة: إما بوجود عوامل تتحكّم في التركيب ونحن لا نعرفها، وإمّا باعتباطيّة الترتيب في بعض أجزائه، وإمّا بأنّ الترتيب الأبجديّ الذي نعرفه قد أصابه بعض التغيير عن الأصل بحيث لم يعد ممكناً اكتشاف الأسباب التي أوجدته.

* * *

من الواضح بعد هذا أنّ معرفتنا الثابتة بالترتيب الأبجديّ الشماليّ الغربيّ لا تسعفنا في اكتشاف الأسباب التي أدّت إليه[1]. غير أنّ من الممكن أن نتّخذ علمنا « اليقينيّ » هذا أساساً لفهم الترتيب الأبجديّ في عدد من

---

(١) حاول بعض دارسي العهد القديم أن يفسّر عدداً من كلماته التي امتنع عليه فهمها باعتماد طريقة عُرفت بـ א״תב״ש « ا ت ب ش » (atbaš) وهي تقوم على إعطاء الحرف قيمة صوتيّة غير التي يمثّلها، وذلك حسب التسلسل الأبجديّ معكوساً، بحيث يُعطى الحرف ᵓ، وهو الحرف الأوّل في الترتيب الأبجديّ، القيمة الصوتيّة التي يمثّلها الحرف الأخير في هذا الترتيب، أي t؛ والحرف الثاني في الترتيب، أي b، يصبح š، وهو الحرف الذي يسبق الحرف الأخير؛ والحرف g يصبح r، والحرف d يصبح q، وهكذا. لذلك سُمّيت هذه الطريقة « اتبش » فالألف تساوي تاء، والباء تساوي شيناً الخ. وعلى هذه الطريقة فسّر بعضهم كلمة ששך « ش ش ك » Šešāḵ (سفر أرميا ٢٥ : ٢٦) بكلمة בבל « ب ب ل » Bāḇel لأنّ الحرف š يقابل الحرف b والحرف k يقابل الحرف l. ولكنّ اكتشاف البابليّة وتحليل رموزها في القرن التاسع عشر أظهر أن « شيشك » هذه اسم مدينة معروفة، كما أظهر أنّ الكلمات الأخرى التي اعتُمدت في تفسيرها طريقة « ا ت ب ش » إنّما هي كلمات بابليّة معروفة لا مجال لتأويلها بهذه الطريقة، فحروفها ترمز لقيمتها الصوتيّة المعروفة في البابلية. لأمثلة أخرى، وللمصادر انظر: Driver, p. 273 .

الكتابات الساميّة الأخرى، وحتّى في كتابتين شماليّتين غربيّتين أولاهما الآراميّة - إذ إنّ منها نقشاً طريفاً فيه شيء من الترتيب الأبجديّ - وثانيهما الأوجاريتيّة، وعدد حروفها أكثر من اثنين وعشرين مُرتَّبةً ترتيباً أبجديًّا تتخلّله الحروف غير الموجودة في الفينيقيّة والعبريّة.

أولاً: الترتيب الأبجديّ الآراميّ:

لا يختلف الترتيب الأبجديّ الآراميّ عن الترتيب المعهود في الفينيقيّة والعبريّة. والغرض من إفراده بالدراسة ذكر النقش الآراميّ الذي عثر عليه G. Goyon عام ١٩٤٦ في وادي حمّامات في مصر والذي يرجع إلى القرن الخامس ق. م. (أنظر الرسم ٥٢)، ففي هذا النقش خصائص تتبيّن بمقارنته بالترتيب الأبجديّ العبريّ:

الرسم ٥٢

الترتيب الأبجديّ في نقش آراميّ

الترتيب العبريّ: ʾ b g d h w z ḥ ṭ y k l m n sʿ p ṣ q r š t

ترتيب النقش: ʾ b | d h w | ḥ ṭ y k l m n sʿ p ṣ ḥ r ʿ t |

يتبيّن بالمقارنة أنّ الفرق في الترتيب وجود الحرف ḥ، مكرّراً، مكان الحرف q، ووجود الحرف ʿ ، مكرّراً أيضاً، مكان الحرف š؛ وكذلك وجود علامة فاصلة مكان الحرفين g و z وفي آخر النقش. أمّا غير ذلك فلا اختلاف فيه البتّة، أي أنّ ترتيب النقش هذا هو الترتيب الفينيقيّ

والعبريّ نفسه في ثمانية عشر حرفاً من أصل اثنين وعشرين[١].

ما السبب إذاً في هذه الفروق؟ لعلّ النظرية التي اقترحها Dupont-Sommer صحيحة من حيث جوهرها، وإن لم تكن مقنعة في بعض تفصيلاتها. وتفترض هذه النظريّة أنّ الاختلاف في الترتيب بين هذا النقش وبين العبريّة ليس وليد المصادفة، بل عائد إلى إرادة مصمِّمة. وما يجعلنا لا نتردَّد في قبول هذا الافتراض أنّ الحرفين اللذين يحلّان في النقش محلّ الحرفين q و š مكرّران بحيث لا يجوز القول إنّ موضعها في النقش يختلف عن موضعها في الترتيب العبريّ. وانطلاقاً من كون ترتيب النقش غير ناتج عن المصادفة، يقرّر Dupont-Sommer أنّ الحروف المكتوبة في النقش هي أحجيّة مكوّنة من عدد من الكلمات؛ ومختصر تحليله للكلمات كالآتي:

ʾb: أب؛ اسم علم.

d: اسم موصول؛ كالعنصر «ذ» في «الذي» العربية.

hw: هو، ضمير منفصل.

ḥṭy: سعيد، موسر،ويقارنها المؤلف بـ «حَظِيَ» العربية.

kl: كلّ.

mnsʿ: رحلة، محطّة في رحلة تجاريّة؛ وهي من جذر נָסַע (nāsaʿ) العبريّ بمعنى رَحَلَ ويقاربه في العربيّة الفعل «نزع».

psḥ: فَرِح؛ والجذر يدلّ في اللغات الساميّة إمّا على الوضوح والصفاء

---

(١) انظر: A. Dupont-Sommer, «Une inscription araméenne inédite de l'Ouâdi Ḥammâmât,» in *Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale*, 41 (1947), pp. 105-10.

(نحو أفصح اللبن إذا ذهبت رغوته) وإمّا على الفرح (كما في العبريّة والسريانيّة).

r'ṭ: أحببتُ؛ وجذرها الآرامي רְעָא (r^{e}ʿā)، ويقابله في العبريّة רָצָה (rāṣā) وفي العربيّة رَضِيَ، فالضاد العربية صاد عبريّة وعين آراميّة في مرحلة من مراحلها[1].

وعلى هذا التفسير يكون معنى العبارة كلّها، وبصورة حرفيّة: «أب، الذي هو سعيد: (يقول) كلَّ رحلةٍ (أي محطّة) سعيدةٍ أُحِبُّ». ويقول Dupont-Sommer إن «أب» هذا واحد من رجال القوافل يتمتّع بحس الدعابة والمرح، وقد أراد أن يلاعب أصدقاءه في إحدى محطّات القافلة فجاءهم بهذه الأحجيّة يطلب منهم حلّها، وقد جعلها عبارة يرد فيها ذكره من خلال أحرفٍ معظمُها مرتّب ترتيباً أبجديّاً.

وليس المهمّ في دراسة هذا النقش أن نحكم بصواب هذه الترجمة أو عدم صوابها[2] طالما أنّنا نقرّر أنّ وجود الحرف ḥ مكان الحرف q، والحرف ʿ مكان الحرف š أمر تعمّده الكاتب؛ ومثل ذلك وجود الفاصلتين مكان الحرفين g و z، بدليل وجود فاصلة مشابهة في آخر النصّ، ولا يخفى أنّ كلاً من الفاصلتين الأولين يجيء في آخر كلمة من الكلمات حسب القراءة التي ذكرنا. لكلّ ذلك نرى أنّ المبدأ الذي اعتمده

---

(١) تُظهر النقوش الآراميّة القديمة أنّ الضاد العربيّة قاف آراميّة؛ أمّا المرحلة الثانية من التطوّر فهي ظهور العين بدلاً من القاف، وهذا ما في نقشنا.

(٢) يرفض هذه النظريّة مثلاً مؤلّفو كتاب: *Discoveries in the Judaean Desert* وهم Benoit و Milik و de Vaux (راجع: II ,91).

وقارن: Driver, *Semitic Writing*, p. 269.

و: Hallo, *JBL* (1958), p. 334.

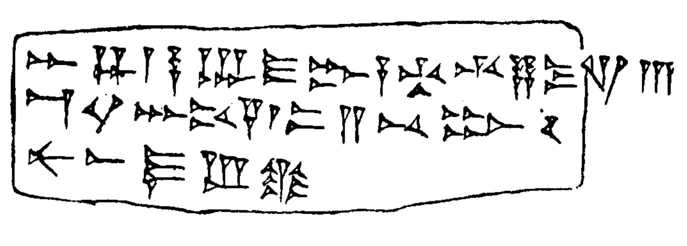
Dupont-Sommer في قراءة هذا النقش سليم من حيث الجوهر وإن يكن معنى العبارة التي اقترحها غير واضح، بإقراره هو[١]، وظروف كتابتها وكاتبها أقلّ إقناعاً مما يرى.

ثانياً: الترتيب الأبجديّ الأوجاريتيّ:

في النقوش الأوجاريتيّة عدد لا بأس به من الأبجديّات. وكما في الأبجديّة الفينيقيّة العبريّة، ليس مرجع الصعوبة إلى التثبّت من الترتيب نفسه، بل إلى تعليل هذا الترتيب. والنقوش التي يظهر فيها الترتيب الأبجديّ هي التالية:

١ - النقش الذي اكتشفه Schaeffer في تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ (انظر الرسم ٥٣)، وفيه ثلاثة أسطر تحوي الأبجديّة الأوجاريتيّة كاملة، وترتيبها كالآتي[٢]:

å b g ẖ d h w z ḥ ṭ y k š l
m ž n ẓ s ʿ p ṣ q r ṯ
ġ t ỉ ủ ś



الرسم ٥٣

(١) «Une Inscription araméenne..,» p. 10.

(٢) سنجعل هذا النقش أساساً لدراستنا في هذا الفصل، وسنذكر مصادره خلال البحث.

٢ - النقش ٣٢ من نصوص Gordon[(١)] (انظر الرسم ٥٤)، ويبدو أنّه في الأصل أبجديّة كاملة، غير أنّ الجزء الأيسر من النقش مكسور، وبقي من هذا الترتيب ما يلي (مع تقدير الأحرف في الجزء المكسور):

[å]	b	g	ḫ	d	h	w
[z]	ḥ	ṭ	y	k	ṡ	
[l]	m	ž	n	ẓ		
[s]	ᶜ	p	ṣ	q	r	
[t̲]	ġ	t	i̓	ů		
					ś	

وقد كان هذا النقش منشوراً قبل اكتشاف النقش السابق، ولم يتنبّه أحد إلى كونه أبجديّة إلاّ بعد أن تبيّن أنّ النقش السابق أبجديّة كاملة[(٢)].

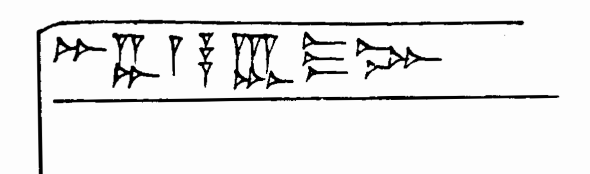


الرسم ٥٤

(١) *Ugaritic Textbook*, p. 207.

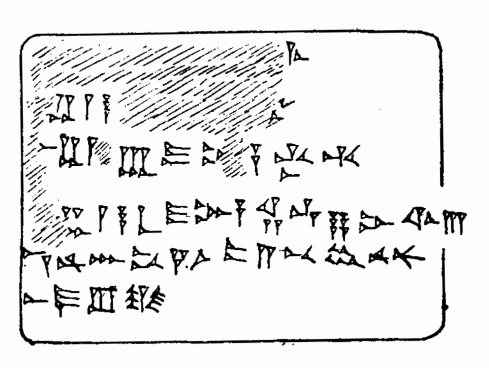
(٢) انظر: W. F. Albright, «The Origin of the Alphabet and the Ugaritic ABC again,» in: *BASOR*. 119 (1950), p. 24.

٣- نقش فيه الأحرف السبعة الأولى من الأبجديّة الأوجاريتيّة[١] (انظر الرسم ٥٥):



الرسم ٥٥

٤- النقش الذي اكتشفه Schaeffer في تشرين الثاني سنة ١٩٥٥[٢] (انظر الرسم ٥٦). والظاهر أنّه عملُ شخص يتمرّن على الأبجديّة لأنّه كرّر



الرسم ٥٦

(١) انظر: Cl. Schaeffer, *Le Palais royale d'Ugarit*, II, 200.

(٢) *Ibid.*, II, 201.

سبع مرات كتابة الأحرف العشرة الأولى منها، واتبع هذا بكتابة الأشكال الأبجديّة الثلاثين جميعاً.

٥- النقش الأبجديّ الذي ينص على النظائر البابليّة للأحرف الأوجاريتيّة. وقد اكتشفه Schaeffer سنة ١٩٥٥ أيضاً[١]. وفي هذا النقش بعض التلف أبقى منه عشرين حرفاً من الثلاثين.

ويبرز سؤالان هامّان حول هذه النقوش: فما علاقة الترتيب الأبجديّ الأوجاريتيّ بالترتيب الأبجديّ الفينيقيّ والعبريّ والآراميّ، وما العوامل التي أرست الترتيب الأوجاريتيّ على الصورة التي نعرفها.

إنّ الترتيب الأبجديّ الأوجاريتيّ يشتمل على الترتيب الفينيقيّ أو العبريّ، بمعنى أنّ حروفه الثلاثينَ تتضمّن ترتيب الحروف الفينيقيّة وعددها اثنان وعشرون. وتسهيلاً لشرح ذلك يمكن أن نذكر الترتيب الأوجاريتيّ في قائمة مفردين فيها الأحرف الثمانية التي احتفظت بها الأوجاريتيّة دون الفينيقيّة أو العبريّة، وسيكون الاثنان والعشرون حرفاً الباقية (من الثلاثين) الحروفَ الفينيقيّة نفسها مرتّبةً بترتيبها المعروف[٢].

---

(١) سبق الحديث عن هذا النصّ في معرض بحثنا طبيعة الكتابة الساميّة الشماليّة، ومنها الأوجاريتيّة، أمقطعيّة هي أم ألفبائيّة؛ راجع ص ٧٧ وص ٨٥.

(٢) الحرف الحادي والعشرون في الأبجديّة الفينيقيّة هو š ويقابله الحرف الخامس والعشرون من الأبجديّة الأوجاريتيّة وهو ṯ، وليس هذا باختلاف بين الأبجديّتين لأنّ الصوت ṯ في اللغة الساميّة الأمّ Proto-Semitic انقلب في الفينيقيّة والعبريّة إلى š، في حين احتفظت الأوجاريتيّة (والعربيّة) به؛ فكلمة «ثور» -وهي ساميّة مشتركة، ونرى أنّ أصلها في الساميّة الأم بالثاء- ترد في الفينيقيّة والعبريّة بالصوت š، بينما تحتفظ الأوجاريتيّة بالصوت ṯ فيها. وكذلك الظرف الساميّ المشترك، والمكوّن من الثاء والميم (في العربيّة: ثَمّ، وثَمَّة) يجيء بالصوت š في العبريّة (שָׁם šām)، بينما تحتفظ الأوجاريتيّة بالأصل، أي بالصوت ṯ في كلمة ṯm. قارن ص ٢٩٤.

å		y		p	
b		k		ṣ	
g			š	q	
	ḫ	l		r	
d		m		ṯ	
h			ž		ġ
w		n		t	
z			ẓ		ỉ
ḥ		s			ủ
ṭ		ʿ			ś

من الواضح أنّ الأمر الذي يحتاج إلى تفسير هو وجود الأحرف الثانية متخلّلةً الترتيب الفينيقيّ. ولهذا الأمر شأن خطير في تحديد أصل الأبجديّة: فهل إنّ الأبجديّة الأوجاريتيّة تمثّل مرحلة الأصل الذي سقط منه في الفينيقيّة أحرف لم تكن أصواتها مستعملة (نحو ḫ و ž و ẓ)، أم أنّ مرحلة الأصل هي الأبجديّة الفينيقيّة أضافت إليها الأوجاريتيّة الأحرف التي تحتاج إلى كتابتها وهي غير موجودة في الفينيقيّة؟ وبكلمة أخرى: أيّهما أقدم: الترتيب الأبجديّ الفينيقيّ أم الترتيب الأبجديّ الأوجاريتيّ؟

يمكننا أوّلاً أن نفسّر الأحرف الثلاثة الأخيرة، أي ỉ و ủ و ś. إنّ ورود هذه الأحرف في أسفل الترتيب الأبجديّ يدلّ، على الأرجح، على أنّها مزيدة على الترتيب الفينيقيّ، لا عكس ذلك، أي أنّها لم تكن موجودة في مرحلة أصليّة ثم أسقطتها الفينيقيّة، ولنا على ذلك أكثر من دليل واحد:

١ - أنّ هذه الأحرف الثلاثة تجيء في أسفل الترتيب الأبجديّ مجتمعة؛ وأكثر من ذلك دلالةً ما ننبّه عليه من أنّها تأتي مباشرةً بعد الحرف t، وهو الحرف الأخير في الأبجديّة الفينيقيّة والعبريّة والآراميّة.

٢ - أنّ الحرفين ỉ و ủ يُستعملان لكتابة الألف وحدها، تماماً كالحرف الأوّل من الأبجديّة مع اختلاف في الصائت[١]. ولعلّ هذه محاولة أوجاريتيّة خالصة للتعبير عن الصوائت، وهي لم تُستخدم إلا مع الألف. ووجود هذين الحرفين في أسفل الأبجديّة الأوجاريتيّة بعد الحرف t دليل واضح على أنّها مضافان إلى أبجديّة تنتهي بالتاء، لأنّه لو كان الأمر عكس ذلك لكان مكانها الطبيعي بعد الحرف الأوّل من الأبجديّة، لأن دلالتها أقرب إلى دلالته من أيّ حرف آخر.

٣ - أنّ الحرف ś لا يُستعمل في العادة في كتابة الكلمات الساميّة، فاستعماله مقصور على الدخيل من الألفاظ[٢]، كما في لفظة śśw[٣] (ومعناها الحصان) وهي من أصل هنديّ - أوروبيّ. وخليق بحرف يُستعمل على هذا الوجه أن يقع في آخر الترتيب الأبجديّ تمييزاً له عن غيره. فموقع هذا الحرف بالاضافة إلى عدم وجوده في الأبجديّة الفينيقيّة والعبريّة يدلّ على أنّه مضاف إلى الأوجاريتيّة وليس محذوفاً من الفينيقيّة.

يشعرنا إذاً تفسير الأحرف الثلاثة الأخيرة في الأبجديّة الأوجاريتيّة بأنّها مضافة إلى الأبجديّة الفينيقيّة، أي أنّها ليست أصليّة في الأوجاريتيّة محذوفة في الفينيقيّة، فنمط التغيير هو الزيادة لا الحذف[٤]. ولكن هذا لا

---

(١) راجع ص ٩٤، وقارن أيضاً ص١٠٢.

(٢) انظر: C. H. Gordon, «The Ugaritic ‹ABC›,» in *Orientalia*, 19 (1950), p. 375.

(٣) ونظيرها العبريّ كلمة סוּס (sūs) بالمعنى نفسه، وقد أُنثت على סוּסָה (sūsā)؛ ودخلت هذه اللفظة إلى العربيّة، فمنها فعل «ساس»، يقال ساس الأمر أي قام به، ومنها السائس والسياسة (وليس في العربيّة «سوس» بمعنى حصان، وهو أصل المعنى الدخيل في الساميّات).

وانظر تحفّظ Speiser حول اعتبار śśw كلمة هنديّة- أوروبيّة في:

«A Note on Alphabetic Origins,» in *BASOR*, 121 (1951), p. 17, n. 4.

(٤) قارن بالترتيب اليونانيّ، ص٢٠٠.

يعني بالضرورة أنّ ترتيب الأبجديّة الفينيقيّة أقدم من ترتيب الأبجديّة الأوجاريتيّة، إذ قبل تقرير هذا الأمر يتوجّب النظر في الأحرف الخمسة الأخرى الموجودة في الأوجاريتيّة دون الفينيقيّة، والمبثوثة في مواضع مختلفة من الترتيب الأبجديّ، بخلاف الأحرف i̓ و ủ و ś المتلاحقة. فلو افترضنا أنّ الأبجديّة الفينيقيّة ذات الحروف الاثنين والعشرين أقدم من الأبجديّة الأوجاريتيّة ذات الحروف السبعة والعشرين (هي ثلاثون حرفاً نُسقط منها الأحرف الثلاثة الأخيرة التي أضافها الأوجاريتيّون بأنفسهم) لَصعب أو استحال تفسير إتمام الأحرف الخمسة في الأبجديّة الأوجاريتيّة في المواضع التي تشغلها[١]: فكيف نفسّر وجود الحرف ẖ بين الحرفين g و d، ووجود الحرف š̓ بين الحرفين k و l، ووجود الحرف ž بين الحرفين m و n، ووجود الحرف ẓ بين الحرفين n و s، وأخيراً وجود الحرف ġ بين الحرفين ṯ و t؟ أمّا إذا اعتبرنا الأبجديّة الأوجاريتيّة أقدم من الأبجديّة الفينيقيّة وانّ الأحرف الخمسة قد سقطت عند الفينيقيين، فلن نجد صعوبة في تعليل إسقاطها إذا ما رجعنا إلى قواعد التغيير الصوتيّ من الساميّة الأمّ إلى الفينيقيّة والعبريّة، وذلك على النحو التالي:

١ - سقوط الحرف ẖ يفسّره انقلاب هذا الصوت في الفينيقيّة والعبريّة إلى ḥ. فكلمة «خمسة» العربية - وهي بالخاء التي احتفظت بها العربيّة والأوجاريتيّة من الساميّة الأمّ - ترد بالصوت ḥ في كلّ من الفينيقيّة ḥmst[٢]، والعبريّة חֲמִשָּׁה ḥămiššā. ولذلك استعملت الفينيقيّة

(١) أوّل من نبّه على هذا الاحتجاج Gordon في *Orientalia* (1950), p. 375. وأقرّه على ذلك Albright في *BASOR* (1950), pp. 23-4، وكذلك Speiser في ص ١٨ من مقالته المذكورة سابقاً.

(٢) لا نذكر هنا لفظ الصيغة الفينيقيّة لأنّ الكتابة الفينيقيّة تخلو من الصوائت فلا نستطيع الجزم بالوجه الصحيح للفظها.

شكل الحرف ḥ لكتابة الكلمات التي كان أصل الصوت ḥ فيها هو الصوت ḫ.

٢- سقوط الحرف š يمكن تفسيره كالتالي: في الأبجديّة الأوجاريتيّة يوجد الحرف š في الموضع الثالث عشر، والحرف ṯ في الموضع الخامس والعشرين. ومن المعروف أنّ الحرف ṯ (ومخرجه، في عبارة سيبويه[١]، مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا) ينقلب في الفينيقيّة والعبريّة إلى الحرف š[٢]. فلمّا تمّ تحوّل الحرف ṯ إلى š صار في الفينيقيّة حرفان لصوت واحد، واحدهما أصليّ والآخر منقلب عن ṯ؛ وبما أنّ الكتابة الألفبائيّة لا تقبل بوجود حرفين يمثّلان صوتاً واحداً، أسقطت الفينيقيّة أحدهما. ومن الطريف أن نلاحظ على أيّة حال أنّ الحرف الذي سقط هو الحرف الأصليّ أي الحرف الثالث عشر، وأنّ الحرف الذي احتُفظ به هو الحرف المنقلب أي الحرف الخامس والعشرون[٣]؛ ولا فرق، فالمهمّ أنّ الفينيقيّة أبقت رمزاً واحداً للصوت الواحد عملاً بمبدأ الألفبائيّة.

٣- الحرف ž: ليس من السهل تحديد الصوت الذي يمثّله هذا الحرف، ولكنّ المهمّ أنّ ما يقابله في الفينيقيّة هو الحرف z[٤]، ولذلك لم يكن بالفينيقيّة حاجة للاحتفاظ بهذا الحرف وإلاّ لكان فيها رمزان لصوت واحد: الرمز الأوّل رمز z الأصلي، والثاني رمز z المنقلبة عن ž. وعلى أيّة حال، أثبت Gordon أنّ هذا الحرف جرف ساميّ أصيل، وإن كان أكثر ما يُستعمل في الأوجاريتيّة لكتابة الكلمات الدخيلة من الحوريّة Hurrian[٥].

---

(١) الكتاب ٢/٤٠٥.

(٢) راجع ح ٢ ص ٢٩٠.

(٣) قارن: R. Stieglitz, «The Ugaritic Cuneiform and Canaanite Linear Alphabets,» in *JNES*, 30 (1971), p. 136.

(٤) انظر: Gordon, *Orientalia* (1950), pp. 375-6.

(٥) *Ibid.*, p. 375.

٤ - سقوط الحرف ẓ يفسّره انقلاب هذا الحرف في الفينيقيّة والعبريّة إلى ṣ؛ فكلمة «عظم» العربيّة والأوجاريتيّة - وهي بالظاء التي احتفظت بها اللغتان من الساميّة الأمّ - ترد بالصوت ṣ في كل من الفينيقيّة ʿṣmm (عظام) والعبريّة עֶצֶם ʿeṣem. ولذلك استعملت الفينيقية شكل الحرف ṣ لكتابة الكلمات التي كان أصل الحرف ṣ فيها هو الحرف ẓ.

٥ - وأخيراً سقوط الحرف ġ في الأبجديّة الفينيقيّة يرجع إلى تحول هذا الصوت فيها إلى ʿ، فلم تعد بالفينيقيّة حاجة للاحتفاظ بهذا الحرف لأنّ رمز الحرف ʿ يمكن استعماله في الكلمات التي يكون أصل الصوت ʿ فيها منقلباً عن ġ. مثال ذلك أنّ كلمة «غُلام» في العربيّة و ġlm في الأوجاريتيّة - وهي بالغين التي احتفظت بها اللغتان من الساميّة الأمّ - ترد في الفينيقيّة والعبريّة بالصوت ʿ، ففي الفينيقيّة ʿlmt بمعنى فتاة (مؤنّث «غلام»)، وفي العبريّة עֶלֶם ʿelem.

وهناك حجّة أخرى تؤيّد كون الأحرف الخمسة أصليّة في الأوجاريتيّة محذوفة في الفينيقيّة، أي أنّها ليست مزيدة في الأوجاريتيّة على الترتيب الفينيقيّ. وهذه الحجّة عدد الحروف المستعملة في النقوش السينائيّة، فأرجح الأقوال أنّ هذه سبعة وعشرون حرفا[١]. وكذلك يرجّح أنّ الأبجديّة الشماليّة الغربيّة كانت تحوي أكثر من اثنين وعشرين حرفاً بدليل عدد من الكلمات الساميّة الشماليّة الغربيّة المكتوبة بالمصريّة[٢]. وفي هذا ما يشير إلى أنّ الأبجديّة الأوجاريتيّة أقدم من الأبجديّة الفينيقيّة لاحتفاظ الأولى بأصوات ساميّة شماليّة غربيّة مشتركة. ولكن علينا التزام جانب الحذر في هذه الحجّة وعدم ادّعاء كونها ثابتة ونهائيّة، فالنقوش السينائيّة التي بين

---

(١) راجع ص ٢٠.

(٢) انظر: Albright, *BASOR*, 118 (1950), pp. 12-3.

أيدينا غير كافية للتثبّت من عدد حروف هذه الكتابة سواء أكان ذلك لوجود أحرف لم ترد في ما نعرفه من نقوش، أم لاشتراك أكثر من رمز واحد في تمثيل الصوت الواحد في عدد من الحالات. ثم إنّ قراءة هذه النقوش - وإن تكن خطت خطوات واسعة على يد عدد من العلماء - ما تزال موضع اختلاف بينهم لاحتمال بعض النقوش أكثر من قراءة واحدة، كما أنّ القراءات المقترحة في بعض النقوش غير ممكنة إذ لا معنى لها. وهذا كلّه يضعف الاعتماد على النقوش السينائيّة لتفسير عدد الحروف في الأبجديّة الساميّة الشماليّة الأصليّة.

أمّا من حيث أشكال الحروف، فإنّنا نجد أحياناً شبهاً بين حرفين متلاحقين أو أكثر[1]. وإذا نظرنا إلى قائمة الحروف (انظر الرسم ٥٧) لتبيّن لنا الشبه بين الحرفين الأوّل والثاني، ففي كليهما علامتان (أي طبعتا اسفين) أفقيّتان؛ وبين الحرفين الثالث والرابع وكلاهما ذو اتّجاه عموديّ فحسب؛ وبين الأحرف الثلاثة من الموضع الرابع إلى السادس فكلٌّ منها مكوّن من ثلاث علامات (وفي الخامس مجموعتان منها)؛ وبين الحرفين الثامن والتاسع ويشتركان في تقاطع عناصرهما كالصليب؛ وبين الأحرف الثلاثة من الموضع الثاني عشر إلى الرابع عشر وكل منها مكوّن من ثلاث علامات؛ وبين الأحرف الثلاثة من الموضع الحادي والعشرين إلى الثالث والعشرين وهي، على اختلاف أوضاعها، تشترك في تكوّنها من علامتين اثنتين... الخ.

ولعلّ التشابه الشكليّ بين بعض الحروف المتتالية لا يعود إلى المصادفة بل إلى محاولة واعية من واضع الترتيب الأبجديّ للأشكال الألفبائيّة

---

(١) انظر دراسة في هذا الموضوع في:

A. M. Honeyman, «The Letter-Order of the Semitic Alphabets in Africa and the Near East,» in *Africa*, 22 (1952), pp. 142-4.

العمود الأوّل	العمود الثاني
ả	ž
b	n
g	ẓ
ẖ	s
d	ʿ
h	p
w	ṣ
z	q
ḥ	r
ṭ	ṯ
y	ġ
k	t
š	ỉ
l	ủ
m	ś

الرسم ٥٧

الأشكال الأوجاريتيّة مرتّبة ترتيبها الأبجديّ

المسماريّة. ومن ناحية أخرى لا نرى جواز استعمال هذا التشابه بين الأشكال المتتالية حجّةً في إثبات أقدميّة الترتيب الأوحاريتيّ بالنسبة

للترتيب الفنيقيّ، أو في نفي هذه الأقدميّة. ففيما يتعلق بالأحرف الخمسة التي توجد في الأوجاريتيّة دون الفينيقيّة نجد أنه يمكن لمح الشبه بين كلّ من هذه الأحرف وبين الحرف الذي يسبقها أو يليها، وقد سبقت الإشارة إلى الحرفين ẖ في الموضع الرابع، وš في الموضع الثالث عشر؛ أمّا الحرف ž في الموضع السادس عشر فله وجه من الشبه بالحرف m قبله، وكذلك الحرف ẓ في الموضع الثامن عشر يشبه الحرف الذي قبله والحرف الذي بعده في عدد علاماته، وأخيراً يمكن - ربّما بشيء من التأويل - لمح الشبه بين الحرف ġ في الموضع السادس والعشرين وبين الحرف ṯ في الموضع الذي يسبقه مباشرة. ولكنّنا، حتى ولو افترضنا أنّ الشبه الذي ذكرناه بين هذه الأحرف الخمسة شبه أساسيّ لا يرجع إلى صفة ثانويّة في شكل الحرف (كعدد علاماته أو اتجاهها)، فإنّنا لا نستطيع أن نُثبت أمزيدة هي في الأوجاريتيّة أم أصليّة: فلو قلنا إنّها أصليّة لجاز الاعتراض على ذلك بالقول إنّها قد تكون مزيدة وإنّ الذي أوحى بزيادتها حيث زيدت هو الشبه بينها وبين الحرف الذي يسبقها أو يليها في ذلك الموضع؛ وهكذا تتعطل هذه الحجة تماماً.

وأخيراً، ورغم صعوبة التقرير، نرى أنّ الترتيب الأبجديّ الأوجاريتيّ أقدم من الترتيب الأبجديّ الفينيقيّ لما ذكرناه عن الأحرف الخمسة، لا من حيث الشكل، بل من حيث القواعد الصوتيّة التي تجعل القول بسقوطها في الفينيقيّة مقبولاً، بعكس القول بزيادتها في الأوجاريتيّة. ولا بدّ من القول بأنّ هذا الترجيح لا علاقة له بموضوع أصل الألفباء نفسها، فمن الممكن أن تكون الألفباء الفينيقيّة أقدم من الألفباء الأوجاريتيّة وضعاً، وأحدث منها ترتيب حروف إذا اعتبرنا أنّ ترتيب الحروف الأبجديّة متأخّر عن وضعها لا متعاصر معه[1].

---

(١) انظر ص ٢٧٧.

ثالثاً: الترتيب «الأبجديّ» البابليّ - الأشوريّ:

إنّ وصف هذا الترتيب بالأبجديّ لمن باب المجاز لأنّنا لا نعلم أنّ الأشكال الأكديّة- وهي مقاطع- رُتّبت يوماً ما ترتيباً أبجديّاً، أي ترتيباً أوّل حروفه الألف وثانيها الباء وهكذا. وليس مستبعداً أنّ هذه الأشكال الأكديّة ظلّت بغير ترتيب نظراً لكثرتها، فقد بلغ عددها في الأشوريّة مثلاً ٥٧٠ بين مقطع وعلامة تصويريّة وعلامة مخصِّصة[١]. ورغم هذا يبدو أنّ الكتبة كانوا يلتزمون أحياناً بترتيب معيّن لعدد من الحروف، كما يقول F. E. Peiser[٢]، وكان قد توصّل إلى اكتشاف الترتيب المُتّبع في مائتي شكل من أصل أربعمائة من الأشكال التي درسها. أمّا الجامع بين الحروف في تعاقبها فيترجّح، كما يقول Peiser، بين التشابه في أشكالها وبين التشابه في الأصوات التي تمثّلها.

وعن العلاقة المزعومة بين الترتيب الفينيقيّ والترتيب الأشوريّ المسماريّ، نذكر محاولة Zimmern[٣] إظهار الشبه بين الترتيبين في عدد من الحروف. والذي أوحى إليه بهذا المجموعةُ التالية من المقاطع الأشوريّة (الرقم المذكور إلى يمين الحرف رقمه في الترتيب الذي اكتشفه Peiser):

١ - mū (ماء)

١٧ - nūnu (سمك)

---

(١) راجع ح ٣ و ٤ ص ٣٠٠.

(٢) انظر: «Die assyrische Zeichenordnung auf Grund von S^a und VR 45,» in *ZA*, 1 (1886), pp. 95-125.

(٣) «Zur Frage nach dem Ursprung des Alphabets,» in *ZDMG*, 50 (1896), pp. 667-70.

وقارن: Evans, *Scripta Minoa*, I, 83, n. 5.

و: Driver, *Semitic Writing*, pp. 180-1.

٤٢ - ēnu (عين)

٥١ - pū (فم)

٥٢ - rēšu (رأس)

١٠٥ - alpu (ثور)

١٤٠ -[١] idu (يد)

kappu (كفّ)

١٤٧ - bītu (بيت)

١٩٥ - daltu (باب)

وبعد إدخال تغييرات غير قليلة وغير مبرَّرة إلى هذه المقاطع يدّعي Zimmern أنّ هذه المجموعة توازي، ترتيباً، ما يقابلها في الفينيقيّة. أمّا التغييرات التي يحدثها فهي نقل المقاطع الخمسة الأولى (أي ١ و١٧ و٤٢ و٥١ و٥٢) إلى ما بعد المقطع الأخير (أي ١٥٥)، وكذلك حذف idu أو kappu من التسلسل الصحيح للترتيب. وبهذا يتمّ التقابل بين الترتيب الفينيقيّ والترتيب الأشوريّ ابتداءً بالأشكال التي تقع متقدّمة في الترتيب وانتهاءً بالأشكال المتأخّرة فيه؛ وذلك على النحو التالي:

الأشوريّة	الفينيقيّة
رقم الشكل	رقم الشكل
١٠٥ - alpu (ثور)	١ - ālep (ثور)

(١) يضع Zimmern علامة استفهام بجانب هذا الرقم وكأنّه غير واثق منه؛ وفي بعض الدراسات نجد الرقم ١٣٩ بدلاً منه.

١٤٧ - bītu (بيت)	٢ - bēṯ (بيت)
١٥٥ - daltu (باب)	٤ - dāleṯ (باب)
	١٠ - yōḏ (يد)
١٤٠ - idu/kappu	
	١١ - kap̱ (كف)
١ - mū (ماء)	١٣ - mēm (ماء)
١٧ - nūnu (سمك)	١٤ - nūn (سمك)
٤٢ - ēnu (عين)	١٦ - ʿayin (عين)
٥١ - pū (فم)	١٧ - pēʾ (فم)
٥٢ - rēšu (رأس)	٢٠ - rēš (رأس)

غنيّ عن البيان أنّه لو كان هذان الترتيبان الجزئيّان متقابلين تقابلا طبيعيّاً لا يقوم على التغيير والتأويل لصحّ أن يكونا دليلاً على وجود علاقة - ولو جزئيّة - بين الترتيبين كاملين. غير أنّ التقابل الذي يصطنعه Zimmern نتيجةُ تعسّف واضح، ولا يمكن لذلك قبوله. أمّا تقابل المقاطع الأشوريّة ١ و ١٧ و ٤٢ و ٥١ و ٥٢ مع الأحرف الفينيقية ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧ و ٢٠ فمردّه إلى المصادفة لا إلى مبدأ ينتظمه بدليل التفاوت في الأرقام: مثلاً، في حين يقابل الرقمان المتتاليان ١٣ و ١٤ في الفينيقيّة الرقمين ١ و ١٧ في الأشوريّة، يقابل الرقمان المتتاليان ٥١ و ٥٢ في الأشوريّة الرقمين ١٧ و ٢٠ في الفينيقيّة، فلِمَ لا يجيء الرقمان ١٨ (ṣ) و ١٩ (q) في الترتيب الفينيقيّ في مكانها الطبيعيّ في الأشوريّة (بين ٥١ و ٥٢)؟

رابعاً: الترتيب الأبجديّ العربيّ الشماليّ:

استقرّ ترتيب الحروف الكتابيّة في العربيّة الشماليّة (أي العربيّة

الباقية) على غير ما في الفينيقيّة والآراميّة. غير أنّ هناك عدداً من القرائن التي تُثبت أنّ العربيّة الشماليّة كانت قد استخدمت الترتيب الساميّ الشماليّ الأصليّ - وقد عرفه العرب من خلال النبطيّة - في مرحلة متقدّمة من تاريخ كتابتها. وأهمّ هذه القرائن أربعة هي:

١ - أنّ القيمة العدديّة للأحرف العربيّة في حساب الجمّل مرتبطة بالترتيب الساميّ الشماليّ، فالأحرف التسعة الأولى للآحاد (من «أ» إلى «ط»)، والأحرف التسعة التي تليها للعشرات (من «ي» إلى «ص»)، والأحرف الأربعة الباقية من الأبجدية الساميّة الشماليّة - وعدد حروفها اثنان وعشرون - للمئات الأربع الأولى (من «ق» إلى «ت»)؛ أمّا الروادف الستّة التي أضافتها العربيّة الشماليّة فللمئات الخمس الأخرى وللألف (من «ث» إلى «غ»). فحساب الجُمَّل كالآتي:

ا = ١	ب = ٢	ج = ٣	د = ٤
هـ = ٥	و = ٦	ز = ٧	ح = ٨
ط = ٩	ي = ١٠	ك = ٢٠	ل = ٣٠
م = ٤٠	ن = ٥٠	س = ٦٠	ع = ٧٠
ف = ٨٠	ص = ٩٠	ق = ١٠٠	ر = ٢٠٠
ش = ٣٠٠	ت = ٤٠٠	ث = ٥٠٠	خ = ٦٠٠
ذ = ٧٠٠	ض = ٨٠٠	ظ = ٩٠٠	غ = ١٠٠٠

٢ - أنّ تسمية العرب للأحرف الستّة التي أضافوها على الأحرف الساميّة الشماليّة بالروادف تشير إلى أنّها مزيدة على الأصل. أمّا ترتيبها الحاليّ القائم على تفرّقها في الأبجديّة فليس دليلاً على أنّ الترتيب العربيّ الشماليّ غير مأخوذ عن الترتيب الساميّ الشماليّ - أي أنّه لو كان مأخوذاً عنه لجاءت الروادف متلاحقة في الترتيب - وذلك لأنّ هناك ما يبرّر تفرّقها في

الترتيب الحاليّ كما سنرى. ثم إنّ حساب الجمَّل يُظهر هذه الروادف مجتمعة لا متفرّقة.

٣- أنّ المصادر العربيّة احتفظت بالترتيب الساميّ الشماليّ، وإن عن طريق تركيب كلمات تجمع الأحرف المتتابعة. ويذكر القلقشندي[١] أنّ هذا الترتيب كان يُعلَّم في زمن عمر بن الخطّاب، ويستشهد لذلك بقول الأعرابيّ:

أتيـــت مهاجرين فعلّموني ثلاثـــة أسطر متتالياتِ
وخطّوا لي أبا جاد وقالوا تعلّمْ سعفصــاً وقريِّشاتِ

كما تذكر روايات أخرى أنّ واضعي الخطّ هم أبو جاد وهوّز وحطّي وكلمون وسعفص وقرشيّات[٢]. وأغلب الظنّ أنّ الكلمات التي تجمع الأحرف المتتابعة كانت تُستعمل وسيلة تذكيريّة يتّخذها الطالب لحفظ التسلسل الأبجديّ؛ والإشارة إلى هذا واضحة في شاهد القلقشندي.

٤- أنّ بعض الأحرف حافظ في الترتيب العربيّ على ترتيبه الأصليّ، من حيث الحرف الذي يسبقه أو يليه. من ذلك الأحرف الأربعة: «ك» و«ل» و«م» و«ن»[٣]، والحرفان «أ» و«ب»، والحرفان «ه»

---

(١) صبح الأعشى ٣/٢٣.

(٢) الفهرست (تجدّد) ص ٧، والمزهر ٢/٣٤٨. وقيل إنّ هذه الأسماء أسماء ملوك، وشبيه بهذا أنّ المصادر العبريّة القديمة كثيراً ما كانت تطلق على الصوائت العبريّة السبعة اسم שִׁבְעָה מְלָכִים šibʿā mᵉlākīm (الملوك السبعة).

(٣) نلاحظ أنّ الأحرف «ك، ل، م، ن» تحافظ على الترتيب الساميّ الأصليّ، فتكون بذلك من بين سائر الحروف المجموعة الوحيدة التي يتّفق فيها الترتيبان والتي يزيد عدد أحرفها على اثنين (قارن بالحرفين: «أ، ب» في أوّل المجموعة). ونلاحظ أيضاً أنّ الأبجدّيات الأخرى تحتفظ بهذه المجموعة عادة على هذا الترتيب، كما في الآراميّة واليونانيّة واللاتينيّة. ولا نعلم سبباً مقنعاً لهذا الاتفاق، غير أنّ هناك أمرين متّصلين بهذا الموضوع يجب التنبيه عليهما:

أوّلاً: أنّ المصادر العربيّة جعلت «كلمن» رئيساً لسائر الملوك التي وضعوا أسماءها كأبي جاد، وهوز، الخ..

=

و « و »، والحرفان « ج » و « د » إذا ما حذفنا الحرفين « ح » و « خ » بينهما لأنّ هذين ملحقان بالحرف « ج » للشبه الشكليّ الواضح بينهما.

أمّا العوامل التي من أجلها تغيّرت مواقع معظم الحروف في العربيّة قياساً على أصلها فتنكشف بمقارنة الترتيبين على النحو التالي:

الترتيب الساميّ الشماليّ:

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك

ل م ن س[1] ع ف ص ق ر ش ت

= ثانياً: أنّ بعض الباحثين يربط ترتيب « ل، م، ن » في الأبجديّات الكثيرة التي يوجد فيها بالكلمة اللاتينيّة elementum التي كانت تُستعمل قبل كلمة abecedarium للدلالة على مجموعة الحروف الكتابيّة؛ انظر مثلاً:

G. Weil (G. S. Colin), Art. «ABDJAD,» in EI^2.

ويذكر M. Coogan، وهو أحد القائلين بهذه النظريّة، أنّ السبب لهذا الاعتبار الخاصّ الذي تتمتّع به المجموعة « ل، م، ن » هو أنّ الحرف « ل » هو الحرف الذي يتصدّر النصف الثاني من الأبجديّة الشماليّة الغربيّة؛ فلو قسمنا الحروف الاثنين والعشرين إلى مجموعتين متساويتين تبيّن أنّ المجموعة الأولى هي من « أ » إلى « ك »، وأنّ الثانية من « ل » إلى « ت ». فكما أنّ الأحرف الأربعة الأولى من المجموعة الأولى (أي الأحرف « ا، ب، ج، د ») استُعملت لكلمة abecedarium، استُعملت الأحرف الثلاثة الأولى من المجموعة الثانية (أي الأحرف « ل، م، ن ») لكلمة elementum. انظر:

«Alphabets and Elements,» in *BASOR*, 216 (1974), pp. 61-3.

وتعليقنا على هذا أنّه حتّى لو صحّ أنّ الحرف « ل » يبتدىء النصف الثاني من الأبجديّة الشماليّة، يبقى السؤال قائماً حول السبب الذي من أجله قُسمت الأبجديّة إلى قسمين فحسب، وكذلك عن السبب الذي جعل اللاتينيين يسمّون تسلسل الحروف بجمع ثلاثة أحرف من منتصف الترتيب. بعد هذا كلّه نتوقّف في الحكم على وجود علاقة بين التسمية elementum وبين احتفاظ العربيّة باللام والميم والنون على هذا الترتيب دون سائر الحروف، وخاصّة أنّ الكاف قبلها، وهذه لا ترد في التسمية اللاتينيّة.

(١) أي ساميخ (s)؛ أمّا السين العبريّة (ś) فرمزها كرمز الشين (š). وفرّق العبريّون في مرحلة لاحقة بين s وš بوضع نقطة الأولى على اليسار שׂ ونقطة الثانية على اليمين שׁ.

الترتيب العربيّ الشماليّ:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص
ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي

يبدأ الاختلاف بعد الحرف الثاني؛ والسبب في تعاقب « ب » و« ت » و« ث » الشبه الشكلي بين أشكالها النهائيّة، فلو كان السبب هو الشبه بين أشكالها في أوّل الكلمة أو وسطها لَتبعها، منطقيّاً، الحرفان « ن » و« ي ». وبعد « ب » في الترتيب الأصليّ « ج »، وكذا في الترتيب العربيّ على اعتبار « ت » و« ث » معترضتين بينهما للسبب الذي بيّنّاه. وبين « ج » و« د » المتجاورتين في الترتيب الأصليّ نجد في الترتيب العربيّ « ح » و« خ » للشبه بين أشكالها جميعاً، سواءٌ أكان ذلك في أوّل الكلمة أم في وسطها أم في آخرها. وهنالك عامل آخر يجمع بين « ح » و « خ »، وهو العامل الصوتيّ، أي تقارب مُخرجيهما. ثم يأتي الحرف « د »، كما نتوقّع، فالعلاقة الموضعيّة بين « ب » و « ج » كالعلاقة الموضعيّة بين « ج » و « د ».

وتشكّل الأحرف الأربعة « د » و« ذ » و« ر » و« ز » مجموعة واحدة. ولو نظرنا إلى الترتيب الأصليّ لوجدنا « د » فـ« ه » فـ« و » فـ« ز ». فالذي حصل أن « ه » و« و » أُخِّراً إلى نهاية الترتيب لسبب سنذكره لاحقاً، وأنّ الشبه الشكليّ بين « د » و« ذ » من جهة، وبين « ر » و« ز » من جهة أخرى، بل الشبه بين هذه الأحرف الأربعة جميعاً، أملى تجاورها. وربما يكون تقارب المخرج في « د » و« ذ » عزّز تجاورهما: كذلك وقد نسأل: لِمَ جاءت « ر » قبل « ز » فتزيدَ الهُوّة بين « د » و« ز »؟ وهذا سؤال لا أعرف أنّ باحثاً طرحه. ولعلّ الجواب في الإهمال والإعجام، فضمن هذه المجموعة المكوّنة من أربعة أحرف نجد الأوّل مهملاً (د) والثاني معجماً (ذ)؛ ثم نجد الثالث مهملاً (ر) والرابع معجماً (ز). ولو نظرنا في الحروف الثمانية اللاحقة وجعلناها أربعة مجموعات كلّ مجموعة منها حرفان، لوجدنا الشيء

نفسه، فمهمل يتلوه معجم (س ش/ص ض/ط ظ/ع غ). وفي هذا دقّة متناهية يصدر واضعها عن حسّ بالتناسب والتوازي.

المجموعة التالية تبدأ بالحرف « س » وتنتهي بالحرف « ض ». ونلاحظ أنّ أحرف هذه المجموعة الأربعة تشترك في أنّها حروف صفيريّة، كالحرف الأخير من المجموعة السابقة « ز »[1]. وللتشابه الشكليّ، كما لا يخفى، أثر في ترتيب هذه المجموعة بجزئيها « س ش » و « ص ض ».

ويتصدّر الحرف « ط » مجموعة أخرى من الأحرف مرتبطةً بالمجموعة السابقة بالشبه الشكليّ بين « ط » و « ظ » من جهة، وبين « ص » و « ض » من جهة أخرى، وبالشبه الصوتيّ بينها، لأنّها جميعاً أحرف مُطبَقة. وفي الترتيب الأصليّ يقع الحرف « ط » بعد الحرفين « ز » و« ح »، أمّا في العربيّة فقد أُلحق الحرف « ح » بالحرف « ج »، ثمّ فُصل بين « ز » و« ط » بأربعة أحرف كما ذكرنا. وتنتهي المجموعة التي يتصدّرها « ط » بالحرف « ق » فيما نرى. وهناك تقديم وتأخير إذ إنّ مجموعة الأحرف « ك ل م ن » متأخّرة في الترتيب الأصليّ عن مجموعة الأحرف « ع ف ص ق » - أو « ع ف ق » لأنّ « ص » قد تمّ تحويلها لتنضمّ إلى أحرف الصفير وأحرف الإطباق - أمّا في الترتيب العربيّ فالعكس حاصل. ولعلّ التفسير يجب أن ينطلق من الشبه بين « ك » و « ق »[2] وقد أرادهما الواضع متجاورين. أمّا

---

(١) أنظر أمثلة تبادل الزاي والسين، والزاي والصاد، في كتاب الإبدال لأبي الطيّب اللغويّ ص ١٠٧ وما بعدها، وص ١٢٢ وما بعدها. وانظر أيضاً كتاب سيبويه ٤٠٤/٢: « الصاد التي تكون كالزاي »، و٤٢٧/٢: « هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً »؛ وقارن بالمفصّل للزمخشري ص ٢٢٠ (ط. الاسكندريّة)، أو ص ١٨٩ (ط. أوروبا).

(٢) قارن: P. Schwarz, «Die Anordnung des arabischen Alphabets,» in *ZDMG*, 69 (1915), p. 60.

ويذكر ابن فارس « الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم »، ويذكر أنّ بني تميم « يُلحقون

الحرف « ف » فجاء في مكانه الطبيعيّ قبل « ق »، وسهّل هذا تشابهها في الشكل. وكذلك جاء الحرف « ع » في مكانة الأصليّ قبل « ف »، وفصل بينهما الحرف « غ » (وهو من الروادف) لأنّه ملحق بالحرف « ع » قبله بجامع الشبه الشكليّ. وأكثر من ذلك، فإنّ هناك ما يبرّر تعاقب الأحرف « ع » و « غ » و « ف » و « ق » مجتمعةً، وذلك كون أشكالها في وسط الكلمة متشابهة: ـعـ ـغـ ـفـ ـقـ.

والأحرف الباقية مجموعتان: المجموعة الأولى « ك ل م ن » لا يتغيّر ترتيب أحرفها[1]، وإن تكن كلّها قد تأخرّت عن مجموعة سابقة من الأحرف كما مرّ. أما المجموعة الأخيرة فهي« ه و ي »، وجامع أحرفها أنّها مستعملة لكتابة الصوائت الطويلة في أكثر من كتابة ساميّة واحدة[2]. والعربيّة تستخدم « و » و« ي » لهذا الغرض، في حين تستخدم النبطيّة، إليها، الحرف « ه » لتمثيل الصائت الطويل ā[3]. ويمكننا أن نسأل عن السبب الذي منع الحرف « ا » من الانضمام إلى هذه المجموعة: لعلّ ذلك لأنّ « ا » في أوّل الترتيب يرمز إلى الهمزة لا إلى الصائت الطويل الذي قد يمثّله

القاف باللهاة حتّى تغلظ جدّاً، فيقولون: القيّوم فتكون بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم. قال الشاعر:

ولا أكول لكِـدر الكوم: كـد نضجـت ولا أكول لبـــاب الـدار مكفول »

(الصاحبي ص ٢٥؛ ص ٥٤ ط. بدران). وانظر مقدّمة الجمهرة ١/٥، وأمثلة تبادل القاف والكاف في كتاب الإبدال لأبي الطيّب ص ٣٥٣ - ٣٦٤. وقارن في العبريّة الكلمتين קוֹבַע qōḇaʿ و כּוֹבַע kōḇaʿ بمعنى واحد (قبّعة في العربيّة).

(١) راجع ح ٣ ص ٣٠٣.

(٢) انظر الفصل العاشر، وكذلك ص ٢٨١.

(٣) انظر: Cantineau, *Le Nabatéen*, I, 47.

هذا الرمز[١]؛ ولكنّ من الممكن أن نقترح سبباً إضافيّا لتفسير هذه الظاهرة وهو أنّ الحرف « ا » من بين سائر الحروف المستعملة في العربيّة لكتابة الصوائت الطويلة، هو الحرف الوحيد الذي أضافته العربيّة على الاستعمال النبطيّ، لأنّ هذا الحرف لم يكن مستعملاً في النبطيّة لتمثيل الصائت الطويل ā إلاّ في آخر الكلمة[٢]، أمّا في العربيّة فاستعماله لهذا الغرض غير مقيّد بموضع الصائت من الكلمة. فقد تكون هذه الصفة للحرف مرتبطة بتقديمه. أمّا الحرفان « ه » و « و » فمتجاوران في الأصل، غير أنّ بعض المؤلّفين (كياقوت الحموي والميداني) يجعل الواو قبل الهاء، وليس هذا على الأصل. ويُرجع Schwarz الترتيب « وهي »إلى الأثر الفارسيّ[٣].

وإذا اعتبرنا الروادف على حدة،وجدنا أنّ ترتيبها يخضع لاعتبارات لغويّة، إضافة إلى شبهها الشكليّ بالحروف التي تسبقها مع فارق الإعجام؛ فكلّ منها يقع بعد الحرف الذي يقابله، اشتقاقاً، في النبطيّة[٤]، كما سنبيّن:

أ- الحرف « ث » يقع بعد الحرف « ت »، وهو مقابله في اللهجات الآراميّة ومنها النبطيّة والسريانيّة؛ فكلمة « ثلج » في العربيّة هي ܬܠܓܐ talgā في السريانيّة (أما في العبريّة فالمقابل š كما في שֶׁלֶג šeleġ).

ب- الحرف « خ » يقع بعد الحرف « ح »، وهو مقابله في النبطيّة والسريانيّة؛ فالفعل « خفِر » بمعنى « خجل » في العربيّة يقابل ܚܦܪ

(١) وهذا ما يشعرنا به ترتيب الجوهري ومن تابعه من أصحاب القواميس، فباب الهمزة عندهم في أوّل الترتيب، بينما ترد الأفعال المنتهية بألف في الباب الأخير، باب الواو والياء، بحسب « أصولها » عندهم.

(٢) راجع ص ١٧٩.

(٣) انظر: Schwarz, *ibid.*, pp. 60-1.

(٤) قارن ص ١٧٥ ؛ وسنختار أمثلتنا هنا من السريانيّة تنويعاً.

ḥᵉfār في السريانيّة (ومثله في العبريّة חָפֵר ḥāpēr).

ج- الحرف «ذ» يقع بعد الحرف «د»، وهو مقابله في النبطيّة والسريانيّة؛ فكلمة «ذَكَر» في العربيّة، ܕܶܟܪܳܐ deḵrā في السريانيّة (أمّا في العبريّة فالمقابل z، كما في זָכָר zāḵār).

د- الحرف «ض» يقع بعد الحرف «ص»، وهو مقابلة في النبطيّة، وإن كان ذلك في النبطيّة محصوراً بالكلمات التي تختصّ بها العربيّة[1]، أما الكلمات الأخرى فيقابل الحرفَ «ص» فيها في النبطيّة الحرفُ ᶜ كما في آراميّة العهد القديم[2] (وفي العبريّة ṣ بدلاً من «ض»، كما في צֵלָע ṣēlāᶜ أي: ضِلع).

هـ- الحرف «ظ» يقع بعد الحرف «ط»، وهو مقابله في النبطيّة والسريانيّة؛ فكلمة «ظِلّ» في العربيّة، ܛܠܳܠܳܐ ṭelālā في السريانيّة (أمّا في العبريّة فالمقابل ṣ، كما في צֵל ṣēl).

و- الحرف «غ» يقع بعد الحرف «ع»، وهو مقابله في النبطيّة والسريانيّة؛ فكلمة «غُرلة» العربيّة، ܥܽܘܪܠܽܘܬܳܐ ᶜūrlūṯā في السريانيّة (ومثله في العبريّة עָרְלָה ᶜōrlā).

وهكذا يتبيّن لنا أنّ هناك أكثر من عامل واحد يحدّد مواقع الحروف في الترتيب العربيّ، فليس التشابه الشكليّ بين الحروف المتقاربة إلاّ واحداً من هذه العوامل، على عكس ما هو متداول[3]، إذ هناك عامل التشابه الصوتيّ أيضاً، وعامل الاستعمال في كتابة الصوائت، والعامل اللغويّ في

---

(١) انظر: *Le Nabatéen*, I, 42.

(٢) قارن ح ١ ص ٢٨٦.

(٣) انظر مثلاً: الخط العربيّ: نشأته - مشكلته، لأنيس فريحة، ص ٤٧؛ والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ١٨٢/٨.

الروادف، هذا مع اجتماع أكثر من عامل واحد في ترتيب بعض الحروف، كاجتماع عامل التشابه الشكليّ وعامل التشابه الصوتيّ في تعاقب «ح» و«خ» وفي تعاقب «س» و«ش». ونشير إلى عامل آخر محتمل وهو التفرقة بين الحروف الشمسيّة والحروف القمريّة إذ يلاحظ Honeyman توالي عشرة من الحروف الشمسيّة هي «د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ»، في حين أنّ الأحرف الثلاثة التي تسبقها «ج، ح، خ» والأحرف الأربعة التي تليها «ع غ ف ق» هي من الحروف القمريّة[1]. غير أنّ Honeyman يلجأ إلى التكلّف في تفسير الترتيب العربيّ ليجعل التقابل تامّاً بين مجموعات من الحروف متباعدة بالتساوي عن الوسط، كالحروف الأولى والأخيرة، ثم التي تلي الأولى وتسبق الآخرة، وهكذا.

أمّا معاني أسماء الحروف فلا نجد لها في العربيّة أثراً في الترتيب، ويعود هذا إلى أن أسماء معظم الحروف قد تغيّر في العربيّة، نحو «باء» و«جيم» و«واو»؛ أو أنّه لا يعني في العربيّة شيئاً كما كان يعني في الأصل الشماليّ، نحو «ألف» و«صاد» و«قاف»[2].

والترتيب العربيّ الذي ذكرناه إنّما هو الترتيب المشرقيّ. أما الترتيب المغربيّ فأقرب إلى الأصل الساميّ الشماليّ، وهو كالآتي:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك

ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

فالمجموعة «ك ل م ن» غير مؤخّرة عن موضعها الأوّل كما في الترتيب المشرقيّ السائد؛ ثم إن «ط» و«ك» متقاربتان – ويفصل بينهما «ظ» – وهما متجاورتان في الأصل الساميّ. وكذلك «ش» ترد في أواخر

(١) انظر: Honeyman, *Africa* (1952), pp. 146-7.

(٢) راجع معاني هذه الأسماء في الفصل الثامن.

الترتيب، وهي في الترتيب الساميّ تقع في الموقع الحادي والعشرين وبعدها التاء فحسب.

أمّا الزمن الذي تمّ فيه الانفصال بين الكتابة المشرقيّة والكتابة المغربيّة، وكذلك بين الترتيب الأبجديّ لكل منها، فنرجّح أنه القرن الثاني أو الثالث للهجرة. والدليل على ذلك الاختلافُ بين الكتابتين في إعجام الحرفين «ف» و«ق»[1]. فاحتفاظ الكتابة المغربيّة بالإعجام الأصليّ في هذين الحرفين (ف=f؛ ڧ=q) يدلّ على أن الانفصال تمّ في زمن كانت الكتابة المشرقيّة تلتزم فيه بهذا الإعجام، أي قبل التغيّر الذي طرأ - في ذينك القرنين - على إعجامها في المشرق، وذلك بتغيّر موضع إعجام الحرف f من أسفل إلى أعلى، الأمر الذي اقتضى تثنية إعجام الحرف q تمييزاً له عن صاحبه.

خامساً: الترتيب العربيّ الجنوبيّ والترتيب الحبشيّ[2]:

يحسن بنا بحث هذين معاً للعلاقة التي بينهما. وقد ظهرت هذه العلاقة في عام ١٩٥١ بعد الاكتشاف المعروف بـ «هجر كحلان» نسبةً إلى الموضع الذي تمّ فيه الاكتشاف، وهو في وادي بَيحان في المنطقة التي كانت تُعرف قديماً بـ«تِمنع»، عاصمة مملكة قتبان[3]. وسنعتبر هذا الترتيب - وهو يرجع إلى حوالي ٣٠٠ ق. م. - ممثّلاً للترتيب العربيّ الجنوبيّ[4]. أمّا

---

(١) انظر: B. Moritz, Art. «Arabia» (d. Arabic Writing), in EI^1, p. 390; cp. p. 383.

(٢) في ترتيب الصوائت الحبشيّة انظر ص ١٩٢.

(٣) نشر هذا الاكتشاف Honeyman في مقالته التي سبق ذكرها مراراً.

(٤) هنالك ترتيب آخر في نقش من منطقة العلا، ذكره Beeston في:

«South Arabian Alphabetic Letter Order,» in *Raydān*, 2 (1979), pp. 87-8.

وهو كالتالي: h l ḥ m q w s^2 r ġ t s^1 b ẖ f ʾ ʿ ḍ g d ? ṭ ? ḏ y ṯ ṣ

ولن ندخل في تفاصيل اختلاف ترتيب العلا عن الترتيب القتبانيّ، وإن كان من الممكن أن كلاً =

الترتيب الحبشيّ فمعروف وثابت. ولم ترد حروف الترتيب القتبانيّ في نصّ واحد، إذ إنّ كل حرف منها كان مكتوباً على حجر واحد من مجموعة أحجار، والقصد من ذلك أن يضع البنّاء كلاً من هذه الأحجار في مكانه الصحيح بعد أن يقرأ الحرف المنقوش عليه وبحسب التسلسل « الأبجديّ ». وتظهر أمام كل حرف إشارة أو إشارتان أو ثلاث أو أربع لتعين البنّاء في مهمّة توزيع الأحجار على النحو المطلوب، كما يُظهر الرسم ٥٨.

وبالأحرف اللاتينية يكون الترتيب كالآتي (من اليسار إلى اليمين):

l š h

ḥ r b ś

m ġ k p

s n ʾ

ḫ ʿ

الرسم ٥٨

الترتيب الابجديّ في نقش قتبانيّ

= منها يمثّل طريقة متّبعة في منطقة ما (قارن باختلاف الترتيبين العربيّين المشرقيّ والمغربيّ، كما يقترح Beeston). ومما يؤسف له أنّ كلا الترتيبين غير مكتمل الحروف.

أمّا الترتيب الحبشيّ فهو كالآتي (من اليسار إلى اليمين)، نثبت أشكاله كما ترد مع الصائت الأوّل الذي يرمز إلى الفتحة القصيرة[١]:

ሀ ለ ሐ መ ሠ ረ ሰ ቀ በ ተ ኀ ነ አ

ከ ወ ዐ ዘ የ ደ ገ ጠ ጰ ጸ ፀ ፈ ፐ

وبالحروف اللاتينيّة:

h l ḥ m š r s q b t ḫ n ʾ

k w ʿ z y d g ṭ p̣ ṣ ḍ f p

من الواضح أنّ هناك علاقة بين الترتيبين وإن يكن الترتيب العربيّ الجنوبيّ (أي القتبانيّ) جزئياً. ولو كتبنا الأحرف السبعة الأولى من الترتيب العربيّ الجنوبيّ على سطر واحد واعتبرنا ما يقابلها في الترتيب الحبشيّ بذكر الموضع الذي يشغله كل حرف في الترتيبِ الذي يرد فيه لظهر لنا الرسم التالي.

الحرف	s	ġ	r	š	m	ḥ	l
رقم الموضع في العربيّة الجنوبيّة	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
رقم الموضع في الحبشيّة	٧	–	٦	٥	٤	٣	٢

يُثبت لنا هذا أنّ هناك تقارباً بين الترتيبين في الأحرف الأولى، الأمر الذي يجعل مقارنتها أمراً مقبولاً. ونلاحظ أيضاً أن بينهما اختلافاً،

(١) راجع الرسم ٤٢ ص ١٨٣.

فالحرف الأوّل في الترتيب الحبشيّ، h، يرد في موضع متأخّر نسبيّاً في الترتيب العربيّ الجنوبيّ، ولذلك يبدأ الاتفاق بين الترتيبين بالحرف الثاني l. أما الحرف ġ في العربيّة الجنوبيّة (وتقابله الغين العربيّة) فلا وجود له في الحبشيّة. وهناك مجموعة أخرى من الأحرف المتقاربة في كلا الترتيبين هي ḫ و n و k، الأمر الذي يشعرنا بأنّ التشابه قد يكون موجوداً كذلك في ترتيب الأحرف الباقية. غير أن أيّة محاولة لإثبات هذا التشابه[1] لا يمكن الأخذ بها طالما أنّنا نفتقد جزءاً من الترتيب القتبانيّ (أما ترتيب العلا فمختلف كما في الحاشية ٤ ص ٣١١). ونشير، استكمالاً للبحث، إلى عدد من المحاولات المتعسّفة، جزئيّة كانت أم شموليّة، في تفسير الترتيب الحبشيّ أو إظهار علاقته بالترتيب العربيّ الجنوبيّ:

(١) نظريّة Dillmann[2]: تقوم هذه النظريّة على تقسيم الترتيب الحبشيّ إلى قسمين رئيسين في كلّ منهما اثنا عشر حرفاً، فهذه أربعة وعشرون؛ أمّا الحرفان الباقيان، وهما p̣ و p، فيجب أن يُحذفا لتستقيم هذه القسمة! ويندرج تحت القسم الأوّل الحروف من h إلى n، وفي الثاني الحروف من ʾ إلى f. ويدّعي Dillmann بعد ذلك أنّ القسم الأوّل يوازي القسم الثاني من الأبجديّة الساميّة الشماليّة (أي الأحد عشر حرفاً من l إلى t)، في حين أنّ القسم الثاني من الترتيب الحبشيّ يوازي القسم الأوّل من الترتيب الشماليّ (أي الأحرف من ʾ إلى k). ولا يستطيع صاحب هذه النظريّة، طبعاً، تقرير ما يذهب إليه إلاّ بالافتراضات البعيدة والتفسيرات الوهميّة. ويحقّ لنا أن نتساءل هنا: إذا كان هذا التوازي صحيحاً، فلِمَ نجد في القسم الأوّل من الترتيب الحبشيّ أحرفاً تقع في القسم الأوّل من الترتيب الشماليّ (h و ḥ

(١) انظر مثلاً: Honeyman, pp. 140-2.

(٢) *Ethiopic Grammar*, pp. 18-21.

و b)، ولِمَ نجد في القسم الثاني من الترتيب الحبشيّ أحرفاً تقع في القسم الثاني من الترتيب الشمالي (ʿ و ṣ و f)، هذا إذا سلّمنا بأن الحرفين الحبشيين p̣ و p لا يدخلان في التوازي بين الترتيبين، وإذا قبلنا أصلاً بالتوازي المعكوس بين شطري الترتيبين.

(٢) نظريّة Ryckmans[1]: مفاد هذه النظريّة أنّ هناك علاقة بين الترتيبين الأوجاريتيّ والعربيّ الجنوبيّ. ولإثبات هذا التشابه يجب أن نقسّم الأبجديّة الأوجاريتيّة أقساماً في كلّ منها ثلاثة أحرف، على النحو التالي (من اليسار إلى اليمين)[2]:

ʾ ḫ h ḥ k m ẓ ġ q š
b d w ṭ (š) (ś) s f r t
g ? z y l n ʿ ṣ ś –

وبعد ذلك نقسّم الحروف القتبانيّة التي نعرف ترتيبها إلى سطرين في أوّلها عشرة أحرف وفي الثاني الحروف الباقية على النحو التالي (من اليسار إلى اليمين):

l ḥ m d š r ġ [ ] s h b
k [ ] n h t ś f ʾ ʿ

وهنا يقارن صاحب النظريّة التقسيمين اللذين اصطنعها، ملاحظاً أن كلّ مجموعة مكوّنة من حرفين في الترتيب القتبانيّ تقع ضمن مجموعة واحدة من ثلاثة أحرف في الترتيب الأوجاريتيّ. فالحرفان l و k يُشكّلان مجموعة

---

(١) «L'origine et l'ordre des lettres de l'alphabet éthiopien,» in *BO*. 12 (1955), pp. 2-8.

(٢) ننقل رموز الأصوات كما أوردها صاحب المقالة، وإن يكن هناك بعض الاختلاف بينها وبين الرموز التي نستخدمها نحن في هذا الكتاب؛ قارن بالرموز الأوجاريتيّة ص ٢٩١.

ثنائيّة في القتبانيّة، كما يقعان معاً ضمن مجموعة ثلاثيّة في الأوجاريتيّة: k وš وl. وكذا القول في m وn في القتبانيّة وm وś وn في الأوجاريتيّة، وفي g وf في القتبانيّة وġ وf وṣ في الأوجاريتيّة، وهكذا. وانطلاقاً من هذا يحاول Ryckmans استنباط الترتيب الكامل للحروف القتبانيّة بإكمال المجموعات الثنائيّة وجعلها ثلاثيّة. والترتيب الذي يستنبطه هو الآتي:

l ḥ m d š r ġ s h b
k (ṭ) n ḫ t ś f ʿ w (ʾ)
ṯ y ẓ ḏ – q ṣ ḍ z g

ويحاول بعد ذلك مقارنة هذا الترتيب المستنبَط بالترتيب الحبشيّ بعد إدخال عدد من التعديلات على هذا الترتيب - أي الحبشيّ - وقراءته بالطريقة الحلزونيّة، أو طريقة خطّ الحرّاث[1]، أي بالاتجاه الذي تشير إليه الأسهم فيما يلي:

→ h l ḥ m (d) š r [ġ] s b
w k (ṭ) n ḫ t [ś] (f) ʿ (ʾ) ←
→ z [ṯ] y [ẓ] [ḏ] – (q) ṣ ḍ (g)

تعليقاً على هذه النظريّة، نرى أنّها تفترض أموراً كثيرة في جوانب أساسيّة منها. فحتّى لو تجاوزنا التعديلات التي يُدخلها الكاتب على بعض الأحرف من حيث الطبيعة الصوتيّة والترتيب، يبقى الاعتراض الأكثر أهمّيّة، وهو أنّنا غير مقتنعين أصلاً بتقسيم الترتيب الأوجاريتيّ والترتيب الحبشيّ إلى مجموعات ثلاثيّة، وأبعد من ذلك افتراض الأمر نفسه في الترتيب

(١) راجع ص ١١٣.

القتبانيّ وبناؤه على هذا. ثم تأتي قراءة الترتيب الحبشيّ بالطريقة الحلزونيّة لتبدّد ما يمكن أن يكون قد بقي لدينا من اقتناع بصواب هذه النظريّة ولو جزئيّاً. وبما أن النظريّة الكاملة لا يمكن أن تكون أفضل من مجموع أجزائها من حيث الإقناع، فإنّ هذه النظريّة ضعيفة لأنّها لا تقوم إلاّ على الافتراضات التي يصعب الاطمئنان إليها.

(٣) النظريّة القائمة على تفسير الترتيب الحبشيّ بواسطة ألفاظ ذات معنى يجمع الحروف المتلاحقة. وليست هذه الطريقة بأفضل من مثيلتها في تفسير الترتيب الساميّ الشماليّ (أب، جد)[١]. واللفظة التي يصطنعها Bauer[٢] لتفسير الأحرف الستّة الأولى في الحبشية (h, l, ḥ, m, š, r) هي: ha-leḥem š^{e}ʾēr ومعناها عنده: «الخُبز بَشَرَةٌ». وهذا غير ممكن عقلاً، لأنّه يفترض أنّ العنصر -ha في الكلمة الأولى هو أداة التعريف؛ فهذا صحيح في العبريّة، ولكن ما علاقة العبريّة بهذه الكلمة ؟ والحبشيّة، إلى ذلك، تخلو من أداة التعريف بخلاف معظم اللغات الساميّة الأخرى. ثم إنّ معنى الكلمتين leḥem و š^{e}ʾēr مأخوذ من العبريّة لا من الحبشيّة (انظر في العبريّة לֶחֶם leḥem، ويقابلها في العربيّة «لحم» اشتقاقاً؛ وانظر أيضاً שְׁאֵר š^{e}ʾēr العبريّة)، وهذا مخالف للمنطق، لأنّ القصد من جمع الأحرف بكلمات تسهيل حفظها، والتسهيل يكون طبعاً بألفاظ من اللغة نفسها لا من لغة أخرى. وبعد ذلك لا يمكننا أن نفسّر الحروف الباقية بواسطة كلمات، الأمر الذي يلغي هذه الطريقة من الناحية العمليّة.

إنّ غاية ما نستطيع الاطمئنان إليه في تعليل الترتيب الحبشيّ

---

(١) راجع ص ٢٧٨.

(٢) «Wie ist die Reihenfolge der Buchstaben im Alphabet Zustande gekommen?» in *ZDMG*, 67 (1913), pp. 501 – 2.

والترتيب القتبانيّ ملاحظة الشبه الشكليّ بين عدد من الأحرف المتجاورة. ففي الحبشيّة يظهر بعض الشبه (انظر أشكال الحروف في الرسم ٤٢، أو ص ٣١٣) بين الأحرف: š, m, ḥ, l, h وبين: t, b, q, s وبين: n , ẖ وبين ʿ , w وبين d, y وبين ḍ, ṣ, p̣, ṭ[1].

والترتيب القتبانيّ قائم كذلك على التشابه الشكليّ[2]، وهذا واضح في: l, hوفي: m,š,r وفي: ğ, s وفي: h, b, k وفي: n, ẖ وفي: s, p. ولعلّ تجاور الحرفين الأخيرين المعروف ترتيبها في القتبانيّة، أي ʾ و ʿ ، عائد إلى التشابه الصوتيّ، لانعدام التشابه في الشكل.

أمّا معاني الحروف فقد تغيّرت في الحبشيّة عن أصلها الشماليّ ولذلك لا تدخل بين العوامل التي تحدّد الترتيب. ومثل هذا ما في العربيّة كما مرّ[3].

★ ★ ★

أخيراً نثبت بعض الملاحظات المتعلّقة بطريقة استخدام الأحرف أرقاماً وإعطاء كلّ منها قيمة عدديّة. وقد مرّ بنا أنّ لهذه الطريقة في استخدام الأحرف فائدة للباحث في التثبّت من الترتيب الأصليّ للألفباء الفينيقيّة - أي الساميّة الشماليّة الغربيّة - كما أخذها اليونانيّون[4]؛ وأنّ لها فائدة في إثبات أصل الترتيب الأبجديّ في العربيّة الشماليّة، بالنظر إلى حساب أبي جاد[5]، وفيه أنّ الأحرف التسعة الأولى للآحاد والتسعة التي تليها للعشرات والتسعة التالية للمئات.

---

(١) انظر: Driver, *Semitic Writing*, p. 185.

(٢) انظر: Honeyman, pp. 139 - 40.

(٣) راجع ص ٣١٠.

(٤) راجع ص ٢٧٤.

(٥) راجع ص ٣٠٢.

يبدو أنّ هذه الطريقة من عمل اليونانيّين[١]، وأنّ العبريين أخذوها عنهم في « الفترة الهلينيّة » من تاريخهم[٢]. غير أنّ هناك بعض الدلائل التي تشير إلى أنّ العبريّين عرفوا شيئاً من هذه الطريقة قبل الفترة الهلينيّة، وأنهم كانوا أحياناً يستخدمون طريقة أخرى لاختصار الأعداد وذلك بأن يرمزوا إلى العدد بالحرف الأوّل من اسمه، كأن يرمزوا بالحرف ח ḥ إلى العدد « خمسة » لأنّ أوّل حرف منه في العبريّة « ح » (ويقابل « خ » في العربيّة) لا بالحرف ה h الذي يقع خامساً في الترتيب الأبجديّ[٣].

وقد اخضع العبريّون طريقة كتابة العددين ١٥ و ١٦ لنظرتهم الدينيّة. فالأصل في كتابة العدد الأوّل أن يُكتب بالياء - وقيمتها ١٠ - والهاء - وقيمتها ٥ - على هذا النحو: יה YH؛ ومنعهم من ذلك أنّ الياء والهاء هما الحرفان الأوّلان من اسم YHWH إله اليهود، ولذلك استعاضوا عنهما بالحرفين « ط » و « و »، والقيمة العدديّة للأوّل ٩، وللثاني ٦، فمجموعهما ١٥. وذهبوا إلى أبعد من ذلك في كتابة العدد ١٦، والأصل أن يُكتب بالياء (١٠) والواو (٦)، على هذا النحو: יו YW، ومنعهم من ذلك ورود الياء والواو، مجتزأتين من YHWH، في بعض الأسماء المركّبة، نحو יוֹזָכָר Yōzākār ومعناه « الله ذَكَرَ »، أو יוֹעֶזֶר Yōᶜezer ومعناه « الله عَوْن »؛ ولذلك فضّلوا في كتابة الرقم ١٦ عدم استعمال الياء والواو، وأحلّوا محلّهما الحرفين « ط » و « ز »، والقيمة العدديّة للأوّل ٩، وللثاني ٧، فمجموعهما ١٦.

---

(١) انظر: R. Hallo, «Über die griechischen Zahlbuchstaben und ihre Verbreitung,» in: *ZDMG*, 80 (1926), pp. 55 - 67.

(٢) انظر: R. Hallo, *JBL* (1958), p. 326.

وانظر أيضاً: G.S. Colin, «De l'origine grecque des 'Chiffres de Fès' et de nos 'chiffres arabes', » in *JAs*, 22 (1933), pp. 193 - 215.

(٣) Driver, *Semitic Writing*, p. 270.

وانتشر استعمال حروف الأبجديّة لكتابة الأعداد إلى غير العبريّين من الساميّين كالسريان والعرب. وهكذا يكون اليونانيّون قد أخذوا الترتيب الأبجديّ عن الساميين ثم ردّوا إليهم ترتيبهم بعد أن أعطوا حروفه قيماً عدديّة. ويُذكر أنّ في أقدم ترتيب أبجديّ يونانيّ معروف قيماً عدديّة لعدد من الحروف التي سقطت من الأبجديّة اليونانيّة خلال تطورّها[١].

وانتشرت هذه الطريقة عند غير الساميّين، من الشعوب التي أخذت الكتابة عن اليونانيّين. ونمثّل على ذلك بنوعين من الكتابة: الأولى هي القوطيّة الغربيّة West-Gothic ، وقد اعتمدت الترتيب الأبجديّ اليونانيّ (الساميّ الأصل)، وكذلك القيم العدديّة للأرقام، منذ القرن العاشر للميلاد على الأقلّ[٢]. والمثل الثاني الكتابة القبطيّة، وقد أُخذت عن اليونانيّة معلنةً بذلك انقطاعاً كبيراً عن الكتابة المصريّة القديمة وما اشتُقّ منها، وإن أبقت على سبعة أشكال من الخطّ المصريّ الديموطيّ لتمثيل أصوات غير موجودة في اليونانيّة. وقد أخذ الأقباط عن اليونانيّين طريقة كتابة الأعداد بحروف الأبجديّة، وأحدثوا فيها تغييرات طفيفة لتتناسب مع حروفهم[٣]. ومن الطريف في القبطيّة أنّ أحد حروفها -وهو الحرف sou- يُستعمل للقيمة العدديّة ليس غير، إذ ليس له قيمة صوتيّة في الكتابة.

---

(١) انظر: Hallo, *JBL* (1958), p. 326.
وقارن: Gelb, *A Study of Writing*, p. 177.
وهذه الحروف هي: w و ṣ و q.

(٢) انظر: Jensen, *Sign, Symbol, and Script*, p. 485.

(٣) راجع هذا في: *Ibid.*, pp. 487 – 8.

الفصل العاشر

تاريخ كتابة الصوائت الساميّة

يتميّز معظم الكتابات الساميّة، في طور اكتماله، بالاهتمام بالحروف الصامتة أكثر من الاهتمام بالحروف الصائتة[١]. ويعكس طورُ الاكتمال مرحلةَ البداية، فالكتابة الساميّة الشماليّة- وقد انبثقت عنها الكتابات الساميّة الجنوبيّة- لم تكن في الأصل تمثّل الصوائت، بل كان كل شكل فيها يمثّل صامتاً خِلوا من أيّ صائت؛ وقد اثبتنا في فصل سابق أنّ هذه الأشكال لم تكن تمثل مقاطع كما يعتقد عدد من الباحثين[٢]. وعند البحث عن مبّرر هذا السنن الكتابي الذي اختطّه الساميّون الشماليّون، واضعو الألفباء الساميّة، تجبهنا طبيعة الاشتقاق في اللغات الساميّة، إذ تؤدّي الصوامتُ فيها فكرةً عامة، على اختلاف الصوائت، في حين تحدّد الصوائتُ هذه الفكرةَ تحديداً دقيقاً. فالألفباء الساميّة الأولى قائمة على لمح هذه الطبيعة الاشتقاقيّة لأنّها تكتفي بالتعبير عن الصوامت (أي الفكرة العامّة المطلوبة) تاركةً للقارىء مهمّة اكتشاف الصوامت (أي تحديد هذه الفكرة) بالاستناد إلى السياق[٣]. ولعلّ هناك مبرراً آخر لهذه

(١) نستثني هنا الكتابات الأكديّة على اختلافها، وهي مساريّة مقطعيّةويداخلها علامات تصويريّة ideographs وعلامات مخصّصة determinatives؛ ففي هذه الكتابات أشكال خاصّة بالصوائت، ومرجع هذا إلى أنّ النظام الكتابيّ الأكديّ مأخوذ من كتابة السومريّة، والسومريّة لغة غير ساميّة.

(٢) راجع الفصل الثاني بجمله.

(٣) قارن ص ١٨٨ .

الطريقة، وهو لا ينافي المبرّر الأول بل يعضده: فالألفباء الساميّة الشماليّة، كما بيّنّا، متأثّرة حتماً بالكتابة المصريّة الهيروغليفيّة، ولا مجال لإنكار هذا التأثّر وإن اختلف العلماء في تحديد مداه. وإذا سلّمنا بهذا التأثّر، يمكننا أن نتصوّر، في طبيعة الكتابة المصريّة، أمرين اثنين جعلا واضع الألفباء الساميّة يُهمِل كتابة الصوائت:

(١) أنّ الكتابة المصريّة لا تحتوي أشكالاً تمثّل الصوائت وحدها، فهي في أساسها كتابة مقطعيّة تمثّل الصامت متلوّاً بصائت؛ ثم إنها استطاعت أن تمثّل الصوامت وحدها في مرحلة متأخّرة من مراحلها، وذلك في « الألفباء الزائفة ».

(٢) أنّ الكتابة المصريّة لا تبدأ بصائت؛ فإن كان واضع الألفباء الساميّة قد صدر عن المبدأ الأكروفونيّ في تحديد أشكال الحروف وأسمائها، فإنه كان ممتنعاً عليه تحديد شكل خاصّ بصائت من الصوائت، لأنّ كلاًّ من المصريّة (لغةً وكتابةً) ولغته الساميّة لا تبدأ بصائت[١].

كانت الدواعي قويّة إذاً لتكون الكتابة الساميّة الشماليّة كتابةً ألفبائيّةً صامتة لا تحفل بالصوائت. ومع اتّساع هذه الكتابة وتشعّبها، ومع تقادم العهد على استعمالها، بدأ أصحابها يُدخِلون فيها أشكالاً خاصّة بالصوائت. غير أنّ معظم الكتابات الساميّة لم يستخدم الأشكال الخاصّة بالصوائت استخداماً مطّرداً، أو أنّه لم يضع نظاماً تامّاً لتمثيل هذه الصوائت. وحتّى الحبشيّة - وهي الكتابة الساميّة الوحيدة التي تعبّر عن جميع صوائتها بانتظام - تجعل شكل الصامت الأساسَ في التعبير عن الصائت، إذ يتمّ هذا التعبير بإحداث تغييرات معيّنة في شكل الصامت نفسه، دون استخدام أشكال منفصلة للصوائت. وتختلف كلّ من المنداعيّة

---

(١) قارن: Van den Branden, *BO* (1962), p. 199.

واليونانيّـة المحدَثة عن سائر الكتابات الساميّة في طريقة التعبير عن الصوائت كما سنرى.

ويُظهر البحث التاريخيّ أنّ الكتابات الساميّة بدأت بكتابة الصوائت الطويلة قبل الصوائت القصيرة. وينبغي لذلك تقديم الصوائت الطويلة في أيّة دراسة إذ بها ينكشف قصد الساميّين من التعبير عن الصوائت، والظروفُ التي هيّأت لهم تحقيق هذا القصد. وسنقسم بحثنا لذلك إلى قسمين، نعرض في كل منهما باختصار لطبيعة الكتابة الصوتيّة في كلّ لغة، متشوّفين إلى علاقة تاريخيّة جامعة بين الكتابة الواحدة والأخرى حيث يمكننا ذلك. والقسمان هما:

أولاً: بدايات التعبير الكتابيّ عن الصوائت الطويلة.

ثانيـاً: نشوء نظم متطوّرة للتعبير الكتابيّ عن الصوائت الطويلة والقصيرة وعن خصائص صوتيّة أخرى في الكلام.

أوّلاً: بدايات التعبير الكتابيّ عن الصوائت الطويلة

كانت هذه البدايات في الكتابات الساميّة الشماليّة. ونتناول لغاتها المكتوبة بالألفباء الساميّة الشماليّة[1] لتعقّب الصوائت الطويلة فيها[2].

---

(١) هذا يُخرج الأوجاريتيّة طبعاً، لأنّها مساريّة وألفباؤها تختلف عن «الألفباء الساميّة الشماليّة» أي الفينيقيّة والآراميّة والعبريّة القديمة والمؤابيّة. ولبحث محكَم في تطوّر هذه اللهجات الساميّة الشماليّة وانعكاس ذلك في كتابتها، انظر:

Z.S. Harris, *Development of the Canaanite Dialects: An Investigation in Linguistic History*, repr. (N.Y., 1967).

(٢) لعلّ أحسن ما كُتب في تأريخ ظهور الصوائت الطويلة في اللغات الساميّة:

Cross &Freedman, *Early Hebrew Orthography: A Study of the Epigraphic Evidence* (New Haven, 1952).

ويتعقّب المؤلّفان الصوائت الطويلة في عدد كبير من النقوش الساميّة الشماليّة، ويُحكمان =

أ- في الفينيقيّة:

كانت هذه الكتابة، في نماذجها المتقدّمة المعروفة، من القرنين العاشر والتاسع ق.م، تقتصر على الصوائت[١]. ويظهر ذلك من الكلمات التي نعلم، بمقارنة الفينيقيّة باللغات الأخرى، بخاصّة العبريّة، أنّها تحتوي في اللفظ على صوائت طويلة، دون أن تعبّر كتابتها عن ذلك. ففي نقش أحيرام[٢] كلمة ʾbh (أبوه)، وليس في كتابتها إلا الصوامت، في حين أن لفظها هو abīhū* أو قريب منه. وفي نقش Kilamuwa[٣] (س ١) كلمة ʾnk (أنا) بصوامت ثلاثة، دون التعبير عن أيّ من صوائتها الطوال الثلاثة التي نقدّر وجودها قياساً على العبريّة ānōḵī؛ وفيه أيضاً (س ٩) كلمة yšbt (جلستُ)[٤] بلا صائت طويل بعد ضمير المتكلّم t - ، في حين نقدّر أنّه كان يُلفظ tī -*. وفي هذا النقش أيضاً (س ١١) كلمة ḥz (نظرَ) دون صائت طويل في آخرها، وإن كان لفظها - فيما نقدّر - ḥazā* بالصائت الطويل.

= الاستنتاج إحكاماً كبيراً. وبما أنّنا لا نقصد إلى الإطالة في وقوفنا عند مسألة الصوائت الطويلة، فإننا نحيل القارىء إلى هذا الكتاب لمزيد من التفصيل والإحاطة، ونكتفي بأمثلة قليلة نُرجع القارىء فيها إلى مظان النقوش الواردة فيها.

(١) ولكن راجع ص ٢١٠.

(٢) نُشر هذا النقش في:

R. Dussaud, «Les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram, roi de Byblos,» in *Syria,* 5 (1924), pp. 135 – 57.

(٣) انظر هذا النقش في: *Ephemeris*, III, 218 – 38.

(٤) جذر yšb (جلس) في الفينيقيّة والعبريّة يقابل «وثب» في العربيّة. وهذا الفعل من الأضداد في العربيّة الشماليّة، إذ يعني «قفز» و «طفر» وكذلك يدلّ على الجلوس في بعض صيغه، نحو «وِثاب» بمعنى «سرير»، و «المُوثَبان» الملك إذا قعد ولم يغز؛ ومن هنا قصّة من دخل على ملك من ملوك حِمير، فقال له الملك ثِب: أي أقعد فوثب فتكسّر.. الخ (انظر اللسان: وثب).

ب- في الآراميّة:

أخذ الآراميّون الألفباء الفينيقيّة ما بين القرن الثاني عشر، وهو زمن استقرارهم في المدن السوريّة واحتكاكهم بالفينيقيين، وبين القرن العاشر، وهو زمن ظهور النقوش الآراميّة القديمة. وقد كان الآراميّون، منذ أخذهم الألفباء، يحاولون جعلها مناسِبة لأغراضهم هم. فقد وجدوا، مثلاً، أنّ في لسانهم خمسة صوامت لا وجود لها في الألفباء الفينيقيّة[1]، فاستعملوا لكتابة هذه الصوامت أشكالاً فينيقيّة، فأعطوها بذلك قيمة صوتيّة جديدة تضاف إلى القيمة الأصليّة التي تمثّلها. فمن ذلك أنّهم استخدموا الشكل الفينيقيّ الذي يمثّل الصوت z لكتابة كلّ من الصوتين z و ḏ؛ والشكل الفينيقيّ الذي يمثّل الصوت q لكتابة الصوت الآراميّ ġ. ولا نستغرب بعد ذلك أن يُدخل الآراميون في الكتابة الفينيقيّة تعديلاً آخر: فقد استخدموا ثلاثة أشكال كانت تُستعمل في الفينيقيّة للتعبير عن ثلاثة صوامت، للتعبير عن عدد من الصوائت في أواخر الكلمات دون أواسطها، وأبقوا مع ذلك على استخدامها للتعبير عن الصوامت الثلاثة، وهذه الأحرف هي w و y و h:

- الحرف w صار يمثّل الصائت الطويل ū - في نهاية الكلمة: من ذلك أنّ في نقش Zakir[2] (جزء أ، س ٩) كلمة wśmw (ووضعوا) وفي آخرها w لتمثيل المدّ الطويل ū - في ضمير الغائبين.

- الحرف y صار يمثّل الصائت الطويل ī - في نهاية الكلمة: من ذلك أنّ في النقش نفسه (جزء أ، س ٣) كلمة ʿmy (معي؛ وفيها قلب مكانيّ نرجّح

---

(١) انظر: Gibson, *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions*, II, XIX.

(٢) انظر: *Ibid.*, II, 8 ff.

ففيه دراسة عن هذا النقش تضمّ ترجمة وشرحاً ومراجع. ويعود هذا النقش إلى أوائل القرن الثامن ق.م.

أنه حصل في العربيّة)، وفي آخرها y لتمثيل المدّ الطويل ī- ، وقراءتها immī ٭ ‛ .

- الحرف h صار يمثّل الصائت الطويل ā - والصائت الطويل ē - في نهاية الكلمة: ففي النقش نفسه (جزء أ، س ٢) كلمة nh ᵓ (أنا) ولفظها ănā٭ بمدّ طويل في آخر الكلمة. وفيه أيضاً (جزء أ، س ٢) كلمة nh ‛ (تقيّ، متواضع؛ قارن بـ «عنا» العربيّة التي تعني «خضعَ» و «ذلَّ»)، وفي آخرها h تمثّل المد الطويل ē، فلفظ الكلمة - فيما نقدّر - ānē ‛٭ بمدّ طويل في آخرها.

أمّا المدّ الطويل في غير أواخر الكلمات فلم تكن الآراميّة تعبّر عنه في مراحلها الأولى إلاّ نادراً، وهذا بعد القرن الثامن ق.م.[1]. وأمّا قبل ذلك فكانت الآراميّة تهمل التعبير عن المدّ الطويل في غير أواخر الكلمات، ففي نقش Zakir نفسه، كما مرّ، كلمة wśmw ولفظها wa-śāmū٭ بمدّ طويل بعد الصامت ś، وليس في الكتابة ما يمثّله؛ وكذلك كلمة ᵓly (جزء أ، س ١٢) ولفظها ēlay٭ وليس في الكتابة ما يمثّل الصامت الطويل ē في أوّلها. وفي السطر الرابع من نقش Bar-Hadad[2] الذي يرجع إلى منتصف القرن التاسع ق. م. كلمة lqlh (لِصوته: قارن «قول» في العربيّة) ولفظها laqāleh٭، ولا يتمثّل الصائت الطويل ā في الكتابة.

ومن جهة أخرى أخذت الآراميّة تعبّر كتابةً عن الصائت المركّب diphthong، فاستخدمت الحرف w للتعبير عن - aw - ، نحو ᵓw (أو) في نقش Zakir (جزء ب، س ٢١)؛ كما استخدمت الحرف y للتعبير عن

---

(١) انظر: Cross & Freedman, *Early Hebrew Orthography*, pp. 33, 59.

(٢) نشر M. Dunand هذا النقش في:
«Stèle araméenne dédiée à Melqart,» in *BMB*, III (1939), pp. 65-76.

- ay - ، نحو lyk ʿ (علَيك) في النقش نفسه (جزء أ، س ١٥). وليس في الكتابة الفينيقيّة في ذلك العهد ما يشير إلى التعبير عن الصائت المركّب، ولعلّه يصحّ الاستنتاج أنّ الآراميّين ابتدعوا هذه الطريقة لتحسين الكتابة.

وكان الاعتقاد السائد عند العلماء أنّ ما أوحى للآراميّين بالتعبير عن الصوائت الطويلة هو من باب المصادفة أصلاً لأنّه، بالتحديد، التطوّر الذي طرأ في لغتهم على الصوائت المُركّبة. فقد خُفِّفت هذه الصوائت في اللغات الساميّة الشماليّة، فصار الصائت المركّب -aw- يُلفظ - ō - (مثلاً: mawt* أصبحت mōt)، وصار الصائت المركّب - ay - يُلفظ -ē - (مثلاً: bayt* أصبحت bēt). ويمضي أصحاب هذا الرأي السائد في القول إن الآراميّين أبقوا في مثل هذه الحالات على الكتابة القديمة (أي mwt و byt)، فصار الحرف w يعبّر في الواقع عن الصائت الطويل ō (في mōt)، كما صار الحرف y يعبّر عن الصائت الطويل ē (في bēt)، بعد أن كان يعبّر كل منها عن صائت مركّب فيه الصامت w أو الصامت y. فاستغلّ الآراميّون هذا التطوّر الصوتيّ، على الصورة التي تستخدمها الكتابة دون أن تتغير هي نفسها، فعمّموا استخدام الحرفين w و y للتعبير عن الصائتين ū و ī في أواخر الكلمات. والحقّ أنّ الذي حصل هو عكس ذلك تماماً، وقد أثبت Cross و Freedman[1] أنّ الأمثلة الأولى لاستخدام w و y للتعبير عن الصائتين ū و ī إنّما تجيء في أواخر الكلمات، وأنّ النُّقلة كانت بعد ذلك إلى أواسط الكلمات كما يظهر في التعبير عن الصائتين المركّبين - aw - و - ay -.

ج- في العبريّة:

نعني بها هنا عبريّة النقوش القديمة لا نصوص العهد القديم التي أدخل

(١) *Early Hebrew Orthography*, pp. 33, 59.

فيها النحويّون اليهود نظاماً كاملاً للتعبير عن الصوائت. وترجع هذه النقوش إلى ما بين أواخر القرن العاشر والقرن السادس ق.م. ويبدو أنّ الكتابة العبريّة كانت تخلو من وسائل التعبير عن الصوائت الطويلة (والقصيرة طبعاً!) في أواخر القرن العاشر كما يظهر لنا في نقش Gezer[١] (تلّ جزر حديثاً) الذي يرجع إلى تلك الفترة، ولعلّه أقدم نصّ عبريّ كامل ومقروء. وفي هذا النصّ الكلمات التالية، في كل منها صائت طويل غير مكتوب:

yrḥ (س ٣، ٤، ٥، ٦، ٧)، ومعناها «شهر»، ولفظها yarḥō*.

pšt (س ٣) ومعناها «كتّان»، ولفظها pištā*.

qṣ (س ٧) ومعناها «فاكهة صيفيّة» (قارن: «قيظ» في العربيّة بمعنى مقارب، و «المَقِيظة» نبات يبقى أخضر إلى القيظ)، ولفظها qēṣ*.

أمّا نقوش القرن التاسع وما بعده فقد أُدخل فيها الأسلوب الآراميّ في التعبير عن الصوائت الطويلة في أواخر الكلمات، على النحو التالي المطابق للاستعمال الآراميّ:

الحرف w يعبّر عن الصائت الطويل ū، نحو hkw (ضربوا) التي تُلفظ hikkū*، وترد في السطر الرابع من نقش سلوان Siloam[٢]، ويرجع إلى حوالى ٧٠٠ ق. م.

الحرف y يعبّر عن الصائت الطويل ī، نحو ky (لأنّ) التي تُلفظ kī* وترد في السطر الثاني من النقش نفسه.

---

(١) انظر تحليلاً لهذا النصّ مع قائمة بيبليوغرافيّة في:
Gibson, *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions*, I, 1 ff.

(٢) *Ibid.*, I, 21 ff.

الحرف h يعبّر عن الصائت الطويل ā، نحو hyh (كان) التي تُلفظ hāyā* (لاحظ أنّ الصائت الطويل في وسط الكلمة غير مكتوب) وترد في السطر الثاني من هذا النقش؛ وعن الصائت الطويل ē، نحو zh (ذا) التي تلفظ zē (السطر الأوّل)؛ وعن الصائت الطويل ō، نحو ʿbdh (عبده) التي تلفظ ʿabdō، في إحدى رسائل لخيش Lachish (النصّ الثاني، س ٥)، وهي ترجع إلى سنة ٥٩٨ ق. م.

أمّا أصوات المدّ الطويلة في غير أواخر الكلمات فلا تعبّر عنها الكتابة العبريّة قبل القرن السادس ق.م.

ومن الطبَعيّ أن يكون العبريّون قد نقلوا عن الآراميّين هذا الأسلوب في التعبير عن الصوائت الطويلة، فقد كان ذلك في فترة السيطرة الحضاريّة الآراميّة على شعوب المنطقة. أمّا استخدام العبريّة الحرف h للتعبير عن الصائت الطويل ō وهو ما لم نعثر عليه في الآراميّة من خلال النقوش المعروفة - فنرجّح أنّه ليس من عمل العبريّة، لأنّ هناك كتابةً أخرى تشاركها في هذه الظاهرة، أعني المؤابيّة (انظر «د»).

ولعلّ هذا الاشتراك يرجع إلى أنّ الظاهرة نفسها كانت مستخدَمة في الكتابة الآراميّة (التي لا يرقى شكٌّ إلى تأثيرها في العبريّة والمؤابيّة)؛ وعدم ظهورها في النقوش الآراميّة المعروفة اليوم قد يعود إلى ندرة المواضع التي تقع فيها ō - في نهاية الكلمات الآراميّة[1]. غير أنّ ما أحدثته الآراميّة من تطوير الكتابة باستخدام أشكال عدد من الصوامت للتعبير عن الصوائت الطويلة في عدد من المواضع، وإن انتقل إلى الكتابتين العبريّة والمؤابيّة، لم يستطع النفاذ إلى الكتابة الفينيقيّة، إذ حافظت هذه الكتابة على سيرتها

(١) قارن: *Early Hebrew Orthography*, p. 43.

الأولى التي تقتضي كتابة الصوامت دون الصوائت، إلا في المراحل المتأخرة أي في البونيّة المحدَثة، وخارج التأثير الآراميّ، كما سنرى[1].

د- في المؤابيّة:

يتعيّن إفراد قسم خاص لهذه الكتابة- على ضآلة ما وصلنا منها- لتطابق نظامها في التعبير عن الصوائت والنظام العبريّ، الأمر الذي يؤكّد تأثّرهما، كليهما، بكتابة سبقتهما إلى هذا، أي الكتابة الآراميّة. وأهمّ ما في المؤابيّة نصّ طويل (٣٥ سطراً) يُعرف باسم نقش الملك ميشع، Mešaʿ (٨٤٢ ق.م.) الذي اكتُشف عام ١٨٦٨ في ذيبان، شرقي البحر الميت[2]. ونذكر الأمثلة التالية لخصائصه في كتابة الصوائت في أواخر الكلمات، وهي تُطابق ما في العبريّة:

الحرف w يعبّر عن الصائت الطويل ū، نحو ʿśw (س ٢٤)، ومعناها «اعملوا» ولفظها ʿaśū *.

الحرف y يعبّر عن الصائت الطويل ī، نحو ʾby(س ٢)، ومعناها «أبي» ولفظها abī*.

الحرف h يعبّر عن الصائت الطويل ā، نحو bnh (س ١٨)، ومعناها «بنى» ولفظها banā*، وعن الصائت الطويل ē، نحو yhwh (س ١٨)، وهو اسم الإله العبريّ، ولفظه Yahwē، وعن الصائت الطويل ō، نحو nbh (س ١٤)، وهو اسم موضع، يلفظ Nebō.

وإلى جانب ذلك تُكتب في المؤابيّة الصوائت المركّبة، ولا تُكتب فيها الصوائت الطويلة في غير أواخر الكلمات، وهذا يطابق الكتابة العبريّة القديمة تمام المطابقة.

---

(١) انظر ص ٣٧٠ - ٣٧٢.

(٢) انظر القسم المتعلق بالمؤابيّة في: Gibson, *ibid.*, I, 71-84.

ثانياً: نشوء نظم متطوّرة للتعبير الكتابيّ عن الصوائت الطويلة والقصيرة وعن خصائص صوتيّة أخرى في الكلام.

تُثبت الدراسة السابقة لبدايات التعبير الكتابيّ عن الصوائت الطويلة أنّ هذا التعبير ليس نتيجة مصادفة واتّفاق، بل وليد عمليّة واعية هدفها تحسين العلاقة بين الصوت اللغويّ والرمز الكتابيّ، أي بين الـ signifié والـ signifiant، إذا شئنا استعمال هذين المصطلحين من علم اللغة الحديث. وقد استمرّ غرض التحسين هذا حافزاً يدفع الساميّين إلى أن يُدخلوا في كتابتهم طرائق ونظماً جديدة. ونَحَتِ الكتابات الساميّة المختلفة مناحي متفرّقة في هذا السبيل الواحد، على تأثّر وتواصل بين بعضها كما سنبيّن. وبما أنّ عناصر التمايز في هذه المناحي أقوى من عناصر التوحّد، يحسن دراسة كل كتابة على حدة:

أ- في السريانيّة:

مبدأ البحث عن نشوء هذه النظم يجب أن يكون من السريانيّة لأنّها، على الأرجح، أوّل لغة ساميّة تهيّأ لها أن تُكتب صوائتها جميعاً، بالإضافة إلى استحداثها علامات خاصة بكتابة عدد من خصائصها الصوتيّة الأخرى، سواء أكانت فونيميّة أم لم تكن[١].

وعند تأريخ كتابة الصوائت وغيرها من الخصائص الصوتيّة في السريانيّة علينا أن نميّز، على الأقلّ، مرحلتين اثنتين، الأولى يمكن وسمها بالمرحلة الابتدائيّة، في حين أنّ الثانية هي مرحلة الاكتمال إذ فيها أصبح

(١) نقصد بالفونيم phoneme هنا أصغر وحدة صوتيّة يمكن استخلاصها من الكلام. والفونيمات تشتمل على الصوامت وعلى الصوائت طويلها وقصيرها. وهناك خصائص صوتيّة أخرى قد تختلف باختلاف اللغات فتكون فونيميّة في بعض منها، أي أنّها تؤثر في المعنى، وقد لا تكون كذلك في بعض آخر. ومن ذلك مثلا النّبر stress، فقد يغيّر موقعُه في الكلمة معنى هذه الكلمة، فيكون فونيمياً، وقد لا يؤثّر فيكون غير فونيميّ، كما سنرى.

للسريانيّة نظام كامل للتعبير الكتابيّ عن الأصوات المنطوقة.

ونعني بالمرحلة الابتدائيّة تلك التي يبدأ ظهورها في القرن الثالث أو الرابع للميلاد[1]. ويقتصر التعبير الكتابيّ عن الصوائت في هذه المرحلة على استخدام نقطة يحدّد وضعها فوق السطر أو تحته ظاهرة من الظواهر الصوتيّة في الكلام. وتُسمّى هذه النقطة ܦܘܪܫܐ pōrūšā، أي « مفرِّقة » أو « مميِّزة » (من جذر ܦܪܫ praš بمعنى « فرّق ») دلالةً على وظيفتها في التفرقة بين أصوات وأخرى.

فممّا تُستخدم فيه هذه النقطة تنبيه القارىء إلى الطبيعة الصوتيّة للحرف: أهو محقّق (ملفوظ) أم مخفّف. ويكثر هذا مع الصامت ʾ لأنّه يكثر تخفيفه في السريانيّة في ضمير المتكلّم ܐܢܐ ēnā، فإن كان مخفَّفاً وُضعت النقطة تحت السطر، نحو ܗܐ ܡܚܒܠ ܐܢܐ hā mḥābel nā (هأنذا مفسِد)، وإذا كانت همزة الضمير مخفَّفة وُضعت النقطة فوق السطر.

وتُستخدم النقطة كذلك لتنبيه القارىء إلى كيفيّة قراءة الحرف w والحرف y؛ فإن وُضعت النقطة فوق الحرف دلّت على أنّه حرف صامت (أي: w أو y)، وإن وُضعت تحت السطر دلّت على أنه حرف صائت (أي: ū و ī). فمن أمثلة الأولى ܐܘܬܒ awtēb (بمعنى « أَجْلَسَ »)[2]، ومن أمثلة الثانية ܥܘܠܐ ʿūlā (ومعناها « جنين »).

---

(١) انظر: J. B. Segal, *The Diacritical Point and the Accents in Syriac* (London, 1953), p. 12.

وهذا الكتاب عظيم الفائدة في تأريخ الكتابة الصوتيّة عند السريان، ونحيل القارىء إليه للتوسّع. وسنعتمد في أمثلتنا على الأمثلة التي ذكرها لأنّها مأخوذة من مخطوطات سريانيّة لم يُنشر معظمها.

(٢) قارن ح ٤ ص ٣٢٤.

ومن المواضع المهمّة في استخدام هذه النقطة الموضع الذي يتعيّن فيه التفرقة بين الحركة والسكون بحيث يهتدي القارىء إلى قراءة الكلمة على على الوجه الصحيح. ولعلّ أكثر الصيغ احتياجاً إلى مثل هذه التفرقة صيغ المتكلّم والمخاطب والغائبة في الفعل الماضي المجرّد لأنّها جميعاً تُكتب على صورة واحدة، على اختلاف لفظها. فبينما يتّخذ المتكلم صيغة qeṭlēṯ[1]، يأتي المخاطب على صيغة qṭalt، والغائبة على صيغة qeṭlāṯ؛ وكلّها كانت تُكتب في الأصل qṭlt، أي بالحروف الصامتة وحدها. وفرّق السريان بينها فجعلوا النقطة في صيغة المتكلّم فوق السطر وبعد الحرف الأوّل دلالةً على كون ذلك الحرف متبوعاً بحركة نحو ܐܡܪܬ[2] **emrēṯ** (قُلتُ: قارن «أمر» في العربيّة)؛ وجعلوا النقطة في صيغة المخاطب تحت السطر وبعد الحرف الأوّل، دلالةً على سكون ذلك الحرف نحو ܐܡܪܬ ēmart (قُلْتَ). أمّا صيغة الغائبة فميّزوها عن الصيغتين السابقتين بأن أدخلوا في كتابتها نقطتين، الأولى تحت السطر وبعد المقطع الأوّل، والثانية فوق السطر وبعد المقطع الثاني (أي في آخر الكلمة لأنّها ثنائيّة المقاطع) على النحو التالي ܐܡܪܬ **emrāṯ** (قالت).

ولمزيد من التفرقة بين الحركة والسكون في الكتابة استخدم السريان النقطة عينها، في عدد من المواضع، لتحديد الصائت المطلوب. فقد وضعوا نقطة فوق الحرف للدلالة على الصائت a، ونقطة تحت الحرف للدلالة على الصائت i في المواطن التي يمكن أن ينشأ فيها التباس في تحديد الصائت، ولم يعمّموا هذا الاستعمال إلى غير مواطن الالتباس المحتمل.

---

(١) يُستعمل فعل qṭl في اللغات الساميّة (قارن «قتل» العربيّة، وهي بالتاء لا بالطاء، وفي بعض اللهجات الحديثة طاء؛ وانظر تبادل التاء والطاء في كتاب الإبدال لأبي الطيّب اللغويّ ص ١٢٦ - ١٣٤) كما يستعمل «فَعَلَ» في العربيّة لتحديد أوزان الصيغ.

(٢) النقطة الأخرى في رسم الكلمة هي لتمييز r عن d، وسوف يأتي ذكرها لاحقاً.

واستثنى السريان الصائت u من مثل هذه التفرقة لأنّهم كانوا قد بدأوا بكتابته بواسطة الحرف w، سواء أكان طويلاً (ū) أم قصيراً (u)[١]. ومن الأمثلة على هذه التفرقة كلمة ܡܰܠܟܐ malkā (مَلكٌ) وكلمة ܡܠܶܟܐ melkā (شورى)؛ فالنقطة الموضوعة فوق السطر في الأولى تُشعر القارىء بوجود صائت من صنف الفتحة (a)، في حين أنّ وضعها تحت السطر في الثانية يشعره بوجود صائت من صنف الكسرة. وكذلك الكلمتان ܣܰܦܪܐ saprā (كاتب) و ܣܶܦܪܐ seprā (سِفر).

ولم يقف السريان عند هذا لمّا رأوا أنّه قد يكون في لغتهم ثلاث كلمات مختلفة تُكتب بطريقة واحدة، وكانوا في العادة يميّزون بين كلمتين في إحداها الصائت a وفي الأخرى الصائت i، فاستخدموا نقطتين: واحدة فوق الحرف وأخرى تحته، للكلمة الثالثة. وهكذا نجد ܡܰܢ mān (من ؟) بنقطة فوقيّة، و ܡܶܢ mēn (مِن) بنقطة تحتيّة، ثمّ نجد ܡ̈ܢ mān (حقاً؛ من الأداة اليونانية μέν) بنقطتين اثنتين.

بالإضافة إلى استخدام السريان النقطة للإرشادات الصوتيّة الموجّهة الى القارىء، أشاعوا استخدامها في أمرين آخرين من باب مختلف: الأوّل هو التفرقة بين صامتين (أي: الإعجام)، والثاني التفرقة بين صيغتين اشتقاقيّتين مختلفتين. أمّا الصامتان فهما r و d، وكان شكلهما في الكتابة واحداً، وهذا ناشىء عن تقارب شكليهما في الأصول الكتابيّة التي أخذت عنها السريانيّة. فلو تعقبنا تطوّر هذين الشكلين من النقوش الفينيقيّة حتّى النقوش الآراميّة المتأخّرة لوجدنا بينهما شبهاً كبيراً في معظم مراحلها. وأصل الشكل d يخلو من الذيل (ᐃ) في حين يظهر الذيل في شكل r (ᑫ)؛ غير أنّ هذا كان لفترة وجيزة جدّاً فيما نعلم. وابتداءً من

---

(١) Segal, *ibid.*, p. 14; cp. p. 20.

القرن التاسع ق.م. على أقلّ تقدير، نجد أنّ الشكلين يتقاربان بل يتّحدان بإقحام ذيل لشكل d. وحدث تطوّر آخر أصاب الحرفين، وهو انفتاح في رأس كلّ منهما (ܕ). وأراد السريان أن يفرّقوا بينهما تفرقة حاسمة، فجعلوا فوق الشكل نقطة دلّوا بها على r (ܪ)، فإن وضعوها تحته عنوا d(ܕ)، فانتفى الالتباس.

أمّا التفرقة بين صيغتين اشتقاقيّتين مختلفتين فتقع بين المفرد والجمع، وبين الاسم والفعل. وقد استعمل السريان علامة خاصّة اسموها syāmē لإشعار القارىء بأنّ الصيغة هي صيغة الجمع لا صيغة المفرد. وقد فعلوا هذا لأنّ كثيراً من الكلمات كان يُكتب في الإفراد والجمع على صورة واحدة. وشكل هذه العلامة نقطتان متقاربتان، فكلمة ܡܠܟ̈ܐ malkē (ملوك) يتعيّن أن تُقرأ بالجمع بدليل هاتين النقطتين اللتين يميّزانها عن المفرد ܡܠܟܐ malkā (ملك). وفي مرحلة لاحقة استُخدمت علامة الجمع في كتابة كل اسم مجموع، سواء أكان رسمه كرسم مفرده، من حيث الصوامت طبعاً، أم لم يكن. أمّا التفرقة بين الاسم والفعل فتكون غالباً بين اسم الفاعل[1] والفعل الماضي، فتوضع نقطة فوق السطر للأوّل، ونقطة تحت السطر للثاني، نحو ܩܛܠ qōṭēl (قاتِل)، و ܩܛܠ qṭāl (قتلَ).

وإذا نظرنا نظرة شاملة إلى هذه المرحلة الابتدائيّة من تاريخ كتابة الصوائت والمميّزات الصوتيّة الأخرى في السريانيّة، لأمكن لنا استنتاج عدد من الأمور:

١ - أنّ الغرض من إدخال هذه الأشكال إلى الكتابة تسهيل مهمّة القارىء في القراءة والفهم معاً، وهذا ناشىء طبعاً عن إمكان الالتباس في

---

(١) هذا طبعاً إذا اعتبرنا اسم الفاعل صيغة اسميّة؛ فإن جعلناه فعلاً كانت التفرقة بين صيغتين فعليّتين إحداهما للماضي والأخرى للحال أو «الفعل الدائم» كما سمّاه الفرّاء والكوفيّون.

عدد من المواضع بين كلمتين متقاربتين. على هذا نفسّر التفرقة بين صيغ المتكلّم والمخاطب والغائبة في الفعل الماضي، والتفرقة بين الفعل واسم الفاعل، الخ. ومع المضيّ في تسهيل مهمّة قارىء السريانية بدأ التناسب بين الصوت اللغويّ والرمز الكتابيّ يكبر، بحيث أصبحت الأداة الكتابيّة أكثر أمانةً في نقل الملفوظ لاهتمامها بتفاصيل كانت مهملة قبلاً.-

٢ - أنّ من طبيعة هذا التعبير الكتابيّ تعيين الصائت المطلوب في عدد من الحالات. فالقيمة الصوتيّة للنقطة فوق الحرف صائتٌ من صنف الفتحة (a)، والقيمة الصوتيّة للنقطة تحته تعادل صائتاً من صنف الكسرة (i)؛ فحيث يُقصد إلى هذا، نستطيع القول إنّ النقطة تعبّر، في ذلك الموضع بعينه، عن فونيم صائت، تماماً كالفتحة أو الكسرة في العربيّة. وكذلك قد تعادل النقطة، من حيث القيمة الصوتيّة، سكوناً أو حركة، كما في التفرقة بين المتكلّم والمخاطب. ومن هذا الباب أيضاً إرشاد القارىء إلى القيمة الصوتيّة للشكل w والشكل y: أهما صامتان (w أو y) أم صائتان (ū أو ī).

٣ - أنّ الكتابة السريانيّة أخذت تلحظ إمكان التعبير عن عدد من الخصائص الصوتيّة للغة، غير الخصائص المتعلّقة بالصوائت[1]، فاستخدمت النقطة للتعبير عن الصامت في التحقيق والتخفيف، ولتحديد لفظ الكلمة بجمله، لا لفظ حرف واحد منها، في علامة الجمع، وفي التمييز بين اسم الفاعل والفعل الماضي.

وطبَعيّ أن يكون في هذه البدايات نواقص وهنات أهمّها عدم استخدام أشكال مختلفة للتعبير عن السمات الصوتيّة المختلفة؛ فمعظم الأمور التي تمثّلت في الكتابة رُمز إليها بنقطة توضع فوق السطر أو تحته، وفي هذا

(١) تنقسم أهمّ الخصائص العامّة المتعلّقة بالصوائت، في أيّة لغة، إلى أمرين بارزين: الصفة أو النوع quality (موقعه في مدرج الصوائت: a, i, e, u الخ) والكمّيّة quantity (الطول أو القصر).

عدم اختصاص. ويلاحَظ أيضاً أنّ هذه البدايات لم تكن تهدف إلى وضع نظام كامل للتعبير عن خصائص الصوائت السريانيّة، وهذا ليس بمستغرب في مثل هذه المرحلة الابتدائيّة. ونرى، من طبيعة هذه البدايات بتعثّرها ونواقصها، أنّها من عمل السريان أنفسهم وأنهم لم يلجأوا فيها إلى مصدر اجنبيّ، لأنّهم لو كانوا استقوا من ذلك المصدر لبلغوا بها مبلغاً أقرب إلى الكمال بنقلهم نظاماً راسخاً وثابتاً إلى كتابتهم، ولما تعثّروا وترددوا. ويؤيّد هذا المذهب أنّ السريان الغربيين (أي اليعاقبة) حين وضعوا، بعد ذلك، نظاماً متكاملا لكتابة الصوائت اعتمدوا على مصدر أجنبيّ، هو اليونانيّة[1] فاستوحوا منه أموراً أدخلوها، على صورة مختلفة، إلى كتابتهم فجاءت طفرةً واحدةً لا تعثّر فيها ولا تلكّؤ.

وعلى أيّة حال فقد بدأ الاختلاف بين الشرقيّين والغربيّين في كتابة الصوائت منذ عهد مبكّر، فبينما لم يُدخل الغربيّون، على مدى قرون، أيّ تعديل على طريقة كتابة الصوائت التي ظهرت في «البدايات»، وضع الشرقيّون نظاماً كتابيّاً كاملاً للصوائت وغيرها من الخصائص الصوتيّة في فترة متقدّمة، لعلها بُعَيْد القرن السادس للميلاد.

وتُميّز الكتابة السريانيّة الشرقيّة الصوائت التالية بالرموز المشار إليها:

a ورمزه ـܲ نحو ܒܲ (ba)
ā ورمزه ـܵ نحو ܒܵ (bā)
e ورمزه ـܸ نحو ܒܸ (be)
ē ورمزه ـܹ نحو ܒܹܝ (bē)
i ورمزه ـܼ نحو ܒܝܼ (bi)
o ورمزه ܘܿ نحو ܒܘܿ (bo)
u ورمزه ܘܼ نحو ܒܘܼ (bu)

---

(١) بتوسّط القبطيّة على الأرجح؛ انظر: Segal, *ibid.*, p. 45

أمّا الكتابة السريانيّة الغربيّة فقد استقت الرموز التي تعبّر عن الصوائت من خمسة أشكال يونانيّة تستخدمها تلك الكتابة للصوائت. وهذه الرموز هي A وO وE وH و γ ، وقد استقرّت اشكالها في السريانيّة الغربيّة على الوجه التالي، وبالترتيب:

ـܰ (a) واسمه ܦܬܳܚܳܐ (pṯāḥā)
ـܳ (ā)[1] واسمه ܙܩܳܦܳܐ (zqāpa)
ـܶ (e)[2] واسمه ܪܒܳܨܳܐ (rḇāṣā)
ـܺ (i) واسمه ܚܒܳܨܳܐ (ḥḇāṣā)
ـܽ (u)[3] واسمه ܥܨܳܨܳܐ (ʿṣāṣā)

ومن اللافت حقّاً أنّ السريان، على تأثّرهم بالكتابة اليونانيّة، لم يكتبوا الصوائت منفصلة عن الصوامت، وفضّلوا جعلها تابعة لها، أي بكتابتها فوق الصوائت وبأشكال صغيرة نسبيّاً، وعياً منهم لدور الصوامت في تركيب لغتهم الساميّة[4]. وقد أصاب التغيير الأشكال اليونانيّة فصُغّرت في السريانيّة وتغيّر اتّجاهها، ولكنّ الأصل ما يزال ملموحاً فيها.

---

(١) يفضّل بعضهم الرمز å في تعيين صفة هذا الصوت إشعاراً بأنه o في السريانيّة الغربيّة وبأنه يقابل ā في السريانيّة الشرقيّة.

(٢) يقابل هذا الصوتَ في السريانية الشرقيّة كلّ من e و ē.

(٣) أو ō، على قلّة.

(٤) راجع ص٣٢١. ويبدو أنّ ما أوحى للسريان باستخدام أشكال الصوائت اليونانيّة لكتابتهم أنّ بعض كتبتهم كانوا يكتبون الأسماء اليونانيّة بالكتابة السريانيّة، أي بالحروف الصامتة وحدها، ثم يثبتون في الحواشي كتابتها باليونانيّة، فسهل عليهم بعد ذلك نقل أشكال الصوائت من بنية الكتابة في اليونانيّة إلى البنية السريانيّة؛ انظر:

F. R. Blake, «The Development of Symbols for the Vowels in the Alphabets Derived from the Phoenician,» in *JAOS* (1940), pp. 401-2, 412.

وهناك أمور صوتيّة أخرى، عدا الصوائت، تعبّر عنها الكتابتان، على اختلاف أحياناً، ومنها:

– الشدّة والرخاوة، وبالمصطلح السرياني quššāyā ܩܘܫܝܐ (قارن الجذر «قسا» في العربيّة)، و rukkāḵā ܪܘܟܟܐ (قارن بالجذر «ركّ» في العربيّة). ففي السريانيّة ستّة أحرف تكون شديدة مرّة ورخوة مرّة بحسب الظروف الصوتيّة المحيطة بها (phonentic environment). وهذه الأحرف، شديدةً، هي ḃ و g و d و k و p و t؛ ويقابلها في حالة الرخاوة ḇ و ġ و ḏ و ḵ و p̱ و ṯ. أما الرخوة فتقع، عادةً[1]، بعد حرف صائت في اللفظ، والصائت يناسبه الرخو لجري النفس معه وعدم انقطاعه، على خلاف الحروف الشديدة. أمّا لفظ هذه الحروف شديدةً فيكون، عادة[2]، في مواضع أهمّها أوّل الكلام، وبعد الصامت، وبعد الصائت المركّب (لأنّ عنصره الأخير صامت)، وعند التشديد. وتشير النقطة فوق الحرف إلى الشدّة، في حين تشير إلى الرخاوة تحته.

– وجود صائت شديد القصر[3] في مواضع قد يتوهّم القارىء غيابه فيهـا. ويُرمز إليـه بخـطّ أفقيّ يُرسم تحت الحرف، ويُسمّـى mhagyānā ܡܗܓܝܢܐ (ومعناها في العربيّة: تهجية؛ قارن «هجا»)، نحو ܕܚܠܬܐ (ومعناها خوف؛قارن «دحل» في العربيّة أي تباعد أو فرّ واستتر وخاف)[4]، وتلفظ deḥᵉltā بصائت قصير بعد الصامت ḥ، وهو لمنع

(١) لكن انظر ص ٣٥٠ لخلاف هذا.

(٢) أيضاً ص ٣٥٠.

(٣) هو في العادة ᵉ، ومن حيث الكمّيّة، أقصر من الصائت القصير المعتاد، فيما يستطيع السامع تمييزه.

(٤) انظر القاموس المحيط: دحل. وفي اللسان: قال شمرّ: سمعت عليّ بن مُصعب يقول لا تدحل، بالنبطيّة، أي لا تخف.

التقاء الصامتين ḥ و l .

- عدم وجود صائت في مواضع قد يتوهّم القارىء وجوده فيها. ويُرمز اليه بخطّ افقيّ يُرسم فوق الحرف، ويُسمّى ܡܪܗܛܢܐ marhṭānā (ومعناها في العربيّة: «إسراع»)[1]، نحو ܡܠܟܬܐ malᵉkṯā (ملكة)، وليس من صائت كامل بين الصامتين l و k.

- حذف الصامت أو تحقيقه؛ ورمزه خطّ صغير مائل يرسم تحت الحرف، ويسمّى ܡܛܦܝܢܐ mṭapyānā (ومعناها: إغلاق)، نحو ܡܕܝܢܬܐ mdīṯā (مدينة) التي حُذف من لفظها الصامت n. أمّا تحقيق الصامت فلا يُرمز إليه إلاّ في المواضع التي قد يعتقد القارىء أنّه محذوف منها، والرمز المستعمل هو خطّ صغير مائل يرسم فوق الحرف، ويسمى ܢܓܘܕܐ nāgūḏā (ومعناها: الجاذب، الساحب).

وبمقارنة مرحلة «البدايات» بهذه المرحلة التي ترسّخ فيها النظام الشامل الجديد، نرى أنّ السريان أدخلوا التحسين على كتابتهم من ناحيتين، أولاهما الناحية الفونيميّة، أي أنّهم اصبحوا قادرين على كتابة الصوائت القصيرة[2]، وهي تؤثّر في المعنى إن تغيّرت. وهذا تقدّم كبير في الكتابة لأنّ السريانيّة لم تكن تستطيع في المرحلة الأولى التمييز بين الصوائت إلاّ نادراً، كما ذكرنا. ومن جهة أخرى نرى أنّ النظام الجديد

---

(١) انظر تعليقنا اللغوي على هذه الكلمة في ح ٣ ص ٧٤.

(٢) أمّا الصوائت الطويلة فلم تتغيّر طريقة كتابتها عمّا في الآراميّة. وهناك في السريانيّة حالات قليلة يُكتب فيها الصائت الطويل، ويكون المقصود في لفظه أن يكون قصيراً؛ راجع:

C. Brockelmann, *Syrische Grammatik*, 12. Aufl. (Leipzig, 1976), p. 7.

ومن أمثلة هذا كلمة ܓܝܫܪܐ gišrā (جسر) وتكتب بمدّ طويل (ī) بعد الصامت الأوّل؛ وقد تكتب على الوجه «القياسيّ» بدون المدّ: ܓܫܪܐ .

أعطى رمزاً كتابيّاً معيّناً لكلّ صائت استطاع الواضع تميـيزه، فقلّ كثيراً إمكان الالتباس، وهذا هو الغرض الأصليّ من كتابة الصوائت. وما ذكرناه عن تأثير الصوائت في المعنى ينطبق على صفة الشدّة وصفة الرخاوة في الأحرف الستّة، إذ غالباً ما يؤثّر اختلافهما في معنى الكلمة[١]، وقد استطاع السريان تميـيز الصفتين في كلّ حرف تميـيزاً دقيقاً. أمّا الناحية الثانية فكتابة أمور صوتيّة غير فونيميّة كالتعبير عن وجود الصائت الشديد القصر أو عن حذف الصامت في مواضع بعينها، وهما لا يُحدثان تغيـيراً في المعنى إن وُجدا أو حُذفا[٢].

غير أن الكتابة السريانيّة لا تستطيع التعبير عن التشديد gemination وعن النبر stress. والسبب، فيما يبدو، أنّ هاتين الصفتين غير فونيميّتين، أي لا وظيفة لهما في تغيـير المعنى عند وجودهما أو عدم وجودهما في الكلمة[٣]. وكذلك لم يستطع السريان أن يميّزوا تميـيزاً دقيقاً بين غياب الصائت (zero) ووجود صائت شديد القصر، أي مثل « شوا » في العبريّة.

ب- في العبريّة:

أخذ اليهود خطّهم الأوّل- وقد كتبوا به نقوشهم القديمة التي مرّ ذكرها[٤]- من الخطّ الكنعانيّ، وهو الخطّ الذي نشره الفينيقيّون في شعوب المنطقة وعُرف باسمهم. ويسمّى هذا الخطّ في العبريّة כְּתָב עִבְרִי

---

(١) أنظر: S. Morag, *The Vocalization Systems of Arabic, Hebrew, and Aramaic* (Netherlands, 1962), pp. 52-3.

(٢) في الكتابة السريانيّة كذلك رموز غير صوتيّة، ولا تدخل في بحثنا؛ ومن ذلك، مثلاً، خطّ أفقيّ طويل يوضع فوق العدد (والأعداد حروف، على حساب « أبي جاد »)، أو فوق الكلمة عندما تُختصر كتابتها لضرب من الإسراع.

(٣) انظر: Morag, *ibid.*, pp. 50-3.

(٤) انظر ص ٣٢٧ وما بعدها.

k^e ṯāḇ ʿiḇrī (الكتابة العبريّة)، وهو مطابق للخطّ الفينيقيّ. وفي القرن الخامس ق. م.، أي بعد السبي، أحلّ اليهود محلّ هذا الخطّ خطّاً آخر أخذوه من الآراميّة، وهم ينسبونه إلى عزرا؛ ويسمّى هذا الخطّ כְּתָב אַשּׁוּרִי k^e ṯāḇ aššūrī (الكتابة الأشوريّة = الآراميّة). وتطوّرت هذه الكتابة خلال القرنين الرابع والثالث ق. م. لتستقرّ على صورة جديدة أوحت بتسميتها بـ כְּתָב מְרֻבָּע k^e ṯāḇ m^e rubbāʿ (الكتابة العبريّة المربّعة، Hebrew Square Script)(١)، وهي المستعملة حتّى اليوم(٢) وبها تُطبع الكتب المقدّسة في العبريّة. وهذا القلم شبيه بالقلم الآراميّ المتأخّر، وبالقلمين: النبطيّ والتدمريّ.

ولسنا في صدد تأريخ هذا الخطّ المربّع، بل إننا ننظر في طريقة كتابة الصوائت والسمات الصوتيّة الأخرى فيه. وقد مرّ أنّ الكتابة التي كانت مستعملة في النقوش العبريّة القديمة من القرن التاسع أدخلت الأسلوب الآراميّ في التعبير عن الصوائت الطويلة في أواخر الكلمات(٣). غير أنّ هذه لم تكن كافية للقراءة الصحيحة التي لا يداخلها لبس، ودخول اللبس

---

(١) في تطوّر الخطّ العبريّ من ٢٥٠ ق. م. حتى ٧٠ م، انظر دراسة Cross المفصّلة: «The Development of the Jewish Scripts,» in *The Bible and the Ancient Near East*, ed. G. E. Wright (N. Y., 1961), pp. 133-202.

(٢) وهناك خطّ آخر سريع cursive مشتقّ منه، ويُستعمل، مثلاً، في كتابة الرسائل. ولن نُدخله في البحث إذ سنقتصر على الخطّ المربّع دون سائر الخطوط، كخطّ الربّانيّين المعروف بخطّ Rashi، وخط الايديش Yiddish.

(٣) وليس صحيحاً ما جاء في كتاب دروس اللغة العبريّة (ص ٦٥ - ٦٦) لربحي كمال أنّه «حوالي القرن السادس للميلاد طرأ إصلاح جديد على الخطّ العبريّ إذ راح اليهود يستعملون أحرف العلّة... الألف والهاء والواو والياء كعلامات للحركات تساعدهم على ضبط النطق وحفظ الكلمات كلها من التحريف. وكانت الكتابة العبريّة قبل ذلك لا تحتوي إلاّ على الأصوات الساكنة...».

في الكتابات المقدّسة خاصّة أمر غير مستحبّ، ولذلك أراد اليهود أن يمنعوه. ولا ننسَ أنّ اللغة العبريّة لم تعد لغة الحياة اليوميّة في ذلك الوقت، وهذا زاد الحاجة إلى نظام يعين القارىء على القراءة الصحيحة. ونرجّح هنا أن يكون اليهود قد تأثّروا بالكتابة السريانيّة لأنّها أقدم - كما رأينا - ولوجود عدد من المشابه بين طريقتيهما في كتابة الصوائت. غير أنّنا لا نعلم متى حصل هذا التأثّر على وجه التحديد، وإن كان بعضهم يذهب إلى أنّه حصل بعد منتصف القرن الثامن للميلاد بتأثير من النساطرة، تخصيصاً[١].

وكما في السريانيّة، نستطيع أن نميّز في العبريّة مرحلة ابتدائية لكتابة الصوائت سبقت المرحلة التي شهدت وضع أكثر من نظام واحد تامّ لهذا الغرض. وفي المرحلة الابتدائيّة استُعملت النقطة، كما في السريانيّة، للتمييز بين كلمتين صوامتها متشابهة؛ فإن وُضعت النقطة فوق الصامت دلّت على أنّه ملحوق بالصائت a، وإن وُضعت تحته كان بعده صائت شديد القصر هو $\check{s}^{e}w\bar{a}$. وبالطريقة نفسها كانت تتمّ التفرقة بين عدد من الصوائت الأخرى نحو o و a ونحو u و a و e الخ[٢]. وأوّل ما نلاحظه في هذه الطريقة عدم اختصاص الشكل الواحد بالصوت الواحد، فالنقطة وحدها مستعملة لعدد كبير من الصوائت، ولا يمكن تحديد الصائت المطلوب تحديداً حاسماً خارج السياق، أي من رسم الكلمة نفسها. ونلاحظ كذلك أنّ استعمال النقطة يقصد به التفرقة بين كلمتين متشابهتين، وهذا أنقص من أن يكون في معظم اللغة.

أمّا بعد المرحلة الابتدائيّة هذه، فقد قصدت النظم المختلفة التي وُضعت

---

(١) انظر مثلاً: Blake, *JAOS* (1940), p. 408.

(٢) قارن: Morag, *ibid.*, pp. 17-8.

من أجل كتابة الصوائت العبريّة إلى تحديد الصوائت باستخدام أشكال معيّنة لكلّ منها بحيث تُقرأ الكلمة قراءة صحيحة حتّى خارج السياق. وتوجد ثلاثة نظم مختلفة لكتابة الصوائت العبريّة، وهي: النظام الفلسطينيّ Palestinian، والنظـــام البابـــليّ Babylonian، والنظـــام الطـــبريّ Tiberian/Tiberiadic.

لعلّ أقدم هذه النظم الفلسطينيّ، وصفته أنّ رموز الصوائت فيه علويّة: superlinear أي أنّها تُكتب فوق الحروف الصامتة. وقد تمّ اكتشاف نصوص مكتوبة بهذه الطريقة في أواخر القرن التاسع عشر[١]. ويشمل هذا النظـام فرعاً مبسَّطاً Simple Palestinian وآخر أكثر شمولاً Fuller Palestinian، ولعلّ هذا الأخير أكثر النظم المذكورة شمولاً ودقّة في نقل الأصوات كتابةً.

والنظام البابليّ اكتُشف في منتصف القرن التاسع عشر في عدد من النصوص، وهو كسابقه ذو رموز علويّة، ويقسم مثله أيضاً إلى فرعين أحدهما يعرف بالمبسَّط Simple Babylonian والثاني أكثر تعقيداً وكمالاً Complicated Babylonian.

أمّا النظام الطبريّ فقد نشأ في طبريّة في حوالى ٨٠٠ للميلاد. وتنسب المصادر اليهوديّة وضعه إلى מֹשֶׁה בֶּן מוֹחֶא Mōše ben Mōḥe. وهذا النظام هو الأكثر شيوعاً، ويُستعمل اليوم وحده دون غيره. والواقع أنّه لم «يُكتشف» حديثاً، بمعنى أنّ استعماله لم ينقطع فيحوجَنا إلى اكتشافه من جديد. ويتميّز هذا النظام عن النظامين الآخرين بأنّ رموز الصوائت فيه سفليّة sublinear، في معظمها، أي أنّها تُكتب تحت الحروف الصامتة. وسنقتصر في هذا المجال على شرح النظام الطبريّ[٢]، ثمّ نشير إلى بعض

(١) راجع كتاب P. Kahle الشهير، واسمه: *The Cairo Geniza* (Oxford, 1959).

(٢) انظر في النظامين الفلسطينيّ والبابليّ شرحاً وافياً في: Morag, *ibid.*, pp. 30 ff.

خصائص النظامين الآخرين للمقارنة.

وهناك خمسة أمور يمكن بحثها في النظام الطبريّ للصوائت والسمات الصوتيّة الأخرى[1]:

١- طريقة استخدام الأحرف w و y و ʾ و h للصوامت والصوائت.

٢- طريقة كتابة الصوائت الأخرى.

٣- طريقة التفرقة بين الشدّة والرخاوة في الأحرف الستّة b و g و d و k و p و t.

٤- طريقة كتابة التشديد.

٥- طريقة التعبير عن النبر.

أولاً: استطاع هذا النظام أن يميّز تمييزاً يقرب أن يكون تاماً بين المواضع التي تكون فيها الأحرف w و y و ʾ و h صامتة وبين المواضع التي ترمز فيها إلى الصوائت. وتُسمّى هذه الأحرف في العبريّة אִמּוֹת הַקְּרִיאָה ʾimmōṯ haqqᵉrīʾā (أمّهات القراءة)،وشاع عند العلماء تسميتها بـ matres lectionis بالمعنى نفسه. ويخضع استخدام هذه الأحرف لقواعد دقيقة[2] لن نخوض فيها إلاّ على سبيل التمثيل، ثمّ المقارنة بالكتابات الساميّة الأخرى. ولنأخذ الحرف y، فهو يترجّح بين التعبير عن صامت والتعبير عن صائت بحسب موضعه في الكلمة كما يلي:

---

(١) راجع مثلاً الفصلين المتعلّقين بالكتابة العبريّة في كلّ من:

Gesenius' Hebrew Grammar.

Bauer & Leander, *Historische Grammatik der hebräischen Sprache.* و

(٢) هناك سمات صوتيّة تفصيليّة لن ندخل في طريقة كتابتها في العبريّة، فليرجع إليها القارىء في كتب النحو العامّة في الأبواب التالية: paṯaḥ furtivum و mappīq و maqqēp̱ و meṯeg.

- إنْ وقع في أوّل الكلمة فهو صامت بالضرورة، إذ لا بدء إلاّ بصامت في الكلام. مثال ذلك יָרַשׁ yāraš (ورث).

- إن وقع في وسط الكلمة وكان متبوعاً بصائت (وهو في الكتابة إمّا علامة فوق شكل y وإمّا علامة تحته) فهو صامت، إذ لا يمكن أن يتوالى صائتان. مثال ذلك אַיִל ayil (كبش؛ قارن «أيّل» في العربيّة).

- إن وقع في وسط الكلمةولم يصحبه صائت، فهو، نفسه، الصائت؛ نحو עִיר ʿīr (بلدة أو مدينة).

- إن وقع في آخر الكلمة احتمل الوجهين، أن يكون صامتا وأن يكون صائتاً، ولا يمكن تحديد الوجه الصحيح إلاّ اعتماداً على طبيعة الصائت الذي يسبقه، فإن كان هذا الصائت a مثلاً تعيّن كونه صامتاً، نحو חַי ḥay (حيّ)، وإن كان قبله الصائت i مثلاً تعيّن كونه صائتا، نحو עִבְרִי ʿibrī (عبريّ).

وبسبب الازدواجيّة المذكورة في الفقرة الأخرى لا يكون التمييز تامّاً بين استعمال الحرف y صامتاً واستعماله صائتاً، حتّى وإن لم ينشأ التباس. فإن يكن التمييز تامّاً في وسط الكلمة اعتماداً على طبيعة الحرف السابق أهو صامت ام صائت، فإنّ التمييز يختلف في آخر الكلمة، إذ لا يكفي وجود الصائت لتحديد طبيعة الحرف y بل يتعيّن على القارىء معرفة نوع هذا الصائت ليقرأ القراءة الصحيحة. وكذلك من الملاحَظ أنّه في عدد غير قليل من الكلمات التي تحتوي على صائت طويل قد لا يُمثَّل هذا الصائت كتابياً، بل يُكتفى بكتابة رمز الصائت القصير قبله دلالةً عليه، فكلمة צַדִּיקִים ṣaddīqīm (صِدّيقون) قد تُكتب بدون الصائت الطويل بعد الصامت d، أي צַדִּקִים، فيكون الصائت القصير i بعد الحرف d إشعاراً بنوع الصائت لا بكمّيّته؛ وكذلك שָׁלֹם šālōm المستعملة أحياناً بدلاً من שָׁלוֹם. ويسمَّى هذا النوع من الكتابة- وهو قد

يصيب الكلمة في موضع دون آخر، أي أنّه ليس مختصّاً - الكتابة الناقصة defective writing، وقد يرجع إلى أنّ النصّ الأصليّ لم يكن يحتوي على علامة للصوائت الطويلة (أي w أو y أو ʾ أو h)، فلم يرد النحويّون، لأسباب دينيّة، تغيير صورة الصوامت بإضافة الحرف المناسب[1]، فرمزوا إلى الصائت الطويل بعلامة الصائت القصير.

ثانياً: عدا «أمّهات القراءة» تميّز العبريّة بين عدد كبير من الصوائت يفوق ما في العربيّة أو السريانيّة. وليس يعني ذلك بالضرورة انّ في العبريّة صوائت غير موجودة في العربيّة أو السريانيّة، فهذا أمر كتابيّ لا لغويّ. واذا استثنينا $š^{e}$wā وما يتركّب معها من صوائت، فإنّ في الكتابة العبريّة الرموز التالية للصوائت:

من صنف الفتحة:

ָ קָמֶץ qāmeṣ، ويمثّل ā

ַ פַּתַח paṯaḥ، ويمثّل a

ֶ סְגוֹל s^{e}ġōl، ويمثل a ممالة أو e

من صنف الكسرة:

ִ חִירֶק ḥīreq، ويمثّل i، واحياناً ī إن لم يُكتب بعده الحرف y

ִי (مع حرف y بعده)، ويمثّل ī

ֵ צֵרֵי ṣērē، ويمثّل ē، وربّما e

ֵי (مع حرف y بعده)، ويمثّل ē (وقد تكتب ê تميـيزاً لها عن سابقتها)

ֶ s^{e}ġōl، وقد مرّ ذكره

(١) مثل هذا في العربية الحفاظ على الشكل القرآنيّ من حيث الصوامت، نحو اسحٰق، والحيٰوة، وهٰذا.

من صنف الضمة:

ֻ קִבּוּץ qibbūṣ، ويمثّل u؛ وأحياناً ū، إن لم يُستخدم الرمز الأصلي لهذا المد الطويل

וּ שׁוּרֶק šūreq، ويمثّل ū، وهو أحد الرمزين المكوّن كلّ منهما من علامتين، إذ إنّه الحرف w وبداخله نقطة تفرّقه عن الصوت ō

וֹ أو ֹ חוֹלֶם ḥōlem، ويمثّل ō، وهو الرمز الثاني المكوّن من علامتين اثنتين

أما الصائت المعروف بـ שְׁוָא š^{e}wā ورمزه في العبرية ְ (ونرمز اليه في كتابتنا الصوتيّة بـ ^{e}) فهو شديد القصر، وصنفه غير محدَّد indeterminate أي لا يمكن تصنيفه في أيّ من أصناف الصوائت الثلاثة. وهو في هذه الحال « صائت متحرّك » š^{e}wā mobile كما اصطلح العلماء في وضع مقابل للمصطلح العبريّ שְׁוָא נָע š^{e}wā nāᶜ، أي أنّه ليس سكونا. وقد يُستعمل تعبيراً عن السكون، أي في نهاية المقطع المغلق، فيكون لمجرّد الفصل بين المقاطع، ويُعرف عندها بـ š^{e}wā quiescens أي « الشوا الساكنة ». وتخضع التفرقة بين النوعين إلى قواعد كثيرة تعتمد في الغالب على طبيعة المقاطع في الكلمة وموقع š^{e}wā منها.

ويختص الصائت š^{e}wā عندما يكون « متحركاً » بتركّبه مَع ثلاثة صوائت أخرى تعبيراً عن ثلاثة صوائت مختلفة، كلّ منها قصير ويقع في مقطع مفتوح، وهي:

ֲ ḥāṭēp̱-paṯaḥ، ويتكوّن من š^{e}wā و paṯaḥ، وهو أقصر من paṯaḥ لو كانت وحدها.

ֱ ḥāṭēp̱- s^{e}ḡōl، ويتكوّن من š^{e}wā و s^{e}ḡōl، وهو أقصر من s^{e}ḡōl وحدها.

ֳ ḥāṭēp-qāmeṣ ، ويتكوّن من š^{e}wā و qāmeṣ ، وهو أقصر من qāmeṣ وحدها.

والملاحَظ أنّ من هذه الرموز ما يحتمل أكثر من وجه واحد، فرمز i قد يمثّل ī في الكتابة الناقصة defective writing ، ورمز u قد يمثّل فيها ū . وأكثر من ذلك كلّه تردّد š^{e}wā بين « التحرك » و « السكون »، واعتماد قراءتها على موقعها من الكلمة. والمحصَّل أنّ عدداً من الرموز، لا كلّها، غير مختصّ بصوت واحد. ومن جهة أخرى يوجد سؤال كبير يحيط برموز الصوائت العبريّة: أتمثّل حقاً كميّة الصائت quantity أم أنّها تمثّل نوع الصائت quality فحسب؟ والواقع أنّه يستحيل فهم نظام الصوائت في العبريّة على حقيقته دون تحديد هذه النقطة. ولعلّ الحقيقة مجزَّأة بين القول إنّها تمثّل الكميّة وبين القول بخلاف ذلك. فالرموز المعروفة بـ « أمّهات القراءة » تمثّل صوائت طويلة (أي أنّ كميّتها محدَّدة)، كما أنّ استخدام š^{e}wā مع عدد من الصوائت الأخرى إشعاراً بقصر الصائت لدليل على أنّ الكتابة العبريّة لا تهمل كميّة الصائت. ولكن من جهة أخرى، يُكتب بعض الصوائت الطويلة كتابة ناقصة، أي دون رمز يعيّن كونها طويلة، كما أنّ هناك عدداً من الرموز (مثل ָ و ֵ و ִ) التي لا يمكن في مواضع كثيرة تحديد كونها طويلة أو قصيرة(١).

ثالثاً: في اللغة العبريّة، كما في السريانيّة، ستّة أحرف لكلّ منها لفظان، واحد شديد وآخر رخو. وتتعيّن إحدى الصفتين بحسب الظروف الصوتيّة المحيطة بالحرف. وهذه الأحرف واحدة في اللغتين وهي b و ḇ، و g و ġ، و d و ḏ، و k و ḵ، و p و p̄، و t و ṯ. والقواعد التي تحدّد صفة الشدّة أو الرخاوة في هذه الأصوات في العبريّة شديدة الشبه بقواعدها في

(١) انظر: *Gesenius' Hebrew Grammar*, p. 40.

السريانيّة[١]: فالرخاوة تكون بعد صائت، أمّا الشدّة ففي أوّل الكلام[٢]، وبعد صامت، وفي التشديد. غير أنّ هناك اختلافاً بين اللغتين في هذه الأحرف، فبينا هي غير فونيميّة في العبريّة - أي أنّ معنى الكلمة لا يتغيّر إن حلّ b محل b̲ أو p محل p̲ الخ - فإنّها في السريانيّة فونيميّة، فكلمة qṭaltēh تعني « قَتَلْتُهُ »، في حين أنّ كلمة qṭalṯēh تعني « قَتَلَتْهُ ». ولا فرق بينها إلاّ في صفة الشدّة في t والرخاوة في t̲. ومن الناحية اللغويّة، لا الكتابية، تختلف اللغتان أيضاً في هذه الأحرف، فصفتا الشدّة والرخاوة موزَّعتان في العبريّة توزيعاً متكاملاً complementary distribution، أي أنّ لكلّ منها مواضع وظروفاً صوتيّة لا يقع فيها صاحبه. وأمّا في السريانيّة فقد يقع كلّ منها في موضع غلب عليه صاحبه؛ ففي المثل السابق جاء t̲ بعد الصامت l في qṭalṯēh، والمعروف أنّ اللفظ الشديد (t)هو الذي يجيء في هذا الموضع عادة.

أمّا من الناحية الكتابيّة فإنّ التمييز بين الصفتين يكون بوضع نقطة في داخل الحرف عندما يكون لفظه شديداً، فإن لم توضع دلّ على أنّ لفظه رخو. وتوضع النقطة عندما يكون الحرف مشدّداً نحو - bb - أو - dd - ، ولا مجال للالتباس هنا لأنّ هذه الحروف لا تُشدَّد عندما تكون رخوة، فلا يوجد في العبريّة مثلا - bb̲ - *أو - dd̲ - *.

رابعاً: تعبّر العبريّة عن التشديد بوضع نقطة في داخل الحرف (وتسمّى דָּגֵשׁ dāḡēš) إلا في خمسة أحرف لا تقبل التشديد[٣]، أربعة منها

---

(١) راجع ص ٣٣٩.

(٢) إلاّ إذا كانت الكلمة السابقة منتهية بصائت شرط أن تكون الكلمتان في جملة واحدة أو آية واحدة...

(٣) لعلّ الأصحّ أن نقول إنّ الكتابة العبريّة هي التي تُظهرها دون تشديد، فهذه الأحرف قد تكون مشدَّدة حقيقةً، وهذا ما يعرف بـ: virtual doubling. ففي בִּעֵר biʿēr (حرقَ) مثلاً نرى

حلقيّة هي ʾ و h و و ḥ، والخامس r. وبمقارنة هذا بالفقرة السابقة نجد أنّ الرمز dāgēš له وظيفتان مختلفتان، الأولى إظهار أنّ الحرف مشدَّد، والثانية إظهار أنّ الحرف شديد لا رخو (في الحروف الستّة طبعاً، حتّى ولو لم تكن مشدَّدة كما في أوّل الكلمة). وفي هذا دليل آخر على عدم اختصاص بعض الرموز بوظيفة معيّنة أو بقيمة صوتيّة معيّنة.

خامساً: نشأت الحاجة في العبريّة إلى تحديد طبيعة النبر في كلّ كلمة[١]، خوفاً على قراءة الكتاب المقدّس من الابتعاد عن الأصل، وذلك بعد أن أضحت اللغة العبريّة غير مستعملة في الحياة اليوميّة. ولذلك ظهر في العبريّة نظام شديد التعقيد لكتابة النبر ولإرشاد القارىء إلى الوقف الطويل أو القصير.

هذه أهمّ معالم كتابة الصوائت والسمات الصوتيّة الأخرى في النظام الطبريّ. أمّا النظامان الآخران: الفلسطينيّ والبابليّ، بأنواعها، فيشبهانه في كثير من جوانبه. ويهمّنا النظر في أشكال الرموز المستخدمة لرسم الصوائت في كلّ منها، لنرى إن كان بينها جميعاً علاقة ما. ويُظهر الرسم ٥٩ هذه الأشكال مقارَنةً برموز الصوائت في السريانيّة الشرقيّة[٢].

بمقارنة النظم الثلاثة المستخدمة في كتابة العبريّة نجد أنّه لا يوجد صائت واحد يُكتب بالرمز نفسه في كلّ منها. ولكنّ هذا يجب ألاّ يُلهينا عن لمح مَشابه بين هذه النظم في أشكال رموزها الصامتة، فمن ذلك:

أن الحرف مشدَّد، وإنْ لم تظهر فيه علامة التشديد، لأنّه لو لم يكن مشدَّداً لكان الصائت قبله طُوِّل تعويضاً عن التشديد.

(١) يمكن الرجوع إلى قائمة واضحة بأنواع النبر وعلاماته في قراءة العهد القديم في:

J. Blau, *A Grammar of Biblical Hebrew* (Wiesbaden, 1976), pp. 18-21, 30-7.

وفي الكتاب نفسه فصل جيّد عن الأصوات العبريّة عامّة (ص ٣ - ٤٠).

(٢) أمّا الرموز السريانيّة الغربيّة فلا تدخل في المقارنة لأنّها مأخوذة من اليونانيّة كما مرّ.

الصائت	الطبري	الفلسطيني المبسّط	البابلي المبسط	السرياني الشرقي
a	◌ַ	[illegible]	[illegible]	◌ܰ
ā	◌ָ	[illegible]	[illegible]	◌ܳ
e	◌ֶ (و ◌ֵ)	[illegible] (و [illegible])	[illegible]	◌ܶ (و ◌ܷ)
i	◌ִ	[illegible]	[illegible]	◌ܺ
o	◌ֹ	[illegible]	[illegible]	ܘܿ
u	◌ֻ	[illegible]	[illegible]	ܘܼ

الرسم ٥٩

الصوائت العبريّة في النُّظُم المختلفة

١ - أنّ شكل الصامت a واحد في النظام الطبريّ والنظام الفلسطينيّ المبسَّط ولكنّه يُرسم في الأوّل تحت السطر وفي الثاني فوقه.

٢ - أنّ شكل الصامت e في النظم الثلاثة يتكوّن من نقطتين، وإن اختلفت طريقة كلّ نظام في رسمها (ـ̤ أو ـ̤ أو ـ̤ أو ـ̤).

٣- أنّ شكل الصامت i واحد في كل من الطبريّ والبابليّ المبسَّط، وهو نقطة واحدة تُرسم تحت السطر في الأوّل وفوقه في الثاني.

ومن ناحية أخرى ينبغي النظر في علاقة كلّ من هذه النظم بالنظام السريانيّ الشرقيّ[١]. فمن الشبه المحتمَل رجوعه إلى أصل وضعيّ ما يلي:

١ - في النظام الطبريّ: ينفرد هذا النظام عن النظامين العبريّين الآخرين بأنّ من أشكال رموزه الصائتة ما يُرسم فوق الحروف ومنها ما يُرسم تحته، وهذه الطريقة تشبه الطريقة السريانيّة الشرقيّة. ومن حيث الأشكال بعينها نجد تقارباً بين الطبريّ والسريانيّ في شكل الصائت e، وكذلك في شكل الصائت i، كما نجد تشابهاً في استعمال النقطة تعبيراً عن الصائت o في كلّ منها. وقد يكون الشكل ـ̱ في الطبريّ (وقيمته الصوتيّة a) مستوحى من شكل mhagyānā وهو خطّ أفقيّ يُرسم تحت الحرف للتنبيه على وجود صائت شديد القصر[٢].

٢ - في النظام الفلسطينيّ المبسَّط: هناك علاقة بين شكل e في النظامين، كما أنّ شكل a يذكّرنا بـ mhagyānā السريانيّة.

٣ - في النظام البابليّ المبسَّط: العلاقة واضحة بين شكل e وشكل i في كلّ من النظامين، وهما في البابليّ فوق السطر وفي السريانيّ الشرقيّ تحته.

---

(١) انظر: Blake, *JAOS* (1940), pp. 404-8.

(٢) راجع ص ٣٣٩.

إلى ذلك يبدو أنّ شكل الصائت u (̱) هو شكل الحرف w (٦)، وهذا شبيه باستخدام السريانيّ الشرقيّ للحرف w (ܘ̣) في كتابة الصائت u.

نرى إذاً أنّ هذا التشابه بين النظم العبريّة (وخاصة الطبريّ) والنظام السريانيّ الشرقيّ في كتابة الصوائت لا يمكن ردّه إلى مجرّد المصادفة. وليس يُعقل أصلاً أن يكون النظام البابلي، خاصّة، غير ذي علاقة في النشأة بالنظام السريانيّ الشرقيّ لظهورهما في منطقة واحدة ولتشابههما في بعض الأوجه[1]. ثم إنّ بين النظم العبريّة الثلاثة أوجها من الشبه توحي بعلاقة وضعيّة بينها، ولعلها جميعاً ترجع إلى الأصل السريانيّ الشرقيّ، وإن كان غير ممكن أن نعلم، في كلّ حالة، أكان ذلك بطريق مباشر أم من خلال كتابة وسيطة. وفي أيّة حال، من الممكن أن نتبيّن أنّ كلاّ من الأنظمة العبريّة الثلاثة تطوّر بعد ذلك تطوّراً خاصاً به باستحداث أشكال لعدد من الصوائت، نذكر منها ما يلي:

١ - في النظام الطبريّ: شكل الصائت e (ֶ) من صنع النظام نفسه، ولعلّه ناشىء بزيادة نقطة ثالثة على شكل الصائت ē (ֵ) الذي قد يستعمل للصائت e أيضاً. واسم الصائت e يدلّ على أنّ وضعه متأخّر، فمعنى كلمة s^{e}gōl إنّما هو «عنقود عنب» (قياساً على اللفظة السريانيّة ܣܓܘܠܐ sgūlā بالمعنى نفسه)[2]، الأمر الذي يدلّ على أنّ اسمه وصفٌ لشكله، وأنه يمتاز عمّا عداه بهذه الصفة.

٢ - في النظام الفلسطينيّ المبسّط: شكل الصائت e (ֶ) وشكل الصائت u (ֻ) يبدوان ناشئين من داخل النظام لا مستعارين من مصدر خارجيّ.

---

(١) قارن: Kahle, *The Cairo Geniza*, pp. 65-6.

(٢) P. Haupt, «The Names of the Hebrew Vowels,» in *JAOS*, 22, pt. 1 (1901), p. 17.

٣- في النظام البابليّ المبسّط: شكل الصائت a (ـٓ) مصغّر عن الحرف ع (وشكله ﻻ)[١]، وهذا غير موجود في النظامين الآخرين أو في السريانيّ الشرقيّ، والراجح أنّه موضوع وضعاً أصليًّا في البابليّ.

وأخيراً، قد يكون في أسماء الصوائت العبريّة دليل آخر على العلاقة ما بين كتابة الصوائت في العبريّة والسريانيّة والعربيّة، كما سنرى[٢].

ج- في العربيّة الشماليّة:

أضافت الكتابة العربيّة الشماليّة إلى صوامتها أشكالاً تدلّ على الصوائت، وتُعرف بالحركات، كما أضافت نقاطاً تميّز بين أشكال الحروف المتشابهة، ويُعرف هذا بالإعجام[٣].

مرّ الكلام على الإعجام في النبطيّة والعربيّة[٤]، ونتناول، في هذا الموضع، الحركات فننظر في أسس كتابتها وفي أشكالها وفي علاقتها بكتابة الصوائت السريانيّة.

تقول الرواية العربيّة عن وضع أبي الأَسْوَد للحركات إنه قال لكاتبه: « إذا رأيتني لفظت بالحرف فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغُنّة فاجعل نقطتين. فإذا رأيتني كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنّة فاجعل نقطتين. فإذا رأيتني قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنّة فاجعل

---

(١) قارن بكتابة الهمزة في العربيّة برمز مقتطع من شكل الحرف « ع ».

(٢) انظر ص ٣٦٧ - ٣٦٩.

(٣) ولسنا نستخدم مصطلح « التنقيط » هنا منعاً لالتباسه بالتنقيط المستخدم في كلّ من السريانيّة والعبريّة في كتابة الصوائت.

(٤) راجع ص ١٧٤ - ١٧٦.

نقطتين »[1].

ويرى بعض العلماء[2] أنّ هذه الطريقة نشأت عن « القوّة الصوتيّة » لكلّ من الصوائت الثلاثة، فلكون الفتحة صائتاً قويًّا جُعلت علامتها فوق الحرف إشعاراً بهذه القوّة، ولكون الكسرة صائتاً ضعيفاً كانت علامتها تحت الحرف، في حين جُعلت علامة الضمّة أمام الحرف لتوسّطها بين صاحبتيها في القوّة والضعف. وفي هذا الرأي تمحّل ظاهر. والأقرب إلى الصواب الربط بين مواضع الحركات وبين حركة أعضاء النطق، وهذا ما تقوم عليه الرواية أصلاً. فالكسرة يصاحبها انكسار في الحنك الأسفل رُمز إليه بحركة سفليّة، والفتحة يصاحبها تباعد الشفتين، فرُمز إليها بحركة فوقيّة؛ أمّا الضمّة، ويصاحبها تدوير الشفتين، فالأولى أن تكون حركة أمام الحرف، لا فوقيّة ولا سفليّة. وقد يكون تأويلنا نفسه مجافيا للحقيقة إذا كانت هذه الحركات مأخوذة عن السريانيّة، وسنبحث في هذا لاحقاً.

غير أنّ الطريقة المنسوبة إلى أبي الأسود - وإن سهّلت عمليّة القراءة من جهة معرفة الصوائت - أدّت إلى صعوبة غير قليلة من جهة أخرى لأنّ النقط التي تستخدمها التبست بالنقط المستخدمة للإعجام، فهما من طبيعة واحدة في الشكل. ولذلك لجأوا إلى التفرقة بين الأمرين في كتابة المصاحف باستخدام لونين مختلفين للمداد، فاستخدموا المداد الأسود للإعجام، والأحمر أو الأصفر والأخضر وربّما الأزرق للحركات[3]. وواضح أنّ في هذا مشقّة على الكاتب قد لا يحتملها في غير المصاحف، ولذلك كان نشوء

---

(1) انظر كتاب أبي عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص ٦ - ٧؛ وقارن بالفهرست (ت رضا - تجدّد) ص ٤٥.

(2) Cp. «Arabia» (d. Arabic Writing), in *EI*,

(3) انظر في تفصيل ذلك المقالة السابقة؛ وقارن بكتاب دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ لصلاح الدين المنجّد ص ١٢٧.

نظام جديد لكتابة الصوائت أمراً يلحظ الغرض الأوّل من استخدام الرموز لكتابة الصوائت وللتفرقة بين الأحرف المتشابهة، أعني تسهيل مهمّة القارىء لا تصعيبها. وليس مستغرَباً أن يصيب التغيير أشكال الحركات لا أشكال الإعجام لأنّ هذه الأخيرة، على أغلب الظنّ، أقدم، لوجودها في العربيّة في أوائل القرن الأوّل كما بيّنّا، وكذلك لأنّ تغييرها كان يقتضي أن يحلّ محلّها عدد كبير من الرموز ليقوم بغرض التفرقة بين كلّ حرف وصاحبه المشتبه به - ومنها ما نقطته فوقه، ومنها ما نقطته تحته، ثم هناك الموحّد والمثنّى والمثلّث - في حين أن تغيير أشكال الحركات لم يكن يقتضي أكثر من وضع ثلاثة أشكال جديدة محلّ الثلاثة الأقدم. وتنسب المصادر الطريقة « الجديدة » في كتابة الحركات إلى الخليل بن أحمد، كما يُنسب إليه كتاب موسوم بـ « كتاب النقط والشكل »[1].

ومن حيث المبدأ الذي تستند إليه العربيّة في كتابة الصوائت، فإنّه يختلف عمّا في السريانيّة والعبريّة، لاقتصار العربيّة على كتابة ثلاثة صوائت قصيرة وثلاثة طويلة. ونعلم يقيناً أنّ الأصوات العربيّة أكثر من ذلك بكثير، بدلالة أنواع الإمالة والوقف الخ. وأمّا سبب الاقتصار في الكتابة على ستّة أصوات تشكّل في حقيقتها ثلاثة أنواع فحسب من الصوائت من حيث الصنف فلا نستطيع تحديده جازمين، ولكنّنا لا نستبعد أن يكون متعمَّداً من الواضع لأنّه لم يشأ أن يدخل في متاهة التعبير عن البدائل الصوتيّة allophones، أي في تنوّع الفونيم الواحد وتلوّنه في كلّ لهجة أو في لهجة بعينها. ويمكننا مقارنة هذا بقسيمه في باب الحروف الصامتة، إذ إنّ في

---

(١) انظر الفهرست ص ٤٩؛ وقارن ص ٣٨ منه؛ وكذلك وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٦، و بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٥٦٠.

العربيّة، كما يقول سيبويه[1]، اثنين وأربعين حرفاً صامتاً[2]- ولعله لم يأت على ذكرها جميعاً - وليس كلّها، طبعاً، ممثّلاً في الكتابة. وظنّنا أنّ العرب لم يُلحقوا مثل هذه الأصوات في الكتابة تجنّباً للوقوع في البدائل الصوتيّة، وفي اختلاف اللهجات الكثيرة بشأنها. أمّا العبريّة فإنّ الظروف المحيطة بتاريخ كتابة صوائتها تختلف عمّا في العربيّة، لأنّها سقطت في الاستعمال اليوميّ وأصبحت لغة قراءات دينيّة فحسب، وهذا يؤدّي حتماً إلى نزعة للمحافظة على الأصل وللتفرقة الدقيقة بين الأصوات. ولعلّ السريانيّة تحتلّ مركزاً وسطاً بين العبريّة والعربيّة في هذا المجال[3]، إذ إنها كانت وقت كتابة صوائتها لغة محكيّة، ولكنّها أخذت تميل إلى التفصيل والتدقيق في كتابة الصوائت بعد أن ضعفت وانحسرت في الاستعمال كثيراً.

والفرق بين الصوائت القصيرة والصوائت الطويلة فونيميّ في العربيّة، أي أنّ معنى الكلمة قد يختلف بحسب طول الصائت، كالفرق بين قتلَ وقاتلَ، وبين خُمُر وخُمور. وبذلك يمكن القول إنّ كتابة الصوائت في العربيّة ذات منطلق فونيميّ خالص لا تتعدّاه (فلا تعبّر عن الإمالة مثلاً، وهي غير فونيميّة)، في حين أنّ في السريانيّة والعبريّة رموزاً لسمات صوتيّة غير فونيميّة، كما ذكرنا. وكذلك السكون- أي عَلَمُ غياب

(١) الكتاب ٢/٤٠٤؛ وقارن بسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي ١/٥١.

(٢) ولا يمكن الاحتجاج بالقول إنّ الحروف التي ذكرها سيبويه بعد الحرف التاسع والعشرين إنما هي من لفظ الأعاجم ولم يكونوا قد خالطوا العرب عندما كتبوا صوامتهم، فمثل هذا الاحتجاج لا يمكن إثباته في جميع الحروف الزائدة التي ذكرها، وذلك أنّه وصف بعضها بقوله: «وهي كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار.» ونلاحظ أنّ هناك حرفين اثنين مما ذكره سيبويه مع الصوامت ليسا بصامتين بل صائتان، وهما «الألف التي تمال إمالة شديدة» و«ألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة».

(٣) انظر: Morag, *The Vocalization Systems*, pp. 6-7.

الصائت – فونيميّ في العربيّة (قارن: بَرْد وبَرَد، ونَفْس ونَفَس)، ولذلك لا يخرج عن القاعدة الفونيميّة في كتابة الصوائت العربيّة.

وتستخدم الكتابة العربيّة ثلاثة أشكال للصوائت الطويلة هي w وy و ᵓ ، ولا تستخدم الحرف h لهذا الغرض[١]، فتوافق بذلك السريانيّة، وتخالف الآراميّة والعبريّة (قديمها وحديثها) والمؤابيّة. ولهذه الأشكال الثلاثة في العربيّة قيمة صوتيّة مزدوجة كما في سائر الكتابات التي تستخدمها؛ فهي صامتة في أوّل الكلام، وإذا تحرّكت بحركة، أو كانت جزءاً من الصائت المركّب -aw- أو -ay- ؛ وفي غير ذلك من المواضع تكون صائتة طويلة، أي يكون قبلها حركة من جنسها كالضمّة قبل الواو (كتابةً طبعاً)، والكسرة قبل الياء، والفتحة قبل الألف.

واحتفظت العربيّة بعدد من الكلمات التي لا يُكتب صائتها الطويل ā؛ ويُشعرنا هذا بأنّ استخدام الألف لكتابة ā جاء في مرحلة متأخّرة نسبيًّا، على الأقل في حال كون هذا الصائت في وسط الكلمة. ومرجع هذا إلى الكتابة النبطيّة إذ إنّ الصائت الطويل ā تُهمل كتابته فيها إذا وقع في وسط الكلمة[٢]. ولم يفت العرب أنّ هناك عدم اتّساق بين كتابة هذا الصائت وكتابة الصائتين الآخرين ū وī – فهذان يُكتبان سواء أكانا في وسط الكلمة أم في آخرها – فسوّوا بين موضعي الصائت ā فكتبوهما جميعاً. ورشحت كلمات لم تخضع لهذا الأسلوب، فمنها هٰذا، وذٰلك، ولٰكن، والله،

---

(١) قد يُستخدم في الكتابة العربيّة في شمالي افريقية وفي اسبانيا الحرف h مسبوقاً بضمّة لكتابة الصائت o في الأعلام الأجنبيّة، نحو قارْلُه Carlo، ودون بِطْرُه Don Pedro؛ انظر:

W. Wright, *A Grammar of the Arabic Language*, 3rd ed. (Cambridge, 1964-67), I, 10.

وقارن ح ٣ ص ٧٤.

(٢) انظر ص ١٧٨.

والرحمٰن، والسموٰات، واسحٰق، وهٰرون، والحٰرث، والقٰسِم، وثلٰثون، والشيطٰن[1]. واستمرّت كتابة عدد منها على صورتها الأولى، وهذا ما يُعرف بالكتابة التاريخيّة historical spelling، وغالباً ما يُسهم في استمراره روح المحافظة على النصوص الدينيّة خاصّة ومقاومة تغيير معالمها. وكان مثل هذا الروح قد ساد عندما كُتبت حركات أبي الأسود بمداد مختلف لونه عن المداد الذي تُكتب به الصوامت تجنّباً لتغيير رسم الكلمة الأساسيّ.

وأُدخِل في الخطّ العربيّ علامات أخرى إسعافاً للقارىء، هي الشدّة والمدّة والوصل والقطع وكذلك الوقف في أواخر الآي[2] (وهذه علامة غير صوتيّة طبعاً). ويهمّنا منها أشكالها، لأنَّ فيها دلالة على أصلها، فالشدة (ّ) شين مصغَّرة مقتطعة من الشكل « شُدَّ »، والمدّة (ٓ) مختصرة من « مُدَّ »، وهمزة الوصل (ٱ) صاد مصغّرة مقتطعة من « صِل »، وهمزة القطع (ٔ) مجتزأة من (ع) لقرب مخرج الهمزة من العين. والمحصَّل أنّ هذه العلامات من وضع العرب أنفسهم أي أنّهم لم يأخذوها عن كتابة أخرى. أمّا الحركات الثلاث ـَ وـِ وـُ فهي اختصار من نوع آخر لأنّها ليست مقتطعة من أوّل فعل أمر موجّه للقارىء، بل مجتزأة من شكل الحرف الذي يمثّل الصائت الطويل الذي يقابل كلاً منها. وأوضح الثلاثة شكل الضمّة فهي واو مصغّرة. أمّا الفتحة فأغلب الظن أنّها ألِف مصغّرة أُميلت، ربّما لتفرقتها عن الألف المصغّرة التي كُتبت في كلمات مثل: هٰذا والرحمٰن واسحٰق. وأمّا الكسرة فقد تكون مجتزأة من (ي) أو (ٍ)[3]، وإن يكن لمح العلاقة

---

(١) قارن بشرح الشافية للجاربردي ٢/٣٤٩.

(٢) لا تدخل هذه العلامات في نطاق بحثنا، وليُرجع إليها في:

«Arabia» (d. Arabic Writing), EI^1.

وفي كتاب الخطّ العربيّ: نشأته– مشكلته لأنيس فريحة، ص ٥٥ وما بعدها.

(٣) انظر المرجع السابق EI^1، وقارن: Wright, *ibid.*, p. 8.

بينهما أدعى إلى التأمّل. وفي حين يمكننا الاطمئنان إلى أنّ أشكال الشدّة والمدّة وهمزتي الوصل والقطع عربيّة الأصل، يدعونا البحث العلميّ إلى التريّث قبل الحكم على أشكال الفتحة والكسرة والضمّة لعدم وجود دليل قاطع، كالذي وجدناه في الأشكال الأخرى، على أصلها العربيّ. فأضعف القول إنّنا لا نستطيع أن نستبعد استبعاداً كلّيًّا احتمال أن تكون أشكال الحركات في العربيّة - أو ربما مواضعها بالنسبة إلى الحرف - مأخوذة من مصدر آخر، ومن السريانيّة بالتحديد. ولعلّ بحث هذه المسألة يكون أصحّ إن جُعل جزءاً من دراسة أشمل تتناول الأثر السريانيّ في الكتابة العربيّة عامّةً.

ونتناول عدداً من المسائل التي قد ينكشف فيها أثر سريانيّ في الكتابة العربيّة، في الصوائت خاصّة، لنقوّمها بعد ذلك مجتمعة:

١ - يقوم نظام كتابة الحركات في السريانيّة الشرقيّة والغربيّة في مرحلة البدايات على استخدام النقطة. والنظام السريانيّ الشرقيّ، الذي نشأ غير متأثّر بمصدر خارجيّ، خلافاً للنظام السرياني الغربي الشديد التأثّر بكتابة الصوائت في اليونانيّة، يستخدم النقطة بأشكال مختلفة لكتابة صوائته (انظر الرسم ٥٩). واستخدام النقاط بأشكال متنوّعة يغلب على الكتابة العبريّة بفروعها الثلاثة الرئيسة: الطبريّ والفلسطينيّ والبابليّ. وبعد ذلك نرى النظام المنسوب إلى أبي الأسود يقوم على استخدام نقطة واحدة لغير التنوين ونقطتين له في ثلاثة أماكن مختلفة بالنسبة إلى الحرف. ولعلّ منطق الأشياء يقرّب إمكان العلاقة الوضعيّة بين هذه الكتابات جميعاً من جهة استخدام النقطة، إذ قد يكون مستبعداً نوعاً ما أن تبرّر المصادفة ظهور رمز واحد من بين عدد من الرموز لا حصر له ،نظرياً، في الكتابات الثلاث. صحيح أنّ عدد الرموز لا حصر له من ناحية نظريّة فحسب وأنّ الواضع يجنح عادة إلى الأشكال الشديدة البساطة، ولكنّ وحدة الرمز في الكتابات

الثلاث ظاهرة لافتة حقّاً، فلِمَ فُضِّلت النقطة على الدائرة الصغيرة أو على الخطّ الصغير، المستقيم أو المائل، الخ.

٢ - يُستفاد من الرواية المنسوبة إلى أبي الأسود في وضع الحركات أنّ رمز الضمّ يُرسم أمام الحرف، أو بين يديه، وأنّ رمز الكسر يُرسم تحته ورمز الفتح فوقه. وبالمقارنة بالسريانيّة الشرقية (انظر الرسم ٥٩) نجد أنّ الكسرة في كليهما نقطة تحت الحرف ولا فرق. والفتحة الطويلة (لا القصيرة) في السريانيّة الشرقيّة تُرسم فوق الحرف، كالفتحة العربيّة. أمّا الضمّة فلا تجيء في السريانيّة الشرقيّة بين يدي الحرف بل تكون فوق الصامت w أو تحته، فليس في ذلك من علاقة واضحة بالطريقة العربيّة إلاّ إذا تصوّرنا - على بعد وغلوّ - أنّ رسم الضمّة في العربية توفيقيّ بين موضعيها المتباعدين في السريانيّة. ولعلّ من الممكن مقارنة موقع الضمّة من الحرف في العربيّة بموقع šūreq (ū) في العبريّة[1]، فهي نقطة توضع داخل الحرف w [2]. وقد يكون في اتّفاق العربيّة والعبريّة إشعار بأصل مشترك صدرا عنه.

أمّا محاولة Cantineau[3] اشتقاق أشكال الحركات في العربيّة من أشكال الحركات في السريانيّة الغربيّة (ـَ من ـٰ؛ و ـِ من ـ، و ـُ من ـُ) فلا تستند إلى دليل مقبول، فالفتحة والكسرة تختلفان اختلافاً بيّناً عن

---

(١) راجع ص ٣٤٨.

(٢) يذكر أنيس فريحة أنّ « بين يدي الحرف » إشارة إلى حركة ḥōlem العبريّة (راجع ص ٣٤٨ سابقاً). غير أنّ شكل هذه الحركة نقطة فوق السطر لا « بين يدي الحرف »، ولذلك فالصواب المقارنة بين الضمّ و šūreq؛ انظر كلام فريحة في كتابه: الخطّ العربيّ: نشأته - مشكلته، ص ٤٤، ح ١؛ وفي « أثر لغويّي السريان في وضع قواعد الصرف والنحو العربيّين » في الأبحاث، السنة ١٤، ج ١، ١٩٦١، ص ٥٠، ح ٢.

(٣) أنظر: *Etudes de linguistique arabe* (Paris, 1960), p. 106.

أصليها المزعومين، في حين أنّ الشكل السرياني ܘ الذي يشبه الضمّة العربيّة هو في الأصل ā ثمّ تحوّل هذا الصائت إلى ō في ظاهرة لهجيّة، فلا يسعنا الاطمئنان إلى مقارنته بالضمّة العربيّة.

٣- إنّ العرب والسريان ينظران إلى الصائت نظرة واحدة، كما يُستدلّ بالمصطلح الذي يستخدمه كلّ منها له. فالسريانيّة تسمّي الصائت ܙܘܥܐ zawʿā من جذر ܙܘܥ √ zwʿ الذي يدلّ على الحركة والاضطراب والزلزلة (قارن بالعربيّة «زاع» بمعنى حرّك، والزعزعة التحريك الشديد)، وهذا المعنى هو الذي تعبّر عنه كلمة «حركة» في العربيّة. فالفكرة المشتركة هي أنّ الصائت يحرّك الصامت قبله، أي ينقله إلى وجود «فِعليّ» بعد أن كان وجوده «نظريّاً» لا يمكن تحقّقه في النطق، فهذا نقلة أو حركة[١]. إن هذه الفكرة المشتركة لتدعو إلى التأمّل، إذ إنّها، بحدّ ذاتها، كافية لتحفزنا إلى البحث عن سمات مشتركة أخرى بين الكتابتين لأنّ التوحّد في المنطلق يسهّل التوحّد في الأمور الفرعيّة والتفصيليّة.

٤- في العربيّة والسريانيّة جملة من الخصائص الكتابيّة المشتركة، نذكرها كما أثبتها أنيس فريحة[٢] قبل التعليق على استنتاجه منها وتصنيفه لها:

---

(١) جاء في كتاب سيبويه، ٢/٣١٥: «وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمّة زوائد وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلّم به». وفي عبارة ابن جنّي (سرّ الصناعة ١/٣٠) أنّ الصوائت «تُقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها».

وتوسّعاً في نظرة العرب إلى الأصوات من حيث «الحركة» و«السكون» انظر:

H. Fleisch, «La conception phonétique des Arabes d'après le Sirr Ṣināʿat al-Iʿrāb d'Ibn Ǧinnī,» in *ZDMG*, 108 (1958), pp. 74-105.

(٢) الخطّ العربي: نشأته- مشكلته، ص ٣٩ - ٤٠؛ «وأثر لغويّ السريان»، ص ٤٦ - ٤٧.

أ- وصلُ الحروف في الكتابتين متشابه، اللهمّ إلاّ في حرفين هما t (ܬ في السريانيّة) و ṣ (ܨ).

ب- كلا الكتابتين يهمل « المقطع المفتوح الممدود »[١]، أي المنتهي بـ ā، إذا وقع حشواً، ففي العربيّة رحمن، وابرهيم، واسحق، وفي السريانيّة ܩܡ qām بحرفين فقط (هما q و m) دون رمز يشير إلى الصائت الطويل ā الذي يتوسّطها.

ج- قد تُسقط السريانيّة كتابة ألِف وزن فاعلَ وتفاعلَ، ومثل هذا واقع في الرسم القرآنيّ.

د- قد تُسقط السريانيّة كتابة الألف من « ضمير المتكلّم الجمع » (نا)، وفي الرسم القرآنيّ ارسلنٰك واصطفينه.

هـ- في السريانيّة وفي الرسم القرآنيّ أمثلة لحذف ألف جمع المؤنّث السالم.

و- « السريان يحذفون أيضاً ياء المتكلّم وأثر هذا واضح في كتابة « يربِّ » عوضاً عن يا ربّي ».

أمّا تعليقنا فنقسمه ثلاثة أقسام بحسب ورود النقاط في بحث فريحة:

أ- النقطة أ: لقد فات فريحة الموضوعُ الأكثر أهمّيّة، وهو اختلاف السريانيّة والعربيّة في قواعد وصل الحرفين t و ṣ، فإن السرّ كلّه موضوع فيها، فهذان الحرفان يتّصلان بما قبلها وبما بعدها في العربيّة، في حين لا تصلها السريانيّة إلاّ بما قبلها، نحو ܟܬܒ k^{e}ṯāḇ (كَتَبَ) و ܢܨܒ n^{e}ṣāḇ (زَرَعَ، نَصَبَ). ومفتاح المسألة إنّما هو في الرجوع إلى النبطيّة، فالنبطيّة توافق العربيّة في قواعد الفصل والوصل بين

---

(١) هذه عبارة فريحة، وهي غير دقيقة لأنّ في العربيّة ثلاثة مقاطع مفتوحة ممدودة هي المنتهية بـ ā وī وū، وهو لا يقصد إلا المنتهي بـ ā.

الحروف[١]، ومنها الحرفان t و ṣ إذ يوصلان بما قبلهما وما بعدهما. وفي نصّ واحد[٢] نجد كلمة ʾṣdq وكلمة lʾntth متّصلاً الحرف ṣ في الأولى بما بعده والحرف t في الثانية بما بعده. ولا يمكننا إلاّ أن نستنتج أنّ الشبه بين العربيّة والسريانيّة في قواعد الربط بين الكلمات ما هو إلاّ أثر من أخذ الكتابة العربيّة عن النبطيّة، فهو شبه الشقيق بشقيقه لا شبه الولد بوالده، إن جاز مثل هذا القول.

ب- النقاط: ب، ج، د، هـ: في هذه النقاط تطويل، القصد منه إيهام القارىء بتعدّد مظاهر التأثير السريانيّ في الكتابة العربيّة. ومن يتأمّل هذه النقاط جميعاً ير أنّها شيء واحد ليس غير، هو عدم كتابة الصائت ā في وسط الكلمة. وهنا أيضاً لا يرجع التشابه إلى تأثّر العربيّة بالسريانيّة بل إلى احتفاظ العربيّة بالقواعد النبطيّة؛ وقد مرّ أنّ النبطيّة كانت تهمل كتابة هذا الصائت، دون سائر الصوائت، في وسط الكلمة، وأنّ في العربيّة أمثلة لمثل هذه الطريقة قبل أن يعمّم العرب استخدام الألف لكتابة ā إلى وسط الكلمة وقد كان منحصراً بكتابته في آخرها[٣].

ج- النقطة و: في هذه النقطة شبه خارجيّ يخفي وراءه اختلافاً بيّنا. وقول فريحة إنّ السريان يحذفون ياء المتكلّم قول مبهَم، لأنّهم لا يحذفونها كتابةً- كما قد يتوهّم من عبارة فريحة مَن لا يعرف السريانيّة- بل إنهم يكتبونها ثم يرسمون إشارة mṭapyānā[٤]، دلالةً على حذفها في اللفظ. وهذا طبعاً لا يوجد في العربيّة. أما كتابة «رب» و «يا رب» في الرسم

---

(١) راجع ص ١٧١، ولاحِظ أن فريحة لم يذكر اختلاف العربيّة والسريانيّة في وصل الهاء، وهي توصل بما قبلها وما بعدها في العربيّة في حين لا يجوز وصلها في السريانيّة إلا بما قبلها.

(٢) انظر النصّ النبطيّ رقم ٢٠٩ في *Corpus Inscriptionum Semiticarum*.

(٣) راجع ص ١٧٨، وقارن ص ٣٥٩.

(٤) راجع ص ٣٤٠.

القرآنيّ، فقد أخطأ فريحة في الاستشهاد بها، والصواب أنّ الحركة بعد الباء إنما هي صائت قصير في كثير من الشواهد، نحو ﴿قال ربّ اجعل لي آية﴾[1]، ونحو ﴿قال ربّ السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه﴾[2]؛ فقد حكّم العرب سماعهم في مثل هذا. وكذا فعلوا في كتابة شاهد آخر (لم يذكره فريحة) وهو ﴿ربّي أَكْرَمَنِ - و - أهانَنِ﴾[3]، فهنا يوجد صائت قصير في نهاية الكلمة التي تنتهي بها الآية، وحتّى إذا لم يكن من صائت، فإنه لا يجوز أن نقارن بين هذه الظاهرة الكتابيّة العربيّة وبين الكتابة السريانيّة التي «تُحذف» فيها ياء المتكلّم لفظاً وتبقى كتابةً. إن اختلاف المنطلَق ينفي التأثّر في هذه المسألة. ويحسن هنا الاستشهاد بكلام الفرّاء[4] إذ يقول: «وإنّما استجازوا حذف الياء لأنّ كسرة النون تدلّ عليها»... وبعد أن يقدّم شواهد على ذلك يذكر أن العرب قد تكتفي من الواو بضمّة ما قبلها نحو ﴿سندعُ الزبانية﴾[5] و ﴿وَيَدْعُ الإنسان﴾[6]. فالمسألة إذا عربيّة بحتة بدليل وجودها في الواو.

٥- ترجيحاً لإمكان تأثّر العربيّة بالسريانيّة في الكتابة نذكر أنّ العرب أخذوا عن السريان حساب الجُمَّل، فقد كان السريان يكتبون أرقامهم بالحروف الأبجديّة حسب قيمة كلّ منها في ذلك التسلسل. ومن جهة أخرى، قد يكون للنحو السريانيّ بعض الأثر[7] في النحو العربيّ، فإن

(١) آل عمران: ٤١.

(٢) يوسف: ٣٣.

(٣) الفجر: ١٥ - ١٦.

(٤) معاني القرآن ١/٩٠ - ٩١.

(٥) العلق: ١٨.

(٦) الإسراء: ١١.

(٧) لا يحتمل موضوعنا الدخول في هذه المسألة .وفي مقالة أنيس فريحة: «اثر لغويّ السريان» شيء من المبالغة في إظهار هذا الأثر؛ وقارن بفصل «وضع النحو» في كتاب: في أصول اللغة

صحّ ذلك يستفاد منه في مبحث باب الكتابة وخاصّة كتابة الصوائت لأنّ النحويّين هم الذين كانوا، في السريانيّة والعبريّة والعربيّة، أصحاب الاهتام الأوّل بكتابة الصوائت؛ وهذا أمر يسهل ردّه إلى أنّ كتابة الصوائت في أيّة لغة تفترض تصوّراً شمولياً للطبيعة الصوتيّة لتلك اللغة، والنحويّون أقدر أهل اللغة على مثل هذا. ويُذكر هنا أنّه ليس مستبعداً أن يكون يحيى بن يعمُر، الذي يُنسب إليه وإلى نصر بن عاصم وضع الإعجام، سريانياً[1]، فإن تكن نسبة ذلك الوضع اليه وهماً، لوجود الإعجام قبل زمانه، فقد تُشعِرنا النسبة نفسها بوعي أصحابها لأثر سريانيّ ما في كتابة العربيّة.

٦ - أخيراً، يوجد تقارب بين معاني أسماء الصوائت في كلّ من العربيّة والسريانيّة والعبريّة. والملاحَظ أنّ معظم أسماء الصوائت في هذه اللغات يعبّر عن مواضع الشفتين أو الحنك الأسفل أثناء النطق به.

فمن التشابه في الأسماء السريانيّة والعربيّة أنّ اسم الصائت a في السريانيّة ptāḥā ومعناه « فَتْح » أي فتح الفم عند النطق بهذا الصائت. أمّا كلمة zqāpā السريانيّة التي يُسمَّى به الصائت ā، وهو ō في السريانيّة الغربيّة، فمعناها « رفع » أو « تعليق »، وهي مشتقّة من الفعل ܙܩܦ z^{e}qāp̱ ومعناه « رفع » و « علّق » و « صلب »، وفي هذا مَشبه بالمصطلح العربيّ، وإن كنّا لا نستطيع الربط بين فكرة الرفع وحركة أعضاء النطق عند لفظ الصائت. وفي السريانيّة المصطلح rḇāṣā، يسمَّى به الصائت e، وهو من صنف الكسرة؛ وهذا الاسم مشتق من ܪܒܨ r^{e}ḇāṣ بمعنى « حصر » و « ضغط »، والمعنى شبيه بكلمة « كسر » في العربية، ولعلها تعني هنا،

والنحو، لفؤاد ترزي ص ٩٥ - ١١٨. وفي نفي أثر خارجيّ على نشأة النحو العربيّ انظر:
M. G. Carter, «Les origines de la grammaire arabe,» in *REI*, 40 (1972), pp. 69-97.

(١) انظر: في أصول اللغة والنحو، لفؤاد ترزي، ص ١١٢.

اصطلاحاً، خفض الحنك الأسفل عند لفظ e. ولنا على هذا، اضافة إلى دليل المقارنة بالمعنى السريانيّ، أربعة أدلّة معزِّزة: الأوّل ارتباط النطق بهذا الصوت، وهو من صنف الكسرة، في أذهان العرب، بخفض الشفة أو الحنك الأسفل كما تُظهر رواية وضع أبي الأسود للحركات بالنقاط؛ والثاني استئناس بمصطلح «الخفض» الذي توسّع فيه الكوفيّون مقابلاً «الكسر»[1]؛ والثالث استنطاق لا بدّ منه في أيّة حال، أعني تقرّي كلمة ḥḇāṣā السريانيّة أي اسم الصائت i- وهو من صنف الكسرة مثل e- فالكلمة مشتقّة من ܚܒܨ ḥḇāṣ بمعنى «أجبر» و«دفع» و«ضغط» و«ازدحم»، ولعلّ في هذا إشارة إلى ما يقارب حركة «خفض» الحنك الأسفل من ضغط ودفع؛ أما الرابع فاستئناس باسم الصائت i في العبريّة، وسيأتي ذكره لاحقاً.

أمّا التشابه بين العبريّة والعربيّة في أسماء صوائتهما فلا يُقصد من إثباته البحث عن تأثير إحداهما في الأخرى، بل فيه محاولة غير مباشرة لتقصّي الأثر السريانيّ المبثوث فيهما معاً؛ فالتأثير السريانيّ في الكتابة العبريّة غير خافٍ، فلذلك قد تفيدنا دراسة أسماء الصوائت في العبريّة[2] في هذا المبحث. فمن هذه الأسماء العبريّة paṯaḥ ولا يحتاج إلى تعليق فهو مشترك بين اللغات الثلاث. ومن الأسماء أيضاً ṣērē، والشاهد في مرادف له هو שֶׁבֶר šeḇer ومعناها «كَسْر»، فاشتقاقها من الفعل שָׁבַר šāḇar بمعنى «كسرَ» (ومقابله في العربيّة الجذر

---

(١) انظر: مدرسة الكوفة، لمهدي المخزومي، ص ٣١١.

(٢) لاحظ أنّ الصائت الأوّل من كلّ اسم من أسماء الصوائت العبريّة إنّما هو الصائت الذي يمثّله ذلك الاسم، نحو الصائت ā في الاسم qāmeṣ (ويمثّل ā)، والصائت ē في الاسم ṣērē (ويمثّل ē)، وهكذا؛ انظر ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

« ثبر » بمعنى قريب: الهلاك والخُسران والويل)، وهذا صريح العلاقة بما في العربيّة والسريانيّة. ومن صنف الضمّة نجد في العبريّة الصائت u ويسمّى qibbūṣ ومعناها « جَمْع »، واشتقاقها من qāḇaṣ[1] بمعنى « جمعَ » (والمقابل الاشتقاقي في العربية: قبض، وفيها معنى « جمعَ » و « ضمَّ »)؛ ومن الجليّ أنّ معنى اسم هذا الصائت هو معنى الضمّ في العربية، والمقصود في كلا الاسمين وصف حركة الشفتين إذ تتدوّران أي تُضمّان عند النطق بالصائت الذي هو من صنف الضمّ. وقد يكون في عدد من أسماء الصوائت العبريّة الأخرى شبه بالمعاني المقابِلة في العربيّة والسريانيّة، ولكن بدرجة أقلّ وضوحاً من الأمثلة التي ذكرنا[2].

بعد هذه المسائل الستّ التي ذكرنا يتّضح أنّ الدليل يتّجه إلى وجود تأثير سريانيّ في كتابة الصوائت العربيّة، ففكرة الصائت فيهما مشتركة، كما أنّ هناك عدداً من المشابه في استخدام النقطة وغيرها من الرموز المتأخّرة نسبيًّا، وفي معاني أسماء الصوائت. فكلّ هذه أمور لا نردّها، مجتمعةً، إلى المصادفة. غير أنّ علينا ألاّ نبالغ في تعظيم مبلغ هذا الأثر، وأن نتنبَّه إلى الحقائق التالية:

١ - أنّ اشتراك الكتابتين في استخدام النقطة يقف عند حدّ الفكرة نفسها ويختلف في صورة التطبيق. فالسريانيّة لم تكد تستعمل في مرحلة البدايات إلاّ نقطة واحدة يتغيّر موضعها وتتغيّر وظيفتها بحسب القصد[3]، في حين أنَّ النقاط المنسوبة إلى أبي الأسود تبلغ ستًّا لكلّ منها وظيفة واحدة في موقع واحد.

(١) ومنها كلمة « كيبوتز » kibbutz في العبريّة الحديثة، وهو متجمّع تعاونيّ يهوديّ.

(٢) لِيُرجع إلى هذه الأسماء في:

Haupt, «The Names of the Hebrew Vowels,» pp. 13-7.

(٣) راجع ص ٣٣٢ وما بعدها .

٢ - إذا كانت العلاقة بين رمز الكسرة والفتحة في العربيّة والسريانيّة قائمة فعلاً (وهي في الكسرة أقوى طبعاً)، فإننا لا نلمح أيّ تناسب بين رمز الضمّة في الكتابتين.

٣ - أنّ من عناصر التشابه بين الكتابتين ما يرجع إلى اشتقاق الكتابة العربيّة من النبطيّة لا إلى تأثّرها بالسريانيّة.

٤ - أنَّ أخْذ العرب حساب الجُمَّل عن السريان يعزّز إمكان تأثّرهم بالكتابة السريانيّة في مناحٍ أخرى ككتابة الصوائت، ولكنّه لا يُثبت هذا التأثر إثباتاً واضحاً. أمّا مسألة تأثّر النحو العربيّ بالنحو السريانيّ فتحتاج إلى دلائل أقوى لإثباتها أو نفيها، ولّما يُؤتَ فيها بالقول الفصل فنحتجَّ به للتأثّر الكتابيّ أو عليه.

د - في البونيّة Punic والبونيّة المحدَثة Neo-Punic:

هاتان أصولها فينيقيّة وموطنها شمال إفريقيا. الأولى تنصرف خاصةً إلى النصوص المكتوبة في شمال إفريقيا قبل سقوط قرطاجة عام ١٤٦ ق.م، في حين تنصرف الثانية إلى النصوص المكتوبة في شمال افريقيا بعد ذلك التاريخ، وحتّى القرن السادس بعد الميلاد، وهو آخر عهد الفينيقيّة في الغرب، وهذا بعد قرون من اندثارها في موطنها الأصليّ في الشرق.

لم تكن الفينيقيّة تستخدم الأحرف w و y و ʾ و h لكتابة الصوائت الطويلة (حتّى بعد أن صار استخدامها مقرَّراً في الآراميّة ثم العبريّة والمؤابيّة) إلاّ نادراً، وغالباً في كتابة عدد من الأسماء الأجنبيّة، وذلك بتأثير من اليونانيّة. وهذه الظاهرة أندر من أن تكون مطّردة، كما أنّها جاءت في مرحلة متأخّرة من الكتابة الفينيقيّة. وفي البونية ظاهرة مماثلة، ولا تتعدى الأسماء الأجنبيّة. أمّا البونية المحدَثة فقد ذهبت إلى أبعد من

ذلك، فكانت كتابة الصوائت فيها على مرحلتين[1]:

في المرحلة الأولى استُخدمت الألف لكتابة أربعة صوائت مختلفة كلّ منها في آخر الكلمة، ولا يحدّد قيمة كل منها إلا السياق. والصوائت الأربعة هي ā (نحو ndrʾ، ولفظها nadarā*: «نَذَرَتْ») و ē (نحو bʿlʾ، ولفظها baʿlē*: «سُكّان...» بحالة الإضافة)، و ō (نحو qlʾ، ولفظها qūlō*: صوتُه؛ قارن «قول» في العربيّة)، و ū (نحو ʾykrmʾ قدّموا، والحرف ʾ في آخرها هو رمز ضمير الغائبين المتّصل ū).

أمّا المرحلة الثانية من كتابة الصوائت في البونيّة المحدَثة فقد تمّ فيها تخصّص كلّ رمز بصائت أو صائتين على الأكثر، ولم يعد الحرف ʾ يمثّل جميع الصوائت. ونميّز في هذه المرحلة طريقتين لكتابة الصوائت، أولاهما التالية:

w = u/o	y = i
ʾ = o/e	ʿ = a

والثانية مأخوذة من الطريقة «الرومانيّة» في كتابة الصوائت، وهي كالتالي:

ʾ = a	h = e
y = i	w = u

ʿ = o

ومن الملاحَظ أنّ الحرف ʿ (عين) مستخدَم في الطريقتين لكتابة a أو

---

(١) راجع في هذا:
S. Segert, *A Grammar of Phoenician and Punic* (München, 1976), pp. 52-3.
وقد اعتمدنا عليه في أمثلتنا هذه.

o، وهذا ما لا نراه في الكتابات الساميّة المذكورة سابقاً. ونرجّح أنّ سبب استخدامه للأحرف الصائتة هو من أثر اليونانيين الذين لم يكن في لغتهم هذا الصوت الساميّ، فجعلوا رمزه الفينيقيّ رمزاً للصائت o[١].

ولا تُظهر الكتابة اليونيّة المحدَثة التشديد أو النبر.

هـ- في المنداعيّة[٢]:

ابتدعت هذه الكتابة نظاماً متطوّراً للتعبير عن الصوائت[٣]، وهو يتميّز عما في الكتابات الساميّة الأخرى بأنّ القيمة الصوتيّة للرمز الواحد تختلف باختلاف موقعة من الكلمة: بدايةً ووسطاً وآخِراً[٤]. وشرح ذلك، مبسَّطاً، كالتالي:

في بداية الكلمة يرمز الحرف ʾ إلى a/ā؛ والحرف ʿ إلى e/ē أو i/ī؛ والحرفان wʿ إلى u/ū أو o/ō.

وفي وسط الكلمة يرمز الحرف ʾ إلى a/ā؛ والحرف w إلى u/ū أو o/ō؛ والحرف y إلى e/ē أو i/ī.

---

(١) راجع ص ٢١٣.

(٢) نصرّ على كتابة هذه الكلمة بالحرف «ع» لأنّ جذرها yda √ هو الجذر الساميّ المعروف ydʿ، ومعناه عرف، ولامُه (أي حرفه الثالث) عين. ومعنى «المنداعيّة»، مذهب العرفان (gnosticism)، وهذا ما يشير إليه جذر الكلمة. أمّا العرب فيسمّون هؤلاء القوم الصابئة.

(٣) يبدو أنّ هذا النظام نتيجة تطوّر بطيء، إذ إنّ الكتابة المنداعيّة لم تكن، في مراحلها الأولى، تُكثر من استخدام أشكال خاصّة لكتابة الصوائت؛ انظر أمثلة متقدّمة لهذا الاستخدام ولعدمه في:

J. A. Montgomery, *Aramaic Incantation Texts from Nippur* (Philadelphia, 1913), p. 39.

(٤) انظر: Th. Nöldeke, *Mandäische Grammatik* (Halle, 1875), pp. 3-13.

و: R. Macuch, *Handbook of Classical and Modern Mandaic* (Berlin, 1965), pp. 9-26.

وفي آخر الكلمة يرمز الحرف ᵓ إلى ā؛ والحرف w إلى ū أو ō؛ والحرفان yᵓ إلى ī أو ē؛ وكلّ هذه الصوائت في آخر الكلِم صوائت طويلة.

والملاحَظ أنّ الحرف نفسه قد يمثّل الصائت القصير ومقابله الطويل، ومثل هذا قد يكون الحال في عدد من الأحرف العبريّة التي تُستخدم لكتابة الصوائت، كما مرّ.

و- في الحبشيّة:

تنفرد الحبشيّة بين الكتابات الساميّة بالتعبير عن الصوائت، وعددها سبعة، بإحداث تغييرات على شكل الصامت في كلّ حالة. وقد سبق الكلام على تلك الطريقة: اسبابِها ومصدرها وطبيعة التغييرات الطارئة على الأشكال(١).

* * *

استكمالاً لمبحث الصوائت في الكتابات الساميّة تحسن الإشارة إلى كتابتين ساميّتين أخريين وإلى ثالثة غير ساميّة:

أ- الأوجاريتيّة(٢):

تُهمل هذه الكتابة التعبير عن الصوائت إلاّ في حرف واحد هو ᵓ، إذ إنّ له ثلاثة أشكال يعبّر كلّ منها عن الحرف نفسه مضافاً إليه أحد الصوائت الثلاثة: a و i و u. والحاصل أنّ الكتابة الأوجاريتيّة ذات سمة مقطعيّة في هذا الحرف دون سائر الحرف. ولسنا ندري على وجه الضبط أتكون هذه السمة بقيّة من نزعة مقطعيّة تخلّصت منها الأوجاريتيّة في سائر الحروف، أم بداية اتّجاه إلى المقطعيّة لم تثمر.

ب- العربيّة الجنوبيّة:

في هذه الكتابة أمثلة لاستخدام الحرفين w و y لكتابة الصوائت

---

(١) راجع ص ١٨٨ - ١٩٩.

(٢) راجع ص ٩٤.

الطويلة[1]، فالأوّل يمثّل ū (كما في ضمير الغائبين المتّصل hmw - ، ولعلّه يُلفظ humū★) و ō المنقلبة عن الصائت المركّب aw (كما في mwt ، وتُلفظ mōt★). وقد يُستخدم الحرف w أيضاً للصائت القصير u ، نحو hwʾ (هُوَ) ويُلفظ huʾa★.[2] أمّا الحرف y فيُستخدم في مثل ما يُستخدم فيه الحرف w ، ولكن لكتابة الصائت المقابل، أي ī ، والصائت المركّب المقابل، أي ay ؛ وكذلك يُستخدم الحرف y للصائت القصير i في مثل fʿlty، ولعلّها تُلفظ faʿalti★ . وليس استعمال الحرفين w و y لكتابة هذه الصوائت الطويلة بمطّرد في العربيّة الجنوبيّة، بل قد يوجد في النصّ الواحد تفاوت في استعمالها[3]. وأمّا استخدام الحرف ʾ لكتابة الصائت الطويل ā في العربيّة الشماليّة والسريانيّة فلا نجد له في العربيّة الجنوبيّة مثيلاً؛ وشبيه بذلك أنّ العربيّـة الجنوبيّة لا تعبّر عن تشديد الحروف خلافاً للعربيّة الشماليّة والسريانيّة والعبريّة.

ج- اليونانيّة:

ابتدع اليونانيّون طريقة لكتابة صوائتهم باستخدام عدد من الحروف التي كانت مستخدمة في الكتابة الساميّة التي نقلوا عنها. وهذا المبحث مرتبط بأسماء الحروف الساميّة كما مرّ[4]، وهو يشكّل جزءاً هاماً من مسألة العلاقة بين الكتابة اليونانيّة وأصولها الساميّة[5].

---

(١) انظر: A. F. L. Beeston, *A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian* (London, 1962), p. 5.

(٢) انظر: W. Leslau , «M. Höfner's Altsüdarabische Grammatik» (Book review), in *JAOS*, 69 (1949), p. 98.

(٣) انظر: Beeston, *ibid.*, p. 5.

(٤) راجع ص ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٥) راجع الفصل السادس.

الفهارس



١ - فهرس المؤلّفين*

أ- بالعربيّة

(*) تشمل الأرقام المذكورة الصفحات التي ترد فيها أسماء الكتب دون الإشارة إلى مؤلّفيها.

ب- بالأجنبيّة

٢ - فهرس اللغـات واللهجات والكتابات

(*) أمّا النظام البابليّ لكتابة الصوائت العبريّة فقد أقحمناه مع « العبريّة ».

(*) انظر كذلك الفصل الثامن حيث استخدمنا مصطلح « الساميّة الشماليّة » للفينيقيّة خاصّة.

٣- فهرس الكلمات اللغويّة(★)

أ- الآراميّة

(★) باستثناء العربيّة، اعتمدنا ترتيب «أبجد هوز...» كما هو متعارف عليه في الدراسات السامية. والكلمات مرتّبة تبعاً لجذورها (وقد نبّهنا على ما قد يستغلق منها) دون النظر إلى الصوائت.

ب- الأكديّة

ج- الأوجاريتيّة

د- الحبشيّة

هـ- الساميّة الأمّ

و- السريانيّة

ز- السينائيّة

ح- العربيّة(*)

(*) نكتب الكلمات الواردة في النقوش النبطيّة - العربية بأحرف منفصلة.

ط - العبريّة *

---

* من ضمن هذه الكلمات تجد الكلمات المشتركة في الفينيقيّة والعبريّة. أمّا الكلمات المؤابيّة فتُراجَع في الصفحة ٣٣٠.

ي- اليونانيّة

٤ - فهرس الرسوم

الرقم	الصفحة

الرقم	الصفحة
١٨ - النقش الجبيليّ الذي انطلق منه Dhorme في فكّ الرموز الجبيليّة الهيروغليفيّة الزائفة	٦١
١٩ - « الألفباء المقطعيّة » الجبيليّة عند Dhorme	٦٤
٢٠ - الوسيلة الوصفيّة التصويريّة في الكتابة	٧٠
٢١ - الألفباء الأوجاريتيّة	٩٣
٢٢ - مقارنة الأشكال الأكديّة والأوجاريتيّة	٩٥
٢٣ - نظريّة Sprengling في مقارنة الأشكال الأوجاريتيّة والفينيقيّة والسينائيّة والعربيّة الجنوبيّة	٩٧
٢٤ - التشابه بين بعض الأشكال الأوجاريتيّة والفينيقيّة	٩٩
٢٥ - الخطوط العربيّة الجنوبيّة	١٠٨
٢٦ - نموذج للكتابة العربيّة الجنوبيّة (الخطّ المسند): نقش سبئيّ	١١٢
٢٧ - مقارنة الأشكال الساميّة الشماليّة بالأشكال الساميّة الجنوبيّة	١١٦
٢٨ - الأصل المشترك بين الكتابة الساميّة الجنوبية والكتابة الساميّة الشماليّة	١١٨
٢٩ - مقارنة الأشكال السينائيّة (في قراءة Grimme) بالأشكال الثموديّة	١٢٠
٣٠ - موضع نقش النمارة	١٢٥
٣١ - نقش النمارة	١٢٥
٣٢ - القسم العربيّ - النبطيّ من نقش أمّ الجمال الأوّل	١٤٤
٣٣ - القسم اليونانيّ من نقش أمّ الجمال الأوّل	١٤٤
٣٤ - نقش زبد، وقسمه العربيّ مكبّرا	١٤٨
٣٥ - نقش حرّان (نسخة Wetzstein)	١٥٢

الرقم	الصفحة

٥ - فهرس المصادر

أ - العربيّة

ابن الأثير. الكامل في التاريخ. دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥ - ١٩٦٧.

البلاذري. فتوح البلدان. تـ صلاح الدين المنجّد، القاهرة، ١٩٥٦.

البيروني. الآثار الباقية عن القرون الخالية. تـ سخاو، ليبزج، ١٨٧٨.

ابن جنّي. سرّ صناعة الإعراب. تـ مصطفى السقّا وآخرين، ج ١، القاهرة، ١٩٥٤.

ابن خلدون. المقدّمة. القاهرة، ١٩٣٠؛ وتـ علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٥٧ - ١٩٦٢.

ابن خلّكان. وفيات الأعيان. تـ إحسان عبّاس، بيروت، ١٩٦٨ - ١٩٧٢.

الداني. المحكَم في نقط المصاحف. تـ عزّة حسن، دمشق، ١٩٦٠.

ابن دريد. كتاب الاشتقاق. تـ عبد السلام محمّد هارون، ط ٢، بغداد، ١٩٧٩.

سيبويه. الكتاب. ط. بولاق، ١٣١٦ - ١٣١٨.

السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تـ محمّد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، لا. ت.

السيوطي. همع الهوامع. القاهرة، ١٣٢٧؛ ثمّ ط. الكويت، تـ عبد السلام محمّد هارون وعبد العال سالم مكرّم، ١٩٧٥.

الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ط. دار المعارف، تـ محمّد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٠ - ١٩٦٩.

علي، جواد. المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط ٢، بيروت، ١٩٧٦ - ١٩٧٨.

ابن فارس. الصاحبيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. القاهرة ١٩١٠؛ ثمّ ط. بدران، تـ مصطفى الشويمي، بيروت، ١٩٦٤.

فريحة، أنيس. «أثر لغويي السريان في وضع قواعد الصرف والنحو العربيّين». الأبحاث، السنة ١٤، ج ١، ١٩٦١، ص ٣٩ - ٦٠.

.....« حروف الهجاء العربيّة: نشأتها، تطوّرها، مشاكلها». الأبحاث، السنة ٥، ج ١، ١٩٥٢، ص ١ - ٣٢.

.....الخطّ العربيّ: نشأته - مشكلته. بيروت، ١٩٦١.

ابن قتيبة. المعارف. تـ وستنفلد، جوتنجن، ١٨٥٠؛ ثمّ تـ ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٩.

القلقشندي. صبح الأعشى. ط. دار الكتب المصريّة، ١٩١٣ - ١٩١٩.

اللغوي، أبو الطيّب. الإبدال. تـ عزّ الدين التنوخي، دمشق ١٩٦١.

المبرّد. المقتضب. تـ عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٦٣ - ١٩٦٩.

المسعودي. مروج الذهب. تـ محمّد عبد الحميد، ط ٣، القاهرة ١٩٥٨.

المنجّد، صلاح الدين. دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ منذ بدايته إلى نهاية العصر الأمويّ. بيروت، ١٩٧٢.

نامي، خليل يحيى. «أصل الخطّ العربيّ وتاريخ تطوّره إلى ما قبل الإسلام». مجلة كلّيّة الآداب، الجامعة المصريّة، المجلد الثالث، ج ١ ١٩٣٥، ص ١ - ١١٢.

ابن النديم. الفهرست. تـ رضا - تجدّد، طهران، ١٩٧١.

النقشبندي، ناصر. «منشأ الخطّ العربيّ وتطوّره لغاية عهد الخلفاء الراشدين». سومر، المجلّد الثالث، ج ١، ١٩٤٧، ص ١٢٩ - ١٤٢.

ابن هشام. كتاب التيجان في ملوك حمير. حيدر آباد الدكن، ١٣٤٧.

الهمداني. الإكليل. ج ٨، تـ نبيه أمين فارس، برنستون، ١٩٤٠.

ولفنسون، إسرائيل. تاريخ اللغات الساميّة. القاهرة، ١٩٢٩.

ياقوت الحموي. معجم الأدباء. القاهرة، ١٩٣٦ - ١٩٣٨.

ب- الأجنبيّة★

Abbott, N. ,*The Rise of the North Arabic Script and its Kur'anic Development* (Chicago, 1939).

Albright, W. F., «The Old Testament and the Archaeology of the Ancient East,» in *The Old Testament and Modern Study,* ed. H. H. Rowley (Oxford, 1951), 27-47.

....., «The Origin of the Alphabet and the Ugaritic ABC again,» in *BASOR,* 119 (1950), 23-4.

....., *The Proto-Sinaitic Inscriptions and their Decipherment* (Harvard, 1969).

.....«Some Important Recent Discoveries: Alphabetic Origins and the Idrimi Statue,» in *BASOR,* 118 (1950), 11-20.

Armbruster, C. H., *Initia Grammata: An Introduction to Spoken Amharic,* pt. I, Grammar (Cambridge, 1908).

Barth, J., *Die Pronominalbildung in den semitischen Sprachen* (Leipzig, 1913).

Bauer, H., *Das Alphabet von Ras Schamra: seine Entzifferung und seine Gestalt* (Halle, 1932).

....., *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Schamra* (Halle, 1930).

★ نقتصر في هذا الثبت على المراجع التي ورد ذكرها في الحواشي، فلا نورد غيرها. إلا أنّنا قد لا نذكر فيه ما ورد في الحواشي إن كانت فائدته بالنسبة إلى موضوعنا قليلة أو عرضيّة. أمّا أسماء الدوريّات، فقد اختصرنا ما يكثر وروده منها، وتجد في أوائل الكتاب قائمة لشرح هذه المختصرات. وقد كان منهجنا في الحواشي ذكر المرجع مفصّلًا في أوّل مرّة يرد فيها، ثمّ اختصار التفاصيل في المرّات اللاحقة - على غير تباعد - دون أن يؤدّي ذلك إلى الالتباس أو الغموض.

Bauer, H., «Wie ist die Reihenfolge der Buchstaben im Alphabet zustande gekommen,» in *ZDMG*, 67 (1913), 501-2.

Bauer, H. and P. Leander, *Historische Grammatik der hebräischen Sprache* (Halle, 1922).

Beeston, A. F. L., *A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian* (London, 1962).

....., «Nemara and Faw,» in *BSOAS*, 42 (1979), 1-6.

....., «Problems of Sabaean Chronology,» in *BSOAS*, 16 (1954), 37-56.

....., «South Arabian Alphabetic Letter Order,» in *Raydān*, 2 (1979), 87-8.

Benoit, P. et. al., *Discoveries in the Judaean Desert*, II: *Les Grottes de Murabbaᶜât* (Oxford, 1961).

Benveniste, E., *Hittite et indo-européen: études comparatives* (Paris, 1962).

Bibliographie Linguistique, published by the Comité International Permanent de Linguistes, Utrecht-Brussles.

Blake, F. R., «The Development of Symbols for the Vowels in the Alphabets Derived from the Phoenician,» in *JAOS*, 60 (1940), 391-413.

Blau, J., *A Grammar of Biblical Hebrew* (Wiesbaden, 1976).

Bowman, E., «A Note on the Development of Egyptian Writing,» in *JNES*, 19 (1960), 46-8.

Branden, Van den, A., «Le déchiffrement des Inscriptions protosinaïtiques,» in *al-Machriq*, 52 (1958), 361-405.

Branden, Van den, A., «L'origine des alphabets protosinaïtique, arabes préislamiques et phénicien,» in *BO*, 19 (1962), 198-206.

Brockelmann, C., *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen* (Berlin, 1908-13).

....., *Syrische Grammatik*, 12. Aufl. (Leipzig, 1976).

Brown, F., S. R. Driver, and C. A. Briggs, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament* (Oxford, 1906).

Burrows, E., «The Origin of the Ras Shamra Alphabet,» in *JRAS* (1936), 271-7.

Cantineau, J., *Etudes de linguistique arabe* (Paris, 1960).

....., *Grammaire du palmyrénien épigraphique* (Le Caire, 1935).

....., *Le Nabatéen* (Paris, 1930-32).

Carpenter, R., «The Antiquity of the Greek Alphabet,» in *AJA*, 37 (1933), 8-29.

Clermont-Ganneau, Ch., *Recueil d'Archéologie orientale*, vols. 6-7 (Paris, 1904-5).

Colin, G. S., «De l'origine grecque des ‹ chiffres de Fès › et de nos ‹ chiffres arabes ›, »in *JAs*, 222 (1933), 193-215.

Combe, Et. *et al.*, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe* (Cairo, 1931-64).

Conti Rossini, C., *Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica* (Roma, 1931).

Coogan, M. D., «Alphabets and Elements,» in *BASOR*, 216 (1974), 61-3.

Cooke, G. A., *A Textbook of North-Semitic Inscriptions* (Oxford, 1903).

Corpus Inscriptionum Semiticarum (Paris, 1881 ff).

Cowley, A. E., «The Origin of the Semitic Alphabet,» in *JEA*, 3 (1916), 17-21.

....., «The Sinaitic Inscriptions,» in *JEA*, 15 (1929), 200-18.

Creswell, K. A. C., *Early Muslim Architecture*, vol. I, pt. 2, 2nd ed. (Oxford, 1969).

Cross, F. M., «The Development of the Jewish Scripts,» in *The Bible and the Ancient Near East*, ed. G. E. Wright (N. Y., 1961), 133-202.

..... «The Oldest Manuscripts from Qumran,» in *JBL*, 74 (1955), 147-72.

....., «Yahweh and the God of the Patriarchs,» in *Harvard Theological Review*, 55 (1962), 225-59.

Corss, F. M. and D. N. Freedman, *Early Hebrew Orthography: A Study of the Epigraphic Evidence* (New Haven, 1952).

Cross, F. M. and T. O. Lambdin, «A Ugaritic Abecedary and the Origins of the Proto-Canaanite Alphabet,» in *BASOR*, 160 (1960), 21-6.

De Langhe, R. (Book review of) Dunand's *Byblia Grammata*, in *BO*, 5 (1948), 73-83.

De Rougé, E., *Mémoire sur l'origine égyptienne de l'alphabet phénicien* (Paris, 1874).

Deecke, W., «Der Ursprung des altsemitischen Alphabets aus der neuassyrischen Keilschrift,» in *ZDMG*, 31 (1877), 102-16.

Delitzsch, F., *Die Entstehung des ältesten Schriftsystems oder der Ursprung der Keilschriftzeichen* (Leipzig, 1897).

Dhorme, E., «Déchiffrement des inscriptions pseudo-hiéroglyphiques de Byblos,» in *CRAIBL* (1946), 360-5; 472-9.

....., «Déchiffrement des inscriptions pseudo-hiéroglyphiques de Byblos,» in *Syria*, 25 (1946-48), 1-35.

Dillmann, A. and C. Bezold, *Ethiopic Grammar*, tr. J. A. Crichton (London, 1907).

Diringer, D., *The Alphabet: A Key to the History of Mankind*, 3rd ed. (London, 1968).

....., *The Story of the Aleph Beth* (N. Y., 1960).

Doblhofer, E., *Voices in Stone: The Decipherment of Ancient Scripts and Writings* (N. Y., 1961).

Drewes, A. J., *Inscriptions de l'Ethiopie antique* (Leiden, 1962).

Driver, G. R., *Semitic Writing: from Pictograph to Alphabet* (‹The Schweich Lectures,› 1944), Newly revised edition (London, 1976).

Dunand, M., *Byblia Grammata: Documents et recherches sur le développement de l'écriture en Phénicie* (Beyrouth, 1945).

Dupont-Sommer, A., «Une inscription araméenne inédite de l'Ouâdi Ḥammâmât,» in *Revue d'Assyriologie et d'Archéologie*

orientale, 41 (1947), 105-10.

Dussaud, R., *Les Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris, 1907).

....., *Les découvertes de Ras Shamra (Ugarit) et l'Ancien Testament* (Paris, 1941).

....., «Inscription nabatéo-arabe d'En-Nemâra,» in *RA*, 3 ser., 41 (1902), 409-21.

....., «les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram, roi de Byblos,» in *Syria,* 5 (1924), 135-57.

....., «L'origine de l'alphabet et son évolution première, d'après les découvertes de Byblos,» in *Syria,* 25 (1946-48), 36-52.

....., *La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris, 1955).

Dussaud, R. and F. Macler, *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne* (Paris, 1903).

Euting, J., *Nabatäische Inschriften aus Arabien* (Berlin, 1885).

Evans, A. J., *The Palace of Minos* (London, 1921-36).

....., *Scripta Minoa: The Written Documents of Minoan Crete with Special Reference to the Archives of Knossos* (Oxford, 1909).

Flinders Petrie, W. M., *Researches in Sinai* (London, 1906).

Fraenkel, S., *Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen,* repr. (Hildesheim, 1962).

Friedrich, J., *Hethitisches Elementarbuch,* 1. Teil *Kurzgefasste Grammatik,* 2. Aufl. (Heidelberg, 1960).

Galpin, F.W., *The Music of the Sumerians and their Immediate Successors the Babylonians and the Assyrians,* repr. (Westport, 1970).

Gardiner, A.H., «The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet,» in *JEA*, 3 (1916), 1-16.

Gaster, T. H., «The Chronology of Palestinian Epigraphy,» in *PQS* (1935-36), 128-40.

Gelb, I.J., «New Evidence in Favor of the Syllabic Character of West Semitic Writing,» in *BO*, 15 (1958), 2-7.

....., *A Study of Writing,* 2nd ed. (Chicago, 1963).

..... (Book review of) M. Cohen's *La grande invention de l'écriture et son évolution* in *Language,* 38, no 2 (1962), 206-13.

Gesenius, W., *Hebrew Grammar,* ed. E. Kautzsch, tr. A.E. Cowley, 13th pr. (Oxford, 1976).

Gibson, C.L., *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions,* I: *Hebrew and Moabite Inscriptions,* II: *Aramaic Inscriptions* (Oxford, 1971 ff.)

Gordon, C. H., *Forgotten Scripts: The Story of their Decipherment* (Gt. Britain, 1968).

....., «The Ugaritic ‹ ABC ›,» in *Orientalia,* 19 (1950), 374-6.

....., *Ugaritic Textbook* (Roma, 1965).

Grébaut, S., *Supplément au Lexicon Linguae Aethiopicae de August Dillmann, etc.* (Paris, 1952).

Grimme, H., *Die Lösung des Sinaischriftproblems: Die altthamudische Shrift* (Münster, 1926).

....., «Zur Genesis des semitischen Alphabets,» in *ZA*, 20 (1907), 49-58.

Grohmann, A., *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952).

Halévy, J., «L'inscription nabatéo-arabe d'En-Némara,» in *Revue Sémitique*, 11 (1903), 58-62.

....., «Nouvelles considérations sur l'origine de l'alphabet,» in *Revue Sémitique*, 9 (1901), 356-70.

Hallo, R., «Über die griechischen Zahlbuchstaben und ihre Verbreitung,» in *ZDMG*, 80 (1926), 55-67.

Hallo, W.W., «Isaiah 28 9-13 and the Ugaritic Abecedaries,» in *JBL*, 77 (1958), 324-38.

Harris, Z.S., *Development of the Canaanite Dialects: An Investigation in Linguistic History*, repr. (N. Y., 1967).

Hartmann, M., «Zur Inschrift von Namāra,» in *Orientalistische Litteratur-Zeitung*, 11 (1906), col. 573-84.

Haupt, P., «The Names of the Hebrew Vowels,» in *JAOS*, 22, pt. 1 (1901), 13-7.

Helck, W., «Zur Herkunft der sog. ‹ phönizischen › Schrift,» in *Ugarit-Forschungen*, 4 (1972), 41-5.

Hirschfeld, H., «Recent Theories on the Origin of the Alphabet,» in *JRAS* (1911), 963-77.

Honeyman, A.M., «The Letter-Order of the Semitic Alphabets in Africa and the Near East,» in *Africa*, 22 (1952), 136-47.

Hrozný, B., «Die hieroglyphische Stele von Byblos. Ein Entzifferungsversuch,» in *AO*, 15 (1946), 138-57.

....., «La stèle hiéroglyphique de Byblos,» in *CRAIBL* (1945), 382-5.

Jamme, A., «An Archaic South-Arabian Inscription in Vertical Columns,» in *BASOR*, 137 (1955), 32-8.

Jastrow, M., *A Dictionary of the Targumim, the Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature* (London, 1903).

Jaussen, A. and R. Savignac, *Mission archéologique en Arabie* (Paris, 1909-14).

Jean, Ch.-F., «les Hyksos sont-ils les inventeurs de l'alphabet?» in *Syria*, 9 (1928), 278-99.

Jean, Ch.-F. and H. Hoftijzer, *Dictionnaire des inscriptions sémitiques de l'Ouest* (Leiden, 1960-65).

Jeffery, L. H., *The Local Scripts of Archaic Greece* (Oxford, 1961).

Jensen, H., *Sign, Symbol, and Script: An Account of Man's Effort to Write*, tr. G. Unwin (London, 1970).

Jirku, A., «Wortschatz und Grammatik der gublitischen Inschriften,» in *ZDMG*, 102 (1952), 201-14.

Kahle, P., *The Cairo Geniza* (Oxford, 1959).

Kotsuji, A .S., *The Origin and Evolution of the Semitic Alphabets* (Tokyo, 1937).

Kugener, M.A., «Note sur l'inscription trilingue de Zébed,» in

JAs, 10 ser., 9 (1907), 509-24.

Lehmann-Haupt, C. F., «Zur Herkunft des Alphabets,» in *ZDMG*, 73 (1919), 51-79.

Leibovitch, L. *Les inscriptions protosinaïtiques* (Le Caire, 1934).

Leslau, W., *Amharic Textbook* (Wiesbaden, 1968).

..... (Book review of) M. Höfner's *Altsüdarabische Grammatik*, in *JAOS*, 69 (1949), 97-100.

Lidzbarski, M., *Ephemeris für semitische Epigraphik* (Giessen, 1902-15).

....., *Handbuch der nordsemitischen Epigraphik*, repr. (Hildesheim, 1962).

Littmann, E., *Arabic Inscriptions* (Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909), Div. IV, Sect. D (Leiden, 1949).

...., *Deutsche Aksum Expedition*, IV, *sabäische, griechische und altabessinische Inschriften* (Berlin, 1913).

....., *Nabataean Inscriptions* (Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909), Div. IV, Sect. A (Leiden, 1914).

....., «Osservazioni sulle iscrizioni di Ḥarrân e di Zebed,» in *RSO*, 4 (1911), 193-8.

...., *Thamūd und Ṣafā: Studien zur altnordarabischen Inschriftenkunde* (Leipzig, 1940).

Littmann, E., «Die vorislamisch-arabische Inschrift aus Umm iǧ-Ǧimâi,» in *ZS*, 7 (1929), 197-204.

....., *Zur Entzifferung der Ṣafâ-Inschriften* (Leipzig, 1901).

Macuch, R., *Handbook of Classical and Modern Mandaic* (Berlin, 1965).

Mallon, M. A., «L'origine égyptienne de l'alphabet phénicien,» in *BIFAO*, 30 (1931), 131-51.

Martin, M., «Revision and Reclassification of the Proto- Byblian Signs,» in *Orientalia*, n.s. 31 (1962), 250-71; 339-63.

Miles, G.C., «Early Islamic Inscriptions near Ṭāʾif in the Ḥijāz,» in *JNES*, 7 (1948), 236-42.

Milik, J.T. and F.M. Cross, «Inscribed Javelin-heads from the Period of the Judges: A Recent Discovery in Palestine,» in *BASOR*, 134 (1954), 5-15.

Montgomery, J.A., *Aramaic Incantation Texts from Nippur* (Philadelphia, 1913).

Morag, S., *The Vocalization Systems of Arabic, Hebrew and Aramaic* (Netherlands, 1962).

Moritz, B. Art. «Arabia» (d. Arabic Writing), in *EI* [1].

Moscati, S. (ed.), *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages: Phonology and Morphology*, 2nd pr. (Wiesbaden, 1969).

Nöldeke, Th., *Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft* (Strasbourg, 1904).

Nöldeke, Th., *Mandäische Grammatik* (Halle, 1875).

....., *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft* (Strasbourg, 1910).

Ogg, Oscar, *The 26 Letters*, 7th pr. (N.Y., 1961).

O'Leary, de Lacy, *Comparative Grammar of the Semitic Languages*, repr. (Amsterdam, 1969).

Oppenheim, L. (ed.) *The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago* (1956-77).

Pedersen, H., *Hittitisch und die anderen indoeuropaïschen Sprachen* (Kǿbenhavn, 1938).

Peiser. F.E., «Die arabische Inschrift von En-Nemâra,» in *Orientalistische Litteratur-Zeitung*, 7 (1903), col. 277-81.

....., «Die assyrische Zeichenordnung auf Grund von S[a] und VR 45,»in *ZA*, 1 (1886), 95-125.

Peters, J. P., «Notes on Recent Theories of the Origin of the Alphabet,» in *JAOS*, 22, pt. 1 (1901), 177-98.

Posener, G., «Sur les inscriptions pseudo-hiéroglyphiques de Byblos,» in *MUSJ*, 45 (1969), 225-39.

Prätorius, Fr., «Bemerkungen zum südsemitischen Alphabet,» in *ZDMG*,58 (1904), 715-26.

....., «Das kanaanäische und das südsemitische Alphabet,» in *ZDMG*, 63 (1909), 189-98.

......, *Über den Ursprung des kanaanäischen Alphabets* (Berlin, 1906).

Prätorius, Fr., «Zur Geschichte des griechischen Alphabets,» in *ZDMG*, 56 (1902), 676-80.

Rosenthal, F., *A Grammar of Biblical Aramaic*, 3rd pr. (Wiesbaden, 1968).

Ryckmans, G., *Répertoire d'épigraphie sémitique* (Paris, 1900 ff.)

Ryckmans, J. «L'origine et l'ordre des lettres de l'alphabet éthiopien,» in *BO*, 12 (1955), 2-8.

Sachau, E., «Zur Trilinguis Zebedaea,» in *ZDMG*, 36 (1882), 345-52.

Sayce, A., «The Origin of the Phoenician Alphabet,» in *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*,32(1910), 215-22.

Schaeffer, Cl., *Le Palais royal d'Ugarit* (Paris, 1955-70).

Schwarz, P., «Die Anordnung des arabischen Alphabets,» in *ZDMG*, 69 (1915), 59-62.

Segal, J.B., *The Diacritical Point and the Accents in Syriac* (London, 1953).

Segal, M.H., *A Grammar of Mishnaic Hebrew*, repr. (Oxford, 1970).

Segert, S., «Altaramäische Schrift und Anfänge des griechischen Alphabets,» in *KLIO*, 41 (1963), 38-57.

....., «Aramäische Studien» (Die Rolle der Aramäer bei der Vermittlung des westsemitischen Alphabets an die Griechen), in *AO*, 26 (1958), 572-8.

Segert, S., «Charakter des westsemitischen Alphabets,» in *AO*, 26 (1958), 243-7.

....., *A Grammar of Phoenician and Punic* (München, 1976).

....., «Noch zum Charakter der westsemitischen Schrift,» in *AO*, 26 (1958), 657-9.

Semaan, Kh. I. H., «A Linguistic View of the Development of the Arabic Writing System,» in *WZKM*, 61 (1967), 22-40.

Sethe, K., *Der Ursprung des Alphabets & Die neuentdeckte Sinaischrift: Zwei Abhandlungen zur Entstehungsgeschichte unserer Schrift* (Berlin, 1926).

...., «Die wissenschaftliche Bedeutung der PETRIE'schen Sinaifunde und die angeblichen Moseszeugnisse,» in *ZDMG*, 80 (1926), 24-54.

Shahid, I., «Philological Observations on the Namâra Inscription,» in *JSS*, 24 (1979), 33-42.

Sobelman, H., «The Proto-Byblian Inscriptions: a Fresh Approach,» *JSS*, 6 (1961), 226-45.

Speiser, E.A., «A Note on Alphabetic Origins,» in *BASOR*, 121 (1951), 17-21.

Sprengling, M., *The Alphabet: Its Rise and Development from the Sinai Inscriptions* (Chicago, 1931).

Starcky, J., «The Nabataeans: A Historical Sketch,» in *The Biblical Archaeologist*, 18 (1955), 84-106.

Stark, J. K., *Personal Names in Palmyrene Inscriptions* (Oxford, 1971).

Stieglitz, R.S., «The Ugaritic Cuneiform and Canaanite Linear Alphabets,» in *JNES*, 30 (1971), 135-9.

Taylor, I., *History of the Alphabet* (N.Y., 1883).

Ullendorff, E., *The Ethiopians: An Introduction to Country and People* (London, 1960).

....., *The Semitic Languages of Ethiopia: A Comparative Phonology* (London, 1955).

....., «Studies in the Ethiopic Syllabary,» in *Africa*, 21 (1951), 207-17.

Ullman, B.L., «How Old is the Greek Alphabet?» in *AJA*, 38 (1934), 359-81.

de Vaux, R., «Fouilles au Khirbet Qumrân. Rapport préliminaire sur la Deuxième campagne,» in *RB*, 61 (1954), 206-36.

Ventris, M. and J. Chadwick, «Evidence for Greeck Dialects in the Mycenaean Archives,» in *JHS*, 73 (1953), 84- 103.

de Vogüé, M., *Syrie centrale: Inscriptions sémitiques* (Paris, 1868-77).

Waddell, L., *The Aryan Origin of the Alphabet: Disclosing the Sumero-Phoenician Parentage of our Lettres Ancient and Modern* (London, 1927).

Waddington, W. H., *Inscriptions grecques et latines*, t. III (Paris, 1870).

Weil, G. (G.S. Colin), Art. «ABDJAD,» in *EI*².

Winnett, F.V., *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions* (Toronto, 1937).

Wright, W., *A Grammar of the Arabic Language,* 3rd ed. (Cambridge, 1964-67).

Zimmern, H., «Zur Frage nach dem Ursprung des Alphabets,» in *ZDMG,* 50 (1896), 667-70.

٦ - فهرس الموضوعات

الباب الأوّل - في أصول الكتابة الساميّة

الفصل الأوّل

الفصل الثاني

الفصل السابع

الباب الثالث: المباحث المشتركة بين الكتابات الساميّة المختلفة

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

تاريخ كتابة الصوائت الساميّة ٣٢١ - ٣٧٥

الفهارس